



عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

## الوحدة الإسلامية وأثرها في تحرير بيت المقدس

موسى بهاء الدين موسى نبهان

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1438 هـ - 2017 م

# الوحدة الإسلامية وأثرها في تحرير بيت المقدس

إعداد:

موسى بهاء الدين موسى نبهان

بكالوريوس علم حاسوب من جامعة القدس / فلسطين

المشرف: د. عروة عكرمة صبري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات  
الإسلامية المعاصرة من كلية الآداب / جامعة القدس

القدس - فلسطين

1438هـ / 2017م



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

برنامج الدراسات الإسلامية المعاصرة

### إجازة الرسالة

الوحدة الإسلامية وأثرها في تحرير بيت المقدس

اسم الطالب: موسى بهاء الدين موسى نبهان

الرقم الجامعي: 21320077

المشرف: د. عروة عكرمة صبري

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: 2017/5/24م من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتوافقهم:

التوقيع: .....	د. عروة عكرمة صبري	1- رئيس لجنة المناقشة:
التوقيع: .....	د. محمد سليم محمد علي	2- ممتحنا داخليا:
التوقيع: .....	د. شفيق عياش	3- ممتحنا خارجيا:

القدس - فلسطين

1438هـ/2017م

## الإهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الكريم وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فإنني أهدي هذه الرسالة إلى والدي العزيزين اللذين لم يتوانيا في تربيّتي وفي العمل على توفير مستلزمات الحياة الكريمة لي، كما أهدي هذه الرسالة لإخواني علاء وأحمد، وشقيقتي على ما قدموه لي.


الطالب

موسى بهاء الدين نبهان

## إقرار

أقر أنا معد الرسالة بأنها قدمت لجامعة القدس، لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تم الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الدراسة، أو أي جزء منها، لم يقدم لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

الاسم: موسى بهاء الدين موسى نبهان

التوقيع: 

التاريخ: 2014/5/24

## شكر وعرّفان

في هذا المقام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والعرّفان من الأساتذة التالية أسماؤهم:

- 1- د. عروة صبري المشرف على الدراسة ( لإشرافه و لصبره وإرشاداته وتوجيهاته الكريمة)
- 2- أ. أسامة الترهّي (سكرتير مجلس الأوقاف في القدس): والذي بذل جهدا كبيرا في ترتيب وطباعة وتنسيق الدراسة، أسأل الله أن يجزيه خير الجزاء، ويمد في سنوات عمره ليستمر في العطاء والإبداع
- 3- وفضيلة الدكتور محمد سليم محمد علي و فضيلة الدكتور شفيق عياش (أعضاء اللجنة المناقشة) واللدان تفضلا بالموافقة على مناقشة رسالتي وتشريفي بسماع ملاحظاتهم وتوجيهاتهم القيمة.
- 4- الأستاذة هبة بخيت، والدكتورة هبة الحسيني، والأخ طارق أبو اسنينة ، والأستاذ عيسى السلايمة والأستاذ وليد التميمي، ومكتبة المسجد الأقصى (ممثلة بمديرها وموظفيها )، والأخ أنس الشويكي، والأستاذ عطا العباسي، والأستاذة إلهام الشامي .

## ملخص الدراسة:

تناولت هذه الدراسة موضوعا مهما، له أثره على واقع الأمة الإسلامية ألا وهو الوحدة الإسلامية بين البلاد الإسلامية، والتي شهدت بعض دولها أحداثا تاريخية في الماضي تشبه مجريات أحداث معاصرة.

أما زمن موضوعنا فهو يبدأ بالفترة التي سبقت تحرير بيت المقدس، على يد صلاح الدين الأيوبي بمئة عام، وانتهاء بحاضرنا.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تتناول محورا مفصليا، ألا وهو الوحدة الإسلامية؛ فبالوحدة قامت الدولة الواحدة التي استظلت تحتها أمة الإسلام، وبها حفظت أراضي المسلمين وأعراضهم، وبها أيضا سيكون الطريق لإرجاع الأمجاد وتحرير البلاد حيث تم التطرق إلى مظاهر الوحدة ووسائل تحقيقها، بالإضافة إلى بيان مخاطر الفرقة وعوامل نشوئها و توضيح مظاهرها، والحديث عن الأوضاع التي سبقت سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيين وما تخللها من انقسامات سياسية وتشرذم فكري واجتماعي، وإلقاء الضوء على بعض الخطوات الإصلاحية للجوانب (الاجتماعية والتربوية والعقدية) في حياة المسلمين، ليتحقق لهم الهدف العظيم وهو تحقيق الوحدة فيما بينهم، ليتمكنوا من استرداد حقوقهم وردع خصومهم.

وقد دفعني لدراسة هذا الموضوع ما يأتي:

بيان الأثر الفعلي للوحدة الإسلامية، وانعكاسها على تحرير بيت المقدس، وما يقوم به أعداء الإسلام للحيلولة دون حصولها ؛ لعلمهم الأكيد بأهميتها لتحقيق الهدف المنشود.

أما المنهج الذي استخدمته في بحثي فقد جمعت بين كل من المنهج التاريخي و المنهج الوصفي التحليلي.

وقد توصلت من خلال دراستي إلى أن بث أسباب الفرقة بين أبناء الأمة كانت أولى خطوات إحكام السيطرة العسكرية والثقافية والاجتماعية على الأمة؛ بالإضافة إلى أن الاستعمار قام بحصر دور العلماء بالعبادات فقط دون باقي مناحي الحياة؛ حتى لا يتمكن العلماء من القيام بدورهم الأصيل في محاربة الضلال وبيان الحق، فزاد الناس في انحرافهم عن الحق.

**أما ما أوصي به فهو:**

**أولاً:** لا بد من إعداد خطة يرسم معالمها أهل الحل والعقد في المجتمع لإعادة الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية ومحاربة الغزو الفكري المسعور ، تشمل جميع مناحي الحياة المختلفة، ولتكن البداية من الأسرة، فهي أساس المجتمع وعموده الفقري.

**ثانياً:** إعطاء جيل الشباب مزيداً من الاهتمام الرسمي والشعبي وإشراكهم في الحياة العامة كونهم العمود الفقري للأمة وقلبها النابض و الركيزة الأساسية لأي تغيير ، وذلك للحيلولة دون أن يتمكن الغرب من تدمير هذه الفئة من المجتمع، من خلال استقطابها وجعلها تتطرق بلسانه في مجتمعاتنا المعاصرة لجعلهم أداة لتدمير الأمة وتفكيكها.

# **The Impact of Islamic Union on liberation Jerusalem the Holy City**

**Prepared By: Mousa Baha' Al-Deen Mousa Nabhan**

**Supervised by: Dr. Orwa Ekrihah Sabrie**

## **Abstract:**

This study examines an important topic, which has an impact on the reality of the Islamic nation. The subject matter is the Islamic unity among the Islamic countries, which some of them had witnessed historical events in the past, which are similar to certain ongoing and contemporary events.

As for the period discussed in our subject, it begins 100 years prior to the liberation of Jerusalem, by Saladin Al- Ayyoubi till our present time.

The importance of this study lies in the fact that it deals with a pivotal aspect, namely the “Islamic Unity.” It was the Islamic unity that enabled the One State to exist under which Islamic nation felt safe, and by which the land and dignity of the nation were preserved.

It is, indeed, the Islamic unity that will restore the glory and the liberation of the state. This has been discussed fully through considering the forms and manifestations of the unity and the means of achieving them. The study also explains the dangers of division, as well as the reasons for why they emerged and the clarification of its forms and aspects. In addition, it talks about the situations that preceded the fall of Jerusalem in the hands of the Crusaders and the political divisions and the intellectual and social fragmentations that took place then. The study also sheds light on some of the reform steps of the (social, educational and the ideological) aspects in the lives of Muslims, so that the great goal can be

achieved- the great goal of achieving unity among themselves, so that they can recover their rights and deter their opponents.

What prompted me to study this subject can be summarized as follows:

The need to state of the actual impact of the Islamic unity, its reflection on the liberation of Jerusalem, and the actions of the enemies of Islam to prevent it from being achieved- for their awareness of its importance in achieving the desired objective.

The methodology I used in my research was a combination of the historical, descriptive and analytical approaches.

In this study, I have come to the conclusion that spreading dispute and division between the Islamic nation was the first step towards subjugating them militarily, intellectually, culturally and socially, in addition to the fact that colonialism limited the role of the Muslim religious men- “Sheikhs”, just to the worship rituals rather to all the aspects of life; so that the “Sheikhs” cannot play their original role in the fight against straying and mischief on the one hand and the statement of right on the other hand, which has increased the people’s deviation from the truth.

My recommendation:

First, it is necessary to prepare a systematic plan to re-invoke Islamic law, “Sharia’,” encompassing all aspects of life, starting with the family, since it is the basis of society and its backbone.

Second, to allow the young generation to express their opinions (in accordance with the Islamic Sharia’), and give them more formal and local interest and

involve them in public life, in order to prevent the West from destroying this category of society through attracting our youth to its side and turning them into its spokesman in our societies.

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الصادق الأمين وبعد:

فإن الوحدة الإسلامية تعد الحل الجذري للأوضاع التي تعاني منها الأمة الإسلامية، وما تكتنفه من تحديات وصعوبات تحتم على أبناء هذه الأمة التفكير جليا، والعمل فورا؛ لتحقيق الغاية العظمى وهي تحقيق الوحدة الإسلامية، فالتاريخ الإسلامي أثبت مصداقية مسار الوحدة الشاملة وصوابه، فنحن أتباع دين عظيم، وأصحاب تاريخ مجيد، لا بد أن نتعظ ونتعلم من تاريخنا وبالأخص في الفترة التي سبقت احتلال بيت المقدس، من قبل أتباع الصليب الأوروبيين، التي تحاكي إلى حد كبير حالنا المعاصر وظروفنا الصعبة في ظل الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين عامة والقدس خاصة.

فوقوع أسباب الفرقة، وتشردم هذه الأمة، جعلها عرضة للأطماع الاستعمارية؛ فراحت جيوش الغرب والشرق تجتاز الحدود، وتدمر الدول والمدن والبيوت، وتفعل ببلاد المسلمين ما هو غير محدود، مصحوبا بغزو ثقافي وتدمير ديني واختراق عقلي، أزهق الأمة، وانهارت أمامه الصروح والأسوار، لذلك لا بد من الوقوف على أسباب الفرقة وبيان حالها، والعمل على توضيح العوامل المسببة لها، ومن ثم بيان عوامل تحقيق الوحدة، وسبل تثبيت دعائمها، حتى تعود الأمة إلى سابق عهدها، وإلى دورها الرائد بين الأمم، ولتقوم بواجبها في تحرير "بيت المقدس" والذي أقصد به مدينة القدس التي تضم بين جنباتها المسجد الأقصى المبارك، حيث أن هذا المصطلح "بيت المقدس" ظهر في زمن الخليفة العباسي المأمون ومن بعده وبخاصة في فترة الحروب الصليبية وما بعدها، حيث أن الفترة التي سبقت ذلك لم يطلق على القدس اسم "بيت المقدس" بدلالة أن العهدة العمرية جاء فيها اسم "إيلياء".

## مشكلة الدراسة:

تتجسد مشكلة هذه الدراسة في معرفة الأسباب التي تحول دون تحقيق الوحدة الإسلامية، ولم شمل الأمة، والتي تتنوع بين العوامل الداخلية المتمثلة في بعد دساتير البلاد الإسلامية عن الشريعة، وتحكيم شريعة الغرب بدلا منها، و بين الغزو الاستعماري بألوانه وأشكاله كافة، ودور الفرق والمذاهب المشبوهة في تشكيك المسلمين في شريعتهم، الأمر الذي يؤدي إلى خروج جبل غير قادر على تحمل مسؤولياته الشرعية في الدفاع عن دينه و أمته إن لم يكن أصلا تابعا يخدم الأعداء بجهله وبعده عن العقيدة والفكر الإسلامي القويم، مما ينتج عن ذلك تدمير أي محاولة لتوحيد البلاد وتحرير العباد، فالوحدة والتحرير لا تكون إلا بأيدي تقية، نقية من شوائب الاستعمار، واعية بدين الله و شرعه ، وهذا ما يسعى الاستعمار إلى منعه لأنه يعلم عاقبة حصوله.

## أسئلة الدراسة:

- 1- هل للوحدة الإسلامية أثر على تحرير بيت المقدس؟
- 2- ما هي الأسباب التي ساعدت في اختزال دور العلماء المسلمين في الزاوية التعبدية فقط؟ ومن هو المستفيد من ذلك؟.
- 3- كيف استطاع الغرب إحكام قبضته على المسلمين فكريا واجتماعيا؟
- 4- ما هو دور الفرق الباطنية في تثبيت الاستعمار في بلادنا؟

## فرضيات الدراسة:

تتمثل فرضيات هذه الدراسة بما يلي:

- 1- للوحدة الإسلامية زمن صلاح الدين الأيوبي أثر في تحرير بيت المقدس.

2- استطاع الغرب ضرب شريان قوة المسلمين، بإبعاد شريعة الإسلام عن مناحي حياتهم، وتقزيم دور العلماء والمسجد وحصره في الناحية التعبدية فقط.

3- استخدم الاستعمار ورقة الأقليات في العالم الإسلامي، ليولد الشقاق، والفرقة بين أبناء الأمة الواحدة.

### أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تناولها محورا مفصليا، هو الوحدة الإسلامية، لما لها من آثار عظيمة في تاريخنا الإسلامي المجيد؛ فبالوحدة قامت الدولة التي استظلت تحتها أمة الإسلام، وبها حفظت أراضي المسلمين وأعراضهم، و تم الدفاع عن أنفسهم ومن خلالها ستحرر بيت المقدس بإذن المولى - عز وجل - والتي أعني بها مدينة القدس التي تضم بين جنباتها المسجد الأقصى المبارك.

وستعرض هذه الدراسة لواقع احتلال بيت من الصليبيين وأسبابه، بالإضافة إلى أنها تتناول الخطوات الثابتة والراسخة، التي قامت بها دولتا آل زنكي والأيوبي والتي أدت إلى تحرير بيت المقدس، و سيسقط ذلك على الواقع المعاصر مدعما بالتحليل والتفسير وبيان الحال.

### أسباب اختيار الدراسة:

دفعني إلى اختيار موضوع الدراسة ما يأتي:

1- تشابه الأوضاع التي تعيشها الأمة الإسلامية حاليا بالأوضاع التي سبقت احتلال الصليبيين للقدس ،حيث يراد من ذلك استخلاص العوامل التي أدت إلى نصر المسلمين، وهل يمكن إسقاطها على الزمن الحالي؟؟.

2- تسلط الضوء على حقيقة دور الدولة الزنكية والأيوبية في تحرير بيت المقدس، والخطوات التي سبقت تحريك الجيوش نحو القدس.

3- بيان الأثر الفعلي للوحدة الإسلامية، وانعكاسها على تحرير بيت المقدس في الماضي، وما يقوم به أعداء الإسلام في هذه الأيام للحيلولة دون حصولها في المستقبل؛ لعلمهم الأكيد بأهميتها لتحقيق الهدف المنشود.

## الدراسات السابقة:

حسب علم الباحث لم يجد من انفرد بدراسة تاصيلية ل(الوحدة الإسلامية وأثرها في تحرير بيت المقدس) لكن وجدت بعض الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الوحدة بطريقة غير مباشرة:

ومن هذه الدراسات ما يأتي:

أولاً: الجهاد، والتجديد في القرن السادس الهجري "عهد نور الدين وصلاح الدين" لمحمد حامد الناصر، 1998م: حيث استعرض الباحث من خلال دراسته الأسباب التي ساهمت في ضعف الأمة الإسلامية، والأسباب التي أدت إلى الوضع الذي سبق احتلال الصليبيين لبيت المقدس، حيث قمت بتجسيد تلك الأسباب "في دراستي هذه" على وقتنا الحالي حيث يوجد تشابه في دور الفرق الباطنية في مساعدة أعداء الأمة و حالة انقسام الأمة التي أغرت الاستعمار وثبتت أقدامه بيننا مع بيان ما امتاز به زماننا عن الماضي من أسباب للفرقة الذي ستتضح فيما بعد.

ثانياً: هكذا ظهر جيل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس، للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، 2002م: وقد تعرض أولاً للتكوين الفكري للمجتمع الإسلامي قبل الحروب الصليبية، وآثار اضطراب الحياة الفكرية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في ذلك الوقت، ثم تحدث عن مراحل الإصلاح فبدأ بالمحاولات السياسية للإصلاح، وبالأخص دور الوزير نظام الملك، ثم مشروعات التجديد والإصلاح الفكرية والتربوية، و في دراستي هذه تناولت مراحل الإصلاح وإن بنظرة مختلفة ، فالعلل التي نعاني منها تتفوق عما سبق ،فنحن في الوقت الحاضر لا نواجه احتلال لأراضينا وحسب ،بل نواجه محاولات ممنهجة لتغيير العقليّة الإسلاميّة واستبدالها بعقليّة الغربيّة .

ثالثاً: الوحدة الإسلامية للإمام محمد أبو زهرة: الذي تناول الوحدة الإسلامية من حيث التكوين والنشأة، والانقسام وطريقة جمعها، فهو يتحدث عن الوحدة الإسلامية في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم

وفي عهد الخلفاء الراشدين، أضف إلى ذلك أسباب التفريق بعد الاجتماع ، حيث استعنت في هذه الدراسة ببعض تلك الأسباب كونها تتشابه ، إلى جانب بيان الأسباب التي فرقنا في الحاضر و التي تفوقنا بها عن الماضي .

**رابعاً: القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي لحامد محمود عيسى :**  
حيث تناول قضية الأكراد وكيف كانت الدول العظمى تتعامل مع الورقة الكردية للإبقاء على حالة التشرذم بين مكونات الشعب العراقي ،حيث اعتمدت في دراستي هذه على بعض المعلومات الواردة لبيان سياسة استخدام الاستعمار لورقة الأقليات لتقسيم البلاد الإسلامية وضرب المجتمعات من الداخل من خلال ابقاء على حالة العداء بين مكوناته.

**خامساً: العلاقات الجزائرية المغربية (ماجستير)، لإبراهيم ولد شريف 1998م:** حيث قامت هذه الدراسة بتناول العلاقة التي غلب عليها طابع العداء بين البلدين "المغرب والجزائر" ، الأمر الذي استفدت منه في دراستي هذه لبيان الحروب التي افتعلت بعد تقسيم الأمة الإسلامية ،ووضعها في سياق تجزئة وتقسيم البلاد الإسلامية ، لبيان جهود الاستعمار المبذولة في سبيل منع حدوث أي وحدة أو تقارب بين البلاد الإسلامية.

**سادساً: الفضائيات العربية الخاصة ودورها في الاختراق الثقافي (دكتوراه) لنهى إمام الدين:**حيث تناولت هذه الدراسة الوجه المعاصر للغزو الاستعماري ، حيث بينت تأثير قناة 4 mbc على المشاهدين في العالم الإسلامي ، وبناء على هذه الوقائع اعتمدت في دراستي هذه في بيان تفعيل الإعلام التربوي الإسلامي لمواجهة التحديات الإعلامية التي تسعى إلى تدمير العقلية الإسلامية وحرفها عن الصواب .

## الحدود الزمانية والمكانية:

حيث تتناول هذه الدراسة الأحداث والأوضاع للأمة الإسلامية، ابتداء من الفترة التي سبقت تحرير بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي بمائة عام وانتهاء بيومنا الحالي، أما الحد المكاني فهو بلاد المسلمين عامة.

## منهج البحث:

أما منهج بحثي فهو يجمع بين المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي.

وتتضمن الرسالة أربعة فصول واثني عشر مبحثا و سبعة وثلاثين مطلباً وخاتمة اشتملت على أهم النتائج و التوصيات وذلك على النحو الآتي:

### الفصل الأول: الوحدة الإسلامية

المبحث الأول: تكوين الوحدة الإسلامية

المطلب الأول: تعريف الوحدة و المصطلحات ذات الصلة

المطلب الثاني: مظاهر الوحدة الإسلامية

المبحث الثاني: مخاطر الفرقة وعوامل نشوئها

المطلب الأول: مخاطر الفرقة على الأمة الإسلامية والتحذير منها

المطلب الثاني: عوامل نشوء الفرقة

## الفصل الثاني: بيت المقدس المحتلة صليبيًا بين الإعداد والتحرير

المبحث الأول: الأوضاع التي سبقت سقوط بيت المقدس

المطلب الأول: الأوضاع العقائدية

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية

المطلب الثالث: الأوضاع الفكرية والاقتصادية قبل الغزو

المبحث الثاني: الغزو الصليبي لبلاد المسلمين

المطلب الأول: الدوافع

المبحث الثالث: تحرير بيت المقدس إعداده وانطلاقه

المطلب الأول: مظاهر الإعداد للتحرير في دولتي آل زنكي والأيوبي

المطلب الثاني: الانطلاق لتحرير بيت المقدس

## الفصل الثالث: فرقة الأمة الإسلامية في واقعها المعاصر وأسبابها :

المبحث الأول: نتائج الفرقة

المطلب الأول: حملة نابليون على مصر وبلاد الشام

المطلب الثاني: إسقاط الخلافة العثمانية والقضاء عليها

المطلب الثالث: مؤتمرات تقسيم البلاد الإسلامية

المطلب الرابع: الاحتلال البريطاني لفلسطين ودعمه لصهاينة

المطلب الخامس: الاحتلال الفرنسي للجزائر

المطلب السادس: الاستعمار والأقليات

المطلب السابع: مأساة البوسنة والهرسك

المطلب الثامن: غزو العراق عام 2003م

المبحث الثاني: أسباب فرقة الأمة

المطلب الأول: الفرق الباطنية

المطلب الثاني: الأمية الدينية

المطلب الثالث: واقع لغة الضاد في العصر الحالي

المطلب الرابع: سياسات التقسيم وإقامة الكيانات التجزئية

المطلب الخامس: أبرز الحروب المفتعلة بعد التقسيم

المطلب السادس: إدامة العنف والفوضى الخلاقة

المبحث الثالث: واقع الأمة السياسي والاجتماعي والفكري

المطلب الأول: الحياة السياسية وانقسام الأمة

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية

المطلب الثالث: الحياة الفكرية

## الفصل الرابع: تصورات لتحقيق الوحدة الإسلامية في الوقت المعاصر

المبحث الأول: من الناحية العقديّة

المطلب الأول: إعادة الدور الريادي للمسجد

المطلب الثاني: التصدي للفكر الإلحادي والعلماني

المطلب الثالث: التصدي لأهل البدع وأصحاب الضلال والفرق المشبوهة

المطلب الرابع: العمل على إعادة دور العلماء في قيادة الأمة

المبحث الثاني: من الناحية السياسية

المطلب الأول: الاستغناء عن الدساتير والأحكام العلمانية والعودة إلى شرع الله سبحانه و تعالى

المطلب الثاني: وحدة العمل الإسلامي

المبحث الثالث: من الناحية التربوية

المطلب الأول: مراجعة مناهج التعليم والعمل على تطويرها

المطلب الثاني: تعزيز أصول جهاد النفس وأثرها على الفرد المسلم

المبحث الرابع: من الناحية الاجتماعية

المطلب الأول: العمل على إعادة مفهوم الأسرة ودورها في المجتمع

المطلب الثاني: تفعيل دور الإعلام التربوي الإسلامي

ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد في بيان هذه الفصول والمباحث والخاتمة والتوصيات  
على النحو الأمثل

# الفصل الأول: الوحدة الإسلامية

---

## المبحث الأول: تكوين الوحدة الإسلامية

المطلب الأول: تعريف الوحدة وأدلة مشروعيتها.

المطلب الثاني: مظاهر الوحدة الإسلامية.

## المبحث الثاني: مخاطر الفرقة وعوامل نشوئها

المطلب الأول: مخاطر الفرقة على الأمة الإسلامية والتحذير منها.

المطلب الثاني: عوامل نشوء الفرقة.

## المبحث الأول

### تكوين الوحدة الإسلامية

**المطلب الأول: تعريف الوحدة والمصطلحات ذات الصلة:**

#### الوحدة لغة:

الوحدة في اللغة [بفتح الواو] تعني الانفراد. تقول رأيتته وحده، أي: منفردا، ووحدته توحيدا: جعله واحدا، ورجل متوحد أي منفرد، والتوحيد: الإيمان بالله وحده، والمسلمون موحدون لأنهم أفردوا الله . عز وجل . بالعبادة دون غيره، وتوحد الله إنسانا بعصمته أي عصمه ولم يكله إلى غيره<sup>[1]</sup>.

"الوحدة: الانفراد، والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة، ثم يطلق على كل موجود، حتى إنه ما من عدد إلا ويصح أن يوصف به، فيقال: عشرة واحدة، ومائة واحدة، وألف واحدة"<sup>[2]</sup>.

[وَحَدًا] الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد، ومن ذلك الوَحْدَة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله<sup>[3]</sup>.

ويقال: وحد المتعدد: أي صيره واحدا، واتحد به: أي صار معه شيئا واحدا<sup>[4]</sup>.

والاتحاد: امتزاج الشئيين واختلاطهما حتى يصيرا شيئا واحدا<sup>[5]</sup>.

#### الوحدة في النظام السياسي:

اتحاد أمتين أو أكثر في الرياسة والسياسة والجيش والاقتصاد، بموجب ذلك تصبح المجموعة أمة واحدة<sup>[1]</sup>.

- 
- 1 ينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 1/357-365.
  - 2 ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، 2/494.
  - 3 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 6/90.
  - 4 ينظر: أحمد عمر هاشم، وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية: بحث مقدم للملتقى الأول للعلماء المسلمين، ص7.
  - 5 الجرجاني، التعريفات، 1/22.

## الأمة لغة:

قال ابن فارس: "أما الهمزة والميم أصل واحد، ومن معانيها: الجماعة والدين، وكذلك كل من كان على دين حق مخالف لسائر الأديان، وكل قوم نسبوا إلى شيء وأضيفوا إليه فهم أمة وكل جيل من الناس أمة على حدة<sup>[2]</sup>."

قال - تعالى -: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾<sup>[3]</sup>، وقد يقصد بالأمة مجموعة العلماء، وقال عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-: "والأمة المعلم للخير"<sup>[4]</sup>.

## الأمة اصطلاحاً:

أصل الأمة: الجماعة التي هي على مقصد واحد، فجعلت الشريعة أمة واحدة، لاجتماع أهلها على مقصد واحد<sup>[5]</sup>، والأمة: الناس المجتمعون على دين واحد أو هم في عصر واحد<sup>[6]</sup>.

## مفهوم الأمة الواحدة في القرآن الكريم:

لم يرد في كتاب الله سبحانه وتعالى كلمة الوحدة مضافة إلى الأمة، بل ورد وصف للأمة بأنها أمة واحدة، فالتركيز في القرآن الكريم قد جاء على مفهوم الأمة التي توصف بأنها أمة واحدة، وليس على مفهوم الوحدة التي تضاف إلى الأمة، وهذا يعني أن الأمة الواحدة هي الأصل، أما مسألة توحيد الأمة ووحدتها فقد كانت متأخرة في الزمان بعد أن طرأ الاختلاف على الأمة مما استدعى القيام بجهود كبيرة لإعادتها إلى أصل نشأتها عن طريق الرسائل السماوية المتعاقبة<sup>[7]</sup>.

- 
- 1 ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، 1017/2.
  - 2 أحمد منصور أبو عودة، الوحدة الإسلامية في السنة النبوية، [رسالة ماجستير]، غزة، الجامعة الإسلامية، 2009، ص17
  - 3 البقرة 213/2.
  - 4 ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 174/1.
  - 5 ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 229/1.
  - 6 ينظر: ابن القيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 174/1.
  - 7 محمود حمدي زقزوق، هموم الأمة الإسلامية، ص71-ص72.

أما الأمة فهي كلمة لها معان كثيرة، منها: الوالدة، والقوم من أناس، وعشيرة الرجل، وكل شيء ضم إليه سائر ما يليه يسمى "أماً"<sup>[1]</sup>.

فالأمة هي: كل جماعة يجمعهم أمر ما؛ إما دين واحد أو زمان أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخييراً أو اختياراً، وجمعها أمم<sup>[2]</sup>.

والأمة: هي الجماعة التي تدين بعقيدة واحدة وتتجمع على روابطها، وتدين لقيادة واحدة قائمة على تلك العقيدة<sup>[3]</sup> فكل شيء يضم إليه ما سواه مما يليه يسمى [أماً]، فتطلق الأمة على وجهين، الأول: يراد به ما يضم إلى غيره، والثاني يراد به ما يضم إليه، ومن الأول: أي دلالة الأمة على ما يضم إلى غيره قوله - تعالى - : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾<sup>[4]</sup>. أي على دين من فكر ومعتقد وطريقة وشريعة ومنهاج، ومن الثاني: أي دلالة الأمة على ما يضم إليه قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾<sup>[5]</sup> أي يقوم مقام الجماعة فكان على دين حق مخالف لسائر الأديان في زمانه ومكانه، فالأمة في الدلالة الأولى هي المنهاج، وفي الدلالة الثانية يراد بها الجماعة<sup>[6]</sup>.

## مصطلح وحدة الأمة الإسلامية:

يعني: اجتماع المنتسبين إلى الإسلام على أول الدين و قواعده الكلية وعملهم معا لإعلاء كلمة الله ونشر دينه<sup>7</sup>.

يقول محمد أبو زهرة<sup>[8]</sup>: "إن الوحدة تتحقق في ثلاثة أمور جامعة، أجملها في اتحاد مشاعرنا، والوحدة الثقافية واللغوية لما في ذلك من رفعة الإسلام والمسلمين، وألاً يكون هناك حرب من إقليم إسلامي

- 
- 1 ينظر: المعجم الوسيط، ص28.
  - 2 الراغب الأصفهاني، المفردات في القرآن الكريم، ص23.
  - 3 سيد قطب، في ظلال القرآن، 1402/3.
  - 4 الزخرف، 23/43.
  - 5 النحل، 120/16.
  - 6 ينظر: وليد محمود محمد التميمي، وحدة الأمة الإسلامية بين النظرية والتطبيق، [رسالة ماجستير] القدس، جامعة القدس، 2005م، ص7.
  - 7 المناوي، التوقيف على مهمات التعريف، ص94
  - 8 هو: محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة، توفي 1394هـ، حصل على العالمية القضاء الشرعي، عمل مدرساً لفن الخطابة في كلية أصول الدين، ثم كلية الحقوق، وأصبح عضواً في مجمع البحوث الإسلامية سنة 1962م.

على إقليم آخر أيا كانت هذه الحرب، سواء أكانت بالاقتصاد أم بالسيف، فهي في شقيها كليهما توهن قوى الإسلام وتضعف شأنه<sup>[1]</sup>.

لا بد من التطرق إلى مفهومي الجماعة والوحدة، وهو أمر قد يخفى على الكثيرين أو قد يلتبس عليهم، "فالأمة الواحدة غير الجماعة، ويمكن أن يتضح الفرق بينهما في حال غياب الجماعة، كما هو حال المسلمين اليوم، فالمسلمون أمة واحدة، كانوا وما زالوا، والأمة الإسلامية موجودة رغم انعدام الجماعة، أي أن المسلمين لا زالوا أمة من دون الناس متميزين منفردين بعقيدتهم، ولم يمنع هذا من تفرقهم، فهم اليوم أمة واحدة وليست جماعة، ولن يصبح المسلمون في يوم من الأيام أكثر من أمة، لأن الذي يميز الأمة هو عقيدتها، وما دامت العقيدة واحدة فالأمة واحدة، ومن اعتقد عقيدتها فهو منها، ولا يمكن أن تصير الأمة أمتين إلا إذا صار لها عقيدتان، وهذا مستحيل، لأن الذي يعتقد غير عقيدة الإسلام يخرج من الأمة، فالمرتد عن الإسلام يخرج عن الأمة الواحدة، ويخرج عن الجماعة، أما الباغي فإنه يبقى في الأمة الواحدة ويخرج من الجماعة"<sup>[2]</sup>.

وعليه؛ فإن الأمة الإسلامية الواحدة موجودة حتى في غياب الدولة، وأما الجماعة فإنها غائبة بغياب الخلافة، ولما كان إيجاد الجماعة واجبا كان إيجاد الخلافة واجبا من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب<sup>[3]</sup>، وأما فيما يتعلق باستعمال لفظ الوحدة [وحدة الدولة والخلافة] بدل لفظ الجماعة فهناك للعلماء للعلماء المعاصرين رأيان:

**الرأي الأول:** أنه من الخطأ أن يستعمل لفظ الوحدة مكان لفظ الجماعة، ولا يصح ذلك لغة ولا شرعا، فالوحدة لغة بفتح الواو وكسرهما البقاء مفردا... والجماعة التي أوجبها علينا الشارع لفظ له حقيقة شرعية هي: المسلمون الذين يبايعون إماما في دار العدل على الطاعة<sup>[4]</sup> ولفظ الوحدة لم يرد مطلقا في اللغة بمعنى تأليف المتفرق<sup>[5]</sup>، وإنما ورد بمعنى التفرد، ومنه عند البخاري عن أبي عمر قال: قال رسول الله الله - صلى الله عليه وسلم - **[لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده]**<sup>[6]</sup>.

1 كتيب الوحدة الإسلامية، إصدار سلسلة الثقافة الإسلامية، ص29.

2 ينظر: الحارث الترابي، الوحدة والجماعة: مجلة الوعي، العدد88، ص13.

3 ينظر: الغزالي، النص على القاعدة الشرعية في المستصفي من علم الأصول، 71/1.

4 ينظر: العقبي، الأربعون السلطانية، ص18.

5 ينظر: العقبي، م، ص19.

6 البخاري، صحيح البخاري، ح[2998]: 732/2.

الرأي الثاني: أنه يصح أن يستعمل لفظ الوحدة [وحدة الدولة والخلافة] كلفظ مرادف للجماعة: وهذا ما نلاحظه في كتب الفقهاء والعلماء المعاصرين [وهو الرأي الراجح] ومنهم: حسن البنا، تقي الدين النبهاني، سيد قطب، أبو الأعلى المودودي، يوسف القرضاوي، محمد الغزالي، محمد أبو زهرة، عبد الرحمن عبد الخالق، وهبة الزحيلي، عمر سليمان الأشقر، محمد سعيد رمضان البوطي، وغيرهم الكثير ممن تجد لهم مؤلفات كثيرة تتحدث عن وحدة الأمة، ووحدة الدولة والخلافة، فوحدة الدولة والخلافة، ووحدة البلاد يقصد منها تجمعها تحت راية واحدة، وكيان واحد وخليفة واحد، ولفظ الوحدة لم يغير حكما يتعلق بضم البلاد في كيان واحد، فالوحدة عكسها التعدد، والاجتماع عكسه الفرقة، وحكمها واحد وهو الوجوب كما دلت عليه الأدلة، فيجوز استعماله، "فالذي أجمع عليه العلماء أن ما يتعلق به حكم من الألفاظ لا يجوز تغييره إذ يؤدي إلى تغيير الحكم"<sup>[1]</sup>، فلفظ الوحدة لها مدلول يتعلق بضم البلاد في كيان واحد.

### أدلة الوحدة من القرآن الكريم:

[1] قوله - تعالى - : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>[2]</sup>.

جاء في تفسير هذه الآية: "وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهدته إليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله"<sup>[3]</sup>.

بالإضافة إلى أن "حبل الله بمعنى العهد ووقيل أيضا بمعنى القرآن، وقيل الجماعة، والمعنى كله متقارب متداخل، فإن الله يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاه"<sup>[4]</sup>.

وقد فسّر حبله بكتابه، ودينه، وبالإسلام، وبالإخلاص وبأمره وبعهده وبطاعته وبالجماعة. وهذه كلها منقولة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وكلها صحيحة، فإن القرآن يأمر بدين

1 بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي، البحر المحيط في أصول الفقه، 32/2.

2 آل عمران 103/3.

3 الطبري، تفسير الطبري، 22/3.

4 الطبري، م، ن، 22/3.

الإسلام، وذلك هو عهده وأمره وطاعته، والاعتصام به جميعا إنما يكون في الجماعة، ودين الإسلام حقيقته: الإخلاص لله<sup>[1]</sup>.

و في تفسير قول الباري: ﴿وَلَا تَفْرُقُوا﴾ "يعني في دينكم كما اقترفت اليهود والنصارى في أديانهم، عن ابن مسعود وغيره. ويجوز أن يكون معناه ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة، وكونوا في دين الله إخوانا، فيكون ذلك منعا لهم عن التقاطع والتدابير، ودلّ عليه ما بعده وهو قوله - تعالى - : ﴿وَأذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾. وليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في الفروع، فإن ذلك ليس اختلافا، إذ الاختلاف ما يتعذر معه الائتلاف والجمع<sup>[2]</sup>، وهنا يتضح مما ذكر أعلاه أن الافتراق في مسائل الفروع والفقهاء لا يدخل في هذه الآية. ثم تختم الآية الكريمة بقوله - تعالى - : ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾<sup>[3]</sup>.

فأمر الله - تعالى - بتذكر نعمه وأعظمها الإسلام واتباع نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -، فإنه به زالت العداوة والفرقة وكانت المحبة والألفة، والمراد الأوس والخزرج، والآية تعم ومعنى ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ أي صرتم بنعمة الإسلام إخوانا في الدين<sup>[4]</sup>.

و في سبب نزول هذه الآية بما يرويه محمد بن إسحاق بن يسار وغيره: "أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج وذلك أن رجلا من اليهود مرّ بملاً من الأوس والخزرج فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة، فبعث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بُعثت تلك الحروب؛ ففعل، فلم يزل ذلك دأبه، حتى حميت نفوس القوم، وغضب بعضهم على بعض، وتناوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول:

- 
- 1 ابن تيمية، منهاج السنة، 134/5.
  - 2 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 103/4.
  - 3 آل عمران: 103/3.
  - 4 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 106/4.

[أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم] وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح<sup>[1]</sup>.

قال رسول - صلى الله عليه وسلم - : [إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا: فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ]<sup>[2]</sup>.

وحبل الله في هذا الموضوع فيه قولان: أحدهما: كتاب الله، والآخر: الجماعة، ولا جماعة إلا بإمام وهو معنى متداخل متقارب، لأن كتاب الله يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة<sup>[3]</sup>، فهذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة، وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائماً، وهو هنا يذكرهم بهذه النعمة، يذكرهم كيف كانوا في الجاهلية أعداء، وما كان أعدى من الأوس والخزرج في المدينة أحد، و يجاورهما اليهود الذين كانوا حول هذه العداوة، يوقدون لها وينفخون في نارها، حتى تأكل روابط الحيين جميعاً، فألف الله بين قلوب الحيين من العرب بالإسلام، وما كان إلا الإسلام وحده يستطيع جمع هذه القلوب المتنافرة، وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله إخواناً، وما يمكن أن يجمع القلوب إلا أخوة في الله، تصغر إلى جانبها الأحقاد التاريخية، والثارات القبلية، والأطماع الشخصية، والرايات العنصرية، ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال<sup>[4]</sup>.

[2] قول الخالق: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعُوا فِتْفَشْلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>[5]</sup>، وجاء في تفسير ولا تختلفوا فتتفرقوا وتختلف قلوبكم، فتفشلوا: أي فتضعفوا وتذهب دولتكم ونصركم<sup>[6]</sup> وقيل في [وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ] "أي قوتكم ووحدتكم"<sup>[7]</sup>.

- 1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 66/2.
- 2 مسلم، صحيح مسلم، ح 1715، 1340/3.
- 3 ينظر: ابن عبد البر، التمهيد، 629/21.
- 4 ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، 442/1.
- 5 الأنفال، 46/8.
- 6 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 2952/4؟
- 7 ابن كثير، تفسير ابن كثير، 50/4.

[3] قال - تعالى - : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾<sup>[1]</sup> ، بالإضافة إلى بعض الآيات التي جاءت متسقة مع هذا المعنى منها قول الخالق: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>[2]</sup> . وقوله - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>[3]</sup> .

"والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفا له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، شرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه: "وكانوا شيعا" أي فرقا كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات فإن الله . تعالى . قد برأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما هم فيه"<sup>[4]</sup> ، ويتضح لي بعد ما ذكر أعلاه أن الوحدة هي واجب شرعي في حق الأمة التي تجمعها العقيدة الواحدة الصحيحة، وليست اختيارا يتم أخذه وفق الأهواء والآراء.

- 
- |   |                                   |
|---|-----------------------------------|
| 1 | الحجرات، 10/49.                   |
| 2 | التوبة، 71/9.                     |
| 3 | الحشر، 9/59.                      |
| 4 | ابن كثير، تفسير ابن كثير ، 272/3. |

## الأدلة من السنة النبوية:

لم يقتصر بيان الدعوة إلى الوحدة على آيات القرآن الكريم فقد تعددت الأدلة على ذلك في السنة النبوية بشقيها القولي والفعلية، حيث دعت إلى أهمية الوحدة بين المسلمين، وحذرت تحذيرا شديدا من الفرقة والتشردم، وقد جاءت السنة الفعلية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - على النحو الآتي:

### السنة الفعلية [الهجرة والمواخاة]:

حيث أذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين المهاجرين والأنصار على أساس عقيدة الإسلام، بجعل رابطة العقيدة هي الرابطة التي تجمعهم، وذلك ليذهب عن المهاجرين وحشة الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، وليشدّ أزر بعضهم ببعض، فقويت بذلك وحدة المسلمين، وهابهم القريب والبعيد، وشعر المهاجرون بالهدوء والسعادة، وأحبوا المدينة وأهلها وصاروا جميعا في إخاء وصفاء، وتفانى الأنصار في حب إخوانهم المهاجرين وإكرامهم<sup>[1]</sup>. حيث كان أول عمل قام به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أثناء إعداده لنواة الدولة الإسلامية بعد بناء المسجد، أن أذى بين المهاجرين والأنصار، فقال لهم: [تآخوا في الله أخوين أخوين]، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال: [هذا أخي] فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيد المرسلين، وإمام المتقين ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطير<sup>[2]</sup> ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أخوين.....<sup>[3]</sup>.

وقد وردت في أواخر آيات سورة الأنفال لهم معانٍ من التعاون والتلاحم والتعاطف والتراحم وكأنهم جسد واحد، فالمهاجرون الذين هاجروا في سبيل الله، فارقوا ديارهم وانسلخوا من أموالهم، وترك بعضهم أطفالهم وزوجاتهم لمقدور الله، هاموا على وجوههم إلى المدينة يلفهم هجير الصحراء، وينهكهم طول المسير.... توجهوا إلى إخوان لهم في عقيدتهم ليستعينوا بهم على عدوهم، توجهوا إلى الأنصار الذين قطعوا حبال الوصل بينهم وبين الدنيا كلها ليستقبلوا إخوانهم المهاجرين، وليربطوا مصيرهم

1 السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ص242.

2 الخطير: المثل والذي له قدر، أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص183.

3 ابن هشام، سيرة ابن هشام، 449/2.

بمصيرهم... أوهم في بيوتهم وشاركوهم في معاشهم، ونصروهم على عدوهم فصاروا أسرة واحدة، ومجتمعاً واحداً متميزاً بعقيدة الإسلام، يفرحهم ما يفرح المهاجرين، ويغضب المهاجرين ما يغضب الأنصار، فمشاعر السرور عند الفريقين واحدة، قوامه وحدة الأفكار، ووحدة المشاعر، ووحدة النظام، فكانوا جماعة واحدة تخضع لحاكم واحد، يسوسها بالعقيدة الإسلامية وما انبثق عنها من أنظمة، فهم أولياء يتولى بعضهم بعضاً في النصر على أعداء المسلمين<sup>[1]</sup>.

كما تمت الإشارة إلى الذين لم يهاجروا، فلم تجعل بينهم وبين الأنصار من الروابط مثلما جعلت بين الأنصار والمهاجرين، فقال -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾<sup>[2]</sup>. يقول رضوان السيد في إصرار النبي . صلى الله عليه وسلم . على الهجرة إليه: "لقد كان يريد تكتيل المسلمين في بقعة واحدة ليستطيع مواجهة خصوم الدعوة الكثر في يثرب والجزيرة".

وفي الأحاديث النبوية ما يشعر بأن الهجرة كانت تكتسب أيضاً معنى رمزياً قوياً الدلالة يرتبط بكون ذلك الذي يقصد يثرب إنما يعلن ارتباطه النهائي لا بدين الجماعة فقط، بل بوحدتها الاجتماعية، وقيادتها السياسية المتمثلة في النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ومن هنا نلاحظ دور تكوين الوحدة الإسلامية من خلال الهجرة والمؤاخاة، فهما صنوان لا بد منهما فهما يشكلان دوراً من أدوار الدعوة الإسلامية، والهجرة والمؤاخاة [السنة الفعلية] عززت من وحدة المسلمين ولم شملهم ووضعهم في طريق بناء أسس الدولة القوية، ثابتة المعالم.

---

1 يوسف السبائين، انظر طريق العزة، ص 60.  
2 الأنفال، 72/8.

## السنة القولية:

[1] قال -صلى الله عليه وسلم-: [تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى]<sup>[1]</sup> فهنا نرى بأن تشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين، والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضا.

قال ابن أبي جمرة<sup>[2]</sup>: شبه النبي . صلى الله عليه وسلم . الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء، لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف، فإذا أخل المرء بشيء من التكاليف فإنه أخل بالأصل، وكذلك الجسد أصل كالشجرة، وأعضاؤه كالأغصان، فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها، كالشجرة إذا ضربت غصنا من أغصانها اهتزت الأغصان كلها بالتحرك والاضطراب<sup>[3]</sup>، والحديث يحث على النفاعل الذي يستدعي اشتراك الجماعة في أصل الفعل<sup>[4]</sup>.

[2] قال -صلى الله عليه وسلم-: [الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى رَأْسَهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالْحَمَى وَالسَّهْرِ]<sup>[5]</sup>. ويستفاد من الحديث: تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والتعاضد في غير إثم ولا مكروه، ونصرتهم والذب عنهم، وإفشاء السلام بينهم، وعبادة مرضاهم، وشهود جنازتهم وغير ذلك، وفيه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء، وكل ما تعلق بهم بسبب<sup>[6]</sup>.

[3] قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - [الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا] وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ<sup>[7]</sup> فهذا تبين من النبي . صلى الله عليه وسلم يفيد الحث على معاونة المؤمن لأخيه المؤمن ونصرتهم، وأن ذلك أمر لا بد منه، فهو شيء متأكد، كما أن البناء لا يتم ولا تحصل فائدته ولا

- 
- 1 مسلم، صحيح مسلم، رقم 2586، 1999/4.
  - 2 هو عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة، الأزدي الأندلسي، أبو محمد، من العلماء بالحديث، مالكي، توفى بمصر 695هـ.
  - 3 ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 439/10.
  - 4 ينظر: العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، 167/22.
  - 5 مسلم، صحيح مسلم، ح 2586، 1999/4.
  - 6 المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 259/6.
  - 7 البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، ح 2314، 863/2.

يتحقق الغرض منه إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضاً، بحيث يشدّ بعضه بعضاً ويقوّيه، وألا تتحل أجزاءه وينفرد نظامه ويختل بنيانه، ولذلك تجدون أن الذين يبنون يخالفون فيما يضعونه من اللبن ونحوه، بحيث يكون ذلك أدعى إلى قوته، حتى إنهم لربما إذا بالغوا في تقويته وضعوا الرصاص فيما بين تلك الأحجار، ومن المعلوم أن ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، وهم يد على من سواهم<sup>(1)</sup>.

[4] قال علي- رضي الله عنه - "ما عهد إلي رسول الله -صلى الله عليه وسلم - شيئاً خاصة دون الناس، إلا شيئاً سمعته منه، فهو في صحيفة في قراب سيفي، قال: فلم يزلوا حتى أخرج الصحيفة... وإذا فيها: [المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده]<sup>[2]</sup>.

المسلمون: "تتكافأ دماؤهم" يريد أن شريفهم يُقتل بوضعهم إذا شملهم الإسلام وجمعهم الإيمان والحرية، و"يسعى بذمتهم أدناهم" أن كل مسلم أمّن من الحربين أحداً جاز أمانه، دنيئاً كان أو شريفاً، رجلاً كان أو امرأة، عبداً كان أو حراً، لأن المسلمين كنفس واحدة<sup>[3]</sup>، ومعنى قوله: "وهم يد على من سواهم" أن أهل الحرب إذا نزلوا بمدينة أو قرية من قرى المسلمين، فواجب على جماعة المسلمين أن يكونوا يداً واحدة على الكفار<sup>[4]</sup>. وقيل: معنى اليد: المظاهرة والمعونة، إذا استنفروا وجب عليهم النفير، وإذا استجدوا أنجدوا، ولم يتخلفوا ولم يتخاذلوا، أي هم مجتمعون على أعدائهم، لا يسعهم التخاذل بل يعاون بعضهم بعضاً، وجعل أيديهم يداً واحدة وفعلم واحداً<sup>[5]</sup>، فتنفيذ أوامر الله . تعالى . سينتج عنها رعاية الخالق ومعيته، فالمسلمون يجب أن يكونوا يداً واحدة.

---

1 ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، 571/6  
2 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعات، ح 3008، 1160/3.  
3 ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 86/4.  
4 ينظر: ابن عبد البر، الاستذكار، 263/2.  
5 ينظر: محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، 302/7.

[5] عن عبادة بن الصامت<sup>1</sup> قال: "بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ أَوْ نَقُومَ بِالْحَقِّ حَيْثُ مَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً"<sup>[2]</sup>.

قال الباجي:<sup>[3]</sup> "ألا ينازعوا فيه أهله، وألا ينازعوا من ولاة الله الأمر منهم، وإن كان فيهم من يصلح لذلك الأمر إذا كان قد صار لغيره، إلا أن تروا كفرا بواحا، أي ظاهرا باديا، ولو كان في الحكم استثناء الأمرء بحظوظهم واختصاصهم إياهم بأنفسهم، وحاصل الكلام أن طواعيتهم لمن يتولى عليهم لا يتوقف على إيصالهم حقوقهم، بل عليهم الطاعة ولو منعهم حقهم"<sup>[4]</sup>.

## المطلب الثاني: مظاهر الوحدة الإسلامية:

### [1] الوحدة في العقيدة:

الوحدة في العقيدة هي التي تذيب الفوارق الجغرافية وتحطم الحدود القطرية وتقضي على التفاخر بالأنساب وتحقير الآخرين أو ذمهم أو قدحهم أو قذفهم. قال - تعالى - : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾<sup>[5]</sup>. فهي التي تجعل المسلمين أمة من دون الأمم وتميزهم بتوادهم وتراحمهم وحبهم عن سائر الناس، فالوحدة في العقيدة تجسدها إقامة الخلافة إن لم تكن قائمة، والحفاظ عليها من الانتكاس أو التراجع أو الفرقة إن كانت قائمة، وهذا المظهر هو أهم المظاهر على الإطلاق؛ لأن له تأثيراً ملموساً على تطبيق الإسلام وحماية الدار، والضرب على المسيء ممن يحرم هذه الوحدة الإسلامية مطلقاً، بغياً وخروجاً على السلطان أو على أفكار الإسلام، ارتداداً أو ذنباً أو بالارتباط برابطة غير رابطة العقيدة وطنية أو قومية<sup>[6]</sup>. وفي حال غياب هذا الكيان وتمزقه إلى (57) وحدة سياسية أو يزيد، كل

- 1 ولد في المدينة قبل الهجرة بثمان وثلاثين عاماً، وكان أول من أسلم من الأنصار، وتوفي سنة 34 من هجرة رسول الله .
- 2 البخاري، صحيح البخاري، ح6774، 2633/6.
- 3 سليمان بن خلف بن سعد الباجي، القرطبي، فقيه مالكي، من رجال الحديث، متوفى بالمرية 474هـ. انظر: الأعلام للزركلي 125/3.
- 4 ينظر: العيني، عمدة القاري، 266/24.
- 5 الحجرات، 13/49.
- 6 ينظر: وليد محمود محمد التميمي، وحدة الأمة الإسلامية بين النظرية والتطبيق، [رسالة ماجستير]، القدس، جامعة القدس، 2005م، ص 124.

وحدة سياسية تصدر عن رأي يختلف عن الأخرى، وجب على المسلمين العمل بجدية وإرادة حقيقية لإيجاده؛ لأن وجوده وجود لازم للإسلام في المجتمع والدولة، وانعدامه إنعدام للإسلام في واقع الحياة.

وإذا أريد للإسلام أن يعمل، فلا بد للإسلام أن يحكم، فما جاء هذا الدين لينزوي في الصوامع والمعابد أو يستكنّ في القلوب والضمائر، إنما جاء ليحكم الحياة ويعرفها، ويصوغ المجتمع وفق فكرته الكاملة عن الحياة لا بالوعظ والإرشاد بل كذلك بالتشريع والتنظيم، جاء ليترجم مبادئه ونظرياته نظاماً وحياتياً، ويجعل أوامره ونواهيه مجتمعاً حياً وناساً من اللحم والدم، يدبّون على هذه الأرض، ويمثلون بسلوكهم ونظام حياتهم وعلاقات مجتمعهم وشكل حكمهم مبادئ هذا الدين وأفكاره وقوانينه وتشريعاته [1].

## [2] الوحدة في التشريع :

فهي التي توحد المسلمين في نظرتهم للكون والإنسان والحياة، ولما وراء الكون والإنسان والحياة، أي: هي العقيدة الإسلامية التي تجعل حق إصدار الأحكام على الأفعال والأشياء (من جهة المدح والذم أي الثواب والعقاب) لله - عز وجل - وحده، فالأمة الإسلامية خير الأمم، ويجمعها فكر واحد وعقيدة واحدة وتشريع واحد، كذلك لا بد لوحدة العقيدة أن تتجلى فكراً جماعياً لمعالجة مشاكل الحياة بالإسلام، ويحرم ولا يجوز أن يحرم هذه الوحدة الفكرية اختلاف المجتهدين في فهم النصوص الاجتهادية، فلا يجوز لمذهب أو جماعة أن تنفي عن المخالف العلم، أو تدعو إلى ازديائه والانتقاص منه، فتدعي كل فئة أنها حازت الحق، وأن خالف ليس على شيء كما فعلت اليهود والنصارى، فالمسلمون مجتمعون على أن من اجتهد فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد.

هناك من الأمور التي لا يجوز الاختلاف فيها ويجب أن يتوحد رأي المسلمين فيها، كالولاء للإسلام والمسلمين والبراء من الكفر والكافرين. وما كان ذلك ليحصل إلا بسقوط الوحدة السياسية [الخلافة] فبسقوطها سقطت الوحدة الفكرية الشاملة، التي كانت تعطي للأمة والوطن والفرد هويتهم المميزة،

وطورت خلال ذلك نظريات بديلة، فنحن نجد الوطن مؤولاً تأويلًا جغرافياً بدل أن يكون [دار الإسلام]، والأمة محددة تحديداً عرقياً بدلاً من [الأمة الإسلامية الواحدة] التي جاء القرآن ليصوغها، ونجد الفرد الذي تتدخل الشريعة في تحديد سلوكه الشخصي التعبدي ومعاملاته مع الناس في إطار الاقتصاد والسياسة قد أصبح [مواطناً] يخضع لقانون مدني لا يتسع لجوانب حياته كافة<sup>[1]</sup>.

قال - تعالى - : ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾<sup>[2]</sup>، و في تفسير هذه الآية: "الاستفهام في قوله [ما لكم] للإنكار، واسم الاستفهام مبتدأ وما بعده خبره، والمعنى: أي شيء كائن لكم [في المنافقين] أي في أمرهم وشأنهم حال كونكم [فتنتين] في ذلك، وحاصله الإنكار على المخاطبين أن يكون لهم شيء يوجب اختلافهم في شأن المنافقين"<sup>[3]</sup> فالآية الكريمة تحرص على الوحدة حتى في التقييم والحديث، وتحذر من الفرقة حتى على مستوى النقاش والكلام، فالآية تحرص على النظر إليهم كأمة واحدة في فكرها وتقييمها للأمر التي لا مجال للاختلاف فيها.

وعلى ذلك فالفكرة الأساس أي العقيدة والأصول الفكرية التي لا يجوز فيها وقوع الاختلاف كونها قطعية لا تحتمل إلا معنى واحدا كقيلة بإيجاد الوحدة الفكرية ضمن دائرة الإسلام، فالإسلام هو مصدر العقيدة والشريعة والحضارة والثقافة، وفي هذه المجالات لا يجوز الخلاف بين المسلمين فيما جاء قطعياً من النصوص الشرعية في الكتاب والسنة، ويجوز الاختلاف فيما جاء ظني الدلالة فيها، أي يحتمل أكثر من معنى حسب دلالات اللغة وردّ الاختلاف في هذه الحالة إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -.

قال - تعالى - : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>[4]</sup>.

- 
- 1 ينظر: ثلة من الشباب المؤمن، الوحدة الفكرية: مجلة الوعي، العدد 33، ص 33.
  - 2 النساء، 88/4.
  - 3 محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، 1/495.
  - 4 النساء، 59/4.

"و الاختلاف في العقائد ومسائل الإيمان وقد بدأ الخلاف يسيراً في مسائل قليلة كالحكم على مرتكب الكبيرة الذي مات ولم يتب منها أكافر هو أم مسلم؟ وهل يجب قتاله أم لا؟ وفي سبيل ذلك نشأت بدعة الخوارج ثم المعتزلة ثم بدأ الخلاف حول صفات الله . سبحانه وتعالى . وأسمائه، ثم توسع الخلاف العقائدي ليشمل مسائل كثيرة ويمزق المسلمين إلى نحل وعقائد شتى"<sup>[1]</sup>.

"واختلاف العقائد بالطبع يؤدي إلى اختلاف القلوب والأعمال والدعاة السلفيون من الصدر الأول دعوا الناس إلى التمسك في أمور العقائد بالكتاب والسنة، وترك التأويل الباطل والهوى والتعصب، وكان لدعوتهم من البركة أن بقي جمهور المسلمين وعامتهم على سنن الحق متمسكين في عقائدهم بالكتاب والسنة، والدعاة السلفيون في هذا العصر السائرون على منهج السلف الأول في دعوتهم وجهادهم يدعون الأمة كذلك إلى أخذ عقائدها من الكتاب والسنة فقط ونبذ جميع البدع العقائدية والاجتهادات والتصورات الغيبية التي جاء بها المشعوذون والدجالون والمتكلمون على الله - سبحانه - بلا علم، وذلك لجمع شمل الأمة على كلمة سواء، فيكون إيمانهم واحداً، وبذلك تكون قلوبهم واحدة"<sup>[2]</sup>.

### [3] وحدة الأصل الإنساني والغاية :

فإن الناس جميعاً على اختلاف أجناسهم، وتمايز ألوانهم، وتباعد أقطارهم، إنما يرجعون إلى أب واحد، وأصل واحد، فأبوهم آدم، وأمهم حواء، ولطالما ذكر القرآن الكريم للمسلمين هذه الحقيقة، وبينها لهم في أساليب شتى. قال - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>[3]</sup>.

1 عبد الرحمن عبد الخالق، الأصول العلمية للدعوة السلفية، ص73.

2 عبد الرحمن الخالق، م.ن، ص74.

3 النساء، 1/4.

إن خلق الله - سبحانه وتعالى - الناس من نفس واحدة أي: من أصل واحد، وجعله - سبحانه وتعالى - إياهم صنوفا مفرعة من أرومة واحدة، لهما من موجبات الاحتراز عن الإخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الأخوة<sup>[1]</sup>.

وقال - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾<sup>[2]</sup>. فالله - تعالى - هو الذي أنشأكم من نفس واحدة، هي: الإنسان الأول، الذي تسلسل منه سائر الناس بالتوالد، وهو آدم . عليه السلام . وفي إنشاء جميع البشر من نفس واحدة آيات بينات على قدرة الله وعلمه وحكمته ووحدانيته، وفي التذكير بذلك إيماء إلى ما يجب من شكر نعمته، وإرشاد إلى ما يجب من التعرف والتعاون بين البشر، وأن يكون هذا التفرق إلى شعوب وقبائل مدعاة إلى التآلف، لا إلى التعادي والتقاتل، وبث روح العداوة والبغضاء بين الناس<sup>[3]</sup>.

قال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾<sup>[4]</sup> فهي نفس واحدة في طبيعة تكوينها، وإن اختلفت وظيفتها في الذكر والأنثى<sup>[5]</sup> وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>[6]</sup> فهذه الآية العظيمة تقرر أصلا من أصول الإسلام، وهو المساواة بين الناس، وكان العالم قبل انبثاق نور الإسلام يموج في الظلم ويضطرب في الفساد وتسوده الهمجية، والعصبية الجاهلية، وتُخيم عليه ضلالات العصور القديمة، وقد نشر الرعب أجنحته على الدنيا وزاد الفساد والتفاخر بالأنساب<sup>[7]</sup>.

في هذه الظلمة الداكنة ينبثق فجر الإسلام، فتبدد أنواره تلك الغيوم السوداء، وتنزل هذه الآية الكريمة لتقرر مبدأ إنسانيا عظيما وهو إعلان المساواة بين البشر، كل البشر<sup>[8]</sup>. فالناس جميعا من أب واحد

- 1 القاسمي، محاسن التأويل، 1094/5.
- 2 الأنعام، 98/6.
- 3 مصطفى المراغي، تفسير القرآن، 201/7.
- 4 الأعراف، 189/7.
- 5 سيد قطب، في ظلال القرآن، 1411/3.
- 6 الحجرات، 13/49.
- 7 عمر يوسف حمزة، معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية، ص 84.
- 8 الصواف، نظرات في سورة الحجرات، ص 147.

وأما واحدة، وما جعلهم شعوباً وقبائل مختلفة إلا ليحصل بينهم التعارف والتعاون في مصالحهم المختلفة، ولا فضل لواحد على آخر إلا بالتقوى والصالح وكمال النفس<sup>[1]</sup>.

وإذا كان هذا شأن القرآن الكريم في تأكيد هذه الحقيقة التي تقرر أن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة، فإن السنة النبوية جاءت كذلك مذكرة الناس بحقيقة رجوعهم إلى أب واحد، وأصل واحد، توضيحاً لتعاليم القرآن الكريم، وتقريراً لمبادئه<sup>[2]</sup>.

وأما وحدة الغاية فقد حددها الله - عز وجل - في الكتاب العزيز والتي من أجلها خلق الإنسان ألا وهي عبادة الله تعالى، والمسلمون يدركون هذه الغاية ويعرفونها، ولكنهم فرطوا في القيام بها والعمل بمقتضاها مما كان له أسوأ الأثر في حياتهم، فلا بد من العودة الصادقة إلى تحقيق هذه الغاية والالتزام بمقتضياتها ليحقق المسلمون لأنفسهم السعادة في الدنيا والآخرة.

#### [4] الوحدة في الشعائر:

لشعائر في الإسلام دور هام في تعميق روح الوحدة وتثبيت معاني الأخوة وإزالة دوافع الاختلاف بسبب الجنس أو اللون أو اللغة.

#### [1] الصلاة:

فالصلاة هي أهم فرائض الإسلام؛ لأنها الصلة بين العبد وربّه، يجتمع عليها المسلمون في جميع بقاع العالم دون أي فوارق بينهم، عقب الأذان الموحّد لها في مواقيتها المحددة خمس مرات في كل يوم، ويعيش أجواءها العطرة الكثير من المسلمين في رحاب المساجد العامرة، يتجهون بقلوبهم المؤمنة بقيادة إمامهم إلى جهة واحدة، يذكرون ربهم ويتلون قرآنهم، كما يتعارفون فيما بينهم، وتجتمع كلمتهم على الخير والإحسان، وتتطلق جماهيرهم بعدها إلى إعمار الأرض والجهاد في سبيل الله. وقد أشاد القرآن الكريم برواد المساجد الذين لا تشغلهم دنياهم عن الصلاة مع الجماعة، فقال . تعالى .: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ

1 تفسير القرآن، مصطفى المراغي، 6/142.

2 عمر يوسف حمزة، معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية، ص 84.

اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ \* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ \* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١﴾.

كما تأتي صلاة الجمعة والعيد وصلاة الجنائز لتؤدي دورها الكبير في تعميق الوحدة، وتأكيد وحدة الشعور الأخوي بين المسلمين في هذه الاجتماعات الجماهيرية الكبيرة والمتكررة في شتى بقاع العالم الإسلامي، فتزيل من نفوس المؤمنين كل ارتباط غير ارتباط العقيدة الإسلامية والمنهج الإسلامي المحكم<sup>[2]</sup>.

## [2] الصيام:

يؤدي الصيام دوره الواضح في تأكيد وحدة الأمة؛ حيث يشترك جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في صيام شهر رمضان المبارك كل عام، بأسلوب وتوقيت مشترك، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، يقول الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر الأسبق مؤكداً على وحدة المطالع وهو رأي الجمهور الذي من شأنه أن يوحد كلمة المسلمين "اختار كثير من أئمة الفقه في المذاهب الأربعة عدم التعويل على اختلاف المطالع في إثبات الهلال، وهو رأي قوي ووجهة نظر سديدة، ويزيد ذلك قوة وسداداً أن توحيد بدء الصيام من أقوى العوامل لتمكين الروابط بين الشعوب الإسلامية في جميع الأقطار، وجمعهم على كلمة واحدة وطريقة واحدة، والناس الآن أحوج ما يكونون إلى عوامل التقارب والتآلف واتحاد الكلمة"<sup>[3]</sup>.

## [3] الزكاة:

فريضة مالية يكلف فيها المسلم المالك لنصابها بدفعها إلى المستحقين لها، وفي هذا الأمر تحقيق لمعاني الأخوة والوحدة داخل كيان الأمة الإسلامية، ودعم للشعور بالانتماء الأصيل إلى إخوانهم على اختلاف أعراقهم وأجناسهم، وهذا التشريع الإلهي العامل في فرضية الزكاة يزيل من الأنفس عوامل الطبقة والمنازعات التي أفرزتها المجتمعات الجاهلية في القديم والحديث والتي سببت حروباً طاحنة

1 النور، 38-36/24.

2 ينظر، أحمد عبد الرحيم السايح، الوحدة الإسلامية "الإطار النظري وخطوات التطبيق"، ص56، ص57.

3 يوسف الجذامي، أعياد شرعية أم سلطانية، ص3.

بين طبقات الأغنياء والكاثرين، وأدت إلى صراع طويل داخل مجتمعاتهم، ولهذا عبّر القرآن الكريم عن فضل الزكاة وآثارها النفسية على الفرد والمجتمع وتركيزه القلوب من الحقد والضغينة والحسد، وراحة المؤمن في اكتساب مرضاة ربه . تعالى . فقال - سبحانه وتعالى :-

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾<sup>[1]</sup>.

#### [4] الحج:

تشهد الأمة الإسلامية في موسم الحج مؤتمرها السنوي في رحاب مكة المكرمة عند بيت الله العتيق، وعلى صعيد المشاعر المقدسة حيث تشترك فيه جماهير غفيرة من المسلمين من كل فج عميق بأجناس متعددة ولغات مختلفة وألوان متنوعة، تتجسد فيهم الروابط الإيمانية، إخلاصاً في العبادة وأخوة في الله وتجرداً من فوارق الحياة، ليؤكدوا أصالة انتمائهم لأمتهم الإسلامية، ولتنزول من بين صفوفهم مختلف عوامل التميز والفرقة والعصبية، ويلبس الحجاج والمعتمرون مشاعر الأخوة الإسلامية الصادقة حين يرتدون لباس الإحرام الموحد، ويرددون هتاف التلبية، ويعلمون الطاعة لله ولرسوله، ويطوفون حول البيت جسماً واحداً، ويقفون على صعيد المشاعر في عرفات ومنى بقلوب صافية، ومساواة عملية، فيعيشون في هذه الرحلة حياة الوحدة الإسلامية الجامعة، ويشهدون في هذه الدورة التدريبية منافع لهم في الجوارح، وكبح الشهوات وتجنب غواية الشيطان، ليعودوا إلى بلادهم وإخوانهم بقلوب وأخلاق فاضلة، ومحبة صادقة<sup>[2]</sup>. حيث يتم في الحج أعظم تعارف بين الشعوب في أعظم هيئة وتنظيم، فالحج مجال حيوي لتحقيق الوحدة وبروزها عملياً، تلك الفريضة الجماعية التي تبث روح الأخوة والتعاقد في ثنايا مناسكها وشعائرها، وهكذا فإن غاية هامة تتحصل من خلال أداء فريضة الحج بالنسبة للمسلمين كافة، هي قيمة الوحدة والتعاقد والتآزر المستندة إلى الأخوة الإيمانية القائمة بينهم، على اختلاف شعوبهم وجنسياتهم وألوانهم ولغاتهم، قال - تعالى :- ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾<sup>[3]</sup>.

#### [5] المبادئ والأخلاق:

- 1 التوبة، 103/9.
- 2 أحمد عبد الرحيم السايح، الوحدة الإسلامية، ص58، 59.
- 3 الحجرات، 13/49.

الواقع أن الأخلاق السامية، والمبادئ القويمة التي جاء بها الإسلام، وأمر المسلمين أن يتخلقوا بها، كلها تعمل . من قريب أو من بعيد . على وحدة المسلمين، وتنمية مشاعر الأخوة بينهم، ومن هذه الأخلاق الإسلامية التي هي ألصق ما تكون بوحدة المسلمين:

[1] أن الإسلام قد أمر المسلمين بالتحاب والتزاور، قال - تعالى - : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾<sup>[1]</sup>. يصلون ما أمر الله من أرحامهم، وقرباتهم، وإخوانهم المؤمنين، بالإحسان إليهم على حسب الطاقة، ونصرتهم والذب عنهم، والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، وكف الأذى عنهم<sup>[2]</sup>.

وقال - تعالى - : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>[3]</sup> بعضهم أولياء بعض: قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف<sup>[4]</sup> وولاية المؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعض في هذه الآية نعم الولاية، فهي ولاية النصر، وولاية الأخوة والمودة<sup>[5]</sup>.

"إن طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة، طبيعة الوحدة، وطبيعة التكافل وطبيعة التضامن ولكنه التضامن في تحقيق الخير ودفع الشر وتحقيق الخير ودفع الشر بحاجة إلى الولاية والتضامن والتعاون، من هنا: تقف الأمة المؤمنة صفا واحدا، لا تدخل بينها عوامل الفرقة، وحيثما وجدت الفرقة في الجماعة المؤمنة، فثمة . لا بد . عنصر غريب عن طبيعتها وعن عقيدتها، هو الذي يدخل بالفرقة، ثمة غرض أو مرض يمنع السمة الأولى ويدفعها، السمة التي يقررها العليم الخبير"<sup>[6]</sup>.

- 1 الرعد، 21-19/13.
- 2 القاسمي، محاسن التأويل، 3673/9.
- 3 التوبة، 71/9.
- 4 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 3043/3.
- 5 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 466/10.
- 6 سيد قطب، في ظلال القرآن، 1675/3.

"ولا يكون لهم هوى غير أمر الله وأمر رسوله، ولا يكون لهم دستور إلا شريعة الله ورسوله، ولا يكون لهم منهج إلا دين الله ورسوله، ولا يكون لهم الخيرة إذا قضى الله ورسوله، وبذلك يوحدون نهجهم، ويوحدون هدفهم، ويوحدون طريقتهم، فلا تتفرق بهم السبل عن الطريق الواحد الواصل المستقيم"<sup>[1]</sup>.

[2] ومن ذلك: إصلاح ذات البين، فهو الذي يرأب الصدع، ويلم الشمل ويجمع المتفرقين، وذلك قد أمر به الإسلام في محيط الأسرة الصغيرة والكبيرة، فما جاء خاصا بمحيط الأسرة الصغيرة، قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾<sup>[2]</sup>.

فإذا وقع الشقاق بين الزوجين، أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة لينظر أمرهما، ويمنع الظالم منهما من الظلم، فإن تفاقم أمرهما وطالت خصومتها بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة، وثقة من أهل الرجل ليجتمعا فينظرا في أمرهما ويفعلا ما فيه مصلحة، مما يريانه من التفريق أو التوثيق وتشوف الشارع إلى التوفيق<sup>[3]</sup>.

قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ...﴾<sup>[4]</sup>. "فالصلح خير: لفظ عام مطلق، يقتضي أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس، ويزول به الخلاف، خير على الإطلاق، ويدخل في هذا المعنى جميع ما يقع عليه الصلح بين الرجل وامرأته في مال أو وطء، أو غير ذلك: خير من الفرقة"<sup>[5]</sup>.

ومما جاء عامًا وشاملاً لوجوب الإصلاح بين الناس على العموم قوله -تعالى -: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>[6]</sup>.

- 1 سيد قطب، في ظلال القرآن، 3/1675-1676.
- 2 النساء، 4/35.
- 3 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 2/1976.
- 4 النساء، 4/128.
- 5 القرطبي، م.س، 2/1976.
- 6 النساء، 4/114.

فالإصلاح عام في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شيء يقع التداعي فيه، والاختلاف بين الناس، وفي كل كلام يراد به وجه الله . تعالى .<sup>[1]</sup>.

وقال - تعالى - : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾<sup>[2]</sup>، أي: اتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم، ولا تظالموا، ولا تخاصموا، ولا تشاجروا<sup>[3]</sup>. واتقوا الله في الاختلاف والتخاصم، وكونوا متحدين متأخين في الله، وأصلحوا أحوالكم، حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق<sup>[4]</sup>، وهي الحال والصلة التي تربط بعضكم ببعض، وهي رابطة الإسلام، وإصلاحها يكون بالتوافق والتعاون والمواساة وترك الأثرة والتفرق<sup>[5]</sup>، وقد أمر الله المسلمين في الكتاب والسنة بإصلاح ذات البين، فهو واجب شرعا تتوقف عليه عليه قوة الأمة وعزتها ومنعتها، وتحفظ به وحدتها<sup>[6]</sup>.

وقال - تعالى - : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾<sup>[7]</sup>، فهذه الآية: قد أوجبت اجتماع المسلمين على بذل الجهد في سبيل الإصلاح بين الفريقين المتنازعين والمتقاتلين<sup>[8]</sup>، وهذه قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك، تحت النزوات والاندفاعات، تأتي تعقيبا على تبيين خبر الفاسق، وعدم العجلة والاندفاع وراء الحمية والحماسة قبل التثبت والاستيقان، وسواء أكان نزول هذه الآية بسبب حادث معين . كما ذكرت الآيات . أم كان تشريعا لتلافي مثل هذه الحالة، فهو يمثل قاعدة عامة محكمة لصيانة الجماعة الإسلامية، من التفكك والتفرق ثم لإقرار الحق والعدل والإصلاح<sup>[9]</sup> .

وإذا كان هذا شأن القرآن الكريم في الدعوة إلى الإصلاح بين المسلمين، حفاظا على الوحدة الإسلامية، فإن السنة النبوية جاءت كذلك ترغب الناس في إصلاح ذات البين، وفي قبول الصلح، وفي إقالة العثرات، وقبول الاعتذارات.

- 1 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 2/1954.
- 2 الأنفال، 1/8.
- 3 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/550.
- 4 القاسمي، محاسن التأويل، 8/2948.
- 5 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 9/489.
- 6 محمد رشيد رضا، من، 9/542.
- 7 الحجرات، 9/49.
- 8 محمد عزة دروزة، الدستور القرآني، ص68.
- 9 سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، 6/3343.

## المبحث الثاني مخاطر الفرقة و عوامل نشوئها

**المطلب الأول: مخاطر الفرقة على الأمة الإسلامية والتحذير منها:**

قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾<sup>[1]</sup>، فالفرقة والاختلاف المذموم في الشرع أساس كل فشل وهلاك، وأساس كل إحباط ودمار.

**ومن مخاطر الفرقة:**

[1] انتشار التباعد والنقاع بين أبناء أمة الإسلام، فإذا انتشر بين صفوف أمة الإسلام هذا الداء الخبيث، انفضت من الأجواء روح المحبة والمودة بين أفراد المجتمع، وغلب أمر العداوات والحروب بالأشكال والوسائل كافة، بالغبية والنميمة والخداع والقتل والمكر وغيرها.

[2] اختفاء روح الأخوة والمودة، وهو عكس الهدف الذي يسعى الإسلام إلى تحقيقه قال - تعالى - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ<sup>ع</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>[2]</sup>.

[3] تؤدي الفرقة بالمجتمع إلى الدمار والخراب والهاوية، حيث يهلك المجتمع بفساد أفرادها، فالمجتمع الذي يكون أفراده مختلفين فإنهم لا يشعرون ببعضهم، وتسود فيهم الأنانية وحب الذات، وهذا قد يؤدي إلى هلاكهم. فعن عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . قال: "سمعت رجلاً قرأ آية وسمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ خلفها، فجئت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال - صلى الله عليه وسلم -: [كلاكما محسن ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا]<sup>[3]</sup>.

لذلك يجب على الإنسان المسلم أن يكون سباقاً للخير، يعمل على جمع إخوانه على البر والتقوى وعلى التعاون لما فيه خير له وإخوانه في الدنيا والآخرة، لأن الواقع الحالي لأمة الإسلام هو أحوج ما يكون إلى التآخي والتآزر والتراحم في وجه ما يواجهه المسلمون من كوارث ومكائد من أعدائهم.

1 الأنفال، 46/8.  
2 الحجرات، 10/49.  
3 البخاري، صحيح البخاري، ح3289، 1282/3.

ولا ننسى ما قاله الحبيب - صلى الله عليه وسلم - [لا تَقَاطِعُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ]<sup>[1]</sup>، فالأخوة الإيمانية بين أبناء الأمة الإسلامية هي أكبر برهان على الإيمان، وهي المسلك الذي من خلاله تتوحد القلوب على طاعة الله وعبادته واجتناب نواهيه.

والإسلام حذر من الفرقة والاختلاف لقوله - تعالى -: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>[2]</sup>، وقال - تعالى -: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>[3]</sup>. فالإسلام يحذر من كل طريق يؤدي إلى الفرقة والاختلاف.

أما السنة النبوية فهي زاخرة بأحاديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم . التي تحذر المسلمين من الفرقة والاختلاف وما سينتج عنهما.

- قال النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن قال: [يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرًا، وَتَطَاوَعًا وَلَا تَخْتِيفًا]<sup>[4]</sup>، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - يحذر من الفرقة القاتلة والمدمرة، والتي ذكر بأنها من أفعال الجاهلية، حيث كان المجتمع كالمسك في البحر يأكل قويه ضعيفه، يحكمهم قانون الغاب.

"فالخلاف يؤدي إلى الفرقة، والفرقة تؤدي إلى الضعف، والضعف يُجرئ الأعداء علينا، وهذا عين ما يحدث الآن؛ فالمرء منا قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته، لذلك؛ الرجل الحكيم أراد أن يعلم أولاده درسًا عمليًا، فجمعهم وأمرهم أن يأتوا بحزمة من الحطب، ويقوم كلٌ منهم بكسرها مُجتمعًا، فلم يفلحوا لقوتها، ثم أمرهم أن يُفَرِّقُوا حزمة الحطب، ويأخذ كلٌ منهم عُودًا ويكسره، فَكُسِرَ، فعلموا أن الوحدة سبيل القوة، والفرقة سبيل الضعف، وهذه حقيقة يؤكدها العقل والتاريخ والتجربة والواقع، وإذا قرأنا التاريخ نجد أنه لما وقع الخلاف بين المسلمين ودبت الفرقة بين صفوفهم بعد مقتل عثمان -رضي الله عنه-، ووقعت الحرب بين عليٍّ ومعاوية . رضي الله عنهما . وذلك من أجل ثأر

1 صحيح البخاري، ح 5718، 2253/5.

2 الأنعام، 153/6.

3 آل عمران، 103/3.

4 البخاري، صحيح البخاري، ح 2873، 1104/3.

عثمان لا من أجل المناصب كما يقول المنتطعون وكانت بلاد الروم قد فتح المسلمون أكثرها، وكانت تُسمى المملكة البيزنطية، فتح المسلمون مصر والشام إلى شمال إفريقيا، لما علم قسطنطين ملكُ بيزنطة بالخلاف بين عليٍّ ومعاوية، وجد أنها فرصة سانحة للهجوم على المسلمين واسترداد أرضه، ولكن انظر . رحمك الله . إلى موقف معاوية، وتأمل وتعلم ما كان منه . رضي الله عنه . إلا أن أرسل له رسالة يقول فيها: أيُّها الأحمقُ الرُّومي، إنك تقصد قتال المسلمين مُنتهزاً الخلاف الذي بينهم، فإن تقدمت في القتال فاعلم عندئذ أن معاوية أدنى جند في جنود علي ضدك، فلما وصله الخبر ضعف عزمه، وأمر بإيقاف الاستعدادات العسكرية<sup>[1]</sup>.

### المطلب الثاني: عوامل نشوء الفرقة:

للفرقة أسباب داخلية وخارجية، فالفرقة يتحمل أهل الإسلام جزءا منها، ومن هذه الأسباب الداخلية:

#### [1] البعد عن المنهج القويم والدين الصحيح:

"حيث أضحى كثير من المسلمين يفهمون الإسلام على أنه عبادة فقط، أو مواظب وقصص تتلى على مسامع الناس، أو احتفالات في مناسبات معينة، ولا يفقهون أن الإسلام لا بد أن يكون كلا متكاملا عقيدة وشرعية، وعبادة ومعاملة وأخلاقا، ولا بد أن يلزم القول التطبيق، وأن يقرن العلم بالعمل وأن يلتزم المنهج الصحيح على هدي الكتاب والسنة، وأن يعود إليه جوهره وهو التوحيد الخالص"<sup>[2]</sup>.

إن سلوكيات كثير من المسلمين أصبحت لا تفرق بين الحلال والحرام، وجرى معظمهم وراء شهوات الدنيا التي تفرق ولا تجمع، فكان ما أصابهم من انقسام وتفرق مذموم وغفلة عن إقامة الوحدة مع أنها واجبة شرعا، كما أن بعض الحكام قد مال حالهم عن الصراط المستقيم، فنشروا الظلم وابتعدوا عن إحقاق الحق، فظهرت حركات انفصالية عن جسم الأمة وانتشر الظلم والاستبداد، كما انتشرت ظاهرة استعانة المسلم بغير المسلم ضد أخيه المسلم، مما أتاح الفرصة لأعداء الإسلام لتمزيق شمل المسلمين، حيث عاد تاريخ الخيانة، تاريخ ابن العلقمي والخليفة العباسي<sup>[3]</sup>، كما قام الفاطميون بتقديم

1 مصطفى حمودة عشبية، خطورة الفرقة وأسبابها [الانترنت] <http://www.alukah.net/sharia/0/55096>

2 ينظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، 1/127.

3 ينظر: السرجاني، ابن العلقمي والخيانة الكبرى [الانترنت] <http://islamstory.com/ar>

الدعم للصليبيين أثناء حملتهم لاحتلال بلاد المسلمين<sup>[1]</sup>، ولا يزال هذا السلوك لدى بعض ضعاف الإيمان الذين نسوا كلام المولى - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾<sup>[2]</sup>.

والنبي - صلى الله عليه وسلم - في أحاديثه الشريفة قد عبّر أكثر من مرة عن أن الناس عندما يحددون عن القرآن والسنة وتغيب عنهم تعاليمهما، وعندما يحكمون أهواءهم وآراءهم، فإنهم يبتعدون عن مصدر قوتهم.

والبعد عن الكتاب والسنة سبب في الفرقة، حتى يصبح المتمسكون بدينهم غرباء في أقوامهم لأنهم على الحق المبين، حيث إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: [إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ]<sup>[3]</sup>.

## [2] العصبية، القومية، والتعصب للمذهب والحزب:

قال - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>[4]</sup>.

" شاءت حكمة الله أن يكون البشر من ذكر وأنثى، وأن للذكر خصائص جسمية، وعقلية، ونفسية، واجتماعية هي كمال لمهمته، وأن للأنثى خصائص جسمية ونفسية، وعقلية واجتماعية؛ هي كمال لمهمته، وأن الذكر والأنثى متكاملان، وكل منهما يسكن للطرف الآخر، ومعنى يسكن أي يكمل به نقصه، فالذكر والأنثى متكاملان، ومتعاونان، وقد خلق الله آيات كثيرة<sup>5</sup>، ومن هنا لا يعرف الإسلام العصبية للقوم، ولا للون ولا للغة، لأن ذلك يؤدي إلى تفريق المسلمين، وفصل المسلم عن أخيه، وكل

1 محمد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص133.

2 المائدة: 51/5

3 مسلم، صحيح مسلم، ح 145، 130/1.

4 الحجرات، 13/49.

5 محمد النابلسي، التفسير المختصر، [www.nabulsi.com](http://www.nabulsi.com)

عصبية جاهلية مرفوضة في الإسلام، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزابا فكرة باطلة تخالف مقاصد الإسلام وما يرمى إليه، وذلك لأنه يدعو إلى الاجتماع والوثام والتواصي بالحق<sup>[1]</sup>.

وقال - تعالى - : ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>[2]</sup>، هذا الحب بين المؤمنين ،هذا الود بينهم ،من خلق الله عز وجل ،المؤمنون بعضهم لبعض نصحة متوادون ولو ابتعدت منازلهم ،والمناقفون بعضهم لبعض غششة متحاسدون ولو اقتربت منازلهم<sup>3</sup> ،وهنا يتضح كيف يحارب الإسلام الاختلاف ويدعو إلى الاجتماع والوثام والتمسك بحبل الحق والوفاء عليه، وهنا يتضح أن هدف الإسلام يختلف اختلافا كلياً عن هدف القومية وما تدعو إليه، حيث يريد أهل الغرب باستخدام القومية تدمير المسلمين وفصل بعضهم عن بعض، وتحطيم كياناتهم وتفريق شملهم على قاعدتهم المشهورة [فرّق تسد] وكم نجح أهل الغرب في تدمير المسلمين ونصب المكائد لهم باستخدام هذه القاعدة الدنيئة.

والإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذر منها، حيث جاءت كثير من النصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهلية وأعمالهم إلا ما أقره الإسلام من ذلك، ولا ريب أن الدعوة إلى القوميات ومنها القومية العربية، من أمر الجاهلية؛ لأنها دعوة إلى غير الإسلام، ومناصرة لغير الحق، فكم من دعوى جاهلية قد جرت على أهلها الولايات والحروب والتفرقة بين الشعوب، فالعصبية والقومية دعوى نكراء، وفكرة هدم وتخريب، تفصل العربي عن العجمي، وتؤدي إلى تعصب كل منهما إلى قومه وجنسه، فإذا تعصب كل منهما إلى جنسه تفرق المسلمون إلى أمم شتى مختلفة.

والنبي - صلى الله عليه وسلم - لم يتعصب لنفسه عندما سبّه المنافق ابن سلول، وأمر بالوحدة فقال لعمر: [دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ]<sup>[4]</sup>، إن النبي - صلى الله عليه وسلم - سابق إلى وأد هذه الدعوى الخبيثة قبل أن تستغل من قبل المنافقين والمعادين الذين يعملون على إثارتها بين المسلمين، والنبي - صلى الله عليه وسلم - ذمّ هذه الدعوى، وهي الانتماء والتعصب إلى الطوائف،

1 محمد العدوي، الوحدة الإسلامية في مواجهة التحديات، ص126.

2 الأنفال: 63/8.

3 محمد النابلسي، التفسير المختصر ، [www.nabulsi.com](http://www.nabulsi.com)

4 البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، ح 4624، 1863/4.

حتى وصفها بدعوى الجاهلية، وهو صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالتداعي بدعوى واحدة، وهي الإسلام، لأن كل الدعوات غيرها خبيثة مؤذية.

يقول صاحب إعلام الموقعين في ذم التعصب، قد جعلوا التعصب للمذهب ديانتهم التي يدينون، ورؤوس أموالهم التي بها يتجرون، وفي سبيلها يوالون ويعادون، ويصلون ويقطعون ويحبون ويبغضون، فقد أشقاهم التعصب وأصمهم وأعمى أبصارهم عن نور الوحيين: الكتاب والسنة، حتى بلغ بهم الهوس إلى المهاترات، ورد المذهب بمذهب آخر<sup>[1]</sup>.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - **[مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةِ عَمِيَّةٍ، يَغْضَبُ لِلْعَصْبَةِ، وَيَقَاتِلُ لِلْعَصْبَةِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي]**<sup>[2]</sup>.

### [3] الجهل:

"الذي جعل في المسلمين من لا يميز بين الخمر والخل، فيقبل السفسطة قضية مسلمة، ولا يعرف أن يرد عليه وأشد خطرا من الجهل العلم الناقص، لأن الجاهل إذا قيص الله له مرشدا عالما أطاعه، ولم يتفلسف عليه، أما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري ولا يقتنع بأنه لا يدري"<sup>[3]</sup>، وقد ترتب على الجهل أيضا التقليد بغير علم ومعرفة، فهذا السبب مضافا إلى التعصب سيؤدي بحامله إلى مواجهة الحق والابتعاد عن جادة الصواب، والتقليد هنا هو أخذ من الشخص دون تمحيص أو دراسة، فإذا أعجبه الرأي دعا إليه عن جهل.

### [4] التقليد الأعمى:

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : **[لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتموه]**، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: **[فَمَنْ]**<sup>[4]</sup>. وهذا شأن من لا غرض له في الهدى ولا في اتباع الحق، إن غرضه بالتقليد إلا دفع الحق والحجة إذا لزمته، لأنه لو

1 ينظر: ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، 7/1.

2 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، ح 1848، 1476/3.

3 محمد العدوي، الوحدة الإسلامية في مواجهة التحديات، ص 133.

4 صحيح البخاري، ح 3269، 1274/3.

كان مقصوده الحق لاتبعه إذا ظهر له<sup>[1]</sup>، والتعبير في الحديث كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي لا الكفر، ثم إن هذا لفظ خبر معناه النهي عن اتباعهم، ومنعهم من الالتفات لغير دين الإسلام لأن نوره قد بهر الأنوار، وشرعته نسخت الشرائع، وذا من معجزاته فقد اتبع كثير من أمته سنن فارس في شيمهم ومراكبهم وملابسهم وإقامة شعارهم في الحروب وغيرها، وأهل الكتابين في زخرفة المساجد وتعظيم القبور حتى كاد أن يعيدها العوام، وقبول الرشا وإقامة الحدود على الضعفاء دون الأقوياء، وعبر النبي . صلى الله عليه وسلم . بجر ضب على الرغم من ضيقه مبالغة في اقتنائهم آثارهم واتباعهم مناهجهم، لو دخلوا في مثل ذلك لوافقهم<sup>[2]</sup>.

وقال - تعالى - : ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾<sup>[3]</sup>، أي ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة والمراد بها الدين ههنا<sup>[4]</sup>. وهذه الآية تحمل ذم التقليد الأعمى غير المستند إلى هدي المصطفى . صلى الله عليه وسلم . وشرعه، فهو الأسوة الحسنة، فإن المتأسى به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله . تعالى . وهو الصراط المستقيم وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهو الأسوة السيئة كقول الكفار: إنا وجدنا آباءنا على أمة<sup>[5]</sup>، وقال ابن تيمية: "التقليد: أخذ المرء من هو دون الرسول . صلى الله عليه وسلم . ممن لم يأمرنا الله باتباعه وأخذ قوله، بل حرم علينا ذلك، وأما قول الرسول . صلى الله عليه وسلم . الذي فرض الله تصديقه وطاعته فليس تقليدا بل إيمان وتصديق واتباع للحق وطاعة لله ورسوله"<sup>[6]</sup>.

#### [5] الظلم والشح:

إذا انتشر الظلم والشح في أي مجتمع من المجتمعات، فلن يجمع الله - تعالى - أهله على قلب رجل واحد بحيث يصبح لديهم فكر واحد، حيث سيمزقهم الله . تعالى . شر ممزق جزاء وفاقا، قال . تعالى . : ﴿وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>[7]</sup>.

- |   |   |
|---|---|
| ابن القيم، بدائع الفوائد، 890/4.                              | 1 |
| ينظر: المناوي، فيض القدير، 261/5.                             | 2 |
| الزخرف، 22/43.  | 3 |
| ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 224/7.                   | 4 |
| ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص160. | 5 |
| ابن تيمية، درء تعارض العقل، 78/4.                             | 6 |
| الحشر، 9/59.  | 7 |

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: **[اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ]**<sup>[1]</sup>.

"ومن السياق عرف أن مقصود الحديث بالذات ذكر الشح<sup>[2]</sup> وذكر الظلم، إيدانا بشدة قبح الشح وأنه يفضي بصاحبه إلى أفطع المفساد، حيث جعله حاملا على سفك الدماء الذي هو أسوأ الأفعال الذميمة وأخبت العواقب الوخيمة"<sup>[3]</sup>.

"وعطف الشح الذي هو نوع من أنواع الظلم إشعارا بأن الشح أعظم أنواعه، لأنه من نتائج حب الدنيا ولذاتها، ومن ثم وجهه بقوله: "فإن الشح أهلك من كان قبلكم" من الأمم حملهم على أن سفكوا دماءهم" أي أسالوها بالقوة الغضبية بخلا بالمال وحرصا على الاستئثار به "واستحلوا المحارم" أي استباحوا نساءهم أو ما حرم الله من أموالهم وغيرها، لأن استحلال المحارم جامع لجميع أنواع الظلم، وإنما كان الشح سبب ما ذكر لأن في بذل المال والمواساة تحاييا وتوصلا، وفي الإمساك تهاجر وتقاطع، وذلك يجر إلى تشاجر وتغادر من سفك الدماء واستباحة المحارم"<sup>[4]</sup>.

وعن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **[يَتَقَارِبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ]** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْمٌ هُوَ ؟، قَالَ: **[الْقَتْلُ الْقَتْلُ]**<sup>[5]</sup>، فعدّ النبي . صلى الله عليه وسلم . وقوع الشح في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم، حتى يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى، ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره، ويبخل الغني بماله حتى يهلك الفقير<sup>[6]</sup>، وهذا كله سبب في الضغينة والحقد بين أفراد المجتمع الواحد.

#### **[5] الأسباب الخارجية: كيد أعداء الإسلام:**

إن أعداء الإسلام حاولوا ولا يزالون يحاولون أن يعملوا بكل ما يستطيعون على تفتيت جسم الأمة الإسلامية، لكي يتمكنوا من تضيق الخناق على المد الإسلامي الذي أرق ويورق نفوسهم وعقولهم، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك حينما كان المسلمون أمة واحدة يعتصمون بحبل الله، لذلك وجد أعداء الأمة

- 1 صحيح مسلم، ح 3578، 1996/4.
- 2 هو البخل مع الحرص [معجم مقاييس اللغة لابن فارس 178/3].
- 3 ينظر: المناوي، فيض القدير، 1/134.
- 4 أحمد منصور أبو عودة، وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية، [ماجستير]، غزة، الجامعة الإسلامية، 2009م.
- 5 صحيح البخاري، ح 5690، 2245/5.
- 6 العسقلاني، فتح الباري، 17/13.

مرادهم من خلال تفرق المسلمين إلى جماعات وفرق، بالإضافة إلى دور المُنصرين، حيث إن الهدف الحقيقي لهم في العالم الإسلامي هو المحافظة في فرقة المسلمين، "فإذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية لأمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، وأمكن أن يصبحوا أيضا نعمة له أما إذا بقوا متفرقين فإنهم حينئذ بلا وزن ولا تأثير"<sup>[1]</sup>، ولهذا بدأت حركة الاستعمار من نقطة سيطرة الدولة العثمانية على القسطنطينية وسقوط آخر معاقل الإسلام في الأندلس [غرناطة] في أيدي الفرنجة.

وانطلقت جيوش الغرب تغزو بلاد المسلمين، تدمر وتتهب وتحتل، حيث جاءت مرحلة الاستعمار الثانية، حيث كانت هذه المرحلة متصلة بمراحل الحروب الصليبية القديمة، حيث جاءت هذه المرحلة لتمزق جسم الأمة الإسلامية إلى أشلاء وتقسما إلى دويلات، وبدأت تلك المرحلة بالحملة الفرنسية سنة 1798م<sup>[2]</sup> وانتهت بهدنة الحرب العالمية الأولى سنة 1918م<sup>[3]</sup> حيث تم توزيع واقتسام البلاد الإسلامية بين فرنسا وإنجلترا، وزرع الجسم السرطاني الصهيوني في قلب الوطن العربي وذلك ليطمئن الغرب بأن الوحدة لن تحصل بين جناحي الوطن العربي والإسلامي، حيث سيعمل هذا الجسم الغريب على تمزيق الشمل وإحداث القلاقل وإشعال الفتنة، ممهدا الطريق لإقامة إسرائيل الكبرى، وهكذا نجح الاستعمار وأعداء الإسلام في سياستهم [فرّق تسد].

وننتج عن ذلك تعدد الأنظمة والمذاهب والاتجاهات التي تستقي منها أنظمتها، وتبني عليها خططها، فبعضها يتمسك بالإسلام، والبعض الآخر اشتراكي الهوية، والآخر رأسمالي أو قومي منسلخ عن الدين، وبذلك تفرقت الأمة إلى مذاهب وسُبل، لأنهم لم يتبعوا السبيل المستقيم الذي قال الله- سبحانه وتعالى- فيه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>[4]</sup>.

- 
- 1 محمد عبد العليم العدوي، الوحدة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة، ص142.
  - 2 محمد الحناوي، وثائق الحملة الفرنسية، ص 1.
  - 3 سايمون آدمز، الحرب العالمية الأولى، ص60.
  - 4 الأنعام، 153/6.

# الفصل الثاني: بيت المقدس المحتلة صليبيًا بين الإعداد والتحرير

---

المبحث الأول: الأوضاع التي سبقت سقوط بيت المقدس

المطلب الأول: الأوضاع العقائدية.

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية .

المطلب الثالث: الأوضاع الفكرية والاقتصادية قبل الغزو.

المبحث الثاني: الغزو الصليبي لبلاد المسلمين

المطلب الأول: الدوافع.

المبحث الثالث: تحرير بيت المقدس وإعداده وانطلاقه

المطلب الأول: مظاهر الإعداد للتحرير في دولتي آل زنكي والأيوبي.

المطلب الثاني: الانطلاق لتحرير بيت المقدس.

## المبحث الأول

### الأوضاع التي سبقت سقوط بيت المقدس

#### المطلب الأول: الأوضاع العقائدية:

من المصائب الكبرى التي نزلت بالمسلمين في هذا العصر وزادت الطين بلة هو ما ابتلوا به من الباطنية الذين أشاعوا الرعب وخلقوا الذعر في قلوب الناس، بغدرهم وفتكهم بالعلماء وولادة أهل السنة، وقد اتخذوا أسلوب الاغتيال لأهدافهم في ضرب الدول أو المجتمعات السنية، فقتلوا الوزراء والملوك والعلماء في الأوقات الحرجة، وتحالفوا مع أعداء الإسلام من الصليبيين والنتار<sup>(1)</sup>.

والباطنية تدعي أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالقرآن، ولكن يتخذون هذا الكلام ستارا للانخلاع من ربة العبودية، وهم في الأصل يتخذون التشيع ستارا لأهدافهم الإجرامية، فهم حقيقة لا يؤمنون بالإسلام، وقصدهم محاربة الإسلام وإنكار النبوات، "فظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض"<sup>(2)</sup>.

حيث شهدت بلاد الشام ظهور فرقة الإسماعيلية أو الباطنية التي أدت إلى زيادة تفكك القوى الإسلامية في بلاد الشام والجزيرة، وتتسبب هذه الطائفة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق المتوفى سنة 138 هـ<sup>(3)</sup>، وقد أسس حركة الباطنية (التي تعرف أحيانا باسم الحشيشية) الحسن بن محمد الصباح الذي سافر من إيران إلى مصر وقابل الخليفة الفاطمي المستنصر وتلقى منه مبادئ الدعوة الإسماعيلية، ثم عاد إلى بلاد فارس، وفي سنة 483 هـ استولى الحسن الصباح على قلعة الموت التي عرفت باسم عُش العقاب؛ لمناعتها وارتفاعها وحصانتها، وبفضل ما اشتهر به الحسن ابن الصباح من الدهاء والمكر وضع لأتباعه تنظيمًا دقيقًا، وقسمهم إلى خمس مراتب، وألف كتابا من أربعة فصول ضمنه أهم مبادئ دعوته، وجنّد فئة من أتباعه تميزت بقوة الأبدان وطاعتها العمياء، لتنفيذ ما يطلب منها في اغتيال

1 محمد العبد، أيعيد التاريخ نفسه، ص36.

2 يحيى بن حمزة، الإقحام لأفئدة الباطنية الطغام، ص38.

3 الشهرستاني، الملل والنحل، ص198 . ص207.

خصومهم بالخناجر، مهما كانت النتائج، وكثر جمعه فملك القلاع الكثيرة، وهذه الفئة تسمى بالفدائيين، حيث يعتقد هؤلاء بأن الموت في سبيل تحقيق أغراض الحسن بن الصباح بالانتحار أو غيره، أشرف ميته، وفيها تأكيد لضمان السعادة، حتى أن أمهات الفدائيين كن يبكين، إذا عاد إليهن أبنائهن أحياء يرزقون<sup>(1)</sup> وأخذ أمره في الانتشار، وساعده في ذلك تفكك وحدة السلاجقة عقب وفاة ملكشاه سنة 485 هـ وضعف الخلافة العباسية<sup>(2)</sup>.

وكان من أبرز نشاطات هذه الفرقة في بلاد فارس والعراق وبلاد الشام الفتك بزعماء أهل السنة وكانت أولى ضحاياهم أبرز شخصية في الدولة السلجوقية، وهي شخصية نظام الملك ووزير السلطان سنة 485 هـ<sup>(3)</sup> ولم يقتصر نشاط هذه الفرقة على حدّ الفتك بزعماء السنة، بل تعداه إلى التعرض لحجاج المسلمين القادمين من الهند وبلاد ما وراء النهر، غير أن أمر هذه الفرقة بفارس والعراق أخذ في الضعف والتدهور بعد سنة 500 هـ حين أقدم السلطان محمد بن ملكشاه على تخريب قلاعهم وتشريد بعض زعماء هذه الفرقة من بلاد فارس<sup>(4)</sup>.

أما عن هذه الفرقة ببلاد الشام، قد استغل زعماء الباطنية الانقسام الذي ساد بلاد الشام عقب وفاة تاج الدولة تتش سنة 488 هـ، وازدياد مطامع القادة الأتراك في بلاد الشام، فتيسر لهم التغلغل في صفوف المسلمين وتثبيت أقدامهم في بلاط كل منهم بقدر استطاعتهم، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل ساعدوا على إخراج بعض ممتلكات السلاجقة إلى الفاطميين حلفائهم في العقيدة كما حصل في أفامية سنة 489 هـ<sup>(5)</sup>.

ولما لم يكن للإسماعيلية مركز في بلاد الشام، فقد سعى الحسن بن محمد الصباح إلى أن تكون حلب تحت سيطرته، فأخذ في بث رجاله ودعاته فنجح في هذا الأمر، واستطاع أحد دعاته ويعرف باسم الحكيم المنجم الباطني التقرب من صاحب حلب سنة 490 هـ وبدأ بإظهار مذهب الباطنية في حلب،

1 حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ص 275.

2 المقریزی، اتعاظ الحنفا، 326/2.

3 الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص 68

4 ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 410/3

5 الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الأوسط، ص 58.

فاعتبر بذلك أول داعية للإسماعيلية ببلاد الشام بفضل المؤازرة والمساعدة التي حصل عليها من رضوان صاحب حلب، حيث سمح صاحب حلب للحكيم المنجم بإقامة دار لدعوة الإسماعيلية بحلب، ولم يقف عند هذا الحد بل شمل أصحابها بعطفه ورعايته<sup>(1)</sup>.

وبفضل ما حصل عليه رجال الإسماعيلية بحلب من عطف ورعاية صاحبها، فقد استغلوا ذلك في الفتك بزعماء المسلمين الذين كانوا يعارضون صاحب حلب، وهذا على ما يبدو سرّ تقاربه لهذه الفرقة، وقد افتتحو أعمالهم الإجرامية في بلاد الشام بقتل جناح الدولة حسين أتابك رضوان، بعد أن توترت العلاقات بينهما في شهر رجب 496هـ ولم تطل أيام زعيم هذه الفرقة في حلب بعد مقتل جناح الدولة حسين، حيث سار خليفته على نهج سلفه في الفتك بزعماء المسلمين، حيث دبّر من قبله بعض رجاله ففتكوا بخلف بن ملاعب صاحب أفامية سنة 499هـ بالتعاون مع أبي الفتح السرميني الذي اتخذ من سرمين<sup>(2)</sup> مقراً له ولأعوانه<sup>(3)</sup>.

وهكذا يمكن القول أن توطيد أمر الإسماعيلية بحلب واتساع نفوذهم في بلاد الشام قد أدى إلى ظهور عامل جديد من عوامل تفكك وحدة المسلمين عامة، والسلاجقة خاصة، ذلك التفكك الذي تعرضت له بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، الأمر الذي أدى بهذه الفرقة إلى مساعدة الصليبيين في الاستيلاء على بعض معاقل المسلمين أو تهيئة المناخ المناسب لسقوطها بيد الصليبيين كما حصل في أفامية<sup>(4)</sup> سنة 500هـ<sup>(5)</sup>.

ولم تقف الإسماعيلية عند هذا الحد في طعن المسلمين من الخلف باغتيال الشخصيات الكبيرة، بل تعدّوا ذلك إلى محاولة الاستيلاء على قلعة شيزر من بني منقذ سنة 502هـ بقصد اتخاذها معقلاً لهم في بلاد الشام بدلاً من حلب، ولكنهم أخفقوا في هذا الأمر، ولكن ما قام به زعماء فرقة الإسماعيلية

- 
- 1 ابن العديم، زبدة الحلب، 2/ص146-147، 168.
  - 2 سرمين: بلدة مشهورة من أعمال حلب، وأغلب سكانها من الشيعة (ينظر: ياقوت، معجم البلدان).
  - 3 أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، 5/192.
  - 4 مدينة أثرية في سورية تقع في حوض نهر العاصي الأوسط على مسافة 55 كلم شمال غربي حماه (الموسوعة العربية) (<http://arab-ency.com> إنترنت)
  - 5 الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الأوسط، ص59.

من إثارة روح الكراهية بين السكان تجاه أمراء وقادة السلاجقة ومن نشر الرعب والفرع في بلاد الشام قد أسهم إلى حدّ كبير في وضع العرافيل أمام توحيد الجبهة الإسلامية<sup>(1)</sup>، فقد سعا سنة 507هـ إلى فض الحلف الإسلامي الذي حصل بين مودود صاحب الموصل وظهر الدين طغتكين صاحب دمشق، ذلك الحلف الذي كان نواة حقيقية في توحيد الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين، حينما أقدم بعض رجال الباطنية على الفتك بمودود في دمشق في السنة المذكورة، الأمر الذي أدى بظهر الدين طغتكين إلى اتباع سياسة اللين مع الصليبيين في السنة التالية 508هـ<sup>(2)</sup>.

ولكن أمر الإسماعيلية في حلب خاصة وبلاد الشام عامة، أخذ في الضعف عقب صاحب حلب سنة 507 هـ إذ أن خليفته قد أقدم على الفتك بهذه الفرقة المارقة بطلب من السلطان من الدولة السلجوقية، حيث قبض على أبي طاهر الصائغ وقتله وقتل زعماء هذه الفرقة، وبذلك قضى على نفوذهم بحلب وشرّد من بقى منهم في بلاد الشام<sup>(3)</sup>، إلا أن من بقى منهم على قيد الحياة كانوا قد تجمعوا وحاولوا مرة أخرى الاستيلاء على شيزر من بني منقذ سنة 507 هـ ولكنهم فشلوا في تحقيق مقصدهم مرة أخرى<sup>(4)</sup>، وعادت قلوب الباطنية إلى حلب سنة 508 هـ، ألا أن أمرهم في حلب لم يعد كما كان عليه ، فظلوا فيها على حال من الضعف والاستتار، وفي سنة 518 هـ تم إخراج الباطنية من حلب "فباعوا أموالهم ورحالهم وخرجوا منها"<sup>(5)</sup>.

والجدير بالذكر أن الإسماعيلية ببانياس قاموا بتسليمها للصليبيين في السنة التالية 523 هـ، وعلى الرغم مما حل بفرقة الإسماعيلية من دمار وتشريد على يد قادة بلاد الشام، فإن نشاطهم العدائي للمسلمين عامّة وأهل السنة خاصّة لم ينقطع، بل ظل عائقاً أساسياً في سبيل توحيد الجبهة الإسلامية، فضلاً عن تفكك وحدة السلاجقة في بلاد الشام<sup>(6)</sup>.

1 العريني، الشرق الأوسط، 27/10.

2 ينظر: العريني، م.ن، 169/10 وما بعدها.

3 ابن العديم، زبدة الحلب، 2/ص168 . 169.

4 الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الأوسط، ص60.

5 ينظر: أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص71.

6 الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الأوسط، ص62.

## المطلب الثاني: الأوضاع السياسية:

لقد رافق المدّ الباطني، امتداد آخر لظاهرة التشيع، وطغيان فكر الرافضة في العراق والإمارات العربية في شمالي بلاد الشام، فقد تعاون حكام الإمارات المستقلة مع الدولة العبيدية بمصر وتبنوا فكر الرافضة والمذهب الباطني، وخيمت سحب الانحراف العقدي على كثير من مراكز القوى في بلاد المسلمين، واضطربت المفاهيم، وسادت الفوضى السياسية، مما ساعد الصليبيين على اجتياح ديار المسلمين<sup>(1)</sup>.

### البويهيون في بغداد والعراق:

أسس بنو بويه إمارة وراثية لهم في العراق، دامت مائة وثلاث عشرة سنة، وقد أدى هذا الإجراء إلى نوع من الاستقرار السياسي للخلافة في أول الأمر<sup>(2)</sup> إلا أن هؤلاء الأمراء كبلوا خليفة بغداد، ونشروا مذهب الرافضة لأنهم من الشيعة، وتعاونوا مع الدولة الفاطمية بمصر، وأهانوا الخلفاء في بغداد، وانفردوا بالأمر من دونهم، وأظهر قادة البويهيين الطاعة للخليفة العباسي، وغدت العراق تحت سيطرتهم، وأخذوا الألقاب من خليفة بغداد، فلُقّب أحمد بن بويه<sup>3</sup> "معز الدولة" وحكم العراق نيفا وعشرين سنة حتى عام 356 هـ ولُقّب أخوه الحسن بن بويه "ركن الدولة" وحكم أصبهان وطبرستان وجرجان<sup>(4)</sup>، أما أخوهم الكبير "عماد الدولة" فحكم شيراز وإقليم فارس، وكان المقدم فيهم يسمعون كلامه<sup>(5)</sup>.

ونتيجة لسياسة بني بويه (أصحاب المذهب الرافضي) فقد حصلت بعض الحوادث بين السنة والشيعة في بغداد وغيرها من المدن، مثل ما جاء في حوادث عام 351 هـ "وكتب الشيعة في بغداد بأمر معز

1 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص36

2 ينظر: مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية، ص55-62.

3 ولد سنة 320 هجري وتوفي في بغداد سنة 356 هجري

4 محمد حامد الناصر، م.س، ص36.

5 ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 230/6-235.

الدولة على المساجد، لعن معاوية والخلفاء الثلاثة، والخليفة العباسي لا يقدر على منع ذلك، فلما كان بعض الليل حكّه (مجاه) بعض الناس، فأراد معز الدولة إعادته، فأشار عليه الوزير أبو محمد المهدي بأن يكتب مكان ما محي "لعن الله الظالمين لآل رسول الله ولا يذكر أحدا في اللعن إلا معاوية ففعل ذلك"<sup>(1)</sup>.

وعندما ملك الفاطميون بلاد مصر والشام استحوذ الإفرنج على سواحل بلاد الشام، حتى بيت المقدس.... فكانت النواقيس النصرانية تضرب في شواهد الحصون والقلاع... وكل ذلك من عقوبات المعاصي والذنوب، وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء<sup>(2)</sup>. وفي سنة 352هـ أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم وأن يظهروا النياحة، وأن تخرج النساء منشورات الشعور مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي، ففعل الناس ذلك، ولم يكن لأهل السنة قدرة على منع ذلك لكثرة الشيعة، ولأن السلطان معهم، وهذا أول يوم نيح فيه على الحسين في بغداد<sup>(3)</sup>.

وكان البويهيون يرون أن العباسيين مغتصبون للخلافة، ولذلك فكر معز الدولة بإعادة الخلافة إلى مستحقيها من آل علي، فاستشار خواص أصحابه في إخراج الخلافة عن بني العباس، وأخذ البيعة للمعز العبيدي في مصر، فنصح بخلاف ذلك، فاستحسن هذا الرأي وأعرض عن فكرته خشية الفتن وخوفا من إمكانية انتقال الحكم عن أسرته<sup>(4)</sup>.

وعندما استغاث أهل الجزيرة بالعاصمة بغداد لصدّ غارات الروم وتجهيز الناس للجهاد، أرسل "بختيار بن معز الدولة" إلى الخليفة يطلب منه مالا لتجهيز الناس للغزو، فباع الخليفة أثاث بيته ليدفع له الأموال، إلا أن بختيار أنفقها على مصالحه الخاصة وأبطل أمر الغزو، قال ابن كثير: "إن الخليفة

1 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/7.

2 ابن الأثير، م.ن، 4/7.

3 ابن الأثير، م.ن، 7/7.

4 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 315/6.

"المطيع لله" باع ثياب بدنه، ونقض بعض سقوف داره، وحصل له أربعمئة ألف درهم صرفها بختيار في بعض مصالح نفسه، وأبطل تلك الغزاة، فنقم الناس من أجل الخليفة، وساءهم ما فعل ابن بويه الرافضي من أخذه المال وتركه الجهاد<sup>(1)</sup>.

وكان من أعظم أسباب هذا التردّي في سلطات الخليفة أن البويهيين كانوا يتشيعون ويغالون في التشيع، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة<sup>(2)</sup>، وهكذا لم يقدموا جديدا للدولة الإسلامية، بل قدموا الضعف والضياع، ويقول الذهبي . رحمه الله . فيهم: "لقد ضاع أمر الإسلام بدولة بني بويه، وبني عبيد الرافضة، وتركوا الجهاد، وهاجت نصارى الروم، وأخذوا المدائن<sup>(3)</sup>، ولقد استمر دعم البويهيين المعنوي والمادي للخليفة العبيدي في مصر، وأقام بعض أمرائهم الخطبة لخليفة مصر في عدد من المدن كالموصل والكوفة والمدائن، وقاوم الخلفاء العباسيون دعاة الفاطميين بكل قوة<sup>(4)</sup>.

وفي آخر العهد البويهي قام أحد قادة بني بويه المتنفذين في بغداد بفتنة عظيمة، فقد أراد نقل شارات الخليفة العباسي إلى المستنصر العبيدي في مصر، وأعلن الخطبة له على منابر بغداد أربعين جمعة<sup>(5)</sup>. واستمرت الفتنة عاما كاملا، مما اضطر الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى الاستنجاد بقيادة السلاجقة الذين تمكنوا من القضاء على الفتنة تماما<sup>(6)</sup>، بعد أن وهى أمر الخلافة العباسية واستقل نواب الأطراف بها، ولم يبق للخليفة حكم غير بغداد، بل إن سلطته لم تتعد أحيانا باب قصره الذي يسكن فيه<sup>(7)</sup>.

1 ابن كثير، البداية والنهاية، 272/11.

2 ابن الأثير، م.س، 315/6.

3 الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، 232/16.

4 ينظر: مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص 65 . ص 70.

5 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص 41.

6 ينظر: مسفر الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص 73-ص 87.

7 محمد العبدية، أعياد التاريخ نفسه، ص 13-14.

## المرادسيون في حلب (399هـ . 473هـ):

يعود نسبهم إلى قبيلة كلاب العربية العدنانية<sup>(1)</sup>، حيث وقفوا في وجه السلاجقة وحاولوا منعهم من السيطرة على حلب والبلاد التابعة لها في شمال الشام، وقد تجلّى موقفهم هذا في عهد الأمير محمود بن نصر بن صالح بن مرداس أثناء حملة السلطان السلجوقي ألب أرسلان<sup>2</sup> على ديار بكر وبلاد الشام سنة 463هـ حيث رفض محمود تسليم حلب لمندوب السلطان، فقد قابل السلطان ألب أرسلان وشرح له عن أعماله في حلب وجهاده ضد البيزنطيين، فعفا عنه ألب أرسلان وأقره على بلاده<sup>(3)</sup>، وكان محمود قد لعب دورا كبيرا في جهاد الروم البيزنطيين في منطقة أنطاكية والثغور الإسلامية، إذ كانت هذه البلاد بين مدّ وجزر فيما بين المرادسيين والبيزنطيين<sup>(4)</sup>.

وقد تعرضت الإمارة لضغوط من الأتراك السلاجقة سنة 468هـ ولكنهم فشلوا في الاستيلاء على حلب<sup>(5)</sup>.

استشعر صاحب حلب بخطر السلاجقة فطلب المساعدة من صاحب الموصل في الوقت الذي كان فيه أهل حلب قد بعثوا برسلمهم إليه لطلب الاستغاثة لإنقاذهم من سوء الأوضاع في حلب، وقرر صاحب الموصل المسير إلى حلب لا لنجدة صاحب حلب وإنما للاستيلاء على مدينته فوصلها في شهر الحجة سنة 472هـ ومعه جمع من العرب، وراسل أميرها الذي تحصن بقلعة حلب، وعرض عليه تسليم حلب فرفض ، وكاد اليأس يدب إلى نفس صاحب الموصل، غير أن الفرّج قد أتاه بوقوع الخلافات مجددا بين الأمراء المرادسيين، حيث تسلمها بعد قبول الامراء بتعويضات مالية في شهر ربيع الآخر من سنة 473هـ<sup>(6)</sup>.

1 الفلقشندی، صبح الأعشى، 304/1.

2 هو ثالث السلاطين السلاجقة ولد سنة 424 هجري وتوفي سنة 465هجري

3 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 64/10.

4 ابن العديم، زبدة الحلب، 2/41 . 42.

5 ابن العديم، زبدة الحلب ، 2/47-49.

6 سهيل زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ص184 . ص185.

وبتسلم حلب زالت دولة بني مرداس، وأصبحت حلب تحت حكم صاحب الموصل حتى وفاته سنة 478هـ عندما استولى عليها سلطان السلاجقة من القائمين عليها من قبل صاحب الموصل<sup>(1)</sup>، وهكذا يمكن القول إنّ نهاية إمارة بني مرداس في حلب جاءت في فترة قوة السلاجقة واتساع نفوذهم، بما أحدثوه من إثارة المنازعات بين الأمراء المرداسيين بعضهم ضد بعض، حتى تمكن صاحب الموصل بمساعدة السلاجقة من القضاء على هذه الإمارة العربية الفتية سنة 473 هـ<sup>(2)</sup>.

---

1 العمري، مسالك الإبصار، 16/ورقة 106أ.

2 الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الأوسط، ص 64.

## إمارة بني عقيل في الموصل وشمال الشام(453هـ . 489هـ):

انتماء هذه الإمارة إلى المذهب الشيعي جعلها تتخذ سياسات هي أقرب إلى الخصومة والعداوة مع المحيط السني، وتمثل ذلك في الخصومة مع الدولة السلجوقية، حيث أخذت في تشجيع الحركات المناوئة للسلاجقة، لكن هذه السياسة تغيرت سنة 453 هـ حيث تولى حكم الموصل شرف الدولة مسلم بن قريش، فأخذ في توطيد علاقاته بالسلطنة السلجوقية، وتقرب من السلطان ألب أرسلان<sup>(1)</sup>، لكن هذه العلاقة الطيبة لم تدم حيث سقطت الموصل بأيدي السلاجقة سنة 489هـ.

ومن خلال ما سبق يتعزز لدينا أن تبني هذه الإمارة وغيرها للمذهب الشيعي ساعد في تعزيز الانقسام بين القوى الإسلامية، بل وأدى ذلك إلى اضطراب المفاهيم، وانتشار الفوضى السياسية الأمر الذي ساعد الصليبيين على اجتياح ديار المسلمين.

## الأسديون في الحلة بالعراق(403هـ . 529هـ):

كانت قبيلة بني أسد قد أقامت إمارتها في مدينة الحلة غرب بغداد، وشارك أمراؤها في الفتن والصراعات ضد الخليفة العباسي وضد السلاجقة وبقية الجيران، وكان بنو الأسد يمثلون الانتفاضة العربية ضد السيطرة البويهية على الخلافة العباسية، بالرغم من اشتراك البويهيين والمزيديين في مذهب التشيع<sup>(2)</sup>.

ولم يتوقف الأمر على إثارة الفتنة بين القوى الإسلامية، بل تعداه إلى التحالف مع الصليبيين الذين كانوا يودون الاستيلاء على حلب، حيث تحالفت الإمارة الأسدية مع بلدوين الثاني ملك بيت المقدس، فقام أمير تلك الإمارة الأسدية بحث الصليبيين على الاستيلاء على حلب وقال لهم أن أغلب أهلها شيعة وسيميلون إليه لأجل المذهب<sup>(3)</sup>.

1 الأزدى، أخبار الدولة المنقطعة، ص68.

2 الحلى، تاريخ الحلة، ص22.

3 مسفر بن سالم الغامدي، م، ن، ص77 . ص80.

وهكذا لعبت هذه الإمارة دوراً في إحداث فرقة بين صفوف المسلمين وفي تحقيق رغبة الصليبيين بضرب المسلمين بعضهم ببعض، وإلى إيجاد نوع من التوتر في حلب، أضف إلى ذلك المجاعة التي حلت بالحلبين، إلى حدّ أنهم أكلوا الكلاب وأوراق الشجر<sup>(1)</sup>. ثم كانت نهاية هذه الإمارة بمقتل دبب بن صدقة عام 529هـ، الذي كان على عداوة مع الخلافة العباسية والدولة السلجوقية<sup>(2)</sup>.

### دولة السلاجقة ودورها في نصرة أهل السنة:

تنسب هذه الدولة إلى سلجوق الذي كان من قادة الترك في تركستان، وكان قد أعلن إسلامه وحارب كفار الترك، واتجه مع أبنائه نحو بلاد المشرق، وأصبحت دولة السلاجقة بعد ذلك هي القوة الأولى في المشرق الإسلامي، حيث كان السلاجقة أمة مقاتلة بطبيعتها، إضافة إلى ما تميزوا به من الحماس الديني والمغامرة والإقدام، كما أنهم كانوا على المذهب السني، مما دفعهم إلى مقاومة الرافضة وطردهم من بلاد الشام<sup>(3)</sup>.

واستولى السلاجقة على خراسان سنة 429 هـ ووصلوا العراق، ثم دخلوا بغداد سنة 447 هـ استجابة لدعوة الخليفة العباسي القائم بأمر الله؛ لدرء الخطر البويهي الشيعي<sup>(4)</sup>.

ومن أفضل أعمال الدولة السلجوقية أنها قضت على فتنة القائد البويهي أرسلان البساسيري<sup>5</sup> الذي كان يدين بالتشيع ويراسل العبيدين لينقل إليهم شارات خليفة بغداد القائم، ودخل جيش الدولة السلجوقية بغداد واستقبله الخليفة وتم القبض على الأمير البويهي وانسحب البساسيري قبل دخول السلاجقة بغداد، حيث توجه إلى إمارة كمال بن مرداس في الرحبة، والذي قدم له العون، وكان الوزير الفاطمي في

1 أبو الفداء، المختصر، 237/2.

2 مسفر بن سالم الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الأدنى، ص 81.

3 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص 51.

4 حسين مؤنس، نور الدين محمود، ص 34 . ص 35.

5 هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله المظفر من أصل تركي، قتل سنة 451 هـ على يد السلاجقة

مصر (اليازوري) قد أخرج معظم أموال الخزائن الفاطمية والأسلحة الوفيرة وزود بها داعي الدعاة الذي سار بها نحو الرحبة لدعم حركة البساسيري<sup>(1)</sup>.

انتهاز البساسيري فرصة انسحاب السلاجقة من العراق واندفع إلى بغداد حاملا الرايات المستتصرية العبيدية، يصحبه حليفه قريش بن بدران العقيلي وتم الاستيلاء على عاصمة الخلافة عام 450 هـ، ومن ثم قبض قريش بن بدران على الخليفة القائم، وأرسله إلى حصنه بحديثة عانة مع أهله وحاشيته، فنفي فيها عاما كاملا<sup>(2)</sup>.

عاد السلاجقة من جديد إلى العراق لإعادة الخليفة القائم إلى عاصمته، فهرب البساسيري من بغداد، وعاد الخليفة العباسي، وعادت إليه الخطبة، وطارد السلاجقة البساسيري ودارت بينهما معركة فاصلة انتهت بمقتل المتمرذ الرافضي البساسيري وبذلك انتهى النفوذ البويهبي في بغداد<sup>(3)</sup>.

و تولى ألب أرسلان الحكم، حيث بلغت الدولة في عهده أقصى إتساع لها وأعيد للمسلمين عزهم المفقود، وقد أحبته الرعايا ولا سيما لما هزم العدو في معركة ملاذكرد، حيث لبس البياض وتحنط وقال: "إن قتلت فهذا كفني وحمل بجيشه حملة صادقة، ولما قارب الروم ترجل وعفر وجهه بالتراب وأكثر الدعاء وبكى، وثبت العسكر ونزل النصر وولت الروم، وأسر طاغيتهم أرمانوس"<sup>(4)</sup>.

وكان قد أخذ الفقيه أبو النصر محمد بن عبد الملك البخاري يتلو عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ويثبته ويقول: "إنك تقاقل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح.....أسرع أرسلان بعد أن فرغ من صلواته وعجل بدخوله المعركة في لحظة تدعو له الملايين فيها بالظفر"<sup>(5)</sup>. وتعتبر هذه المعركة من المعارك الفاصلة في التاريخ

1 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص52.

2 ابن كثير، البداية والنهاية، 12/76.

3 ابن كثير، البداية والنهاية، 12/66 . ص69.

4 الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، 18/415 . ص416.

5 حسين مؤنس، نور الدين محمود، ص42 . 43.

البيزنطي، ومن الصفحات الناصعة في التاريخ الإسلامي... إذ قررت هذه المعركة مصير آسيا الصغرى وأقاموا دولتهم المعروفة بسلاجقة الروم...<sup>(1)</sup>.

وفي عهد ولده ملكشاه حافظت الدولة على قوتها واتساعها قال عنه الذهبي: "تملك بعد أبيه.... وخطب له من حدود الصين إلى الشام، ومن مملكة الروم إلى اليمن، ودانت له الدنيا، وكان حسن السيرة، لهجا بالصيد واللهو، مغرّياً بالعمائر وحفر الأنهار، وتشيد القناطر والأسوار، وأبطل المكوس في جميع بلاده، وأمنت الطرق في دولته، وانجلت الأسعار، وتزوج الخليفة المقتدي بابنته... ولم يكن للخليفة معه غير الاسم، توفي في إحدى زيارته لبغداد سنة 485 هـ عن تسع وثلاثين سنة ودفن في أصبهان"<sup>(2)</sup>.

### الدولة الفاطمية:

استغلت الحركات السرية المتكئة ضعف الخلافة فراحت تنشط لإيجاد أرض لها، وتغوي الناس بستر ظاهره التشيع وباطنه الكفر المحض، واستطاعت الحركة الإسماعيلية السرية التي تتخذ من بلدة سلمية والتي تقع شرق مدينة حماة مقراً لها أن تجد أرضاً خصبة في شمالي أفريقيا، بعد أن قام داعيتهم الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الصنعاني الملقب بأبي عبد الله الشيعي بتمهيد الطريق، وإزالة العقبات من طريق الدعوة، وقد وصف بأنه من الرجال الدهاة، دخل أفريقيا وحيداً بلا مال ولا رجال ولم يزل يسعى إلى أن ملكها<sup>(3)</sup>، وكان رئيسه في الدعوة ابن حوشب قد كلفه بأن يلتقي بقبيلة كتامة من المغرب في موسم الحج، وعندما التقى بهم استطاع بدهائه أن يؤثر فيهم، ويتلاعب بعقولهم، وأعجبوا به فرحل معهم إلى بلادهم، والتفت عليه قبيلة كتامة وغيرها، وحارب القبائل الأخرى، وسقطت مدن المغرب الأوسط، سجلماسة وميلة وتاهرت ورقادة، حتى إذا ما مهد للأمر واستقرت به الأحوال أرسل إلى زعيم الدعوة طالبا إليه المجيء ليسلم إليه مقاليد الأمور، وهذا الزعيم هو عبيد الله من ذرية

1 ينظر: عبد المنعم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص 57 . ص 59.

2 الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، 19/ص 55 . ص 58.

3 ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 192/2.

عبد الله بن ميمون القداح الفارسي الباطني على رأي بعض المؤرخين، والبعض يقول إنه ربيب الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح<sup>(1)</sup>، ولكنه ينسب إلى ذرية فاطمة . رضي الله عنها . إلا أن أكثر العلماء والمؤرخين والنسابين ينفون عنه هذا النسب.

استطاع عبيد الله النجاة من المراقبة الشديدة التي وضعت عليه بعد مغادرته لبلاد الشام وحتى وصوله إلى المغرب، ولكن والي سجلماسة ظفر به وأودعه السجن ولم يقتله، وهذا من الغفلة المعهودة، ثم إن أبا عبدا الله الشيعي استطاع إنقاذه وتقديمه للناس التي تسمى بالفاطمية<sup>(2)</sup>، وليس من غرضنا الاستعراض التاريخي لهذه الدولة منذ نشأتها وحتى سقوطها بقدر ما نود توجيه الأنظار إلى أفعالها وموقفها من أهل السنة، وضرورة تقويمها بميزان الإسلام. هذه الدولة دولة باطنية وليست فاطمية، وهذا رأي أكثر علماء الأمة الذين حققوا نسبهم وعلموا بواطنهم وأسرارهم، ولو كان نسبهم صحيحا فلم لم يفصحوا عنه وقد ملكوا مصر والشام وشمال أفريقيا وأصبحت لهم قوة ترهب فمم يخافون؟ ولم لم يقولوا: نحن كنا مضطرين لإخفاء النسب في الفترة السرية حتى لا يقضى علينا، وقد سأل الشريف ابن طباطبا ملكهم الذي فتح مصر والملقب بالمعز العبيدي عن نسبه، فسل سيفه وقال: هذا نسبي، ونثر الذهب، وقال: هذا حسبي<sup>(3)</sup>. وسنرى من أفعال هذه الدولة ما يدل على قبح سيرتهم وسوء سريرتهم، وأنهم كانوا شوكة في حلق المسلمين، وبلاء مسلطا على المؤمنين، وعندما تصرمت أيامهم على يد القائد صلاح الدين، وبتوجيهات من الملك العادل نور الدين لم يبق لهم رسم ولا أثر، ولم نسمع أن هناك مصريا واحدا بقي على عقائدهم بعد زوالهم، وهذه أمثلة من سيرتهم وأفعالهم:

1- من جرائم عبيد الله الكثيرة أن خيله دخلت المسجد، فقبل لأصحابها: كيف تدخلون المسجد؟ فقالوا: إن أرواثها وأبوالها طاهرة لأنها خيل المهدي، فأنكر عليهم قيم المسجد، فذهبوا به إلى المهدي فقتله<sup>(4)</sup>.

1 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 36/8.

2 محمد العبد، أيعيد التاريخ نفسه، ص49.

3 ابن خلكان، وفيات الأعيان، 80/2.

4 محمد العبد، م.س، ص51.

2- أمر المنصور بن العزيز الملقب بـ(الحاكم بأمر الله) بحرق القاهرة، فهبّ السكان للدفاع عن أنفسهم وقاتلوا عبيد الحاكم وجنوده قتالا شديدا، والنار تلتهم المساكن ويخرج الحاكم كل يوم وينظر ويكي ويقول: من أمر هؤلاء العبيد بهذا؟ وكان يظهر التتصل، وكأنه يريد الفصل بين الفريقين<sup>(1)</sup>.

3- لا يعلم الذين يقرؤون تاريخ العبيديين إلا ما كتب لهم عن التاريخ السياسي لهذه الدولة: ذهب فلان وخلفه فلان، وأنها دولة تحب العلم وتنشئه، والمقصود نشر كتب الفلاسفة، ولكن لا أحد يذكر . عدا الذين ترجموا للعلماء . بطش هؤلاء الظلمة بالعلماء من أهل السنة، بل إن الطلبة الذين يدرسون التاريخ الإسلامي يذكرون معد بن إسماعيل الملقب بالمعز، يذكرونه وكأنه بطل من أبطال التاريخ، وأنه هو الذي بنى القاهرة وأسس الأزهر، بل ويضيفون القاهرة إليه (قاهرة المعز) وقد عاهد قائده جوهر أهل مصر على ترك الحرية لهم في بقائهم على السنة، ولكن لما دخل الجيش وتمكن من مصر، وانتقل المعز إلى القاهرة لم يعمل بهذا العهد وجدّ الفاطميون في تشييع المصريين<sup>(2)</sup>، وهذا الطاغية (المعز) هو الذي بطش بالعالم أبي بكر النابلسي عندما أحضر إليه، ومن العلماء الذين قتلوا على أيديهم: محمد بن الحبلي قاضي مدينة برقة الذي قتله المنصور العبيدي (حفيد عبيد الله) بسبب اختلاف رأيه في مسألة الحساب الفلكي، حيث رفض القاضي أن يعلن العيد ما لم ير الهلال<sup>(3)</sup>.

### الموقف السياسي للدولة الفاطمية من التوسع الصليبي:

كان الفاطميون يحقدون على خلفاء بغداد وعلى سلاطين السلاجقة، وقد رأوا في هزيمتهم على أيدي الفرنجة فرصة مواتية ليستردوا فلسطين وبيت المقدس. وقد اتهم المؤرخ الكبير ابن الأثير الفاطميين بأنهم شجعوا الصليبيين على غزو بلاد الشام، ليساعدوهم ضد السلاجقة الأتراك، وأنهم دعوا الفرنجة للخروج إلى بلاد الشام ليملكوه، ويكونوا بينهم وبين المسلمين... بل إنهم أحسوا بالسعادة تغمرهم عندما زال نفوذ السلاجقة عن بلاد الشام، ودليل ذلك الاتفاقية التي عقدها الوزير الأفضل مع الصليبيين

1 محمد العبد، أيعيد التاريخ نفسه ، ص51.

2 أحمد أمين، ضحى الإسلام، 1/193.

3 ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 15/374.

عندما وصلوا أنطاكية عام 491هـ ومن بنودها التعاون بين الجانبين ضد السلاجقة، على أن تقسم البلاد بعد ذلك، بحيث يكون القسم الشمالي . سوريا . للصليبيين، والقسم الجنوبي . فلسطين . للفاطميين<sup>(1)</sup> وقد أرسل الصليبيون سفارة (وفدا) إلى القاهرة لتؤكد هذا التعاون<sup>(2)</sup>.

كما أن محاصرة الصليبيين لأنطاكية أثلجت صدر الأفضل، واعتبر أن خسارة الأتراك السلاجقة . السنيين . لأي جزء من أملاكهم إنما هو نصر له نفسه<sup>(3)</sup>، لكن الصليبيين أهل غدر، فبعدما احتلوا أنطاكية اتصلوا من اتفاقياتهم وزحفوا نحو بيت المقدس، ثم استولوا على معرة النعمان وسواحل لبنان، وحاصروا طرابلس الشام، وبدلا من أن يخرج الأفضل بالجيش لإيقاف زحف الفرنجة، أرسل إليهم سفارة أخرى، وهم يحاصرون طرابلس، هناهم فيها على ما أنجزوه، وطلب منهم التشديد على السلاجقة والخلافة العباسية في بغداد، والحد من العجرفة المفرطة للأتراك، وحتى يثبت لهم حسن نواياه واستعداده للتعاون معهم، أرسل مع السفارة الهدايا النفيسة والأموال الضخمة لكل من قادة الصليبيين، وذكر لهم أنه سيمنحهم امتيازا خاصا بالسماح لمجموعات من الحجاج غير المسلمين بزيارة القدس على ألا تتجاوز الواحدة (200 . 300) حاج<sup>(4)</sup>، وتعهد بأن يعيدهم سالمين بعد أداء مراسم الحج، فاعتبر الصليبيون هذا العرض إهانة لهم وأجبروا أعضاء السفارة العبيدية على العودة.

ولا شك أن سلوك الأفضل كان عاملا من أهم العوامل التي أدت إلى انتصار الجيوش الصليبية ومن ثم وصولها إلى أهدافها كدخول بيت المقدس واحتلال معظم بلاد الشام الساحلية، كان بإمكانه أن يقف في وجه الحملة الصليبية، ويتصدى لزحف جيوشها، فأحوال مصر كانت هادئة، وتتمتع بالرخاء، ورغم ذلك كله لم يحاول قائد الجيوش التعرض للقوات الغازية وهي تتجه نحو بيت المقدس، وخلال حصارها للمدينة المقدسة، كانت جيوشهم في غاية الإنهاك والتعب والعطش، حتى أنه كان يهلك يوميا أعداد

1 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص133.

2 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/186.

3 يوسف غوانمة، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين، ص124.

4 محمد حامد الناصر، م.س، ص134.

كبيرة من الدواب والماشية التي جمعها الجيش الصليبي<sup>(1)</sup>. واستمرت هذه الدولة عقبة كبيرة أمام وحدة المسلمين، وحجر عثرة أمام الجهاد الإسلامي، إلى أن خلّص الله المسلمين منهم ببطل الجهاد نور الدين وقائده صلاح الدين الأيوبي.

وسأكتفي بسرد موقف الدولة الفاطمية قبل سقوط بيت المقدس وسأتناول فيما بعد . بإذن الله تعالى . مواقف تلك الدولة من التوسع الصليبي بعد سقوط بيت المقدس سنة 492 هـ.

### المطلب الرابع: الأوضاع الفكرية والاقتصادية قبل الغزو:

تميزت الأجواء الفكرية التي سبقت الغزو الصليبي بثلاث مزايا أساسية برزت في ذلك الوقت وهي:

#### 1- انقسام الصوفية وانحرافها:

الأصل في التصوف أنه نشأ كمدارس تربوية . كالمدارس الفقهية . هدفها تزكية النفس وصقل الأخلاق مثل المدرسة المحاسبية نسبة إلى الحارث المحاسبي، والجنيدية نسبة إلى الجنيد البغدادي، والمدرسة النورية نسبة إلى أبي الحسن النوري، والمدرسة النيسابورية نسبة إلى أبي جعفر النيسابوري، ومدرسة سري السقطي وغيرها<sup>(2)</sup>، ولم تكن هذه المدارس تغلو في آرائها ولا تخرج عن قيد الشريعة في شيء، كما تطرق إلى ذلك ابن تيمية في فتاويه<sup>(3)</sup>، غير أن عوامل التطور عملت في هذه المدارس التربوية فطورتها إلى طرق، كما تطورت المدارس الفقهية إلى مذاهب.

ومهما كان أمر التطور التاريخي للصوفية فقد انتهى في الفترة التي نتحدث عنها بانقسامه إلى ثلاثة اتجاهات، هي:

1 رئيسمان، تاريخ الحروب الصليبية، 399/1.

2 ماجد عرسان الكيلاني، نشأة القادرية (رسالة ماجستير) بيروت:الجامعة الأمريكية، ص35 . ص40.

3 ابن تيمية، الفتاوى(كتاب التصوف)، ج11.

## أ- الملامتية أو الملامية:

ظهرت هذه الفرقة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بمدينة نيسابور في خراسان<sup>(1)</sup>، أما المراد بالملامة التي ينتسب إليها الملامتية فهو ينحصر في معنيين، الأول لومة الناس للملامتي، والثاني لوم الملامتي الدنيا وأهلها ذلك أن الملامتي لا يرى لنفسه حظا على الإطلاق ولا يطمئن إليها في عقيدة أو عمل ظنا منه أن النفس شر محض ولا يصدر عنها إلا ما يوافق طبعها لذلك وقف منها موقف الاتهام والمخالفة<sup>(2)</sup>، ويجعل مؤرخو الصوفية القدماء من أمثال أبي نعيم والسلمي والجويري أبرز رواد الملامتية حمدون القصار المتوفى عام 271هـ ثم خلفه محمد بن أحمد الفراء، فعمق بمقولاته أن "كتمان الحسنات أولى من كتمان السيئات"، ونقل عن حمدون القصار قوله: "إذا رأيت سكرانا فتمايل لئلا تتعى عليه فتبتلى بمثل ذلك"<sup>(3)</sup>.

ويبدو أن هذا التأصيل لشروع النفس قد شجع الأتباع على الخروج على الآداب العامة، وصار احتقار الناس لهم مطلبا بحجة أن الإخلاص لا يتحقق إلا إذا سقط العبد من عيون الخلق، فكان منهم من يعمل نهاره في السوق ليوزع ما يجنيه سرا على الفقراء، ثم يسأل الناس طعامه، سعيا وراء التحقير والإهانة<sup>(4)</sup>.

ويذكر الهجويري أنه رأى منهم من هجر الطعام وراح يعيش على النفايات الملقاة والخضراوات المتعفنة، ويجمع الخرق الملقاة على المزابل فيغسلها ويخيط منها مرقعات يسلمونها للقدارة والأوساخ حتى تصبح عشا للحشرات والعقارب، وأنه شاهد في أذربيجان بعض المتصوفة وهم يدورون على بيادر القمح ويتسولون لشيوخهم<sup>(5)</sup>.

---

1 أبو العلا عفيفي، الملامتية والصوفية أهل الفتوة، ص5.

2 أبو العلا عفيفي، م.ن، ص17 . ص18.

3 السلمي، طبقات الصوفية، ص366.

4 السلمي، م.ن، ص126.

5 الهجويري، كشف المحجوب، ص50 . ص66.

وانتشرت الملامتية فيما بعد ومضت قدما في طريقها المغالي، حتى إذا جاء القرن الخامس والقرن السادس آل أمرهم . كما ذكر الهجويري وابن الجوزي والسهورودي . إلى فرقة خرجت على تعاليم الشريعة واستباححت المحرمات وقالت إن المراد خلوص القلب إلى الله . تعالى . أما التقيد بالشرع فهو رتبة القاصرين عن الفهم والمقلدين<sup>(1)</sup>.

#### ب- الحلوليون والخارجون على قواعد الشريعة:

تمثل هذا الاتجاه بطوائف مختلفة، يجمعها الخروج على تعاليم الشريعة، فكان منهم أتباع الحلاج، الذين تداعوا لمناقشة القضايا التي صلب من أجلها، وانتهى بعضهم إلى أن صلبه من مقتضيات التضحية التي يفرضها مقامه، إذ لا معنى لفناء الصفات دون فناء الجسد<sup>(2)</sup>، ومنهم من أنكر موت الحلاج وقال برفعه إلى السماء، وأن الذي صلب هو عدو له ألقى الله عليه شبهه<sup>(3)</sup>.

ولقد ظل أتباع الحلاج هؤلاء يقيمون في بغداد والمناطق المتاخمة لها حتى القرنين الخامس والسادس الهجريين، وكانوا يسمون بالحلاجيين، ويتكلمون عنه في غلو يشبه غلو الشيعة في علي بن أبي طالب<sup>(4)</sup>، ولقد تطورت نظرية الحلول في القرنين الخامس والسادس، فلم يعد الحلول وقفا على فئة العارفين، بل شمل كل شيء جميل، وانطلاقا من هذا فقد أباح الحلوليون النظر إلى المستحسنات باعتبار أنهم ينظرون إلى جمال الله<sup>(5)</sup>. وبرزت طائفة تقول إن الشريعة قيد للفرد في مقام العبودية وهو وهو مقام الجهل بالله، فإذا عرف الصوفي ربه فقد تحلى بالحرية وسقطت عنه التكاليف<sup>(6)</sup>، وإلى جانب جانب هؤلاء وجدت طائفة جاهلة اكتفت من التصوف بالأشكال والمظاهر، كلبس المرقعات وصياغة

- 
- 1 ماجد الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ص 36.
  - 2 الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 8/130.
  - 3 الخطيب البغدادي، م.ن، ص 141.
  - 4 الخطيب البغدادي، م.ن، ص 112.
  - 5 السهورودي، عوارف المعارف، ص 79.
  - 6 السراج، اللمع، ص 531.

الألحان والرقص<sup>(1)</sup>، ووُجِدَت طوائف تخلط الرجال بالنساء؛ وحجتهم أنهم بلغوا مقاما عُصِموا فيه رؤيتهن<sup>(2)</sup>.

### ج- انقسام التصوف السني:

أمام الانحرافات التي أصابت ميدان التصوف برز التصوف السني؛ ليتصدى لهذه التيارات المنحرفة، وليطهر الساحة الصوفية من آثارها، وقد مثل هذا التصدي مدرستان: المدرسة الأولى في نيسابور والثانية في بغداد، أما مدرسة نيسابور فقد قادها أبو نصر السراج المتوفى عام 378هـ وعليه تتلمذ أبو عبد الرحمن السلمي صاحب الطبقات المتوفى عام 412هـ وعلى السلمي تتلمذ عبد الكريم بن هوزان القشيري المتوفى عام 465هـ، وممن اقتفى أثر السراج الهجويري المتوفى عام 465هـ كذلك<sup>(3)</sup>.

ولقد قام نشاط هذه المدرسة على أمرين:

الأول: تدوين التراث الصوفي، وصبّ مفاهيم التصوف في قوالب تقيدها بالشرع وتبعدها عما يفضي بها إلى الحلول والاتحاد<sup>(4)</sup>.

والثاني: إبراز التصوف السني باعتباره عملية تزكية للنفس، تدعم الإيمان والتوحيد، وتنقيه من شوائب الرياء والحظوظ النفسية، وكان من ثمار هذا النشاط تلك المؤلفات التي ما زالت تشكل المصادر الأولى للتصوف السني، والتي جمعت أقوال رجال التصوف الأوائل ومن سبقهم من الزهاد<sup>(5)</sup>، ويمكننا أن نلحق بالمدرسة النيسابورية جهود أبي نعيم الأصبهاني المتوفى عام 430هـ وصاحب المصنف الجامع، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

1 السراج، اللمع، ص19 . ص20.

2 السلمي، طبقات الصوفية، ص484.

3 ماجد الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ص37.

4 القشيري، الرسالة، ص184.

5 ابن تيمية، الفتاوى (كتاب السلوك)، 10/ص678 . ص687.

أما مدرسة بغداد فقد اعتمدت المنبر ومجالس الوعظ، وأبرز مشايخها هو جعفر بن محمد الخدي المتوفى عام 348هـ والذي أصبح مرجعا في علوم التصوف بعد الجنيد، وكان يعكس نفس الاتجاه في التزام الشريعة واجتنب الدعوى الخارجة على الكتاب والسنة<sup>(1)</sup>.

ومع أن التصوف السني قد نجح في مهمته الفكرية واستطاع أن يبلور تصورا متقيدا بالشرع، إلا أنه ظل مصابا بالانقسام ونقصان التنظيم، وبرز هذا النقص بشكل واضح منذ النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، يضاف إلى ذلك أن الاضطراب الاجتماعي الذي أحاط به جعله ينجح إلى العزلة عن الحياة، ويكتفي بالعمل على خلاص الفرد في الآخرة، ولذلك فقد استقل كل شيخ بأتباعه في رباط خاص مما بينه الخلفاء والسلطين والوزراء والمحسنون، في الحضر والريف والبادية، وراح يمارس نوعا من التطبيقات المذهبية كما كان معاصروهم من الفقهاء، وقد قَدَّمَ لنا ابن الجوزي ومن عاصره من المؤرخين أمثلة عديدة لذلك<sup>(2)</sup>.

كذلك قامت الخصومات بين الفقهاء والمتصوفة، إلى جانب الفتن المذهبية، وانتشرت طوائف الجهلة والسطحيين من الصوفية. ويروي الهجويري قصصا من مشاهداته عن كيفية تلقي المريدين لكلام شيوخهم تلقيا حرفيا وتقليديا، وأنهم كانوا يأخذون بظواهر الأمور، كذلك يذكر أن كثيرا من الشيوخ في زمنه أصبح مهمهم جمع المريدين، ويتصدر الأتباع طلبا للجاه<sup>(3)</sup>.

## 2- مخاطر فكر الرفضة الباطنيين:

اهتم الفاطميون بنشر نحلتهم، فجعلوا الأزهر مصدرا لشيوع الفكر الشيعي والباطني، فقامت دراسة منظمة لهذا المذهب، واهتم وزيرهم يعقوب بن كلس "اليهودي الأصل" بنشر مذهبهم أيام وزارته... فرتب جماعة من الفقهاء يتدارسونه، كان يرأس الدعاة نقباء منهم، وجعل على رأس هؤلاء جميعا

1 السلمي، طبقات الصوفية، ص55.

2 ماجد الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ص39.

3 ماجد الكيلاني، م.ن، ص39.

"داعي الدعاة" الذي كان يعتبر صلة الوصل بين الخليفة العبيدي ومعتقي المذهب الإسماعيلي<sup>(1)</sup>. وكان داعيتهم الدرزي هو الذي نشر مذهبهم في بلاد الشام "بوادي التيم" بين العرب، وهم من يعرفون بالدروز، وفي بلاد فارس، كان داعيتهم الحسن بن الصباح قد نشر الإسماعيلية، وأشاع الرعب والقتل بين أهل السنة لمدة ثلاثين عاما لقد نشر الباطنيون مذهبهم بكل شراسة، "فلما استقر الأمر للعبيديين في دمشق أيام المعز الفاطمي أمر قائده جوهرًا عام 358هـ بكتابة سب الشيخين على أبواب الجوامع، واستمر ذلك حتى أيام نور الدين وصلاح الدين فأزيلت<sup>(2)</sup>، كما كان يؤذن بعبارة "حي على خير العمل" في نواحي دمشق، بعد أذان الفجر خلال سيطرتهم عليها<sup>(3)</sup>.

واهتم أمراء المدن باجتناب العلماء والأدباء، فكان مجلس سيف الدولة الحمداني زاخرًا بعلماء اللغة والأدب، وحفل بلاطه بمدائح المتنبي وسيفياته، وكانت من روائع الشعر في القرن الرابع الهجري، كما اشتهرت إمارة طرابلس الشام، أيام بني عمار بتشجيع العلم والأدب، حتى أن مكتبة طرابلس كانت تحوي أكثر من (مائة ألف كتاب) يهتم أكثرها بنشر التشيع في بلاد الشام، وأصبحت طرابلس محط أنظار رجال العلم والأدب<sup>(4)</sup>.

وفي داخل قلعة الموت، شهدت الحركة الإسماعيلية نشاطًا علميًا ملموسًا، وخاصة في عهد إمامهم علاء الدين محمد فقد اهتم بمكتبة القلعة وضاعف محتوياتها من المراجع والمصادر المختلفة في فروع المعرفة الإنسانية، مما أدى إلى اجتذاب كثير من الفلاسفة والعلماء، كما أن أميرها طور مدارس الدعاة، فأقام الندوات، وأجرى المناظرات بين الأتباع<sup>(5)</sup>.

---

1 ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 443/16.

2 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص60.

3 ابن كثير، البداية والنهاية، 267/11.

4 ينظر: الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين، ص83.

5 محمد حامد الناصر، م.س، ص61.

وقد تمخض هذا الاهتمام عن رفع مستوى الدعاة، وانعكس على مدى كفاءتهم في نشر الدعوة الإسماعيلية بين الناس<sup>(1)</sup>، وقد ساعد فكر الرافضة المبتدعة على نشوب الفتن الطائفية، وخاصة في بغداد، كما أدى إلى زيادة الاغتيال لكثير من الفقهاء والعلماء من أهل السنة، على يد الحشاشين الباطنيين<sup>(2)</sup>.

### 3- الحركة العلمية عند أهل السنة (الشافعية والحنابلة):

#### المدرسة الشافعية:

نشأ تيار هذه المدرسة من خلال المدارس النظامية، التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك والتي درس فيها كبار العلماء من أمثال: أبو إسحاق الشيرازي وأبو عبد الله الطبري، وكان من أبرز علمائها الذين عاشوا واقع عصرهم واهتموا بمشكلاته: إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، ويعتبر كتابه "غياث الأمم في التياث الظلم" من أشهر كتب السياسة الشرعية، التي تبحث في مشكلات المسلمين الواقعية، ومن تلامذة الإمام الجويني (أبو حامد الغزالي، والكياء الهراسي) وكان لهما دور عظيم في تربية الأجيال اللاحقة، أو نشر العلوم الشرعية<sup>(3)</sup>.

وقد ألف الغزالي كتابه "إحياء علوم الدين" وفي نيته أن يصلح أحوال المسلمين عن طريق تربية النفوس وإصلاح النوايا والقلوب، وكانت أبحاثه في النفس الإنسانية طيبة، ولها نظرات صائبة، كما أنه عالج في كتابه بعض أمراض المجتمع، وكان لتلك الأبحاث أثر كبير في إصلاح واقع المسلمين آنذاك<sup>(4)</sup> وقد أخذ على الغزالي . في كتابه إحياء علوم الدين . أنه لم يذكر شيئاً عن الجهاد، رغم أنه ألف كتابه إبان الحروب الصليبية، وخلال احتلال الصليبيين لبلاد الشام، لكن الصوفية عموماً لا يركزون على أمر الجهاد في تربيتهم، كما أخذ على كتابه أنه جاء محشواً بالأحاديث الضعيفة

1 محمد عثمان الخشت، حركة الحشاشين، ص124.

2 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص61.

3 محمد حامد الناصر، م.ن، ص64.

4 محمد حامد الناصر، م.ن، ص65.

والموضوعة، وبشطحات الصوفية والقصص غير المعقولة، إضافة إلى كلام الفلاسفة الفاسد<sup>(1)</sup>. ورغم ذلك بقيت للغزالي مكانته عند العلماء، ولقد انتعشت المدرسة الشافعية بأمثال هؤلاء العلماء، ثم ظهر بعدهم شخصيات كبيرة، كان لها دور عظيم في سياسة الدولتين النورية والصلاحية<sup>(2)</sup>.

### المدرسة الحنبلية:

كان لعلماء هذه المدرسة دور مهم في حماية عقيدة السلف التي جدها ودافع عنها وأوذي في سبيلها أحمد بن حنبل . رحمه الله . وكان للحنابلة مدارس عديدة في بغداد ودمشق تخرّج منها عدد من العلماء والوعاظ، ففي دمشق أوقفت أخت صلاح الدين "السيدة ربيعة" المدرسة الصاحبية . بعد منتصف القرن الخامس . على العلماء الحنابلة، كما أنشئ في دمشق أيضا المدرسة الصدرية، كما انتشرت المدارس الحنبلية وكثر عطاؤها<sup>(3)</sup> ما بين القرنين الخامس والسادس، حتى بلغت ثلاث عشرة مدرسة.

وتخرج من مدارس بغداد للحنابلة الشيخ أبو الوفا بن عقيل، والحافظ أبو الفرج ابن الجوزي، ومن أشهر مدارس بغداد آنذاك مدرسة أبي سعيد المخرمي الحنبلي التي تولاها من بعده تلميذه الشيخ عبد القادر الجيلاني وقد تحولت هذه المدرسة إلى مأوى لطلاب العلم يفدون إليها من بلاد الشام لدراسة الفقه الحنبلي في جنباتها، وتخرّج منها علماء كبار منهم: الشيخ عبد الغني المقدسي، وابن قدامة المقدسي، والشيخ العماد. وكان هؤلاء لا يقطعون عن غزوات صلاح الدين إلى بلاد الإفرنج وحضروا معه فتح بيت المقدس<sup>(4)</sup>.

ورغم أهمية تيار المدرستين الشافعية والحنبلية، ورغم جهود علمائهما في الإصلاح، وتهيئة الأجواء لبروز جيل الجهاد، فإن التعصب المذهبي كان طاغيا على أتباع المذاهب الفقهية عموما، مما كان له

1 محمد العبد، أيعيد التاريخ نفسه، ص70 . ص71.

2 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص66.

3 ينظر: النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، 2/29 . 126.

4 ابن كثير، البداية والنهاية، 13/38 . 39.

أثر كبير في البعد عن الاتصال المباشر بالقرآن والسنة، وانعكس تأثير هذا التعصب المذهبي على التعليم ومؤسساته، فتوقف التجديد والابتكار إلى حد ما<sup>(1)</sup>.

أما الحياة الاقتصادية في فترة ما قبل الغزو فقد تمثلت في محورين:

#### 1- الإسراف وغلاء الأسعار وانتشار المجاعات:

إذ أصبح تكديس الأموال عند عليّة القوم أمراً شائعاً، والنهب من أموال الدولة أمراً عادياً. وسأضرب نماذج فقط كدليل على صحة ما نقول، حيث وجد في قصور العاضد آخر خلفاء الفاطميين: "من الحواصل والأمتعة والملابس والمفارش شيء باهر، ومن ذلك سبعمائة يتيمة من الجواهر عدا الزمرد والياقوت، واستمر بيع محتويات القصر نحواً من عشر سنين، وأرسل السلطان صلاح الدين هدايا نفيسة لخليفة بغداد والملك نور الدين محمود، ولم يدخر لنفسه شيئاً مما حصل له من الأموال"<sup>(2)</sup>.

ويصف ابن كثير جانبا من حياة أبي نصر أحمد بن مروان الكردي والي بلاد بكر ومياه فارقين المتوفى سنة 453 هـ فيقول: "ملك هذه البلاد اثنتين وخمسين سنة، وكان عنده خمسمائة سرية سوى من يخدمهن، وعنده خمسمائة خادم، وكان عنده من المغنيات شيء كثير، كل واحدة مشتارها بخمسة آلاف دينار، وكان يحضر مجلسه من آلات اللهو والأواني ما يساوي مائتي ألف دينار"<sup>(3)</sup>. والخليفة الفاطمي بدر الجمالي كان قد خلف ثروة وجدت بعد وفاته منها: "ستمائة ألف دينار عينا، ومائتان وخمسون إردبا دراهم...."<sup>(4)</sup>.

كما كثرت الضرائب على المواطنين، وتفننت الدولة في طرق الابتزاز حتى أن الحجاج كانوا يدفعون من الضرائب للبلد الذي يمرون فيه، كما كان يفعل الفاطميون مع حجاج المغرب في مصر: "ومن

1 ينظر: ماجد الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص 153 . ص 163.

2 ابن كثير، البداية والنهاية، 266/12.

3 ابن كثير، م.ن، 87/12.

4 ابن خلكان، وفيات الأعيان، 160/2 . 162.

عجز عن الأداء حبس، وربما فاتته الوقوف بعرفة، حتى أسقط السلطان صلاح الدين المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة<sup>(1)</sup>.

## 2- اضطراب الأمن وإهمال المصالح العامة:

أصبحت الصفة العامة للحياة الاجتماعية الشغب واضطراب حيل الأمن ولطالما تمرد اللصوص حتى في قلب العاصمة بغداد، ولربما احتلوا بعض أحيائها وكثيرا ما كان العامة يشتبكون بغلمان الخليفة من الأتراك<sup>(2)</sup>، وفي غمرة هذه الفوضى، انصرف المجتمع إلى الانشغال بقضاياهم اليومية الصغيرة "فكانوا كأهل الجاهلية هم أحدهم بطنه وفرجه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا"<sup>(3)</sup>.

وكانت الدولة الفاطمية تقدم الهبات لشيوخ القبائل فإذا انقطعت الأموال شقت القبائل عصا الطاعة، فنتش الغارات المدمرة على مختلف بلدان الشام ومدنها، يضاف إلى ذلك قطع الطرق على قوافل التجار، ونهب أصحابها وكان التركمان يشتركون في مثل هذه الغارات<sup>(4)</sup>.

وقد أهملت شؤون الزراعة والري، فكثرت الفيضانات في دجلة والفرات وأهلكت المرافق العامة، كما أهملت الطرق وشؤون الأمن، ونهبت المحلات التجارية والبيوت من قبل اللصوص<sup>(5)</sup> أضف إلى ذلك غارات الأعراب على الريف ونهب المحاصيل، ونتيجة لكل ذلك كانت المجاعات، رغم كثرة الخيرات وخصوبة الأراضي لو لها حافظا وسلمت من أيدي العابثين<sup>(6)</sup>.

---

1 ابن كثير، البداية والنهاية، 229/12.

2 ابن كثير، م.ن، 99/12.

3 أبي شامة، الروضتين، 7/1.

4 ماجد الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص54.

5 ماجد الكيلاني، م.ن، ص54.

6 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص75.

## المبحث الثاني

### الغزو الصليبي لبلاد المسلمين

#### المطلب الأول: الدوافع:

اختلف في تفسير دوافع الحروب الصليبية، فمنها ما هو مادي مثل طمع الأوروبيين في خيرات الشرق أو ديني بالتعصب ضد المسلمين، وبخاصة أن الأوروبيين بدأوا يرون ضرورتها لضم البلاد التي ظهر فيها المسيح، واعتبروها لذلك بلادا مسيحية، وأن في هذه الحروب تكفيرا للذنوب. ويرى الدكتور عبد المنعم ماجد أن ميزان القوى بين الشرق والغرب قد تغير بضعف المسلمين في الأندلس وضياع سيطرتهم في البحر المتوسط، فكانت الخطوة التالية حرب الفرنجة ضد المسلمين، كمظهر من مظاهر الصراع البشري، إذ هي مقدمة لما عرف في التاريخ الحديث بالمسألة الشرقية<sup>(1)</sup>.

ولعلّ الدوافع الصليبية لتلك الحروب تجسدت في خطاب البابا أوربان الثاني في كليرمونت بقوله: "ولم ينس أوربان أن يذكر مستمعيه بالأرباح المادية والروحية التي سيجنحها الصليبيون، فالذين يموتون في سبيل القضية سينالون المغفرة والخلاص أما مدن "أرض الميعاد" الغنية فتستكون جزءا من يحتلها من الأحياء ولم يشر البابا إلى الفائدة العظيمة التي ستجنحها السدة البابوية من قيادة جيش يسير تحت راية البابا، كما لم يشر إلى الأثر العظيم الذي سيتركه مثل هذا الجيش البابوي في نفوس الأباطرة والملوك ولم يشر البابا إلى النكسات التي نزلت بالكنيسة، وإلى أن الحملة الصليبية ستذكر عاهل الإمبراطورية الرومانية المقدسة بأن خادم خدام الرب "البابا" ما زال قادرا على القيادة وإصدار الأوامر"<sup>(2)</sup>.

1 عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص 131 . ص 132.

2 نقولا زيادة، دراسات إسلامية، ص 102.

## الدافع الديني:

قامت الحروب الصليبية على أرض فلسطين المقدسة، وكان شعار الصليب لكل الحملات مثيرا للحماسة عند الغوغاء وأصحاب الأحقاد، وكانت حركة الإحياء الديني قد ظهرت في غرب أوروبا في القرن العاشر الميلادي، وبلغت أشدها في القرن الحادي عشر، فأدت إلى تقوية مركز البابوية، وإثارة الحماسة الدينية في نفوس الناس، هذه الحماسة استغلتها الكنيسة في متنفس خارجي، وعندما ظهرت فكرة الحرب الصليبية اتخذت الكنائس الغرب الأوروبي ميدانا واسعا لاستغلال نشاطه المكبوت وحماسه المنطلقة<sup>(1)</sup>. وكان ذلك باسم تخليص القدس من أيدي المسلمين، ومن أشهر من تبنى الدعوة إلى الحروب الصليبية هو البابا أوربان الثاني. كما ذكرنا سابقا. الذي يعتبر المسؤول الأول عن الترويج لحرب المسلمين، والتحريض على إرسال الحملة الأولى إلى بلاد الشام<sup>(2)</sup>. وكانت الظروف مهيأة فسارع إلى عقد اجتماع في مدينة كليرمونت في فرنسا، واستمر المؤتمر عشرة أيام حضره أكثر من ثلاثمائة من رجال الكنيسة<sup>(3)</sup>، كما حضره أمراء من مختلف أنحاء أوروبا ومندوبون عن الإمبراطور البيزنطي، وممثلون عن المدن الإيطالية، واستطاع البابا أن يثير بخطابه حماس السامعين فتجاوب في أرجاء المجتمع هتاف بترديد عبارة: "هكذا أراد الله" ويأدر الحاضرون إلى اتخاذ الصليب شارة لهم<sup>(4)</sup>.

كما أن البابا أشار إلى ما أسماه بالخطر الإسلامي المحدق بأوروبا من جهة القسطنطينية، وأعلن أن الناس في المشرق يعانون من ظلم المسلمين، وأن الكنائس والأديرة قد أصابها الدمار، وحثّ الحاضرين على الانتقام من المسلمين<sup>(5)</sup> والحقيقة أن ما أثاره البابا من تعرض نصارى المشرق إلى اضطهاد هو ادعاء باطل لا يتفق وروح الإسلام وطبيعة الدعوة إليه، ومع ما أحاط به النصارى من

1 سعيد عاشور، الحركة الصليبية، 1/ص22 . ص23.

2 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص81.

3 ينظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، 4/14.

4 السيد الباز العريني، الشرق الأدنى، ص13 . ص14

5 ول ديورانت، م.س، 4/16.

رعاية وعناية، ويقرر أكثر من مؤرخ منصف أن النصارى الذين خضعوا لحكم السلاجقة كانوا أسعد حالا من إخوانهم الذين عاشوا في قلب الإمبراطورية البيزنطية ذاتها، وما وجد أي دليل على اضطهاد السلاجقة للنصارى في المشرق<sup>(1)</sup>.

إلا أن صحاحات البابا كانت رعناء محمولة حاقدة، لا تعقل ولا تفكر في العواقب، وإلا فماذا يعني قوله لأتباعه: "ذهبوا وأزعجوا البرابرة، وخلصوا البلاد المقدسة من أيدي الكفار وامتلكوها لأنفسكم فإنها كما تقول التوراة تفيض لبنا وعسلا"<sup>(2)</sup>.

وقد وعد البابا الجموع المشاركة بالحرب برفع العقوبات عن المذنبين منهم وبإعفائهم من الضرائب كما وعدهم برعاية الكنيسة لأسرهم مدة غيابهم<sup>(3)</sup>، ولذلك استجاب كثير من الفرنجة لتلك النداءات، وحملوا الصليبان على أكتافهم وساروا متوجهين نحو المشرق<sup>(4)</sup>. فالحركة الصليبية لها من اسمها والروح التي سادت أحداثها ما يجعل الصفة الدينية تسيطر عليها.

ويؤكد المؤرخ الفرنسي "باركر" ذلك عندما يقول: "ليست إلا نوعا جديدا من الخلاص الذي يؤدي إلى السماء، ولا بد من اجتياز هذه الطريق ابتغاء نيل السعادة، ولأجل غفران الذنوب"<sup>(5)</sup>.

### الدافع الاقتصادي:

يعتبر التطلع إلى خيرات المشرق الإسلامي، من أقوى دوافع الحروب الصليبية بعد الدوافع الدينية، وقد عبر البابا أوربان نفسه في خطابه عن أهمية العامل الاقتصادي بالنسبة لواقع أوروبا آنذاك، فقال: "لا تدعوا شيئا يقعد بكم... ذلك أن الأرض التي تسكنونها الآن والتي تحيط بها البحار وقلل الجبال ضيقة

1 سعيد عاشور، الحركة الصليبية، 1/ص26، ص28.

2 أحمد الشلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، 438/5.

3 عبد الله الريعي، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي، ص26.

4 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص82.

5 باركر أرنست، الحروب الصليبية، ص23.

على سكانها الكثيرين، وتكاد تعجز عن كفايتهم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضا، ويلتهم بعضكم بعضا... إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، بل هي فردوس المباهج<sup>(1)</sup>.

وإن جميع الوثائق تشير إلى سوء الأحوال الاقتصادية في غرب أوروبا في أواخر القرن الحادي عشر، وكانت فرنسا بالذات تعاني من مجاعة شاملة قبيل الحملة الصليبية الأولى، ولذلك كانت نسبة المشاركين منها تفوق نسبة الآخرين، فقد كانت الأزمة طاحنة، حيث ألجأت الناس إلى أكل الحشائش والأعشاب، وبذلك جاءت هذه الحرب لتفتح أمام أولئك الجائعين بابا جديدا للخلاص من أوضاعهم الصعبة<sup>(2)</sup>. وهذا ما يفسر أعمال السلب والنهب للحملة الأولى ضد الشعوب النصرانية التي مروا في أراضيها<sup>(3)</sup>، وكانت جمهوريات إيطاليا (جنوا . بيزا . البندقية) تجري وراء مصالحها الاقتصادية الخاصة عندما ساهمت أساطيلها في تلك الحروب، مقابل معاهدات عقدتها مع أمراء الصليبيين بالشرق حصلت بمقتضاها على امتيازات اقتصادية هامة<sup>(4)</sup>.

### الدافع الاجتماعي:

كان المجتمع الأوروبي . في العصور الوسطى . يتكون من ثلاث طبقات: طبقة رجال الدين، وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان، وطبقة الفلاحين من الأقنان ورقيق الأرض، وكانت طبقة الفلاحين الأكثرية المغلوبة على أمرها، والتي كان أفرادها يكدحون، ليسدوا حاجة الطبقتين الأوليين، حيث كان الفلاح الأوروبي مغلوبا على أمره، وكان مطالبا بالتزامات عديدة لأصحاب الإقطاع، وكان البابا على دراية بأحوال الفلاحين الكادحين، فوعدهم بإلغاء التزاماتهم نحو أسيادهم وأغراهم بخيرات الشرق الإسلامي، وكان آلاف الفلاحين يعيشون عيشة منحطة في نظام الإقطاع؛ وقد شيّدوا لأنفسهم أكواخا من جذوع الأشجار وفروعها، وغطيت سقوفها بالطين والقش، دون أن يكون لها نوافذ، ما لسكانها من

1 عبد الله الربيعي، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي، ص34.

2 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص83.

3 سعيد عاشور، الحركة الصليبية، 1/ص30 . ص32.

4 سعيد عاشور، م.ن، 1/ص30 . ص32.

أثاث، فقد كان كل ما يجمعه الفلاح يعتبر ملكا خاصا للسيد الإقطاعي<sup>(1)</sup>. لذلك وجد الآلاف من البؤساء في الغرب الأوروبي فرصتهم للتخلص مما يعانونه، عسى أن ينتهوا من ذل العيش ونكد الدنيا وقيود الكنيسة<sup>(2)</sup>، لقد عرفت الكنيسة كيف تلعب بعقول هؤلاء، وتوغر صدورهم على الإسلام وأهله؛ بأنهم سيحررون بيت المقدس والقبر المقدس، يباركهم الرب والبابا، لذلك، لم يردعهم رادع عن الذبح والقتل، بل كان قتل المسلم . في نظرهم . مرضاة ينال عليها الصليبي ثوابا يوم الدينونة<sup>(3)</sup>.

### الدافع السياسي:

إن معظم ملوك أوروبا خرجوا من بلادهم تحت ضغط البابوية، وتحت تهديدهم بالحرمان والطرده من الكنيسة، فلا يستطيع الملك منهم أن يحتفظ بعرشه أو بولاء شعبه، وهذا ما تعرض له إمبراطور ألمانيا فريدريك الثاني الذي صدر بحقه حرمان من الكنيسة، فاضطر إلى التوجه نحو المشرق على رأس فئة قليلة من رجاله<sup>(4)</sup>.

أما الأمراء والنبلاء، فقد أدت بهم أطماعهم للمساهمة في تلك الحملات لامتلاك إقطاعات كبيرة تعوضهم عما فقدوه أو حرموا منه في بلادهم، والمعروف أن الأخ الأكبر عندهم هو الذي يرث الإقطاع دون غيره<sup>(5)</sup>، وكان الفرسان يرون في الحروب الصليبية إشباعا عندهم لروح القتال والمغامرة.

والحقيقة التي لا مرية فيها، أن الحروب الصليبية لم تكن وليدة هذا العامل أو ذلك فقط، وإنما كانت وليدة كل تلك العوامل السابقة مجتمعة، وواضح للعيان أن الكنيسة الغربية، كانت محمومة لتوسيع رقعتها الإقطاعية، والسيطرة على الكنائس الشرقية، إضافة إلى رغبتها في حرب المسلمين.

- 
- 1 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص84.
  - 2 سعيد عاشور، الحركة الصليبية، 1/ص33 . ص34.
  - 3 عبد الله الريعي، أثر الشرق الإسلامي، ص138.
  - 4 ينظر: المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، 1/230.
  - 5 سعيد عاشور، م.س، 1/ص35 . ص36.

ونختم هذا الموضوع بشهادة "غوستاف لوبون" حول طبيعة الحروب الصليبية إذ يقول: "لم تكن الحروب الصليبية سوى نزاع عظيم بين أقوام من الهمج، وبين حضارة تعدّ من أرقى الحضارات التي عرفها التاريخ"<sup>(1)</sup>.

## المبحث الثالث

### الإعداد والانطلاق لتحرير بيت المقدس

#### المطلب الأول: مظاهر الإعداد للتحرير في دولتي آل زنكي والأيوبي:

لكون الإنسان المسلم هو الدعامة الرئيسية التي يقوم عليها بناء الأمة المسلمة؛ من أجل ذلك تم تبني خطة شاملة لإعداد الشعب إعدادا إسلاميا لتحرير بيت المقدس والتي أقصد بها مدينة القدس التي تضم بين جنباتها المسجد الأقصى المبارك، ومن أجل ذلك تم تبني خطة شاملة لتحقيق هذه الغاية، حيث اشتملت الخطة على ما يلي:

#### 1- بناء دولة العقيدة والعدل:

اهتم السلطان نور الدين بتطبيق الشرع في سائر أمور الدولة، ونفذ العدل وقضى على المظالم، ولذلك لقب بالملك العادل والملك الصالح، وكان يشرف بنفسه لتحقيق الأحكام ورفع المظالم، معتمدا خلال ذلك على القضاة والفقهاء. قال ابن كثير: "كان يقوم في أحكامه بالمعاملة الحسنة واتباع الشرع المطهر، ويعقد مجالس العدل ويتولاها بنفسه، ويجتمع إليه في ذلك القاضي والفقهاء والمفتون من سائر المذاهب، ويجلس يوم الثلاثاء بالمسجد المعلق في دمشق"<sup>(2)</sup>.

1 غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص 347.

1 ابن كثير، البداية والنهاية، 12/278.

وكان عماد الدين زنكي والد نور الدين عادلا في سياسته يعاقب بأشد العقوبات، إذا ظلم أمراؤه حيث كان شديد الهيبة على عسكريه ورعيته، عظيم السياسة، لا يقدر القوي على ظلم الضعيف، وكانت البلاد قبل أن يملكها خرابا من الظلم فعمرها وامتألت أهلا وسكانا<sup>(1)</sup>.

وكانت دولة نور الدين دولة الفقهاء والقضاة، فعندما تملك نور الدين الموصل، أمر قائد شرطتها ألا يعمل شيئا إلا بأمر الشرع الذي يأمر به القاضي، وكان رجال الشرطة يعملون بأعراف السياسة ثم أمر الملك العادل بإبطال الشنكية . أي قيادة الشرطة . ونقل اختصاصها إلى القضاء، وطلب من القضاة أن يقفوا عند حدود الشرع لا يتعدونها<sup>(2)</sup>.

كما أن الأمر لم يتوقف على ما سبق ذكره، بل تم استكمال هذه السياسة ببناء دار العدل في دمشق، ثم رفع المكوس عن الناس، ودار العدل تشبه محكمة الاستئناف العليا، إذ كان يرفع إليها القضايا التي يعجز عنها القضاة العاديون، وكان سبب إنشاء تلك الدار أن أمراء وقادة الجيش ربما اعتدوا على من يجاورهم<sup>(3)</sup>، كما أنها حاربت البدعة، فقد كان يعاقب المبتدعة بأشد العقوبات: "قيل إن رجلا أظهر شيئا من التشبيه، فأركب على حماره وأمر بصفعه وطيف به في البلد ونفي إلى حران"<sup>(4)</sup>.

كما أن الدولة النورية وبخاصة في زمن نور الدين . لم تترك في أي بلد من بلاده ضريبة ولا مكسا ولا عسرا إلا وأطلقها جميعها في بلاد الشام والجزيرة وديار مصر وغيرها مما كانت تحت حكمه، فقد كان المكس في مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة وأربعون دينارا، وهذا إلغاء للمكوس لم تتسع له نفس غيره<sup>(5)</sup>، ومن أعظم الإنجازات التي تحسب لدولتي آل زنكي والأيوبي إسقاط الخلافة الفاطمية، حيث

---

1 عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، ص 271.

2 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص 324.

3 محمد حامد الناصر، م.ن، ص 326.

3 أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 1/ 24 .

4 أبو شامة، م.ن، 1/ 7.

كان الفضل الأكبر يعود للحملات المتوالية، التي أرسلها نور الدين، حتى خلع المسلمين من شرورها، وأعلن تبعيتها للخلافة العباسية السنية<sup>(1)</sup>.

كما أن صلاح الدين قام بتطهير وزارته من بقايا العبيديين، فأخرجهم من الوظائف والجيش، ثم أزال آثارهم؛ فنزع المناطق المفضضة التي كانت بمحاربيب جوامع القاهرة، والتي كانت تحمل أسماء الخلفاء العبيديين<sup>(2)</sup>، وبالإضافة إلى دور صلاح الدين في القضاء على الدعوة الإسماعيلية في مصر فقد عزل قضاتهم من الشيعة الإسماعيلية وقطع رواتبهم ثم شرد دعائهم وألغى مجالسهم<sup>(3)</sup>.

## 2- إحياء روح الجهاد في الأمة:

وذلك من خلال الإعداد الروحي والنفسي للجهاد الذي يسبق الإعداد العسكري عادة، حيث ساهم العلماء والصلحاء في هذا الإعداد، فكان جو المجاهدين مشبعا بآيات ترتل، وكانوا يعلمون أن التولي يوم الزحف من الكبائر، بينما أعد الله للشهداء الأبرار جنات النعيم.

لقد اهتمت الدولة النورية ومن بعدها الدولة الأيوبية بأمر الجهاد، حيث كان صلاح الدين يركز على تقوية الروح المعنوية والدينية عند أفراد جيشه، بما يثبتهم في القتال، ويدفعهم إلى الجهاد ضد عدوهم؛ ففي ميدان القتال كان صلاح الدين الأيوبي يمشي وبين يديه جماعة من العلماء والقراء يرتلون على الجيش القرآن الكريم، ويحذرونهم من الفرار، ويذكرونهم بما أعد الله -تعالى- من ثواب للشهادة في الجنة<sup>(4)</sup>، كما اتخذ المسلمون التهليل والتكبير سلاحا لتقوية الروح المعنوية عند المجاهدين، مُبَيِّنِينَ لهم أن من حضر الصف من أهل الجهاد، وقد حاصر العدو بلدة مسلمة، تعين عليه الجهاد، ولا

1 سعيد عاشور، مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك، ص13.

2 المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، 1/43 . 48.

3 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص332.

4 محمد حامد الناصر، م.ن، ص346.

يجوز لمسلم الفرار من ميدان القتال إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة<sup>(1)</sup>، وكانت تقام صلاة الجماعة في الجيوش أيام آل زنكي وبنى أيوب.

ولم يتوقف الأمر على الإعداد الروحي فقط، بل تم الإعداد للتجهيز العسكري من خلال ما قام به عماد الدين من بناء القلاع والحصون، لأن عماد الدفاع في ذلك العصر كان يعتمد على القلاع والحصون، وقد اجتهد نور الدين في هذه الناحية اجتهادا يسترعي النظر، فبنى الأسوار حول مدن الشام كلها<sup>(2)</sup> وأقام على أركان الأسوار الأبراج العالية التي لا ترام، حيث تم إنفاق الأموال الطائلة في سبيل ذلك.

وصلاح الدين لم يختلف عن عماد الدين ونور الدين زنكي في الاهتمام ببناء القلاع والحصون، كما أمر بتحسين المدن والثغور في مصر والشام، وأكثر من بناء هذه الحصون في المواقع الحربية الهامة، لتكون مركزا لعملياته ضد الصليبيين. وفي عام (583هـ) قام صلاح الدين بتجديد أسوار مدينة عكا، وأشرف على تعلية أسوارها وأبراجها وعمارة قصورها ودورها<sup>(3)</sup> وفي عام (588هـ) قام بتحسين أسوار مدينة القدس، وقسم العمل في أسوارها بين أولاده وأمرائه<sup>(4)</sup>، كما اهتم صلاح الدين بإنشاء أسطول بحري، صارت له مكانة في التاريخ البحري آنذاك، حيث أنفق عليه أموالا طائلة، فرفع رواتب البحارة، وعقد معاهدات تجارية مع الجمهوريات الإيطالية، حصل بمقتضاها على حاجته من الحديد والخشب والشمع من أجل بناء السفن<sup>(5)</sup>.

### 3- نشر العلم الشرعي:

1 ينظر: فايد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص19.

2 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص348.

3 أبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 2/125.

4 ابن كثير، البداية والنهاية، 12/347.

5 محمد حامد الناصر، م.س، ص351.

فقد كانت الدولة الزنكية . وبخاصة في زمن نور الدين . تعتقد بأن المدارس والمساجد هي قاعدة الدين، فمضى ينشئها في كل بلد يدخل تحت سلطانه، حتى بلغت تلك المدارس والمساجد المئات، وكان . رحمه الله . إذا أنشأ مدرسة أوسع النفقة في بنائها، واجتهد في اختبار شيوخها، وأوقف عليها الأوقاف الواسعة<sup>(1)</sup>، وكانت المدارس في عهد نور الدين تهتم بأصول الدين أولاً، وخاصة القرآن الكريم والحديث الشريف، حيث تم فتح دار للحديث أسماها دار الحديث النورية، وكانت أول دار بنيت للحديث، وخصّص لها الأوقاف الكثيرة وتولى مشيختها الحافظ ابن عساكر، واستمر عطائها حتى منتصف القرن الثامن، ثم كثرت المدارس الخاصة بتعليم القرآن والحديث في دمشق وأنحاء البلاد<sup>(2)</sup>.

وقد أوجز نور الدين سياسته التعليمية وهدفه من إنشاء هذه المدارس بقوله: "ما أردنا ببناء هذه المدارس إلا نشر العلم، ودحض البدع من هذه البلدة، وإظهار الدين"، ولقد كان نشاط هذه المدارس عقدياً، استهدف إعادة صياغة الأمة المسلمة بما يتفق وأهداف الإسلام، ومقومات الإصلاح والتجديد، وكانت المؤسسات العلمية والمساجد منابع لتجفيف التعاليم الإسماعيلية والأفكار الفلسفية، التي سيطرت على أفكار الناس فترة من الزمن<sup>(3)</sup>، وكانت تلك المدارس أشبه بالجامعات ومعاهد التعليم العالي، فلكل مدرسة مذهبها الفقهي وكبار المشايخ الذين يشرفون عليها، أو يدرسون فيها<sup>(4)</sup>.

أما صلاح الدين فقد حول الأزهر إلى جامعة سنية، وأكمل مسيرة الملك الصالح نور الدين، فأنشأ دور القرآن والحديث في أنحاء البلاد، ثم عين لها المدرسين، فاستقبلت الكثير من طلاب العلم، وأجرى رواتب شهرية للجميع، كما أوقف عليها الأوقاف الخيرية للصرف عليها<sup>(5)</sup>، ومن محاسنه وفضائله أنه أبطل المذهب الشيعي الرافضي في مصر، وأقام بها مذهب الإمامين الجليلين مالك والشافعي، . رحمهما الله . وأنشأ العديد من المدارس لهذا الغرض.

1 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 125/9.

2 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص358.

3 محمد حامد الناصر، م.ن، ص360.

4 ينظر: ماجد الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص215 . ص216.

5 ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ص54 . ص55.

#### 4-البناء التجاري :

اتبعت الدولة الزنكية سياسة انطوت على الرعاية الكاملة للتجارة الداخلية ، وكذلك الخارجية واستطاعت التحكم في طرق التجارة في إقليم الجزيرة ، وخاصة بعد استرداد الرها جعلها تتحكم في طرق التجارة التي تربط بين العراق و آسيا الصغرى من ناحية ، وبلاد الشام من ناحية ثانية، كما أن سيطرة نور الدين بعد ذلك على الأراضي المصرية وضمها لمشروع الجبهة الإسلامية المتحدة بعد القضاء على الدولة الفاطمية في القاهرة سنة 567هـ مكنه من الاتصال بتجارة الهند والشرق<sup>1</sup>.

وقد تاجرت الدولة الزنكية مع العديد من الكيانات السياسية في عالم البحر المتوسط ،فهناك الإمبراطورية البيزنطية والقوى التجارية الإيطالية ، وتمكن الإيطاليون على نحو خاص من زيادة حجم تجارتهم مع بلاد الشام والجزيرة ، وأقام قناصلهم في المدن الشامية حيث حرصوا على رعاية مصالح بلادهم الاقتصادية ،كما ان الدولة الزنكية اهتمت بالحركة التجارية وإقامة العديد من المؤسسات التجارية ، كذلك شجعت التجار اليهود على المشاركة في النهضة التجارية التي شهدتها البلاد.

#### 5-الخدمات الاجتماعية :

شهدت الدولة الزنكية جملة خدمات اجتماعية شملت الكثير من القطاعات وتطلبت الكثير من النفقات :فزيدت الأوقاف ووسعت الصدقات ، ووفرت النفقات ،حيث كان نور الدين جادا إلى تغطية حاجات أمته بفئاتها الفقيرة المحتاجة ، ملابس و نفقة وإشباعا إكساء الأيتام والنسوة وتزويج الأرملة وإغناء الفقراء وختان الأطفال<sup>2</sup> ، وقد تحقق في عهد نور الدين ظهور مجتمع العدل والتضامن والتكافل والمواساة في الحاجات الأساسية ، إن المسألة ليست مسألة دولة تعطي وتضمن وتخدم فحسب ، ولكنه (المجتمع) الذي تسعى هذه الدولة إلى تشكيله ، المجتمع الذي يحى فيه الاستغلال ،وتضييق الفوارق ويشترك الجميع بالحق والعدل فيما يمكنهم من إشباع حاجاتهم الأساسية ،لكي يقدر الجميع على التحرك إلى ما وراء ذلك الآفاق الواسعة الرحبية التي جاء بها الإسلام لكي يقوم الناس إليها ،لقد تحقق التعاون الفعال بين القيادة والقواعد .

1 علي الصلابي ،الدولة الزنكية ،ص282

2 عماد الدين خليل ،نور الدين محمود،ص117

## المطلب الثاني: الانطلاق لتحرير بيت المقدس:

يعتبر عماد الدين زنكي واضع أساس حركة الجهاد ضد الصليبيين، فقد دعا إلى توحيد المسلمين، وإلى نبذ ما بينهم من منازعات، ثم حشد الجهود لقتال الصليبيين، وسار على نهجه ابنه نور الدين، ثم صلاح الدين<sup>(1)</sup>.

شهدت منطقة الموصل والجزيرة وشمال الشام في هذه الفترة عددا كبيرا من المدن المنقرقة، التي استأثر بحكم كل منها أمير شبه مستقل، وبدأ زنكي محاولاته لتوحيد المنطقة بضم هذه المدن إلى ولاية الموصل، فبدأ بحصار جزيرة ابن عمر فاستسلمت المدينة، وفق الشروط التي وضعها عماد الدين، ودخلها على رأس قواته عام (521هـ)<sup>(2)</sup>.

أما مدينة حلب فقد سار إليها من الموصل عام (522هـ) واستولى في طريقه على مدينتي منبج وبيزاعة، وعندما وصل إلى مشارف حلب خرجت إليه جموع أهلها لاستقباله، فدخل القلعة، وبدأ بتنظيم أمور المدينة<sup>(3)</sup>، وفي عام (523هـ) استولى زنكي على مدن سنجار والخابور وحران ومدينة أربيل<sup>(4)</sup>، واستمر عماد الدين يفتح المدن دون مقاومة تذكر، ومنها مدينة الرقة عام (529هـ) والحديثة وعانة عام (536هـ)<sup>(5)</sup>.

أما ديار بكر فقد جمعها ليكمل مشروعه الوحدوي، ليحقق انتصارات حاسمة ضد الصليبيين، حيث هاجمها عام (523هـ) بعد أشهر من دخوله حلب، فسقطت نصيبين بيده، وكان يحكمها الأراقة، واحتل عددا من ممتلكاتهم بعد ذلك، ومنها حصون كثيرة ليستفيد من المقاتلين التركمان خلال حربه ضد الفرنجة<sup>(6)</sup>.

- 
- 1 السيد الباز العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى (الأيوبيين)، ص5.
  - 2 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/324-325.
  - 3 ابن الأثير، م.ن، 8/326.
  - 4 ابن الأثير، م.ن، 8/364.
  - 5 ينظر: ابن الأثير، م.ن، 8/364.
  - 6 ينظر: ابن الأثير، م.ن، 8/325 . ص331.

كانت تلك الفتوحات وتوحيد المدن الطريق الذي سانه عماد الدين لفتح بيت المقدس، حيث سار في طريق موازٍ له وهو قتال الصليبيين، فقرر زكي البدء بهجوم على مواقع الصليبيين الأشد قرباً وخطراً على كيانه السياسي حلب، فسار إلى حصن الأتاب وفتحه وقتل وأسر كل من وجد فيه، وبعد ذلك سار إلى قلعة حارم فحاصرها، وبذل له الفرنج نصف دخل المدينة وهدانوه فأجابهم إلى ذلك<sup>(1)</sup>.

وبعد ما توجه عماد الدين نحو قلعة بعين (بارين) عام (531هـ) قرب حماة، وهي أمنع الحصون أحصنها عند الفرنج، وكانت جيوشهم قد تقدمت نحو بعين لصدده عنها بقيادة ملك بيت المقدس (فولك) وريموند الثاني (أمير طرابلس) ومعهم جيوش كثيفة، فقاتلهم زكي وجيشه فهزمهم، واحتوى ملوك الفرنجة في حصن بعين، فحاصروهم زكي وجيشه حتى أذعنوا له بتسليم الحصن<sup>(2)</sup> وكان زكي خلال حصاره لهم قد فتح معرة النعمان وكفر طاب، فأمن الناس وعمرت البلاد<sup>(3)</sup>.

لكن ما يعتبر من أعظم إنجازات عماد الدين زكي هو فتح مدينة الرها، لكونها قاعدة لإحدى إماراتهم الأربع، ولقربها من العراق ولقوة تحصيناتها، وما كانت تسببه للمناطق الإسلامية المجاورة من أخطار<sup>(4)</sup>، حيث أسرع زكي إليها بجيشه، حيث حاول في بداية الأمر تحقيق هدفه بالطرق السلمية، لكن أهل المدينة أبوا قبول ذلك، فحاصرها وشدد عليها فسقطت المدينة في 26 من جمادى الآخرة لعام 539 هـ<sup>(5)</sup>. لكن مسيرة الفتوحات لعماد الدين توقفت؛ بسبب اغتياله من قبل أحد خدمه وهو نائم أثناء حصاره لقلعة جعبر أو دوسر الواقعة على نهر الفرات قرب مدينة الرقة<sup>(6)</sup>.

استمر نور الدين في سياسة والده في محاربة الصليبيين وقتالهم، حيث تأمر نصارى الرها مع أميرها السابق جوسلين الثاني وفتحوا له المدينة، فأجرى الفرنجة مذبحاً في الحامية التركية، فسار إليهم نور

1 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 331/8.

2 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص173.

3 ابن الأثير، م.س، 8/9.

4 ابن الأثير، م.ن، 8/9.

5 سعيد عاشور، الحركة الصليبية، 473/1.

6 محمد حامد الناصر، م.س، ص175.

الدين بجيشه، فوقع الفرنجة في حصار محكم، فالسلاجقة داخل القلعة محتمين فيها ونور الدين يحاصرهم من الخارج، وتمكن جوسلين من الهرب مع بعض فرسانه لكن فرسان الإسلام تعقبوهم وقتلوا معظمهم، أما نصارى الرها فقد تم قتل معظمهم وسبق النساء والأطفال أسرى وعبدا إلى حلب<sup>(1)</sup>.

في عام (548هـ) سار نور الدين إلى دمشق لفتحها؛ بسبب سياسة حكامها المضطربة والمتلونة التي تقدم المصلحة الخاصة على مصالح المسلمين، حيث كان حكامها لا يتورعون عن مهادنة الصليبيين ومحالفتهم ضد قوات نور الدين . رحمه الله .<sup>(2)</sup>، فاستسلمت حامية المدينة بعد ثورة الأحداث داخلها وفتحوا الباب الشرقي، فدخلها نور الدين وجيشه دون قتال<sup>(3)</sup>.

في عام (559هـ) سار نور الدين وجيشه نحو مدينة بانياس فحاصرها وفتحها، حيث كان معه أخوه نصره الدين حيث فقد إحدى عينيه<sup>(4)</sup>.

أما مصر فلم تغب عن بال وذهن نور الدين، حيث أرسل إليها ثلاث حملات، استطاع في الحملة الثالثة فتح مصر، وكان قد تولى هذه الحملة أسد الدين شيركوه، وقد تولى الوزارة هناك، لكن وزارته لم تطل حيث توفي في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة (564هـ)، وخلفه فيها ابن أخيه صلاح الدين<sup>(5)</sup>.

وهنا تجب الإشارة إلى أن صلاح الدين . وخلال توليه للوزارة . تمكن من إلغاء الدولة العبيدية في مصر، حيث تعتبر هذه من أعظم المهام التي أنجزها، بالإضافة إلى القضاء على المذهب الإسماعيلي هناك، حيث بدأ صلاح الدين بإضعاف الدعوة الإسماعيلية على مراحل، وكان . رحمه الله

---

1 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 14/9.

2 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص187.

3 ابن الأثير، م.س، 46/9.

4 محمد حامد الناصر، م.س، ص191.

5 محمد حامد الناصر، م.ن، ص204.

. يغتتم كل فرصة لتصفية مراكزهم ثم توفي نور الدين في يوم الأربعاء في 11 من شوال عام 569هـ ودفن في قلعة دمشق ثم نقل إلى المدرسة التي أنشأها قرب المسجد الأموي<sup>(1)</sup>.

بعد أن اطمأن صلاح الدين إلى قوة نفوذه في مصر وما والاها من اليمن وبقية، توجه نحو بلاد الشام بعد وفاة نور الدين للقضاء على عوامل الفرقة التي بدأت تظهر بين كبار الأمراء النورية، وكان قد غادر مصر كبار القادة في جيش نور الدين ممن لم تعجبهم سياسة صلاح الدين، ولعلمهم هم الذين أثاروا نور الدين ضده<sup>(2)</sup>.

خرج صلاح الدين من مصر على رأس سبعمئة فارس، فوصل دمشق التي فتحت له أبوابها، وخرج كل من كان فيها من العسكر، فلقوه وخدموه، ودخل البلد ونزل في دار والده، ثم تسلم القلعة والمدينة في ربيع الآخرة سنة (570هـ)، لقد كان واضحا أن خروج السلطان صلاح الدين إلى الشام لم يكن لمجرد الرغبة في تحقيق أطماع ومكاسب شخصية، وإنما ظهر الاتجاه واضحا في سياسته نحو إعادة تحقيق الوحدة الإسلامية والقضاء على عوامل الفرقة التي ظهرت في الدولة النورية، بقصد مواجهة الصليبيين صفا واحدا مترامسا<sup>(3)</sup>.

ثم حصلت تطورات في الموصل وحلب، إذ توفي أمير الموصل سيف الدين غازي بن مودود عام (576هـ) وعمره ثلاثون سنة، فاستلم أخوه عز الدين مسعود، وكان يتميز بالشجاعة والعقل وقوة النفس، ثم توفي الملك الصالح إسماعيل صاحب حلب في رجب من عام (577هـ)، وعمره تسع عشرة سنة، فأوصى لابن عمه عز الدين مسعود أيضا، فتسلم عز الدين إمارة حلب وضمها إلى الموصل<sup>(4)</sup>.

---

1 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص216

2 أبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، 440/1 .

3 ابن واصل، مفرج الكرب، 2/18.

4 محمد حامد الناصر، م.س، ص226.

وعندما عرض عليه أنصاره مهاجمة دمشق قال: "بيننا وبين القوم يمين فلا نغدر"، ثم سلّم حلب لأخيه عماد الدين واستلم بدلا منها سنجار<sup>(1)</sup>.

ثم دخل أمراء الجزيرة في طاعة السلطان صلاح الدين، فضم إليه الرها وحران والرقّة ونصيبين وغيرها وذلك عام (578هـ)<sup>(2)</sup>، ثم طلب صاحب حلب عماد الدين الثاني الصلح من السلطان مقابل إعطائه سنجار فأجابته إلى ذلك وزاده الخابور ونصيبين والرقّة وسروج، وبذلك طيب السلطان خاطره، وسيطر على إمارة حلب كلها<sup>(3)</sup>.

إن استيلاء صلاح الدين على إمارة حلب كان ضربة خطيرة وجهت إلى الصليبيين، حتى أن المؤرخ الصليبي "وليم الصوري" اعتبر أن ذلك كان أسوأ حدث للفرنجة إذ أصبحت الجبهة الإسلامية المتحدة، تمتد بزعامة صلاح الدين، من جبال طوروس شمالا حتى النوبة جنوبا<sup>(4)</sup>.

هاجم صلاح الدين شاطئ فلسطين الجنوبي بحركة خاطفة فحاصر عسقلان وهاجم غزة والدارون في عام (573هـ) وألحق بالفرنجة هزيمة منكرة، وبينما كان ملك بيت المقدس وجيشه محاصرين في عسقلان، انشغل كثير من المجاهدين بجمع الغنائم، وانساحوا في فلسطين، تمكن الفرنجة من اختراق الحصار وهاجموا المسلمين قرب الرملة وأوقعوا بهم الهزيمة فعاد على إثرها الجيش نحو مصر وتاهوا في الطريق ليلا، وأسر بعض فضلائهم كالفقيه عيسى الهكاري وغيره<sup>(5)</sup>.

وقويت شوكة الفرنجة بعد الهزيمة التي وقعت للمسلمين في الرملة، فهاجموا حماة وشيزر وبدؤوا في بناء القلاع والحصون أيام بلدوين الرابع، ومن أشهرها قلعة بيت الأحزان على جسر بنات يعقوب، وحصن بني على جبل هونين في مواجهة بانياس، وبذلك تشكل لديهم خط دفاعي لحماية مملكة بيت

---

1 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/ص150، ص153 . ص154.

2 ابن كثير، البداية والنهاية، 12/311.

3 أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، 2/ص31 . ص34.

4 سعيد عاشور، الحركة الصليبية، 2/613.

5 ابن الأثير، م.س، 9/ص141 . ص142.

المقدس من ناحية دمشق<sup>(1)</sup>، ولم يلبث صلاح الدين أن شرع في حصار بيت الأحزان، وعسكر بجيشه عند تل القاضي غربي بانياس. ثم اصطدم بقوات العدو قرب تل القاضي، ودارت معركة قوية، انتصر فيها صلاح الدين انتصارا حاسما، فأسر كثيرا من أعيان الصليبيين، ولم ينج ملكهم نفسه إلا بصعوبة كبيرة عام (575هـ)<sup>(2)</sup>.

وهنا لا ننسى معركة حطين عام (583هـ)<sup>(3)</sup> حيث تعتبر هذه المعركة من أشهر المعارك الفاصلة مع الفرنجة فقد قصم ظهر الغزاة، وذلّت غطرستهم، وأهان ملوكهم بعدها، وانقلبت موازين القوى في المنطقة ولا شيء يعيد للمسلمين عزتهم مثل الجهاد في سبيل الله، حيث وقعت هذه المعركة في سهل صفورية قرب عكا.

أصبحت بلاد الشام بعد موقعة حطين تحت سيطرة صلاح الدين فشرع يفتح البلاد والمدن واحدة بعد الأخرى، فحرر معظم مدن الساحل في مدة وجيزة لا تزيد عن الشهرين، كان السلطان صلاح الدين قد أرسل إلى مصر طالبا الأسطول، فخرج وعلى مقدمته حسام الدين لؤلؤ الحاجب، فأقام هو وعساكره في البحر يقطعون الطريق على مراكب الفرنج<sup>(4)</sup>.

خلخت موقعة حطين الوضع الديمغرافي للمدينة بحيث أصبحت نسبة السكان فيها (50) امرأة وطفل مقابل كل رجل، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن قدرة المدينة الدفاعية ضعيفة جدا، كان هذا عندما غدت الطريق مفتوحة أمام صلاح الدين فسار إليها بجيشه، فبلغها في (15) رجب سنة (583هـ) إلا أنه لم يشأ أن يفتحها عنوة وبالقوة ففاوض حاميتها على التسليم، متعهدا باحترام الأماكن المقدسة وشعائر الديانة المسيحية ومشاعر المسيحيين، وكتب لهم في ذلك كتابا جاء فيه: "إنني أنا نظيركم أيضا، وأعرف أن القدس هي بيت الله، ولست آتيا لكي أؤنس قدسيها بسفك الدماء فعليكم أن

1 سعيد عاشور، الحركة الصليبية، 2/ص 597 . ص 598.

2 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص 229.

3 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/175.

4 ابن الأثير، م.ن، 9/182.

تدعوها...<sup>(1)</sup>، إلا أنهم رفضوا الدعوة إلى السلم، وأبوا إلا المقاومة والقتال، وهنا أقسم صلاح الدين على أخذ بيت المقدس بحدّ السيف ومع ذلك تصرف مع من بداخل المدينة من الصليبيين تصرفاً كريماً، ولكنهم أصروا على موقفهم، وعندئذ قرر صلاح الدين ألا يبرح حتى يبر بقسمه ويرفع بأعلاه علمه<sup>(2)</sup>.

وظاف السلطان بمدينة القدس عدّة أيام دارساً ومتفحصاً، ثم اتخذ جبل الزيتون مركزاً لجنده، لأنه وجد أسوار المدينة في هذه الناحية أضعف منها في أية ناحية أخرى، ثم نصب المنجانيق وضافها بالزحف والقتال، وكان فرسان الفرنجة يخرجون كل يوم إلى ظاهر البلد يقاتلون مستبسلين ثم يعودون.

يقول ابن الأثير: "ونصب الفرنج على سور البلد منجانيق ورموا بها، وقوتلوا أشد القتال، رآه أحد كل واحد من الفريقين يرى ذلك ديناً، وحتماً واجبا فلا يخرج فيه إلى باعث سلطاني بل كانوا يمنعون ولا يمتنعون ويزجرون ولا ينزجرون"<sup>(3)</sup>.

وفي هذه الفترة التي تصاعد فيها القتال إلى أشده، استشهد من بين المسلمين أحد كبار مجاهديهم واسمه عز الدين عيسى بن مالك، فلما رأى المسلمون مصرعه عظم عليهم ذلك، فحملوا حملة رجل واحد، وأزالوا الفرنج عن مواقعهم، وزحفوا إلى الخندق، فاجتازوه والتصقوا بالسور في ناحية باب العمود فنقبوه، هنا أدرك المدافعون عن المدينة أنه لا بد من طلب الأمان من صلاح الدين، أو كما يقول "رونسيما" بشيء من التهكم المبطن: "ولكن البطريك هيرقليوس لم تكن له رغبة أن يموت شهيداً، وأنهم إذا ماتوا شهداء فإنهم سيتزكون نساءهم و أطفالهم إلى العبودية التي لا بد منها، وأنه لا يعطي مباركته لمثل هذا العمل غير النقي، وقد وافقه على هذا الرأي قائد الدفاع عن المدينة ابن برزان، وفي 30 سبتمبر ذهب هو بنفسه إلى صلاح الدين ليسأله عن شروطه للتسليم"<sup>(4)</sup>.

1 علي سعود عطية، تاريخ الحروب الصليبية، ص 190.

2 علي سعود عطية، م.ن، ص 190.

3 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1/547.

4 علي سعود عطية، م.س، ص 191.

وتذهب الرواية التي تتحدث عن الفتح إلى أن صلاح الدين أمسك بيد القائد الصليبي وذهب به حيث يمكنه الاطلاع على المدينة، حيث كانت الأعلام الصفراء تخفق فوق عدد من أسوار المدينة، وإلى العلم الذي كان رجاله يرفعونه في تلك اللحظة فوق ثغرة جديدة أحدثوها في السور القديم وقال له: هل لمدينة وقعت في الأسر أن تطلب شروطا للصلح؟ فقال ابن برزان كما يروي ابن الأثير وغيره: "اعلم أننا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم إلا الله . تعالى . وإنما يفترون عن القتال رجاء الإيمان ظنا منهم أنك تجيبهم إليه، كما أحببت غيرهم، وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة، فإذا رأينا أن الموت لا بد منه، فوالله لنقتل أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وأمتعتنا ولا نترككم تغتمون منها دينارا واحدا ولا درهما.... فإذا فرغنا من ذلك خربنا المسجد الأقصى وغيرهما من المواضع، ثم نقتل من عندنا من أسرى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير..."<sup>(1)</sup> فاستشار صلاح الدين أصحابه فأجمعوا على إجابتهم إلى الأمان.

ولم يدقق أعوان السلطان في جمع الفداء كثيرا ولم يصل إلى خزائنه إلا القليل<sup>(2)</sup>، وقد طلب الملك العادل من أخيه أن يهب له فداء ألف من فقراء الفرنجة ففعل، وطلب البطرق وابن برزان مثل ذلك ففعل، ونادى منادي السلطان في شوارع القدس، بأنه سوف يطلق سراح من لم يستطع دفع الفدية لكبر سنه، وأن على هذه الطائفة أن تتقدم من الباب الخلفي للمدينة ليسمح لها بالخروج من طلوع الشمس إلى الليل، فتوافد الصليبيون على ذلك الباب بأعداد لا تحصى<sup>(3)</sup>.

وأنزل المسلمون صليبا كبيرا من الذهب كان على قبة الصخرة، فكبر المسلمون فرحا، وصاح الفرنجة توجعا<sup>(4)</sup>، ولما فارق الكفار بيت المقدس، أمر السلطان بتطهير المسجد الأقصى من الأقدار والأنجاس، وأقيمت الجمعة فيه في الرابع من شعبان، وصلى السلطان في قبة الصخرة، وكان الخطيب

---

1 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 11/ ص 548 . ص 549.

2 ابن الأثير، م.ن، 9/183.

3 عبد الله سعيد الغامدي، صلاح الدين والصليبيون، ص 217.

4 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/ص 184 . ص 185.

آنذ قاضي دمشق محيي الدين بن الزكي، حيث هنا الخطيب الحاضرين، ثم دعا للخليفة العباسي وللسلطان صلاح الدين<sup>(1)</sup>.

ثم أمر السلطان الصناعات بالمبالغة في تحسين منبر نور الدين الذي عمل في حلب، وبإحضاره من هناك، ونصب بالقدس، وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة، ولما فرغ السلطان صلاح الدين من صلاة الجمعة، عمل على تحسين المسجد الأقصى وتدقيق نقوشه، ومحا ما كان فيه من الصور، ونقل إلى قبة الصخرة المصاحف الحسنة، ورتب القراء وأدر عليهم الوظائف الكبيرة، فعاد الإسلام غضا طريا<sup>(2)</sup>.

وأخذ صلاح الدين يعد الترتيبات لترحيل بقايا الصليبيين إلى ممتلكاتهم في صور وطرابلس، فجمعهم خارج المدينة تحت الحراسة، وقسمهم إلى ثلاث مجموعات، ثم أرسلهم مخفورين خوفا عليهم من الاعتداء في الطريق، إلا أن الاعتداء قد حصل عليهم من أبناء جلدتهم؛ حيث تعرض الصليبيون الذين أطلقهم صلاح الدين لنهب بعض الأمراء الصليبيين قرب طرابلس، وعندما توجهوا إلى طرابلس ذاتها تعرضوا للنهب، وأغلق أهل طرابلس الأبواب في وجوههم<sup>(3)</sup>.

---

1 أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، 2/ص108 . ص109.

2 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/ص185 . ص186.

3 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص248.

## الفصل الثالث

---

فرقة الأمة الإسلامية في واقعها المعاصر وأسبابها

المبحث الأول: نتائج الفرقة

المطلب الأول: حملة نابليون على مصر وبلاد الشام

المطلب الثاني: إسقاط الخلافة العثمانية والقضاء عليها

المطلب الثالث: مؤتمرات تقسيم البلاد الإسلامية

المطلب الرابع: الاحتلال البريطاني لفلسطين ودعمه للصهاينة

المطلب الخامس: الاحتلال الفرنسي للجزائر

المطلب السادس: الاستعمار والأقليات

المطلب السابع: مأساة البوسنة والهرسك

المطلب الثامن: غزو العراق عام 2003 م

المبحث الثاني: أسباب فرقة الأمة

المطلب الأول: الفرق الباطنية

المطلب الثاني: الأمية الدينية

المطلب الثالث: واقع لغة الضاد في العصر الحالي

المطلب الرابع: سياسات التقسيم وإقامة الكيانات التجزئية

المطلب الخامس: أبرز الحروب المفتعلة بعد التقسيم

المطلب السادس: إدامة العنف والفوضى الخلاقة

المبحث الثالث: واقع الأمة السياسي والاجتماعي والفكري

المطلب الأول: الحياة السياسة وانقسام الأمة

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية

المطلب الثالث: الحياة الفكرية

## المبحث الأول

### نتائج الفرقة

#### المطلب الأول: حملة نابليون<sup>1</sup> على مصر وبلاد الشام:

ما إن وافى القرن الثامن عشر حتى بدأ نجم دولة جديدة يسطع في سماء السياسة الأوروبية، وأعني بذلك روسيا الناشئة، التي وضعت نصب عينيها جعلها دولة أوروبية وفتح أبواب لها على البحار الدافئة، وبدا لها أن سياستها التوسعية تفرض عليها الوصول إلى البحر الأسود والسيطرة على موانئه، إلا أن روسيا جوبهت بمعارضة عثمانية قوية، وكان موقف السلطان عثمان الثاني في هذه القضية يتوافق مع أماني فرنسا التي كانت لها تجارة ناشطة في البحر الأسود، وخشيت أن تتازعها إياه روسيا<sup>(2)</sup>.

وتزايد شعور الفرنسيين بالأخطار التي تواجه بلدهم، وسلامة تجارتها في الشرق بفعل الاندفاع الروسي، وأجبرتهم حرب الوراثة النمساوية إلى التحالف مع الدولة العثمانية ليدعموا موقفهم العسكري أمام النمسا، ووعد الساسة الفرنسيون الدولة العثمانية بدعمها ومساعدتها لاستعادة بلاد المجر بحيث يمكنها ذلك من التصدي لروسيا إذا ما حاولت التقدم باتجاه الجنوب، فأوفد الملك لويس الخامس عشر سفيرا إلى السلطان العثماني في عام 1153هـ تمكن بحنكته الدبلوماسية من حمل السلطان محمود الأول على الثبات في مقاومة النشاط الروسي المتزايد في البلقان، وجدد امتيازات فرنسا السابقة، وأضاف إليها امتيازات جديدة<sup>(3)</sup>، إلا أنه فشل في حمل الساسة العثمانيين على تغيير سياستهم السلمية مع النمسا.

1 هو قائد الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام ولد عام 1769م، و توفي سنة 1821م في جزيرة سانت هيلانة

2 إميل خوري وعادل إسماعيل، السياسة الدولية في الشرق العربي، 19/1

3 إميل خوري وعادل إسماعيل، م.ن، ص20

لكن عهد العلاقة الجيدة بين الدولتين لم يطل، لأن لويس الخامس عشر أحجم عن تأييد سياسة وزيره شوازل في عام 1180هـ ورفض عقد محالفة عسكرية مع الدولة العثمانية للوقوف في وجه الاندفاع الروسي، إنها لم تعبأ بسياسة كاترين الثانية قيصرية روسيا في الشرق، ولم تدرك أخطارها وبعد أهدافها، ففترت العلاقة بين الدولتين، واستمرت بالفتور حتى نشوب الثورة الفرنسية في عام 1203هـ، وتعرض قادة الثورة للضغط العسكري والسياسي المتزايد من قبل الملوك والأمراء الأوروبيين، وخشوا أن يصبحوا في عزلة تامة عن القارة الأوروبية فحذوا حذو فرنسوا الأول وهنري الرابع بالتحالف مع السلطان العثماني، والاستعانة به لمواجهة أخطار التكتل الأوروبي ضد ثورتهم، إلا أنه لم يطرأ أي تغيير أساسي وجوهري على السياسة العثمانية العامة ضد فرنسا<sup>(1)</sup>، هذا ولم يغيب عن أذهان رجال الثورة ما للبحر الأبيض المتوسط والبلاد الواقعة على شواطئه في إفريقيا والشرق، من أهمية كبرى في التجارة العالمية وما فيها من مراكز إستراتيجية لتأمين المواصلات بين أوروبا والهند، لذلك صمموا على الدفاع عن الوجود الفرنسي في هذا الجزء من العالم، في الوقت الذي اشتد فيه التنافس بين فرنسا وإنجلترا، وكانت مصر البلد الذي شخصت إليه أبصار الدولتين، لوقوعها على طريق الهند، فسعت إنجلترا، إلى إقامة علاقات طيبة مع حكام مصر المماليك، وعقدت في عام 1208هـ معاهدة مع حاكمي مصر، منحت بموجبها امتيازات تجارية هامة في مصر والبحر الأحمر، كان لتوقيع هذه المعاهدة أثر سيء في الأوساط الفرنسية الحاكمة لا سيما وأن القنصل الفرنسي في القاهرة كان قد فشل في كسب ود المماليك، وقام البريطانيون بعد توقيع المعاهدة يستعدون المماليك<sup>(2)</sup> على التجار الفرنسيين ما دفع الحكومة الفرنسية إلى محاولة عقد معاهدة مع حكام مصر تمنح التجارة الفرنسية ضمانات كافية إلا أنها لم تفلح وفي الوقت نفسه رفض السلطان سليم الثالث الموافقة على الاتفاقية التي عقدها المماليك مع الإنجليز<sup>(3)</sup>.

- 
- 1 محمد طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص306.
  - 2 لم ير العثمانيون أية مشكلة في تمديد الحكم المملوكي شرط التمكن من السيطرة عليه، حيث ظل المماليك يحكمون مصر حتى أوائل القرن التاسع عشر من خلال سلطة الوالي الذي يعينه الباب العالي (محمد طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب، ص571).
  - 3 محمد طقوش، م.س، ص307.

لذلك رأت حكومة فرنسا عام 1210هـ أنه لا بد من توجيه ضربة لعدوتها بريطانيا عن طريق احتلال إيرلندا لتكون قاعدة لتوجيه الحملات ضد بريطانيا، لكن نابليون بونابرت أبدى رفضا لذلك بسبب استحالة مهاجمة إنكلترا نظرا لتفوق أسطولها البحري، وضعف وسائل الدفاع الفرنسية، وأن من الأفضل أن تضرب خطوط مواصلاتها بمهاجمة ذلك الموقع من مواقع نفوذها العالمي الذي قد يفضي إلى آثار سيئة جدا عليها وقد عنى نابليون مصر بفعل وقوعها على طريق الهند ما يسهل مساعدة حركات التمرد في هذا البلد<sup>(1)</sup>، حيث انطلق نابليون في عام 1212هـ بناء على تكليف الحكومة الفرنسية من مدينة طولون على رأس جيش مؤلف من سبعة وثلاثين ألف جندي وخمس وخمسين سفينة حربية ومائتين وثمانين ناقلة، واصطحب معه عددا من العلماء الاختصاصيين في مختلف العلوم والدراسات وبخاصة المصرية القديمة وذلك بهدف إلقاء الضوء على آثار مصر التي لم يكن يعرف العالم عنها إلا القليل<sup>(2)</sup>.

وصلت الحملة الفرنسية الساحل المصري في أول تموز أمام مدينة الإسكندرية ثم دخلوها عنوة وترك نابليون فيها حامية عسكرية بقيادة كليبر وتابع طريقه باتجاه القاهرة<sup>(3)</sup>، وحاول القائد الفرنسي أثناء زحفه أن يسترضي السكان لكن المماليك بقيادة مراد بك صمموا على القتال حفاظا على نفوذهم فهزمهم في معركة الأهرام الشهيرة عام 1213هـ ودخل على أثرها القاهرة وأعلن أنه لم يأت إلى مصر فاتحا بل حليفا للدولة العثمانية لتوطيد سلطانها ومحاربة المماليك الثائرين ثم آلت إليه السيطرة على البلاد<sup>(4)</sup> وبعد أيام معدودة وصلت إليه أنباء سيئة فقد عثر القائد الإنجليزي نلسون على الأسطول الفرنسي في خليج أبي قير ودمره تدميرا كاملا في الثامن عشر من آب فقطع بذلك الاتصالات والمواصلات بين نابليون وفرنسا<sup>(5)</sup>.

- 
- 1 ينظر: محمد طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص308.
  - 2 هنري لورنس، الحملة الفرنسية في مصر، ص38، ص39.
  - 3 الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 2/3.
  - 4 هنري لورنس، م.س، ص139. ص151.
  - 5 المعلم نقولا الترك، ذكر تملك جمهور فرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية، ص44، ص45.

أدرك نابليون بوناپرت على الفور أهمية تلك الضربة ونتيجتها في انهيار آماله في مصر واحتلال الشرق والوصول إلى الهند، إلا أنه تظاهر بالاستهانة بالأمر، لكن الحملة كان مقضيا عليها بالفشل بسبب تفوق بريطانيا البحري، لذلك حاول أن يكيف وضعه في مصر من خلال تنفيذ سياسة فرنسية هدفها استمالة المصريين، وتقضي باحترام الدين الإسلامي والمحافظة على تقاليد أهل البلاد وعاداتهم، وفصل المصريين عن الدولة العثمانية عن طريق بذر الشقاق بينهم وبين العثمانيين، وتأليف حكومة وطنية تكون أداة تمكنه من الوقوف على رغبات المصريين ويتخذ منها وسيلة لنشر أوامره<sup>(1)</sup>.

أزعجت هذه السياسة الدوائر الحاكمة في البلاط العثماني، ما جعل الدولة العثمانية تميل إلى الانضمام إلى إنكلترا لمحاربة فرنسا وإخراجها من مصر، كان ذلك في الوقت الذي نشطت فيه الدبلوماسية البريطانية والروسية لإقامة تحالف مع الدولة العثمانية ضد فرنسا، تردد الباب العالي في بادئ الأمر، لكنه سرعان ما نبذ هذا التردد عندما بلغته أنباء هزيمة الأسطول الفرنسي في أبي قير، وهكذا حققت كل من بريطانيا وروسيا دفع الباب العالي إلى عقد محالفة معها، وإعلان الحرب على فرنسا في الوقت الذي سعت فيه فرنسا عبثا عبر سفيرها في إسطنبول أن تطمئن الباب العالي بنياتها السلمية<sup>(2)</sup>.

وتمخض عن التعاون الأوروبي مع الباب العالي عقد محالفة دفاعية هجومية في إسطنبول بين الدولة العثمانية وروسيا في 25 رجب مدتها ثمان سنوات، تعهد كل طرف فيها بضمان أملاك الطرف الآخر، بالمقابل عقدت بريطانيا محالفة مع الدولة العثمانية في 28 رجب 1213هـ هدفها التعاون لإخراج الفرنسيين من مصر، وأهم ما جاء فيها<sup>(3)</sup>:

1- تعهد كل طرف بضمان أملاك الطرف الآخر.

2- ضرورة مواصلة الحرب ضد فرنسا حتى إخراجها من مصر.

---

1 محمود شكري، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، ص91، ص92.

2 محمود شكري، م.ن، ص151.

3 محمد طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص311.

3- عدم إقدام أحد الطرفين المتعاقدين على إبرام صلح منفرد مع الأعداء من دون موافقة الطرف الآخر<sup>(1)</sup>.

والراجح والله تعالى أعلم أن بريطانيا كانت تهدف إلى أبعد من ذلك، فقد خشيت على طريق الهند من أن تقع في قبضة دولة قوية كفرنسا، ولم يكن يهملها في شيء الحفاظ على أملاك الدولة العثمانية إلا بقدر ما يخدم ذلك مصالحها، وهكذا مهد عقد هاتين المعاهدتين لتشكيل المحالفة الدولية الثانية ضد فرنسا إذ سرعان ما انضمت مملكة نابولي إلى الحلفاء بمقتضى معاهدة إسطنبول في 14 شعبان كما ضغطت بريطانيا وروسيا على النمسا فأعلنت الحرب على فرنسا في 17 شعبان وظلت روسيا وحدها خارج نطاق هذه المحالفة<sup>(2)</sup>.

وأصدر السلطان العثماني في 8 ربيع الآخر عام 1214 هـ منشورا ندد فيه بتصرف فرنسا، ثم ألقى القبض على السفير الفرنسي في إسطنبول ويدعى روفان وزج به في السجن وكان هذا العمل في عرف الدبلوماسية العثمانية بمثابة إعلان الحرب<sup>(3)</sup>.

### الحرب في بلاد الشام:

نتيجة لفشل سياسته الرامية إلى إحداث شرخ بين الدولة العثمانية والمصريين، بدأ نابليون بوناپرت في تنفيذ سياسة جديدة، فكتب إلى ولاية دمشق وعكا وألبانيا، يعلمهم أن السبب المباشر لمجيء الفرنسيين إلى مصر رغبتهم في معاقبة المماليك الذين امتنعوا عن طاعة السلطان وإقامة علاقات ودية مع الباب العالي، وطلب منهم التعاون معه إلا إن هؤلاء رفضوا ذلك، وكان عليه في الوقت نفسه مواجهة قوى التحالف الثلاثي في أوروبا بالإضافة إلى عداوة الدولة العثمانية إذ بدخول هذه الدولة الحرب تضاعلت أحلامه في إنفاذ حملة إلى الهند، واستبدل بها الهدف الأصغر وهو إرسال حملة إلى بلاد الشام مستبقا

1 محمود شكري، م.س، ص123.

2 هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ص54.

3 الميرالأي إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص243.

الهجوم الذي ينتظره من الشمال<sup>(1)</sup>. والواقع أن أسبابا عديدة أقنعتَه بضرورة غزو بلاد الشام قبل أن يبدأ أعداؤه الهجوم عليه في مصر، فقد بعثت الحكومة الفرنسية، منذ أن أخفقت مساعيها في إسطنبول ويعد أن قطعت المواصلات بين فرنسا ومصر، وقام التكتل الأوروبي بمضايقتها، تعليمات إلى نابليون بونابرت خيرته تنفيذ أحد الخيارات الثلاثة:

- 1- البقاء في مصر ودعم مركزه فيها بشكل يمكنه من صد الهجوم العثماني عليه.
- 2- التقدم نحو الهند حيث يجد هناك شعبا متوثبا ضد إنكلترا، وعلى استعداد للتعاون معه بهدف تقويض دعائم السيطرة الإنكليزية في تلك البلاد.
- 3- الزحف برا إلى إسطنبول، فيسبق بذلك عملية العدو الذي يهدده<sup>(2)</sup>.

وكان قد بلغ نابليون بونابرت أنباء عن تقدم جيش عثماني، بقيادة إبراهيم بك وأحمد باشا الجزائر، باتجاه الحدود المصرية، وسيطرة هذا الأخير على قلعة العريش، فأصدر أوامره الخاصة بالعمليات العسكرية<sup>(3)</sup>، وسيطر الجيش الفرنسي على العريش وخان يونس وغزة والرملة واللد ويافا ثم كتب إلى أحمد باشا الجزائر والي عكا يدعوهُ إلى وقف القتال، والعيش في سلام مع الفرنسيين والانضمام إليهم ضد أعدائهم الإنكليز والمماليك<sup>(4)</sup>.

لكن حدث أن تفشى الوباء بين جنوده في الوقت الذي كان فيه الجيش على وشك استئناف الزحف نحو عكا، فأدى ازدياد تفشي المرض في الجند إلى إضعاف قوته، لكن نابليون مضى يشق طريقه إلى عكا وضرب عليها حصارا مركزا في شهر شوال، وقد قام السير سدني سميث قائد الأسطول

---

1 الميرالأي إسماعيل سرهنك، م.ن، ص54.  
2 محمود شكري، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، ص124، ص125.  
3 المعلم نقولا الترك، ذكر تملك جمهور فرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية، ص66 . ص73.  
4 المعلم نقولا الترك، م.ن، ص50.

الإنجليزي بمساعدة المدينة المحاصرة بسفنه وكان ليقظة أحمد باشا الجزائر أثر كبير في مضايقة الفرنسيين، وتحققت هزيمة نابليون بونابرت في النهاية<sup>(1)</sup>.

وصل إلى نابليون بونابرت أثناء حصاره عكا خير تقدم جيش الحلفاء المجتمع في رودس باتجاه السواحل الشامية كما علم بأن الإنكليز أشعلوا نار حرب أوروبية ضد فرنسا، وأن عمارة عثمانية في طريقها إلى مصر، وأن الأسطول الروسي احتل جزيرة كورفو وأخرج الفرنسيين منها، وأن حكومة فرنسا قطعت عنه الإمدادات بفعل سياسة بعض القادة الفرنسيين الذين تأمروا عليه، وكان قد فشل في استمالة بعض الزعماء المحليين أمثال الشيخ عباس ظاهر العمر في صيدا، ومراد زادة في دمشق، والأمير بشير الشهابي أمير لبنان<sup>(2)</sup>.

لهذه الأسباب قرر القائد الفرنسي فكّ الحصار عن عكا بعد أربعة وستين يوما، والعودة إلى مصر في شهر ذي الحجة على الرغم من أنه تغلب على جيش عثماني خرج من دمشق لمساعدة المدينة المحاصرة<sup>(3)</sup>، وقد بقي له من القوة ما مكنه من القضاء على جيش عثماني أرسل إلى مصر، في معركة أبي قير البرية في 21 صفر 1214هـ وأسر قائده<sup>(4)</sup> ويبدو أن هذا الانتصار لم يؤد إلى تحسين فرص نجاح الحملة تحسينا حقيقيا إذ في هذا الوقت أخذت الأنباء المزعجة تتوالى من أوروبا، فقد أضحت فرنسا تواجه ائتلافا جديدا، وتتكبد هزائم قاسية، فرأى نابليون من الأفضل أن يغادر مصر لمصلحته ولمصلحة فرنسا<sup>(5)</sup>.

- 
- 1 المعلم نقولا الترك، م.ن، ص76.
  - 2 الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 78/3، 80، 84، 93.
  - 3 الجبرتي، م.ن، 117/3.
  - 4 المعلم نقولا الترك، ذكر تملك جمهور فرنسا والأقطار المصرية والبلاد الشامية، ص88، 89، ص91.
  - 5 محمد طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص314.

## خروج الفرنسيين من مصر:

أبحر نابليون بوناپرت سرا من الإسكندرية في 21 ربيع الأول مع بعض قواته، تاركا الجيش الفرنسي في مصر<sup>(1)</sup>، وكان عدد الجنود الفرنسيين قد تضاعف كثيرا بفعل الحروب والطاعون، وأن العدد الذي بقي منهم لا يكفي لحماية السواحل، وحفظ طريق الصالحية، والمحافظة على الأمن في الداخل، فشعر كليبر بثقل التبعة التي ألقاها بوناپرت على عاتقه<sup>(2)</sup>.

لذلك بدأ قائد الجيش الفرنسي على الفور بالسعي إلى التفاوض مع العثمانيين من أجل الوصول إلى شروط مناسبة لخروج الفرنسيين من مصر<sup>(3)</sup>، وقد رحب العثمانيون بفكرة التفاوض حتى يتسنى لهم إعادة مصر إلى حظيرة الدولة، بالإضافة إلى أنه لم يكن من مصلحتهم خوض غمار حرب عنيفة مع الفرنسيين في مصر بفعل اختلال نظام جيوشهم، وخروج أحمد باشا الجزائر على سلطانهم، وتدخل روسيا البحري، حيث راح الأسطول الروسي يمخر عباب المياه العثمانية، وأضحى العثمانيون أمام هذه الأخطار والصعوبات يفضلون تحصين المضائق وتضاعل بالتالي الاهتمام بمصر أو أي إقليم آخر من أقاليم الدولة<sup>(4)</sup>.

تمخضت المفاوضات عن توقيع اتفاقية العريش في 27 رجب 1214هـ التي حددت كيفية انسحاب الجيش الفرنسي من مصر، بسلاحه وعتاده وجميع منقولاته، على سفن يضعها الباب العالي تحت تصرفه في مدة ثلاثة أشهر بدءا من تاريخ توقيع الاتفاق قابلة للتجديد في حال عدم قيام الباب العالي بتجهيز السفن اللازمة للنقل قبل نهاية هذه المدة<sup>(5)</sup>.

---

1 المعلم نقولا الترك، ذكر تملك جمهور فرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية، ص97.

2 هنري لورنس، الحملة الفرنسية في مصر، ص427، ص428.

3 هنري لورنس، م.ن، ص441 . 443.

4 محمد طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص314.

5 محمد طقوش، م.ن، ص315.

لكن إنجلترا وهي الطرف الثالث في هذه القضية، رفضت هذه الاتفاقية بعد أن تبذرت مخاوفها من أي خطر فرنسي محتمل على ممتلكاتها في الهند، وأدركت خطورة عودة جيش الشرق إلى فرنسا حيث يمكن أن يشكل ذلك خطرا على التحالف الأوروبي، لذلك أصرت على استسلام الجيش الفرنسي من دون قيد أو شرط<sup>(1)</sup>، ويبدو أن القائد الفرنسي رفض تسليم سلاحه وفضل المقاومة واصطدم بجيش عثماني عند المطرية في معركة هليوبولس وانتصر عليه، وكان هذا الجيش قد أرسل إلى مصر لاستلامها من الفرنسيين وفقا لاتفاقية العريش<sup>(2)</sup>.

و قد تعاونت بريطانيا والدولة العثمانية للقيام بهجوم مشترك على مصر لإخراج الفرنسيين منها وتمكنا من الانتصار على منو في معركة الإسكندرية في شوال 1215هـ ثم زحفا نحو القاهرة التي استسلمت حاميتها وعملت إنجلترا على إجلاء الفرنسيين على سفنها في 22 ربيع الآخر 1216هـ فانتهت بذلك الحرب وعادت مصر إلى حظيرة الحكم العثماني<sup>(3)</sup>.

- 
- 1 إميل خوري وعادل إسماعيل، السياسة الدولية في الشرق العربي، 1/146.
  - 2 ينظر: محمود شكري، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، ص 197-208.
  - 3 محمد طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص 317.

## المطلب الثاني: إسقاط الخلافة العثمانية والقضاء عليها:

اتسعت رقعة الدولة العثمانية في أوج قوتها حتى شملت جانبا كبيرا من قارات آسيا وأوروبا وإفريقيا، ولقد قدم المسلمون الأتراك للنصارى في أوروبا أمثلة صادقة حية، تمثل سماحة الإسلام وعظمة المسلمين، لهذا أقبل الكثيرون منهم على الدخول في الإسلام، واعتزوا به وصار منهم كبار القادة في جيش المسلمين، الأمر الذي أزعج أوروبا، وجعلها تعقد التحالفات الصليبية المتكررة لطرد العثمانيين، فظهر في عالم السياسة الأوروبية ما عرف باسم المسألة الشرقية التي كانت تعني حينذاك ضرورة تكاتف أوروبا النصرانية لمواجهة خطر العثمانيين وإيقاف تيار فتوحهم الجارف<sup>(1)</sup>.

وبعد أن أصاب المسلمين بما فيهم الدولة العثمانية الوهن تغير مفهوم المسألة الشرقية وأصبح يعني ضرورة طرد العثمانيين من أوروبا وتقسيم ممتلكاتهم في هذا الميدان الأوروبي، ثم تقسيم ممتلكاتهم جميعا وخرجت التسمية الأوروبية للدولة العثمانية باسم الرجل المريض، وكانت روسيا القيصرية من أول الدول التي راحت تبث الفتن بين دول البلقان وتؤلبهم على الحكم العثماني، وتمدهم بالسلاح بدعوى التخلص من حكم المسلمين، وبلغ حدّ التعصب بأحد كتاب فرنسا أن اقترح حلا للمسألة الإسلامية بالقضاء على المسلمين ونيش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل عظامه إلى متحف اللوفر بباريس<sup>(2)</sup>، شلت يده ويد من والاه، ولعنهم الله جميعا.

وجاءت فكرة الجامعة الإسلامية لتهيئ للسلطان عبد الحميد تكوين شخصيته القائمة على الزعامة والانفراد والفكر الإسلامي، ولا شك أن مؤتمر برلين والأزمات التي واجهته قد قوت في نفسه فكرة الجامعة الإسلامية، وكان من أبرز هذه الأزمات ما يلي:

1- أزمة مالية ودين مترتب على الدولة، وقد أصدر السلطان عبد الحميد المرسوم المعروف باسم مرسوم محرم 1881م الذي قضى بإنشاء صندوق الدين العثماني العام الذي أشرف على مالية الدولة لسداد ديونها.

1 فرغلي الهريدي، حاضر العالم الإسلامي، ص131.

2 جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، 97/2، 98.

- 2- الأزمة المقدونية بسبب طمع بلغاريا واليونان في مقدونيا العثمانية.
- 3- الأزمة التونسية التي أدت إلى احتلال فرنسا لتونس.
- 4- الأزمة الدستورية في مصر وكان السلطان يكره أن يكون لمصر دستور، حتى أنه أسهم في إغراق الثورة العربية واحتلت بريطانيا مصر عام 1882م.
- 5- الأزمة الكويتية التي أثارها الإنجليز بعقد اتفاقهم مع مبارك الصباح لمنع ألمانيا من إيصال خط حديد بغداد إلى الخليج.

وليست الجامعة الإسلامية من ابتداع السلطان عبد الحميد وإنما هي دعوة كرس جمال الدين الأفغاني نفسه لها، لكي تهدف إلى قيام حكم إسلامي دستوري، وقد قاوم عبد الحميد التغلغل الأوروبي، واهتم بفكرة الجامعة الإسلامية التي تهتم بالحكم الإسلامي ومقاومة الفكر الأوروبي، إلا أنه كان يرفض الاتجاه الدستوري لهذه الفكرة مما خلق قوى معارضة من داخل البلاد نفسها، وكان عبد الرحمن الكواكبي من الرافضين الذين عملوا ضد السلطان من مصر، دون أن يعمل على تقويض الدولة العثمانية، أما الإنجليز في مصر فكانوا يرون في حركة الكواكبي تقويضا للدولة العثمانية<sup>(1)</sup>.

وفي أوائل القرن العشرين نجد أن اتجاهات عبد الحميد الثاني الشعبية إزاء الإسلام في الداخل واعتناقه لفكرة الجامعة الإسلامية بالخارج كانت غير كافية لإحياء الإمبراطورية الآخذة في التفكك والاضمحلال، وفي عام 1908م أرغم ضباط الجيش العاملون بالمناطق الأوروبية من الإمبراطورية عبد الحميد الثاني على إعادة دستور 1876م، وفي العام التالي أبعده عن السلطة على أمل أن يحسن ذلك من صحة الإمبراطورية المتدهورة إلا أنها ظلت مريضة، حيث قاموا بتحريك القوات العسكرية من سالونيك وقاموا بخلع السلطان عبد الحميد واستصدروا فتوى من شيخ الإسلام تقر ذلك، وتعيين السلطان محمد رشاد ليحل محله الذي أصبح ألعوبة بأيديهم، والذي قام بدوره بتعيين عناصر يهودية في المالية والداخلية وأركان الجيش بالإضافة إلى مناصب أخرى في الدولة<sup>(2)</sup>، ومما أكد

1 ينظر: عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية - العصر الحديث، ص163 . ص165.

2 زكريا بيومي، قراءة إسلامية في تاريخ الدولة العثمانية، ص168.

ضعف الإمبراطورية وتدهورها تلك الحرب التي نشبت عام 1912م والتي أسفرت عن فقدان الأراضي الأوروبية المتبقية علاوة على فقدان ليبيا في الحرب الإيطالية التركية عام 1911م، وبالتالي تقلصت مساحة الإمبراطورية العثمانية<sup>(1)</sup>.

ويرى البعض أن من أسباب انهيار دولة الخلافة الإسلامية العثمانية استغلال الجواسيس والمتآمرين لمناخ الحرية الدينية، ونجاح كثير منهم في الوصول إلى مناصب حساسة في عاصمة الخلافة، واستطاعوا إلى جانب العوامل السابقة تقويض أركان الدولة وإسقاط الخلافة الإسلامية وتفكيك أقطارها لحساب دول أوروبا<sup>(2)</sup>.

ومن الأسباب أيضا أن يهود الدونمة<sup>(3)</sup> استطاعوا القضاء على السلطان عبد الحميد الذي لم يقبل التنازل عن شيء من فلسطين لليهود رغم الإغراء الشديد، وأخيرا استطاعوا توجيه ضربة إلى الخلافة الإسلامية وتفتيت قوى المسلمين، لأن الذين قاموا بمؤامرة بيع الخلافة الإسلامية في عواصم أوروبا هم جماعة الاتحاد والترقي، وقد ظهر ذلك واضحا في مؤتمر الصلح الذي عقد في مدينة لوزان السويسرية، فقد مثل تركيا فيه كل من الحاخام ناحوم اليهودي المعروف باسم "قرة صو" رئيس الوفد وهو نفسه الذي قدم للسلطان عبد الحميد قرار عزله ويشاركه العضوية كل من رضا نور وعصمت اينونو، ويعترف رضا نور في كتابه حياتي وذكراياتي بأنه هو الذي أعلن علمانية تركيا في مؤتمر الصلح بقوله: "لقد أصبحت تركيا علمانية" وقد انفصل الدين عن الدولة وإذا تم الصلح فإننا سنقوم بوضع القوانين المدنية<sup>(4)</sup>.

على كل حال انضمت تركيا إلى ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى في أكتوبر 1914م، وجاء ذلك نتيجة لتشجيع الألمان للقادة العسكريين بإسطنبول الذين كانوا يعرفون باسم: الشبان الأتراك. وانتهت

---

1 دليب هيررو، الأصولية الإسلامية في العصر الحديث، ص108.

2 محمد المرشدي، عروبة مصر وأقباطها على طريق مشروع حضاري قومي، ص106.

3 الدونمة: مشتقة من الدومنيك ومعناه المرتد (محمود شاكر، العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه، ص59).

4 رأفت الشيخ ومحمد عبد العزيز، آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، ص209.

الحرب بعد أربع سنوات بهزيمة الأتراك هزيمة منكرة، وكان هذا الحدث يعني انتهاء آخر إمبراطورية إسلامية وكان ذلك بمثابة تجربة قاسية وصدمة هائلة للمجتمع الإسلامي العالمي<sup>(1)</sup>.

تعاون السلطان محمد السادس في اسطنبول مع قوات الاحتلال التابعة للحلفاء المنتصرين، بينما كان الأتراك الوطنيون بقيادة مصطفى كمال أتاتورك يعارضون ذلك، وقاموا بإنشاء الجمعية الوطنية العمومية الكبرى في أنقرة، وتصادت شعبية مصطفى كمال بين الجماهير عندما نجح في طرد قوات الاحتلال اليونانيين من تركيا في أغسطس 1921م، وأصدر مصطفى كمال أوامره في نوفمبر 1922م بإلغاء السلطنة بحيث تحل محلها الجمعية الوطنية العمومية الكبرى، إلا أنه أبقى على الخلافة من حيث إنها منصب ديني<sup>(2)</sup>.

الجدير بالذكر أنه في هذه المرحلة قام الاتحاديون باتباع سياسات قومية طورانية باعدت بينهم وبين عناصر الدولة من المسلمين من عرب وألبان وغيرهم، كما أنهم قاموا بإضعاف الخليفة فجعله رمزا أشبه بأسير في أيديهم، وكذلك مكثوا للقوى الأوروبية الطامعة في دولتهم، وانساقوا وراء مخططاتهم الرامية إلى إزالة الخلافة العثمانية مصدر وحدة المسلمين وقوتهم، ومصدر خوف أوروبا وقلقها<sup>(3)</sup>، ويبدو هذا واضحا حينما سيطر الكماليون (الاتحاديون) على العاصمة إسطنبول، وأعلنوا عزل الخليفة، ثم أعلن أتاتورك فصل الدين عن الدولة، وعين ولي العهد الأمير عبد الحميد خليفة مجردا من السلطة، يقيم في الأستانة<sup>(4)</sup>.

أما عن مصطفى كمال أتاتورك<sup>5</sup> الذي ظهر في نظر الناس بطلا مكافحا يغامر بنفسه لاستعادة مجد الخلافة، وابتهج به العالم الإسلامي وأطلق عليه لقب الغازي ومدحه الشعراء وأشاد به الخطباء لم يلبث أن ظهر على حقيقته صنيعة لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى، وخاصة إنجلترا التي رأت أن إلغاء

1 فرغلي الهريدي، حاضر العالم الإسلامي، ص 135.

2 دليب هير، الأصولية الإسلامية في العصر الحديث، ص 108، ص 109.

3 تاج السر حران، حاضر العالم الإسلامي، ص 43، ص 44.

4 جمال عبد الهادي وآخرون، مصر بين الخلافة العثمانية والاحتلال الإنجليزي من عهد محمد علي وحتى عهد محمد توفيق، ص 163.

5 ولد سنة 1299 هـ في سالونيك، حيث ينسب إليه الفضل في إلغاء الخلافة العثمانية، وتحكيم القوانين الغربية العلمانية في تركيا

الخلافة ليس بالأمر الهين، وأن ذلك لا يمكن أن يتم دون اصطناع بطل وإعطائه صورة عظيمة وإظهار هالة حوله ، وتصويره وكأن المعجزات تجري على يديه<sup>(1)</sup>، وقد بات واضحا أنها مؤامرة صليبية ضد أمة الإسلام؛ حينما اختار المتآمرون واحدا ينتسب لهذه الأمة الإسلامية، ليقوم على تنفيذ أهداف الأعداء، فاختاروا أتاتورك الذي لم يكن إلا مجرد خائن ولم يكن زعيما<sup>(2)</sup>. فدعا إلى عقد الجمعية الوطنية الكبرى في أنقرة، حيث افتتحت في 23 أبريل 1920م، وعدد أعضائها ثلاثمائة وخمسون، وقد انتخبت هذه الجمعية مصطفى كمال رئيسا لها، كما اختارته في الوقت نفسه رئيسا للجنة التنفيذية ومجلسها الإداري<sup>(3)</sup> وقد تأثر باليهود الذين هاجروا من سالونيك إلى الأناضول إثر معاهدة لوزان 1923م وتوزعوا في سائر أنحاء تركيا تقريبا وانغمسوا في الثورة الثقافية التي اجتاحت تركيا، ونتج عنها ترك الأبجدية العربية واستبدالها باللاتينية عندما فرضها كمال أتاتورك كجزء من تدابيره الجذرية في الإصلاحات السياسية والاجتماعية، ومن الطبقة المثقفة للدونمة اليهودية ظهر أبرز وأنشط زعماء هذه الثورة<sup>(4)</sup>.

وكان للمصريين موقف حينما احتل الإنجليز والفرنسيون والطلليان إسطنبول وسيطروا فيها على كل شيء حتى أصبح الخليفة سجيناً، وامتألت قلوب المصريين حزناً لمصير إسطنبول، وفي عام 1923 أعلنت الجمعية الوطنية التركية، قيام الجمهورية في تركيا وانتخبت مصطفى كمال أتاتورك أول رئيس لها، وتظاهر بالاحتفاظ مؤقتاً بالخلافة فاختر عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز خليفة، بدلا من محمد السادس، وفي عام 1924م قدم أتاتورك أعظم هدية للغرب وهي إلغاء الخلافة التي كانت في اعتبار المسلمين جميعاً عقدة الصلة والرابطة الوثيقة بحسبانها قوة خاصة لهم في مواجهة الغزو الغربي والصهيوني ثم الشيوعي<sup>(5)</sup>، وسرعان ما أدرك مصطفى كمال أن زعيماً دينياً معترفاً له بهذه

- 
- 1 جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، 112/1، 111.
  - 2 جمال عبد الهادي وآخرون، مصر بين الخلافة العثمانية والاحتلال الإنجليزي من عهد محمد علي وحتى عهد محمد توفيق، ص163.
  - 3 كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، 7/5.
  - 4 محمود شاكر، العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه، ص60.
  - 5 جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، 112/1، 113.

الصفة في العالم الإسلامي كله خليق بأن يصبح نقطة الدائرة التي تلتقي عندها الآمال، ووطن أتاتورك النفس على أن يسير بالدولة التي أنشأها في طريق الحضارة الأوروبية<sup>(1)</sup>.

كما أن أتاتورك طلب من الجمعية الوطنية الكبرى أن تقوم بتطهير وتهذيب العقيدة الإسلامية والعمل على إنقاذها من وضعها كأداة سياسية وهو الوضع الذي اعتادت عليه منذ قرون عديدة، وانتهى بذلك أسلوب الخلافة الذي استمر على مدى 1292 عاما، ونجم عن ذلك أزمة روحية في العالم الإسلامي خارج تركيا، وأصبحت تركيا تتبع خطا عسكريا علمانيا تحت قيادة أتاتورك<sup>(2)</sup>.

والواقع أنه كان لإلغاء الخلافة صدى شديد السوء، وبخاصة لدى مسلمي الهند الذين علقوا على تركيا الحديثة آمالهم في الخلاص من الاستعمار البريطاني<sup>(3)</sup>، والجدير بالذكر أن مصطفى كمال عندما ألغى الخلافة كان ينفذ مخططا غربيا مرسوما له، نصت عليه اتفاقية لوزان 1923م التي فرضت على تركيا شروطا للصلح معروفة بشروط لوزان الأربع، وهي<sup>(4)</sup>:

- 1- قطع كل صلة لتركيا بالإسلام.
- 2- إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاما.
- 3- إخراج الخليفة العثماني من البلاد ومصادرة أملاكه، وإخراج أنصار الخلافة من المسلمين المتحمسين لها.
- 4- اتخاذ دستور مدني بدلا من دستور تركيا القائم على الشريعة الإسلامية.

ويبدو مما سبق أن أتاتورك مأجور صليبي مدفوع من الغرب الصليبي ومن ورائه الصهيونية، الذين وضعوا أموالهم وأرواحهم لوقف الزحف الإسلامي، والقضاء على الدولة العثمانية وتوزيع تركتها، بل

---

1 كارل بروكلمان، م.س، 23/5.

2 دليب هير، الأصولية الإسلامية في العصر الحديث، ص109.

3 كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، 14/5.

4 جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، 113/1، 114.

وأكثر من ذلك عدم السماح مرة أخرى بقيام دولة الإسلام، لأنها إن قامت داخل حدودها، فإنهم يعلمون أن المارد لن يظل طويلاً داخل القمقم، ومن ثم فإنهم يحاربون أي قيام لدولة الإسلام<sup>(1)</sup>.

وعمل أتاتورك على قمع الحركات الدينية في تركيا التي حاولت الوقوف أمام مخططه العلماني، أو حاولت إعادة الخلافة من جديد، فعل ذلك مع حركة الشيخ سعيد التي قامت في تركيا لتنادي بإعادة الخلافة، وسقوط الجمهورية، وكادت العاصمة أنقرة تسقط في يدها، وأعلن أتاتورك بأنها حركة كردية تهدف إلى إقامة دولة كردية خاصة بعد أن سقطت في أيديهم ديار بكر ثم حررت منهم، واستطاع القضاء عليها بعد حملات طويلة عام 1925 وبعد مذابح رهيبه استشهد خلالها أكثر من نصف مليون مسلم سقطوا دفاعاً عن الخلافة العثمانية ووقع الشيخ سعيد في الأسر وأعدم في أنقرة<sup>(2)</sup>.

كما حارب الإسلام من خلال تحديد عدد المساجد وعدد الوعاظ فيها وحتى خطبة الجمعة حدد لها موضوعاتها، كأن تتعرض بالمدح والثناء لسياسات الحكومة الزراعية والاقتصادية وغيرها، ثم ألغيت الشريعة الإسلامية وحل محلها القانون المدني الوضعي، واستبدل التقويم الهجري بالتقويم الميلادي، وغير يوم العطلة الرسمية من الجمعة إلى الأحد، وتدخل في زيّ الناس ولباسهم، فأمر بلبس القبعة متشبهاً بالأوروبيين بدلاً من زي الرأس العثماني (الطربوش)، وأمر المرأة المسلمة التركية بالسفور بعد أن ألغى الحجاب الإسلامي، محاولاً في كل ذلك قطع صلة تركيا بماضيها وتراثها الإسلامي، وبذلك لم يصبح الدين الإسلامي أساس الحياة في عهد أتاتورك، بل انحصر في نطاق ضيق محدود لا يعدو أن يكون عقيدة شخصية لدى الطبقة المثقفة، وترتب على إهمال الدين الإسلامي وإضعافه إيجاد جيل جديد لا يهتم بالقيم الأخلاقية<sup>(3)</sup>.

غابت الخلافة من الأفق فهل من أثر لهذا الغياب؟ لقد غابت الدولة التي كانت القوى العالمية تحسب لها ألف حساب رغم ضعفها ومرضها، الدولة التي عرف اليهود وتأكدوا أنه لا سبيل لهم إلى فلسطين

1 ينظر: كارل بروكلمان، م.س، 5/15-17.

2 فرغلي الهريدي، حاضر العالم الإسلامي، ص139.

3 رأفت الشيخ ومحمد عبد العزيز، آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، ص216.

إلا بتحطيمها، وهو ما صرح به أحد العلماء الروس الذي نشر البروتوكولات صرح به قبل قيامها بحوالي خمسين سنة حين قال: "إن الأفعى اليهودية لا بد أن تمر بالأستانة في طريقها إلى فلسطين"<sup>(1)</sup>.

غابت الخلافة بالتباعد بين الشعب وبين المظاهر الإسلامية لتحل محلها المظاهر الغربية، وترتب على ذلك إيجاد جيل جديد لا يهتم بالقيم الأخلاقية العليا التي كان يربها الإسلام، والواقع أن الدين فقد تأثيره على نفوس الطبقة الراقية بصفة خاصة، وأن وجوده يستند على أنه الركن الثاني بعد اللغة في كيان القومية التركية<sup>(2)</sup>.

وكان إلغاء الخلافة هو النكبة الإسلامية الكبرى حينذاك، ولعلنا نذكر أن احتلال مصر وتونس ثم ليبيا والمغرب قد نظر إليه في إطار العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي منذ الحروب الصليبية، واعتبر موجة متجددة للهجمة الصليبية على الديار الإسلامية، مثلما اعتبرت المواجهات بين الفرنسيين والسوريين في ميسلون ثم احتلال سوريا نكبة عربية وإسلامية<sup>(3)</sup>، غابت الخلافة وتثبيتت دعائم الدولة العلمانية لتتحارب الإسلام والمسلمين وتنبذ الإسلام وراء ظهرها، وتكون معول هدم، لهدم الحضارة الإسلامية ثم يتحول جسمها . جسم رجل أوروبا المريض . ونعني به الدول العربية في أفريقيا وآسيا والدول الأوروبية المسلمة يتحول إلى غنيمة للدول الاستعمارية، لتقتسم تركيا لهدم بنائها الإسلامي، ولتحول أنظمتها المسلمة إلى أنظمة لا يزيد حاكمها عن كونه موظفا في السفارة البريطانية أو الفرنسية أو غيرها برتبة أمير أو رئيس، وبذلك تمكن الغرب الصليبي من تنفيذ مخططه لهدم صرح الإسلام بخبث ودهاء<sup>(4)</sup>.

1 علي جريشة، حاضر العالم الإسلامي، ص53

2 رأفت الشيخ ومحمد عبد العزيز، آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، ص216

3 عبد الله الأشعل، المسلمون والنظام العالمي، ص12

4 يوسف البدري، بصمات الاستعمار في البلاد الإسلامية، ص31

## المطلب الثالث: مؤتمرات تقسيم البلاد الإسلامية:

لا بد من استعراض بعض المؤتمرات والاتفاقيات التي تضمنت تقسيم الأمة الإسلامية، وفرض الحدود فيما بينها:

### مؤتمر كامبل:

ففي مؤتمر كامبل بانرمان سنة 1905م الذي عقد في بريطانيا بطلب من رئيس وزرائها . الذي سمي المؤتمر باسمه . خرج هذا المؤتمر بوثيقة مشهورة للحفاظ على الإمبراطورية البريطانية ومعالجة الأخطار التي يمكن أن تتعرض لها في المستقبل، فكان مما أشارت إليه هذه الوثيقة؛ المنطقة الجغرافية كوحدة سياسية تجمع خصائص الأمة الواحدة، وأنها مستودع المال والرجال، وفيها من الكنوز التي تهيب لدولة تقوم في هذه المنطقة تقهر القوى وتبيد الإمبراطوريات، إذا امتلكتها دول إسلامية، فلا سبيل للوقوف في وجه هذه الدولة، ولذلك أوصى التقرير بتجزئة هذه المنطقة وشرذمتها إلى قوميات ووطنيات متصارعة<sup>(1)</sup>، وقد كتب اللورد كامبل تقريراً يقول: "إن هناك شعباً واحداً يقطن ما بين الخليج إلى المحيط لغته واحدة، ودينه واحد، وقبلته واحدة، وثقافته واحدة، وآماله مشتركة، وأرضه متصلة، وهو اليوم في قبضة أيدينا، ولكنه بدأ يتململ، فماذا يحدث لنا غداً إذا استيقظ العملاق"<sup>(2)</sup>، فرسموا الخطط وحاكوا المؤامرات لتفتت هذه الأمة الواحدة صاحبة العقيدة الواحدة.

ومن التوصيات العاجلة التي قدمها المؤتمر أكد المؤتمر: "أن إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة، وصديقة للدول الأوروبية ومصالحها. هو التنفيذ العملي العاجل للوسائل والسبل المقترحة"<sup>(3)</sup>.

1 ينظر: وليد محمود محمد التميمي، وحدة الأمة الإسلامية بين النظرية والتطبيق (رسالة ماجستير)القدس، جامعة القدس، 2005، ص101.

2 محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص389.

3 ينظر: حامد سلطان، المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين، نقلاً عن موقع (النكبة).www.alnakba.com

وقد عني بالحاجز البشري الغريب دولة إسرائيل لتشكل جسماً غريباً كالثوكة في الحلق تمنع من وحدة البلاد الإسلامية الطبيعية.

### اتفاقية سايكس - بيكو سنة 1916م:

شكلت اتفاقية سايكس . بيكو الأساس الفعال لخطة تمزيق العالم الإسلامي والحيلولة دون الرجوع للوحدة. والاتفاقية عبارة عن تفاهم سري استعماري بين بريطانيا وفرنسا متمم لاتفاق رئيسي بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لتقسيم السلطنة العثمانية، والاستيلاء على المشرق العربي... في أعقاب دخول الأتراك الحرب إلى جانب ألمانيا. وقد توصلت فرنسا وبريطانيا إلى الاتفاق النهائي بشأن التفاهم السري بعد أن عينت الحكومة الفرنسية المسيو جورج بيكو قنصلها العام في بيروت (في السنة التي سبقت الحرب) في 9 تشرين الثاني . نوفمبر 1915م مندوباً سامياً مكلفاً بمفاوضة الحكومة البريطانية بشأن مستقبل الولايات العربية في السلطنة العثمانية مع مندوب الحكومة البريطانية السير مارك سايكس عضو مجلس العموم البريطاني والمهتم بالشؤون العربية والمندوب السامي لشؤون الشرق الأدنى.

وفي خلال الأشهر الخمسة الأولى من عام 1916م تم تبادل إحدى عشرة رسالة تحددت بموجبها بنود الاتفاقية والتي سميت باسم المفاوضين، والتي جرى توقيعها سراً في القاهرة في 16 أيار. مايو 1916م<sup>(1)</sup>.

وكان سايكس وبيكو قد زارا روسيا القيصرية في آذار. مارس 1916م حيث قدما لسيرجي زازنوف وزير الخارجية الروسي آنذاك مسودة الاتفاق الذي وافق عليها مقابل موافقة فرنسا وبريطانيا على استيلاء روسيا على بحيرة فان وتبليس في آسيا الصغرى وعلى الاستيلاء على البحر الأسود، بعد انتهاء الحرب كأسلاب مقابل الأسلاب البريطانية والفرنسية<sup>(2)</sup>.

1 ينظر: الكيالي، الموسوعة السياسية، 120/3.

2 الكيالي، م.ن، 3/ص121.120..

أما الخطوط العامة لاتفاقية سايكس - بيكو فقد أسفرت عن تحديد مناطق نفوذ كل دولة على النحو الآتي:

\* استيلاء بريطانيا على منطقة جنوب وأواسط العراق بما فيها مدينة بغداد، وكذلك ميناء عكا وحيفا في فلسطين.

\* استيلاء فرنسا على غرب سوريا ولبنان.

\* استيلاء روسيا على الولايات الأرمينية في تركيا وشمال كردستان. واعترفت المعاهدة كذلك بحق روسيا في الدفاع عن مصالح الأرثوذكس في الأماكن المقدسة في فلسطين.

\* المنطقة المحصورة بين الأقاليم التي تحصل عليها فرنسا، وتلك التي تحصل عليها بريطانيا تكون اتحاد دول عربية موحدة، ومع ذلك فإن هذه الدولة تقسم إلى مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية، ويشمل النفوذ الفرنسي شرق سوريا وولاية الموصل، بينما النفوذ البريطاني يمتد إلى شرق الأردن والجزء الشمالي من ولاية بغداد وحتى الحدود الإيرانية.

\* يخضع الجزء الباقي من فلسطين لإدارة دولية، وسيأتي الحديث عما حل بفلسطين بعد ذلك.

\* يصبح ميناء الإسكندرية حراً<sup>(1)</sup>.

كما تشكل اتفاقية سايكس - بيكو أبرز أمثلة الخداع الاستعماري للشعوب إذ قامت بريطانيا بالتفاوض عليها وإبرامها في الوقت الذي كانت تعد فيه العرب بتأييد أمانتهم... إذا ما حاربوا إلى جانبها ضد السلطنة العثمانية بموجب مراسلات حسين مكماهون<sup>(2)</sup>. وقد بقيت اتفاقية سايكس - بيكو سراً إلى أن تسلم البلشفيك سدة الحكم في روسيا في تشرين الثاني - نوفمبر 1917، فسارعوا إلى إعلانها ومعارضتها كذلك<sup>(3)</sup>.

---

1 ينظر: موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، ص433.

2 الكيالي، الموسوعة السياسية، 3/122-123.

3 الكيالي، م.ن، 3/124.

## مؤتمر سان ريمو (نيسان-1920م):

مؤتمر دولي عقده الحلفاء الغربيون المنتصرون على ألمانيا واليابان في الحرب العالمية الأولى، في مدينة سان ريمو الإيطالية في نيسان . إبريل 1920م لبحث مصير السلطنة العثمانية ورسم معالم معاهدة صلح مع تركيا المهزومة في الحرب، ولتقاسم المشرق العربي بين بريطانيا وفرنسا وتجزئته وفق خطة سايكس . بيكو السرية الاستعمارية، ولإضفاء الشرعية الدولية على هذا التقسيم وعلى وعد بلفور البريطاني للحركة الصهيونية لإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين. وقد مثل بريطانيا لويد جورج وفرنسا كليمنصو وإيطاليا نيني (وجميعهم رؤساء حكومات) بينما مثل الولايات المتحدة سفيرها في روما، ومثل الحركة الصهيونية زعيمها حاييم وايزمن بصفته مراقب<sup>(1)</sup>.

واتخذ المؤتمر قراراً في 25 نيسان . إبريل بتوزيع الانتدابات من فئة (أ) على البلدان العربية في المشرق العربي فوضعوا سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي وفلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني ودمجوا وعد بلفور في صك الانتداب على فلسطين، وهكذا اعتبر مؤتمر سان ريمو التجسيد الحقيقي على أرض الواقع لاتفاقية سايكس . بيكو.

## معاهدة سيفر (أب 1920م):

في العاشر من آب . أغسطس 1920م فُرضت على الدولة العثمانية معاهدة سيفر التي قضت بسلب الولايات العربية عن الدولة العثمانية، وكذلك منح إزمير والمناطق الداخلية التابعة لها استقلالاً داخلياً، وأن تصبح أرمينيا دولة مستقلة في حين تضم تراقيا إلى اليونان، وتخضع المضائق لرقابة لجنة دولية، وفي الوقت نفسه اتفق الحلفاء على أن تعطى منطقة كليكية وكرديستان الجنوبية إلى فرنسا، وأن يُعطى الأناضول الجنوبي حتى منطقة إزمير لإيطاليا، مما يعني نهاية الإمبراطورية العثمانية وتقسيمها على الأوروبيين، أو تجزئتها إلى عدة ولايات مستقلة، فتصبح تركيا دولة صغيرة في داخل آسيا الصغرى، وتصبح إسطنبول عاصمة تركيا تحت الحكم الدولي، وجعلت سيادة السلطان عبارة عن مجرد مظاهر

1 الكيالي، الموسوعة السياسية، 107/3.

لا معنى لها. وتصبح تركيا منطقة نفوذ لإنجلترا وفرنسا وإيطاليا<sup>(1)</sup>. فالمعاهدة تتضمن مواد في منتهى الفظاعة. وعلى سبيل المثال نذكر بعض المواد ليلمس مدى فظاعتها:

1- **بلاد العرب:** جُردت تركيا من جميع البلاد العربية التي كانت تابعة لإمبراطوريتها، أما مملكة الحجاز فقد حصلت على اعتراف بها كدولة مستقلة، وقد تركت تركيا سيطرتها على فلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين، وترك مستقبل هذه البلاد ليقرره الحلفاء<sup>(2)</sup>.

2- **تركيا الأوروبية:** منحت منطقة غربي دماس إلى اليونان حتى خط شاتالجا، وفي نفس الوقت تسلمت اليونان من الحلفاء ثراس الغربية، وهكذا وسعت حدودها حتى حوالي 20 ميلاً من العاصمة التركية.

3- **"سميرنا" والجزر الإيجية:** وضعت الجزر الإيجية ومدينة "سميرنا" تحت الإدارة اليونانية لمدة خمس سنوات يسمح بعدها للسكان أن يطلبوا الانضمام إلى مملكة اليونان بالتصويت وأما جزر مبروس، تينيدوس فقد منحت لليونان، واعترف بسلطة اليونان على جزر دوديسانس أما جزيرة رهودس الإستراتيجية فقد منحت لإيطاليا<sup>(3)</sup>.

4- **أرمينيا:** اعترفت تركيا بأرمينيا كدولة مستقلة، وقبلت تركيا كذلك تحكيم الرئيس (ولسن) بخصوص الحدود بين الدولتين<sup>(4)</sup>.

5- **كردستان:** وافقت تركيا على أن تمنح الأراضي الكردية التي تقع شرقي نهر الفرات حكماً ذاتياً محلياً، وأن تقبل أي خطة لذلك مقدمة من هيئة دولية مؤلفة من ممثلين إنجليز وفرنسيين وطلينان. ووافقت تركيا أيضاً على قبول تعديلات في حدودها مع إيران في المنطقة الكردية، وعلاوة على ذلك وفي خلال سنة من تنفيذ هذه المعاهدة إذا طلب الأكراد من عصبة الأمم الاستقلال عن تركيا، وإذا

1 ينظر: عبد القديم زلوم، كيف هدمت الخلافة، ص152.

2 ينظر: محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، ص417 . ص418.

3 محمد رفعت، التوجه السياسي للفكرة العربية، ص333.

4 محمد رفعت، م.ن، ص333.

رأى مجلس عصبة الأمم أن الأكراد أهل لهذا الاستقلال وأوصى بمنحهم الاستقلال، فإن تركيا تقبل تنفيذ ذلك، وتترك كل سلطة لها على هذه الأراضي، وأن نصوص هذه المعاهدة ستؤلف اتفاقية جديدة بين الحلفاء وتركيا<sup>(1)</sup>.

**6- المضائق والقسطنطينية:** وافقت تركيا على أن تكون المضائق تحت إشراف دولي، وتجريد المناطق المجاورة من السلاح. وأما القسطنطينية فتبقى تحت السيادة التركية. هذا عدا عن تحديد الجيش التركي بخمسين ألفاً، وإخضاع الجيش لتوجيه وإرشادات الحلفاء، وعدا عن قبول تركيا سيطرة ذات أثر بعيد على ماليتها من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا، وعدا عن إبقاء الامتيازات القديمة، وزيادة نصوص أخرى مهينة، وعدا عن قبول تركيا إعطاء الأقليات حقوقاً وامتيازات، وبوجه خاص الأرمن واليونان والأكراد وبوجه عام النصارى عموماً. ومن ثم عقد (مؤتمر لوزان) والقرار الذي اتخذته الحلفاء ليعيد النظر في المسائل كافة التي اشتملت عليها معاهدة سيفر<sup>(2)</sup>.

### مؤتمر لوزان: (1922 - 1923م):

لوزان مدينة سويسرية عُقد فيها ما بين 1922 . 1923م مؤتمر دولي ضمّ الدول الغربية الحليفة واليونان وتركيا، دُعيت إليه الحكومة التركية في (20 من ربيع الأول 1340هـ/20 من نوفمبر 1921م) لإعادة النظر في معاهدة سيفر، فتشكل وفد تركي برئاسة عصمت أينونو، واشترط الإنجليز من بين ما اشترطوه خمسة شروط للاعتراف باستقلال تركيا وهي:

1- إلغاء الخلافة إلغاءً تاماً وطرد الخليفة خارج الحدود ومصادرة أمواله.

2- أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

---

1 صباح الفتلاوي، مقررات مؤتمر الصلح للإمبراطورية الألمانية عام 1919:مجلة دراسات الكوفة ،العدد6  
2007، ص274.

3 ينظر: د. الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، 1670/3.

3- أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام.

4- أن تتبنى تركيا دستوراً علمانياً بدلاً من دستورها المستمد من أحكام الإسلام.

5- الإبقاء على الموصل بعيدة عن تركيا.

فشلت الجولة الأولى من المفاوضات بسبب هذه الشروط، ثم دُعيت الوفود مرة أخرى إلى لوزان للبحث من جديد في بنود معاهدة سيفر، ووافق الأتراك على الشروط الإنجليزية فألغيت السلطنة في (20 من ربيع الأول 1342هـ/30 من نوفمبر 1923م).

وتُوِّجَ الأمرُ باجتماع المجلس الوطني في تركيا، ووقف مصطفى كمال يخطب قائلاً: "أليس من أجل الخلافة والإسلام قاتل القرويون الأتراك، وماتوا طيلة خمسة قرون؛ لقد آن الأوان لأن تنتظر تركيا إلى مصالحها، وتتجاهل الهنود العرب، وتنقذ نفسها من تزعم الدول الإسلامية". وبذلك أعلنت الجمهورية واختير أتاتورك رئيساً لها<sup>(1)</sup>.

لعبت الظروف السياسية التي كانت سائدة في المنطقة العربية الشرقية للعالم العربي منذ نهاية القرن الماضي وإلى عقود متأخرة من هذا القرن، دوراً بارزاً وحيوياً ليس فقط في نشأة الحدود العربية، بل وكذلك في قيام دول وكيانات سياسية حديثة، كما لعبت هذه الظروف دوراً في تحديد شكل وطبيعة العلاقات التي تربط بين هذه الكيانات والتي تتسم تارة بالتعاون و تارة أخرى بالصراع.

وقد تزامنت ظروف نشأة هذه الحدود والكيانات مع التواجد الاستعماري الأوروبي البريطاني والفرنسي منه خاصة بحيث لعبت هاتان القوتان الاستعماريتان أدواراً طلائعية في تكييف واقع ومستقبل المنطقة العربية، وكانت الظروف الاجتماعية والسياسية المحيطة بهذه المنطقة تساعد تلك القوى الاستعمارية التي لم تدخر جهداً في استغلالها والتحكم فيها بهدف إخضاع المنطقة لهيمنتها وتبعيتها<sup>(2)</sup>.

1 أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص193، ينظر: محمود شاكر، تركيا، ص56

2 جاد طه، سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية، ص37.

ولا تعود دوافع استعمار منطقة المشرق العربي، منذ القرن التاسع عشر فقط إلى تلك الظروف السياسية الدولية العامة التي أحاطت بالحركة الاستعمارية الأوروبية، كالبحث عن مناطق النفوذ الحيوية وبالتالي ضرورة البحث عن مجالات أخرى كفيلة بتحقيق ازدهار الشعوب الأوروبية، وإنما تعود كذلك إلى أن تلك المنطقة كانت تعد إحدى أهم المناطق الإستراتيجية في العالم الحديث، مما جعلها مثار أطماع و منافسات قوى استعمارية كبرى كالبريطانيين والفرنسيين والهولنديين منذ عدة قرون<sup>(1)</sup>.

وكان مما يثير تلك الأطماع ويقويها أهمية موقع المنطقة ومركزيتها في الإستراتيجيات الاستعمارية آنذاك، فقد كانت تشكل إحدى نقط المواصلات البحرية في العالم وكذا إحدى أهم القواعد الأساسية لمقاومة الإمبراطورية العثمانية والتقليص من مجالات سيادتها ونفوذها، هذا فضلا عن ثروات المنطقة الاقتصادية وخاصة منها النفطية<sup>(2)</sup>.

وإذا كان الاستعمار الأوروبي عمل على تسخير كل تلك الظروف والعوامل لخدمة مصلحته وحاجياته واستراتيجياته، فإنه عمد لتحقيق ذلك إلى عدة أساليب وطرق كان يحرص على أن تكتسي بعضها طابعا من الشرعية الدولية التي كانت سائدة في تلك الفترة، بينما كانت بعض الأساليب الأخرى التي نهجها لتحقيق تلك المصلحة تتسم بالسرية والمناورة والخديعة<sup>(3)</sup>.

ففي الوقت الذي كان يلجأ فيه الاستعمار الأوروبي إلى الآلية الدبلوماسية كغطاء سياسي لفرض وصايته على المنطقة وقيادتها، كان يلجأ في نفس الوقت إلى إثارة النزاعات والمنافسات بين الأقليات العرقية والطوائف الدينية والزعامات السياسية والقبلية ليتسنى له التدخل لفرض حلوله المستوحاة من خالص مصلحته<sup>(4)</sup>، كما حصل لدى احتلال سوريا من قبل القوات الفرنسية، حيث تعمدت فرنسا إثارة

---

1 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي، ص 10.

2 عمر عبد العزيز، تاريخ المشرق العربي، ص 441.

3 محمد رضوان، م.س، ص 11.

4 ينظر: جورج قرم، جيوبوليتيكا الأقليات في المشرق العربي: دراسات عربية، ص 20، العدد 11.

الولاء الطائفي وشجعت كذلك نزعة الاستقلال لدى الأقليات الدينية والقومية ومنحهم الحكم الذاتي في المناطق التي شكلت فيها هذه الأقليات أغلبية محلية، وأنشأ أثناء الانتداب تحقيقاً لهذه السياسة دولة العلويين في منطقة اللاذقية، ودولة الدروز في منطقة جبل الدروز، وكان لهاتين الدولتين حكوماتهما الذاتيتان والمستقلتان رسمياً عن الجمهورية السورية، وشجعت فرنسا كجزء من سياسة فرق تسد تجنيد كتائب خاصة من العلويين والدروز والأكراد التي أصبحت جزءاً من قوات الشرطة الخاصة التي قامت بحفظ النظام وقمع الانتفاضة المحلية، وقد زاد دخول الأقليات في هذه القوات كراهية السنة العرب، بالإضافة إلى ما أثاره الفرنسيون من نزعات داخل الأقليات الدينية والعرقية إلى تحريض لزعماء العشائر بعضهم على بعض<sup>(1)</sup> بالإضافة إلى استخدام الأقليات في فترة حكم الدولة العثمانية لتكون منفذاً يتسلل الغرب منه إلى بلاد المسلمين كما حصل في عهد الأمير فخر الدين بن معين الثاني (1585-1635) الذي كان حاكم إمارة الدروز في المنطقة الجبلية في لبنان، حيث عقد معاهدة تجارية مع الدوق فرديناند الأول أمير توسكانيا، ويظهر أنه كان في المعاهدة نصوصاً حربية الأمر الذي أغضب السلطان العثماني الذي أرسل قوة حربية لتأديبه، حيث اضطر للهرب، ويذهب مؤرخون إلى أن الأمير فخر الدين بن معين الثاني هو أول من فتح بلاد المسلمين إلى النفوذ الغربي، ففي عهده سمح للفرنسيين بفتح خان في مدينة صيدا، وأقامت فلورنسا قنصلية لها في البلاد وسمح للمبشرين الأوروبيين بالتبشير بالمسيحية بين المسلمين والدروز<sup>(2)</sup>.

وكانت نشأة أجزاء من الحدود العربية تدرج في إطار تلك الحلول والمشاريع الاستعمارية المفروضة سواء منها ما كان موضوعاً وفقاً لاتفاقيات دولية تم إعدادها بعد مفاوضات سياسية وتفاعلات دبلوماسية مكثفة أو ما كان منها موضوعاً وفقاً للمبادرات الخاصة والمحلية في إطار الإجراءات الإدارية التي قامت بها القوة الاستعمارية<sup>(3)</sup>.

---

1 نيكولاس فان داوم، الصراع على السلطة في سوريا، ص 21.

2 محمد كامل حسين، طائفة الدروز تاريخها وعقائدها، ص 13.

3 توفيق برو، القضية العربية في الحرب العالمية الأولى، ص 304.

وإذن؛ فإن كثيرا من حدود المشرق العربي كانت وليدة تفاعل تلك الظروف السياسية التي تحكم الاستعمار الأجنبي في تكيفها بنشاطه الدبلوماسي تارة، وبمناورات تارة أخرى، وكذا بتضافر العوامل الاقتصادية والإستراتيجية والاجتماعية لمنطقة المشرق العربية التي تعد الخلفية الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط الذي يعتبر أحد أكثر المناطق حيوية في العالم الحديث والمعاصر<sup>(1)</sup>.

### المطلب الرابع: الاحتلال البريطاني لفلسطين ودعمه للصهاينة:

بقيت فلسطين تحت الحكم العسكري الإنجليزي منذ دخول الإنجليز القدس بتاريخ 1917/12/9م وحتى حزيران عام 1920م، وانتهت الإدارة العسكرية وحلت محلها الإدارة المدنية في ذلك الشهر، وكان على رأس الإدارة المدنية هيربرت صموئيل مندوبا ساميا ممثلا لملك بريطانيا على إدارة فلسطين، وهو يهودي إنجليزي وأحد زعماء الصهاينة، وأعلن مجلس الحلفاء في الحرب العالمية الأولى أثناء اجتماع الأعضاء في مؤتمر سان ريمو انتداب بريطانيا على فلسطين في 1920/4/20م ووجه ملك بريطانيا نداء إلى الشعب الفلسطيني بذلك عن طريق صموئيل الذي وصل إلى فلسطين في 1920/6/30م وأعلن العفو العام عن المساجين في مظاهرات عام 1920م، ثم سمح لليهود بتأسيس وكالة يهودية لتقوم بالتحضير لإنشاء الوطن القومي اليهودي، وأقر الفلاح الفلسطيني كي يغادر أرضه<sup>(2)</sup>.

وخطط صموئيل على جعل فلسطين يهودية كما هي إنجلترا إنجليزية وفرنسا فرنسية، وبعد تسلمه السلطة أصدر أمره بتأليف مجلس استشاري كان نصف أعضائه من الموظفين الإنجليز والباقون هم أربعة من المسلمين وثلاثة من المسيحيين وثلاثة من اليهود، وقد رفض العرب قبول المجلس الاستشاري، وقدموا لصموئيل احتجاجاتهم عليه وخوفهم من المستقبل بسبب أهداف الصهيونية، ولكن صموئيل خدرهم بتصريحاته التي كان يطلقها، فقال في إحدى تصريحاته أن العرب خائفون على مستقبلهم من الأهداف الصهيونية وأن هذا الخوف ما هو إلا من قبيل الظنون والأوهام لأن الحكومة

1 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي، ص11.

2 تيسير جبارة، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث، ص65.

الانجليزية لن تقبل بأن يهضم الحق العربي، ثم أضاف: "في فلسطين بقاع واسعة تتسع لعدد كبير من السكان، فالذين يهاجرون إليها من اليهود سيهاجرون تدريجياً بالقدر الذي تسمح به حالة البلاد"<sup>(1)</sup>، وهذا يعني تطبيق وعد بلفور تدريجياً وهذا يطابق (كما قال صموئيل) ما جاء في صك الانتداب على فلسطين.

### صك الانتداب البريطاني على فلسطين:

اعترف الصهاينة بأنهم اشتركوا مع الإنجليز في وضع صك الانتداب على فلسطين وتقديمه إلى عصبة الأمم للموافقة عليه، والحقيقة أن الإنجليز ليسوا هم الذين وضعوا صك الانتداب، ولكن اليهود هم الذين قدموه إلى الإنجليز لتقديمه إلى طاولة عصبة الأمم للمصادقة عليه، وقد وافقت الحكومة البريطانية أمام مجلس الحلفاء على قبول الانتداب البريطاني على فلسطين الذي نفذ بتاريخ 1922/7/4 ويشبه هذا الصك إلى حد ما تقرير المنظمة الصهيونية الذي قدمته إلى مؤتمر الصلح في شباط عام 1919م وقد أدمج وعد بلفور في صك الانتداب وقبلت بريطانيا بتطبيق هذا الصك نيابة عن عصبة الأمم وهذا يدل على اتفاق الإنجليز وعصبة الأمم واليهود جميعاً على هضم حقوق الشعب الفلسطيني<sup>(2)</sup> ومما جاء في هذا الصك البنود الهامة التالية<sup>(3)</sup>:

**المادة الأولى:** يكون للدولة المنتدبة (بريطانيا) السلطة التامة في التشريع والإدارة والاقتصاد بحيث تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي، وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين.

**المادة الثانية:** تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد بأحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي.

**المادة الثالثة:** يجب على الدولة المنتدبة المحافظة على الاستقلال المحلي.

1 عيسى السفري، فلسطين العربية، ص54.

2 تيسير جبارة، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث، ص65.

3 علي محمد علي، ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية، وثيقة رقم 100، ص365.

**المادة الرابعة:** يعترف بوكالة يهودية صالحة لهيئة عمومية لإسداء المشورة والمعونة في إدارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية.

**المادة الخامسة:** تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن شيء من أراضي فلسطين أو تأجيرها أو وضعه تحت حكومة دولة أجنبية.

**المادة السادسة:** على حكومة فلسطين أن تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين وتنشط (بالاتفاق مع الهيئة اليهودية المشار إليها في المادة الرابعة استقرار اليهود في الأراضي الزراعية).

**المادة السابعة:** على حكومة فلسطين أن تسن قانونا للجنسية يتضمن نصوصا بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم على اكتساب الجنسية الفلسطينية.

نلاحظ على مواد الانتداب أنه لم يرد في لفظ عرب، وقد تجاهل الصك الحقوق السياسية واكتفى بذكر الحقوق الدينية والمدنية وكأن اليهود هم الأصل والعرب هم الفرع<sup>(1)</sup>، أو بعبارة أخرى كأن اليهود هم الأثرية (وكانوا يشكلون 7% فقط من فلسطين) والعرب هم الأقلية (وكانوا يشكلون 93% من فلسطين).

إن صك الانتداب باطل ويتعارض مع القوانين الدولية ، لأن المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم تنص على إدارة وحكم أي بلد ما ترجع إلى رغبات سكانها وبما أن العرب هم أصحاب البلاد ولم يؤخذ برأيهم فهذا باطل، وكذلك فإن أصحاب البلاد هم الذين يختارون الدولة المنتدبة عليهم، فالعرب لم يختاروا بريطانيا، وأن اختيار بريطانيا كان بحسب رغبة الجمعية الصهيونية، وكأن الجمعية الصهيونية هي التي تمثل الشعب الفلسطيني ورغبته في انتداب بريطانيا، ونقول كذلك إنه باطل قانونيا وتاريخيا لأن فلسطين للعرب قبل مجيء اليهود ولم يسكن اليهود في كل فلسطين ولم تدم إقامتهم فيها فترة طويلة أما العرب فقد سكنوها قبل اليهود فترة طويلة وتشهد على ذلك آثارهم<sup>(2)</sup>.

1 عيسى السفري، فلسطين العربية، ص62.

2 أكرم زعيتير، القضية الفلسطينية، ص58.

ويعترف الإنجليز منذ دخولهم فلسطين بأن الشعب الفلسطيني لا يختلف عن الشعب العراقي أو السوري، قال هذا الكلام وزير المستعمرات البريطاني للوفد العربي الفلسطيني في 1/3/1922، حيث قال الوزير: "وأما معاملة شعب فلسطين كشعب أقل رقيا من جاريه في العراق وسوريا فهذه مسألة لا وجود لها"<sup>(1)</sup>، لذلك بما أن الشعب الفلسطيني قادر على الاستقلال فلا داعي إذا لتمدينه من قبل بريطانيا والأغرب من ذلك أن الإنجليز لم يعلموا الشعب الفلسطيني طرق الاستقلال بل طردوهم من أرضهم ووضعوا شعبا آخر في فلسطين بدلا منهم، وهذا العمل مخالف لميثاق عصبة الأمم<sup>(2)</sup>.

واهتم الإنجليز بوضع فلسطين على شكل مستعمرات إنجليزية، فالمندوب السامي هو الحاكم المطلق في فلسطين ويتصل بوزير المستعمرات مباشرة، وقد اهتم صموئيل (المندوب السامي) بجعل فلسطين تتحول تدريجيا إلى وطن قومي يهودي، فأخذ يعين الصهاينة في الوظائف الهامة، فعين اليهودي بنتويش نائبا عاما وقاضيا للمسلمين في فلسطين، وعين على إدارة الهجرة والسفر والتجارة مدراء يهود وإنجليز، ولم يوظف أحدا من المسلمين في المراكز الهامة، بل عين المثقفين المسلمين والمسيحيين في الوظائف البسيطة<sup>(3)</sup>، وجعل اللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية والإنجليزية في فلسطين، وجعل المدارس اليهودية تحت إشراف المنظمة الصهيونية، في حين تشرف الإدارة الإنجليزية على المدارس العربية، وعين إنجليزيا مديرا للمعارف وفي عهد صموئيل احتل اليهود أراضي كثيرة للعرب، وسلم أيضا أراضي الدولة إلى اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين<sup>(4)</sup>.

## دعم سلطات الانتداب لموجات الهجرة الصهيونية إلى فلسطين:

- 1 وديع البستاني، الانتداب الفلسطيني باطل ومحال، ص 20.
- 2 تيسير جبارة، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث، ص 67.
- 3 عزة دروزة، القضية الفلسطينية، ص 32.
- 4 تيسير جبارة، م.س، ص 67.

بدأ الصهاينة في أواخر القرن التاسع عشر الهجرة لفلسطين لبناء وطن قومي لهم فيها، وقد اتخذت تلك الموجات مراحل عدة، وزادت تلك الهجرة إلى فلسطين، عقب احتلال بريطانيا فلسطين أواخر الحرب العالمية الأولى (1917-1918م) نتيجة للدعم البريطاني لها، من خلال إصدار قانون الهجرة عام 1920م، وتطويره ورغم ذلك لم يكتف الصهاينة بالهجرة العلنية التي نفذتها سلطات الانتداب فلجأت إلى الهجرة السرية كما أصدرت سلطات الانتداب قانون الجنسية عام 1925م ومن ناحية أخرى اهتمت سلطات الانتداب بالخدمات الصحية للصهاينة ودعمت الأشغال العامة، والمواصلات الصهيونية<sup>(1)</sup>.

مرت الهجرة الصهيونية في فلسطين بمرحلتين هما: الهجرة غير المنظمة (قبل عام 1882م) والهجرة المنظمة منذ عام 1882 م، وحتى عام 1948م.

#### 1- الهجرة الصهيونية غير المنظمة (قبل عام 1882م):

بدأت الهجرة اليهودية إلى فلسطين في أواخر القرن الخامس عشر بشكل غير منظم، من يهود وسط أوروبا، إما لأغراض دينية، مثل مجيء رجال الدين للتعبد، وإما هرباً من محاكم التفتيش في أسبانيا بعد زوال الحكم الإسلامي فيها عام 1492م، وبلغت أعدادهم في عام 1839م نحو 6000 مهاجر يهودي مقابل 300000 عربي، أي أن نسبة اليهود لم تتعد 2 % من مجموع السكان لكن عدد اليهود ارتفع عام 1882 إلى 24 ألفاً وتركزت الجماعات اليهودية في القدس، طبرية، صفد، الخليل<sup>(2)</sup>.

---

1 علي أكرم مهاني، العلاقات الصهيونية البريطانية في فلسطين (ماجستير) غزة، الجامعة الإسلامية، 2010، ص211.

2 ينظر: فهمي وليم، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 145.144/1

لم يشارك اليهود في فلسطين في تلك الفترة في أنواع الإنتاج، وكان استيطانهم دون جذور اقتصادية، فعاش اليهود على الصدقات، ولم يشكل اليهود مجموعة متجانسة فقد اختلفت أجناسهم ولغاتهم وثقافتهم، وانقسموا إلى جماعات متميزة لكل مجموعة عالمها الخاص<sup>(1)</sup>.

## 2- الهجرة الصهيونية المنظمة (1882-1948م):

بدأت الهجرة الصهيونية المنظمة إلى فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر على شكل موجات، ويمكن تقسيم تلك الهجرة إلى:

### الهجرة الأولى (1882-1903م):

قدر عدد اليهود الذين دخلوا فلسطين في تلك الموجة ما بين 20 و30 ألف مهاجر يهودي، من روسيا وبولندا ورومانيا<sup>(2)</sup>، وقد حظيت تلك الهجرة بدعم من جمعية أحياء صهيون وحركة بيلو والبارون<sup>(3)</sup>، وكان أغلب أفراد الهجرة الأولى من الشباب المتأثرين بالأفكار الاشتراكية والآمال القومية، واعتبروا قدومهم إلى فلسطين عودة إلى الوطن القديم، كما اهتموا بالحياة الزراعية، وقد وصف الصهيوني موريس صاموئيل الهجرة الأولى بتجربة الإرادة والعودة<sup>(4)</sup>.

### الهجرة الثانية (1904-1914م):

عملت المنظمة الصهيونية بعد إنشائها عام 1897م على الإشراف على الهجرة والاستيطان في فلسطين، وقد تراوح عدد الوافدين فيها ما بين 35 و40 ألف صهيوني، جاء معظمهم من روسيا

---

1 ينظر: فهمي وليم، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، 1/144 . 145.

2 محمود شاكر، موسوعة تاريخ اليهود، ص319.

3 فهمي وليم، م.س، 1/155.

4 جوزيف كونر، دولة إسرائيل، ص56.

ورومانيا<sup>(1)</sup>، وقد مول الهجرة منذ بدايتها كبار الرأسماليين اليهود مثل البارون ادموند روتشيلد، والبارون دي هيرش الذي خصص نحو 10 ملايين جنيه إسترليني للاستيطان الصهيوني في فلسطين<sup>(2)</sup>.

### الهجرة الثالثة (1919-1923م):

فتحت أبواب الهجرة الصهيونية إلى فلسطين من جديد مع الاحتلال البريطاني لفلسطين عام 1918م، على نطاق واسع فقد بلغ عدد المهاجرين في الفترة ما بين 1919-1923م حوالي 35 ألف مهاجر وفدوا من روسيا ورومانيا، إضافة إلى أعداد قليلة من لوتوانيا، وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية<sup>(3)</sup>، وتعد الهجرة الثالثة مشابهة في تركيبها للهجرة الثانية من حيث كون معظم أفرادها شبابا<sup>(4)</sup>.

ومن بداية تلك الموجة ألقى الاستعمار البريطاني بثقله، لتحقيق فكرة الوطن القومي اليهودي الواردة في تصريح بلفور عام 1917م، وقد أرسل حاييم وايزمان رسالة في 21 كانون أول عام 1919م إلى الحاكم العسكري في فلسطين بولز، طالبه بجلب عدد كبير من اليهود إلى فلسطين<sup>(5)</sup>.

كما عمل هيرت صموئيل عقب تعيينه مندوبا ساميا على فلسطين في الأول من تموز عام 1920م على تهويد فلسطين فقد ذكر في خطابه الذي ألقاه في القدس في تموز 7 تموز عام 1920م على تهويد فلسطين، المشروعات التي أراد تنفيذها وأوضح أن تنفيذها لن يتم بدون أناس آخرين يأتون من الخارج وستفتح الموانئ والحدود عما قريب لعدد محدود من المهاجرين اليهود يكون مناسباً للعمل الذي يحتاجهم، وما تساعد عليه المساكن وسيصدر أمر في أقرب وقت يقرر وضع الهجرة تحت رقابة الحكومة ويحدد الشروط التي بموجبها يسمح للمهاجرين بدخول فلسطين<sup>(6)</sup> وفي العام نفسه منح هيرت هيرت صموئيل الصهاينة 176 ألف دونم، لاستغلالها في توطين المهاجرين الصهاينة.

- 1 أسهان شريم، جذور الاستيطان الصهيوني في فلسطين، ص20.
- 2 كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص771.
- 3 عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، 7/73.
- 4 عبد الوهاب الكيالي، م.ن، 7/73.
- 5 محمد سليم، نشاط الوكالة اليهودية، ص115.
- 6 كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص772.

وفي 26 آب عام 1920م، أصدر هيربرت صموئيل أول قانون للهجرة عرف باسم قانون الهجرة لعام 1920، منح بموجبه الصهاينة جواز سفر، وشهادة خلو من الأمراض المعدية كما سمح بدخول 16500 يهودي سنويا بإشراف المنظمات اليهودية مصنفة حسب الفئات التالية<sup>(1)</sup>:

- 1- الأشخاص الذين تضمن المنظمة اليهودية إعالتهم لمدة عام.
  - 2- الأشخاص الذين تتوافر لديهم الموارد المستقلة أو الذين يقدمون الدليل على قدرتهم على إعالة أنفسهم.
  - 3- رجال الدين تتوافر وسائل إعاشتهم في فلسطين<sup>(2)</sup>.
- وضع ذلك القانون حجر الأساس للاستيطان الصهيوني في فلسطين، ويعد أحد العوامل التي دفعت إلى اندلاع الثورات منذ عام 1920م.

#### الهجرة الرابعة (1924-1931م):

وصلت الهجرة الصهيونية الرابعة فلسطين ما بين عامي 1924.1931م وكان أغلبها من يهود بولونيا، ولقبت باسم هجرة غرابسكي واستغل أصحاب تلك الموجة رؤوس الأموال الخاصة التي احضروها معهم، في إقامة بعض المشاريع الصغيرة الخاصة، وقد عدد أفراد تلك الموجة بحوالي 82 ألف مهاجر صهيوني<sup>(3)</sup>.

في آب عام 1925م وافق المستر أمرى، وزير المستعمرات البريطاني على تعديل قانون الهجرة السابق وقد منح قانون الهجرة لعام 1925م الوكالة اليهودية حق اختيار العمال اليهود، وفي الوقت نفسه لم يضع أي قيد على حجم أو نوع الهجرة، كما خفض الدخل المالي للمهاجر الحرفي إلى 250 جنيه وسمح لليهودي الذي يزيد دخله عن 60 جنيه فلسطينيا سنويا أن يدخل إلى فلسطين دون عوائق كما منح رجال الدين والطلبة واليتامى حق الدخول إلى فلسطين دون أي قيد مالي<sup>(4)</sup>.

---

1 أحمد العلمي، الاجتياح البريطاني، ص198.

2 سميح شبيب، الأصول الاقتصادية، ص40.

3 إلياهو إيلات، من خلال ضباب الأيام (بالعبرية)، ص79.

4 علي أكرم مهاني، العلاقات الصهيونية البريطانية في فلسطين (ماجستير) غزة، الجامعة الإسلامية، 2010، ص218.

وفي هذه الفترة استطاع الصهاينة إنشاء 36 مستوطنة صهيونية جديدة، فارتفع بذلك عدد المستوطنات الصهيونية في فلسطين إلى 99 مستوطنة، أما عدد الصهاينة فقد ارتفع من 83790 نسمة بموجب إحصاء سنة 1922م، إلى 151656 نسمة عام 1928<sup>(1)</sup>.

### الهجرة الخامسة (1932-1936م):

زادت الهجرة الصهيونية إلى فلسطين في بداية الثلاثينيات خاصة بعد تعيين أرثر واكهوب مندوبا ساميا في فلسطين في الأول من تشرين الثاني عام 1931م الذي انتهج سياسة قائمة على تهويد فلسطين<sup>(2)</sup>، ومما زاد هجرة الصهاينة إلى فلسطين وصول الحزب النازي إلى الحكم في ألمانيا عام 1933<sup>(3)</sup> وعلى أثر ذلك ضغطت المنظمة الصهيونية على سلطات الانتداب لتعديل قوانين الهجرة، فتم سن قانون جديد في آب عام 1933م عرف باسم قانون الهجرة لعام 1933 لتسهيل هجرة الصهاينة إلى فلسطين، وتميزت الهجرة الخامسة بارتفاع أعداد المهاجرين من أصحاب رؤوس الأموال والمهن الحرة والعمال المتخصصين ففي عام 1930م ارتفع عدد العمال الصهاينة المصرح لهم بدخول فلسطين من 17545 مهاجر إلى 32516 مهاجر<sup>(4)</sup>.

### الهجرة الصهيونية السادسة (1936-1948م):

استمرت الهجرة الصهيونية طوال هذه السنوات، ففي سنة 1936م وصل عدد المهاجرين الصهاينة إلى 29727 مهاجر، أما في عام 1937م فيبلغ عددهم 10536 مهاجر، أما في عام 1938م فدخل إلى فلسطين 12868 مهاجر صهيوني، أما في عام 1939 فدخل إلى فلسطين 16405 مهاجر صهيوني، أي أن عدد المهاجرين الصهاينة في الفترة ما بين 1936-1939م بلغ 69536 مهاجر صهيوني<sup>(5)</sup>، ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) بدأت موجة هجرة صهيونية جديدة

---

1 صبري جريس، تاريخ الصهيونية، 150/2-151.

2 صبري جريس، تاريخ الصهيونية، 247/2.

3 علي أكرم مهاني، العلاقات الصهيونية البريطانية في فلسطين (ماجستير) غزة، الجامعة الإسلامية، 2010، ص220.

4 وليم فهمي، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، 172/1-173.

5 خليل حسونة، الثورة الشعبية، ص72.

إلى فلسطين من دول غرب أوروبا، حيث بلغ عدد الوافدين في تلك الموجه نحو 120 ألف صهيوني<sup>(1)</sup>.

### دور بريطانيا في تسهيل انتقال الأراضي الزراعية للصهاينة:

شرعت شركات صهيونية متنوعة للاستعمار وشراء الأراضي، بالحصول على أراضي الدولة، وكذلك على الأراضي المملوكة لملاك غائبين مقيمين بلبنان أو سوريا أو مصر، وكان أبرز تلك المحاولات هي محاولة السيطرة على أراضي الدولة في بيسان وأراضي مرج ابن عامر الخصبة التي سميت بمخازن غلال فلسطين.

#### 1- أراضي اتفاق مستأجري غور المدورة (أراضي بيسان):

سعت سلطات الانتداب إلى تسهيل عملية انتقال أراضي بيسان للصهاينة، لأنها تقع ضمن أخصب سهول فلسطين، وفي تموز عام 1921م، أرسلت الاستخبارات العسكرية البريطانية تقريراً إلى وزير المستعمرات ونستون تشرشل جاء فيه أن من الممكن حدوث ثورة بصورة فجائية في حالة قيام سلطات الانتداب منح الصهاينة أراضي في منطقة بيسان على حساب العرب<sup>(2)</sup>.

وفي صيف عام 1921م أعلنت سلطات الانتداب أن جميع الأراضي لن تزرع طالما أن المستأجرين لم يوقعوا عقود استئجار جديدة مع الإدارة البريطانية، فاضطر المزارعون العرب للتوقيع على عقود الاستئجار<sup>(3)</sup>، وكان توقيع اتفاق بيسان في تشرين ثان عام 1921م وجاء في بنود الاتفاق أنه إذا عجز المزارع عن دفع مستحقات الأرض خلال 15 عاماً، يفقده حقه الشرعي فيها<sup>(4)</sup>.

وفي المقابل سهلت المادة رقم 16 من بنود الاتفاقية عملية بيع الأراضي للصهاينة قبل أن يتم تسجيل صكوك الملكية، وقد نصت تلك المادة على أنه بدءاً من تاريخ ذلك الاتفاق، يتم اعتبار جميع الأشخاص، الذين يطلق عليهم وفق شروط المتنازل لهم، ملاكاً للأراضي الأميرية، وخاضعين للقوانين المتعلقة بتلك الأرض، ولهم الحرية في ممارسة جميع الحقوق والمزايا ذات الصلة بملاك الأراضي

1 زكريا السنوار وعلي مهاني، التغلغل الصهيوني في القدس 1918-1948، ص 781.

2 سحر الهندي، التأسيس البريطاني للوطن القومي، ص 277.

3 يوري كوليسنيكوف، أرض الميعاد في فلسطين، ص 61.

4 يوري كوليسنيكوف، م.ن، ص 62.

الأميرية، كزراعة الأشجار وإقامة المباني على الأرض التي نقلت ملكيتها لهم، شرط ألا يتم أي تحويل للملكية عدا ما تم بطريقة الرهن للحكومة أو الإرث إلا بعد دفع ثمن نقل الملكية بالكامل<sup>(1)</sup>. وأكد الباحث البريطاني كينث شتاين أن الصهاينة بموجب تلك الاتفاقية بدؤوا شراء الأرض في بيسان بنشاط منذ عام 1922م، وأصبحت أراضيها بالتدريج في حيازة الصهاينة في الثلاثينيات من القرن العشرين<sup>(2)</sup>، وفي كانون أول عام 1928م عدلت سلطات الانتداب اتفاقية بيسان، بسبب الضغوطات الصهيونية عليها، بحيث مددت الدفع إلى ثلاثين عاما، ومنحت الصهاينة نصيبا من أراضي الدولة، كما سمحت المادة السادسة عشرة من اتفاقية بيسان المعدلة، بنقل الأراضي إلى أية جهة كانت طالما أن دفع الرسوم يؤول إلى خزينة الدولة<sup>(3)</sup>، وبذلك منحت تلك المادة الصهاينة شراء مساحات واسعة من الأراضي.

## 2- أراضي مرج ابن عامر:

تعدّ تربة أراضي مرج ابن عامر من أفضل الأراضي في فلسطين، لأنها طينية صلصالية ثقيلة، غنية بالمواد العضوية مما جعلها خصبة جدا، وزاد من قدرتها على الاحتفاظ بالرطوبة، لذا تطلع الصهاينة إلى السيطرة عليها، ففي عام 1891م حاول الصهاينة شراء أراضي مرج ابن عامر من عائلة سرسق اللبنانية، عندما اتفق يهوشع خانكين مع بعض أفراد العائلة لشراء 120 ألف دونم، لكن الدولة العثمانية أوقفت البيع<sup>(4)</sup>، وسهلت سلطات الانتداب ما بين عامي 1920-1925م شراء أكثر من 200 ألف دونم في مرج ابن عامر للصهاينة، مما أدى إلى جلاء نحو 900 عائلة من المزارعين المستأجرين فيها، دون أن تفكر في حمايتهم<sup>(5)</sup>.

- 
- 1 سحر الهندي، التأسيس البريطاني للوطن القومي ، ص279.
  - 2 سحر الهندي، م.ن، ص281.
  - 3 يوري كوليسنيكوف ، أرض الميعاد في فلسطين، ص63.
  - 4 سحر الهندي، م.س، ص281.
  - 5 غازي السعدي، الأحزاب والحكم في إسرائيل، ص19.

## المطلب الخامس: الاحتلال الفرنسي للجزائر والإبادات الجماعية:

تعود أسباب الحملة الفرنسية على الجزائر إلى مجموعة من الأسباب المختلفة نذكر منها: أسبابا سياسية واقتصادية ودينية وعسكرية.

### 1- الأسباب السياسية:

لقد شهدت الفترة التي احتلت فيها الجزائر ظروفًا دولية تميزت بنمو الذهنية العدوانية، وتعاضم شأنها في الغرب الأوروبي منذ نهاية القرن الثامن عشر<sup>(1)</sup> فكلّف مؤتمر فيينا عام 1815م باسم دول أوروبا اللورد اسموث ليضع حدا لاستعباد المسيحيين وقرصنة ولاية الجزائر . حسب زعمهم . وهو المشروع الذي رفضت فرنسا المشاركة فيه، وذلك لإيقاف الهيمنة الإنجليزية على البحر المتوسط<sup>(2)</sup>، فقدم الأدميرال سيدني سميث مذكرة لهذا المؤتمر يطالبه بضرورة وضع حد لأعمال القرصنة ضد السفن الأوروبية وطلب من الدول الأوروبية أن توقع معاهدة تتعهد فيها بتقديم القوات البرية والبحرية اللازمة لحراسة سواحل البحر الأبيض المتوسط ولمراقبة وتحطيم سفن قرصنة شمال إفريقيا<sup>(3)</sup>.

أما في فرنسا فقد كانت الظروف التي تعيشها بعد انهيار الإمبراطورية ورجوع النظام الملكي ومجيء الملك شارل العاشر سنة 1824 الذي ارتكبت أخطاء سياسية عديدة أدت إلى ظهور أزمات سياسية خطيرة<sup>(4)</sup>، تمثلت في الصراع الحاد الذي نشب بين السلطة الحاكمة والليبراليين الذي سببوا مشاكل لشارل العاشر وكادوا أن يطيحوا به، فسارع الملك إلى حل مجلس النواب الذي كان يسيطر عليه الليبراليون وتنظيم انتخابات جديدة، واتخذ شارل العاشر من الحملة العسكرية على الجزائر وسيلة لحل مشاكله السياسية الداخلية<sup>(5)</sup> ويتوجبه الرأي العام الفرنسي إلى الخارج.

### 2- الأسباب العسكرية:

- 1 جمال فنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ص70.
- 2 محمد عيساوي ونبيل شريخي، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري، ص11.
- 3 جلال يحيى، السياسة الفرنسية في الجزائر (1830-1960)، ص53 . ص54.
- 4 علي تابلت، تاريخ أسطورة المروحة والاحتلال 29 أبريل 1827، مجلة الذاكرة، ص105.
- 5 عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، ص49.

تمثلت في انهزام الجيش الفرنسي في أوروبا وفشله في احتلال مصر والانسحاب منها تحت ضربات القوات الإنجليزية في سنة 1801، مما دفع بنابليون بوناپرت لكي يضع خطة عسكرية تسمح له بإقامة محميات فرنسية في شمال إفريقيا تمتد من المغرب الأقصى إلى مصر<sup>(1)</sup>، بالإضافة إلى عدم إعطاء الحكومة الجزائرية والمعروفة آنذاك بحكومة الداوي حسين الأهمية لتكوين جيش جزائري بأتم معنى الكلمة وتدريبه على فن القتال، ولهذا لم يصطدم الفرنسيون بجيش حقيقي يقاومهم ويردهم على أعقابهم، وكذلك تحطم الأسطول الجزائري من طرف الحلف المقدس الأوروبي بقيادة بريطانيا في عام 1816م<sup>(2)</sup>.

### 3- الأسباب الاقتصادية:

لعبت الجوانب الاقتصادية دورا قويا في إقدام فرنسا على احتلال الجزائر، ويظهر ذلك من خلال الدراسة التي نشرها السيد تاليران عام 1797م والتي كان عنوانها "محاولة حول الامتيازات التي يمكن الحصول عليها من جراء إنشاء مستعمرات جديدة في الظروف الحالية"<sup>(3)</sup>، وكانت فرنسا تعاني من أزمات البطالة وزيادة السكان وفائض في إنتاجها الصناعي وهو ما أكده المارشال جيرار سنة 1830 قائلا: "الحكومة الفرنسية عازمت على الاحتفاظ بالجزائر لفتح أرض واسعة للفائض من سكانها ولتسويق إنتاج مصانعها"<sup>(4)</sup>، ومن خلال هذه المقولة نستنتج أن تزايد عدد السكان في فرنسا جعل حكومتها تعزم على الاحتفاظ بالجزائر. وكانت الأطماع الفرنسية تحوم حول خزينة الجزائر التي سمعوا بثرائها<sup>(5)</sup>، وكذلك الرغبة الشديدة للكبار الفرنسيين والحكومة الفرنسية بامتلاك أراض جديدة تعوضهم عما فقدوه أثناء الثورة وحكم نابليون وفي معاهدة باريس عام 1815م التي تنازلت فيها عن معظم أجزاء إمبراطوريتها الأولى لإنجلترا، وقد صرح الجنرال بيجو أمام البرلمان الفرنسي عام 1830م بما

- 
- 1 عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ص 84.
  - 2 علي تابلت، تاريخ أسطورة المروحة والاحتلال 29 أبريل 1827، مجلة الذاكرة، ص 104.
  - 3 عمار بوحوش، م.س، ص 84. ص 85.
  - 4 قرين عبد الكريم، جرائم الاستعمار الفرنسي معتقل كاليدونيا نموذجا، الملتقى الدولي الأول حول جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر بين الجريمة المكتملة والمسائلة المؤجلة، يومي 16، 17 نوفمبر 2011، ص 3 (ملتقى).
  - 5 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830 . 1900)، ص 23.

يلي: أينما وجدت المياه الصالحة والأرض الخصبة تجب إقامة المعمرين بدون استفسار من أصحاب الأراضي هذه<sup>(1)</sup> وتطلع فرنسا إلى ثروات الجزائر الزراعية والمعدنية وأسواقها التجارية كان وراء الغزو، خاصة بعد انطلاق ثورتها الصناعية عام 1825م ومما ورد في تقرير وزير الحرب الفرنسي الجنرال كليرمون تونير إلى شارل العاشر في سبتمبر 1827م: "...توجد مراسٍ عديدة على السواحل الجزائرية الطويلة التي يعتبر الاستيلاء عليها مفيدا لفرنسا، وتحوي أراضي الجزائر مناجم غنية بالحديد والرصاص، وتزخر بكميات هائلة من الملح، كما توجد في سواحلها ملاحات غنية، وإلى جانب كل هذه الثروات، توجد الكنوز المكدسة في قصر الداوي، وتقوم قيمتها 150 مليون فرنك..."<sup>(2)</sup>.

#### 4- الأسباب الدينية:

تعتبر فرنسا في بداية القرن التاسع عشر الميلادي من أخطر الدول الأوروبية تعصبا للديانة المسيحية<sup>(3)</sup>، وكان الصراع الذي كان قائما بين الدولة المسيحية الأوروبية والدولة العثمانية الإسلامية قد انعكس على الجزائر لأن الأسطول الجزائري القوي يعتبر في نظر الدول المسيحية الأوروبية عبارة عن امتداد للأسطول العثماني مما دفع بهذه الدول إلى محاولة ضرب المسلمين في الجزائر وإسطنبول، وقد دعت فرنسا إلى غزو الجزائر بدعوى إنقاذ المسيحية والمسيحيين من أيدي القراصنة الجزائريين والقضاء على عش القراصنة حسب تعبيرها<sup>(4)</sup>، وإحياء المسيحية في إفريقيا كما كانت بزعمهم أيام القديس أوغسطينوس ومن ذلك تعبير وزير الحرب كليرمون تونير في تقرير إلى الحكومة يوم 14 أكتوبر عام 1827م عن آماله في تنصير الجزائر بقوله: "يمكننا في المستقبل أن نكون سعداء ونحن نمدن الجزائريين، أن نجعلهم مسيحيين، لنحقق بذلك نصرا يبدو أن العناية الإلهية تعده لنا"<sup>(5)</sup>.

1 بوزيان سعدي، جرائم فرنسا من الجنرال بوجو إلى الجنرال أوساريس، ص 22.

2 رابح لونييسي ويشير بلاح وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 . 1989)، ص 59.

3 عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 . 1962)، ص 50.

4 خديجة بقطاس، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830 . 1871)، ص 17.

5 رابح لونييسي ويشير بلاح وآخرون، م.س، ص 60.

وهذا دوبرمون يقول في البيان الذي وجهه إلى المبشرين الذين رافقوا الجيش الفرنسي إلى الجزائر عند احتلالها: "لقد جنتم لتعيدوا معنا فتح الباب على مصراعيه لتدخل المسيحية إفريقيا، وإننا لكبير الأمل أن تعم ديانتنا هذه الربوع قريبا لتعمل من جديد على ازدهار المدنية التي انطفأ نورها منذ عدة قرون"<sup>(1)</sup>.

### واقع الاحتلال الفرنسي للجزائر

يعد احتلال فرنسا للجزائر من أطول الاحتلالات، حيث بدأ منذ عام 1830م، وقد تميز بالوحشية حيث تخلله عدد من المجازر مثل: إبادة سكان منطقة البليدة عام 1830م، و إبادة سكان قبيلة العوفية عام 1832م، وإبادة سكان قبيلة أولاد رياح عام 1845م.

### المطلب السادس: الاستعمار والأقليات:

دأبت الدول على استخدام الأقليات كورقة سياسية للتدخل في شؤون الدول الأخرى أو للضغط عليها لتحقيق مكاسب أو مصالح لدولتها، ثم تتخلى عنها بشكل كامل ودون لياقة عند خضوع الدول وتنفيذ ما تسعى إليه أو الاتفاق على موضوع معين وتتجلى مسألة التدخل الخارجي باستغلال الأقليات واستخدامها كوسيلة ضغط.

أما عن التحديات التي تواجه هذه الأقليات في واقعنا الراهن، فإنها في الحقيقة هي التحديات التي تواجه الأمة فقوى الهيمنة الغربية تريد أن تجعل من هذه الأقليات أوراق ضغط وثيرات اختراق وتدخل لإعاقة تقدم الأمة، كل الأمة ونهوضها وانعتاقها وانبعاتها الحضاري، إنها التحديات التي تعيد مرة أخرى قصة الغواية الاستعمارية ومشاريع الحماية التي حاولتها قوى الغزو والاستعمار مع هذه الأقليات تاريخيا، تحاولها الآن قوى الهيمنة الغربية، وفي المقدمة منها العولمة الأمريكية، وذلك من خلال المخططات الاستعمارية المعلنة لتفتيت الأمة، أكثر مما هي مفتتة. وتحويل كياناتها القطرية إلى كيانات ورقية وفسيفسائية بوساطة الأقليات، وهناك حقيقة يلمسها الدارس لمراحل وألوان هذه

1 محمد الصالح الصديق، الجزائر بلد التحدي والصمود، ص51.

المخططات الاستعمارية الحديثة والمعاصرة للعب بأوراق الأقليات في وطن العروبة وعالم الإسلام، و هي وجود الأصابع الصهيونية في كل هذه المخططات والمحاولات<sup>(1)</sup>.

فمنذ بدايات الغزوة الغربية الاستعمارية الحديثة للوطن العربي، قلب العالم الإسلامي، بوساطة حملة بونايرت (1821.1769م) على مصر كان الإعلان عن مخطط العمل على استخدام الأقليات في مشروع الهيمنة الاستعمارية على بلادنا، وذلك عندما أعلن بونايرت وهو في البحر من مرسيليا إلى اسكندرية عزمه تجنيد عشرين ألفا من أبناء الأقليات غير المسلمة ليكونوا مواطئ أقدام وثغرات اختراق تعينه على بناء إمبراطوريته الاستعمارية الشرقية، وأثناء حصاره لمدينة عكا سنة 1799م في الذكرى المئوية السابعة لاحتلال الصليبيين للقدس سنة 1097م أصدر بونايرت نداءه إلى الأقليات اليهودية في العالم كي تتحالف معه لتحقيق هذا العرف الاستعماري مقابل أن يساعدها على احتلال فلسطين، ومنذ ذلك التاريخ اتخذت قطاعات من هذه الأقليات اليهودية أكثر القرارات لا أخلاقية<sup>(2)</sup>، وذلك عندما وظفت نفسها في خدمة الحضارة الغربية ضد الحضارة الإسلامية.

ولتسليط الضوء على كيفية استخدام الاستعمار لموضوع الأقليات في العالم العربي بشكل خبيث وضمن سياسة ممنهجة لا تقبل التأويل فإننا سنتطرق إلى محورين:

### أولاً: المسألة البربرية في المغرب العربي:

حاولت فرنسا خلق العداء بين البربر والعرب في المغرب العربي وعزل البربر عن المجتمع العربي وتمزيق الوحدة الوطنية للسكان التي شكلتها مئات السنين من العيش المشترك تحت الحكم العربي الإسلامي، وكانت سياسة فرنسا تجاه البربر التي اتخذتها في المغرب العربي واحدة من أهدافها وأساليبها<sup>(3)</sup>، واستخدم الفرنسيون هذه السياسة منذ احتلالهم للجزائر عام 1830م، لغرض ضمان

1 محمد عمارة، الإسلام والأقليات، ص32.

2 ينظر: محمد عمارة، الطريق إلى اليقظة الإسلامية، ص24 . 30.

3 علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1919 . 1945م، ص216.

سيطرتهم على شمال إفريقيا على نحو كامل<sup>(1)</sup>، وبعد أن فشلوا في تجنيس المغاربة، اهتدى ساسة فرنسا الاستعماريون إلى أن الفرنسية لا يمكن أن تخرج إلى حيز الوجود إلا عن طريق التنصير، ولا سيما أن القسم الأكبر من سكان المغرب هم من البربر، واعتقدت فرنسا أن إسلامهم سطحي وليس ببعيد أن ينتصروا ويندمجوا معها<sup>(2)</sup>، ومنذ اليوم الذي سطت فيها سلطتها على القبائل الجزائرية وهي سياسة ترمي إلى مقاومة الإسلام بصيغة قانونية، ومقاومته بصفته عقيدة، ومقاومته بكونه حارسا للثقافة العربية، ومثيرا بها بين الناس، ومقاومته بكونه دستورا أساسا للأمة المغربية، وكون الإسلام ديننا يدعو إلى مقاومة الغزاة<sup>(3)</sup>، ولهذا أجمع ساسة فرنسا ومبشروها وعلماءها الاستعماريون على أن هذه البلاد لا يمكن الاطمئنان عليها إلا بعد إزاحة الإسلام منها، وأن تنصير أهلها هو خير طريقة لضمان نجاحهم وأقصى سلاح لمحاربة الأخطار القادمة<sup>(4)</sup>.

وفي عام 1849م فصلت فرنسا منطقة القبائل الصغرى البربرية عن بقية البلاد، ثم أنشأ بيجو<sup>(5)</sup> منطقة القبائل الكبرى في إدارة مستقلة عام 1853م<sup>(6)</sup>، وعزلت سلطات الاحتلال الفرنسية هاتين المنطقتين في محاولة لفصل سكانهما من البربر عن المجتمع الإسلامي، وبذلك أخضعتهما إلى نظام إداري وقضائي خاص بهما وأنشأت مجالس الجماعات البربرية عام 1836م، التي كانت تدير شؤون القبائل<sup>(7)</sup>.

حاول علماء اللغة الفرنسية وضع قواعد الصرف والنحو في لغة القبائل البربرية، بهدف محو الثقافة العربية الإسلامية لهم، تمهيدا لتنصيرهم وربطهم نهائيا بالثقافة الفرنسية، وبذلت البعثات التبشيرية

- 
- 1 محمد مكي الناصري، فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، ص2.
  - 2 علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص141.
  - 3 محمد مكي الناصري، م.س، ص2.
  - 2 لقمان صالح احمد لقمان، سياسة فرنسا تجاه البربر وأثرها في الحركة الوطنية المغربية 1930-1936 (ماجستير)، العراق، جامعة بغداد، 1987، ص31.
  - 5 هو أحد قادة الاحتلال الفرنسي في الجزائر (عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ص220).
  - 6 محمود الكروزي، الفكر السياسي لحزب الاستقلال المغربي (ماجستير)، العراق، الجامعة المستنصرية، 1989، ص180.
  - 7 عبد العاطي أحمد، الإسلام والعروبة في المغرب العربي: مجلة قضايا عربية، ص364.

جهودا كبيرة لتحقيق هذه الغاية ولكن دون طائل<sup>(1)</sup>، فلما طالت فرنسا تونس عام 1881م سعت إلى نقل تجربتها في المغرب إليها غير أن البربر في تونس لا يشكلون أكثر من 2 % من سكانها ويعيشون في منطقة فقمة ومطماطة والدويرات وشتي في أقصى الجنوب، ولم يكن من السهل عليها الاستمرار في تلك السياسة<sup>(2)</sup>، وعندما فرضت الحماية الفرنسية في 24 آذار عام 1912 على الأقصى أرغمت السلطان عبد الحفيظ في 30 آذار من العام نفسه على توقيع معاهدة الحماية<sup>(3)</sup>، وتنازل لأخيه المولى يوسف، عن عرش المغرب فقد اتخذت سياسة فرنسا البربرية أبعادا وآثارا خطيرة ذلك وأن البربر في هذا القطر العربي يتجمعون في قبائل مستقلة ومنعزلة في جبال الأطلس وتغياالت والريف (شمال البلاد) وإن كانوا لا يشكلون كتلة بشرية متماسكة وموحدة<sup>(4)</sup>.

كان الفرنسيون يرون أنهم يستطيعون الاعتماد على البربر في فرنسا البلاد ولذلك كان اعتناؤهم في هذا الجانب واضحا، منذ فرض الحماية، فقد أنشأوا مدرسة اللغة العربية للهجات البربرية عام 1913م، وذلك لدراسة لغتها وآدابها وكان ذلك بمثابة تسهيل لوجود هذه الأعراف وتعيين للقبائل التي توجد فيها<sup>(5)</sup>.

إن من أهداف السياسة الفرنسية في المغرب أنها قامت على أساس أن سكان المغرب ينقسمون إلى قسمين أحدهما البربر وثانيهما العرب، وأن الثاني فتح بلد الأول واستعمره، فإن مهمة فرنسا ترمي إلى تحرير الأول من الثاني دينا ولغة وثقافة لتحقيق توازن سياسي من أجل إبقاء فرنسا في المغرب الأقصى<sup>(6)</sup>، حاولت فرنسا بكل الطرق اتباع أساليب لإبعاد الدين الإسلامي عن البربر من خلال فتح مدارس فرنسية استعمارية بربرية يحظر فيها تعليم الإسلام واللغة العربية، وإغلاق الكتاتيب القرآنية في

- 
- 1 عماد اوزيفان، الجهاد الأفضل، ص33
  - 2 ينظر: علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1919 . 1945، ص218217.
  - 3 وهي المعاهدة التي بموجبها وضع المغرب الأقصى تحت الحماية الفرنسية 30 آذار 1912، حيث أرغم السلطان عبد الحفيظ على توقيع المعاهدة (مكتب المغرب العربي، الحماية الفرنسية في مراكش بعد 36 سنة، ص43).
  - 4 روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ص105.
  - 5 أنور الجندي، الفكر العربي المعاصر في معركة التعريب والتبعية الثقافية، ص96.
  - 6 علال الفاسي، حديث المغرب في الشرق، ص117.

القبائل البربرية، وتشجيع التبشير ومنع رؤساء الطرق الصوفية من وعاظ المسلمين من الذهاب إلى تلك القبائل والعمل على تأسيس محاكم عرفية لا يحكم فيها قضاة الإسلام ولا تطبق الشريعة الإسلامية وأن تعتمد على عادات وتقاليد تكونت عند البربر من الموروث على مر العصور<sup>(1)</sup>.

وقد وضعت فرنسا إجراءات عديدة لتطبيق سياستها الاستعمارية وأهمها:

#### 1- إحياء الأعراف البربرية القديمة:

عملت السلطة الفرنسية على إحياء الأعراف البربرية، التي كانت موجودة قبل قيام الإسلام وإدماجها في القانون الفرنسي وتكوين خليط منها تفرضه على المغاربة حتى يتحاكموا إليه بدلا من القانون الإسلامي، وهذه السياسة تدعي أن البربر لم يدخل الإسلام في قلوبهم وأنهم ما عرفوا الإسلام إلا معرفة سطحية ثم ادعت أنهم ما عرفوا الإسلام ولا آمنوا به يوما من الأيام<sup>(2)</sup>، ولهذا بحثت السلطة الفرنسية في القبائل البربرية عن أعراف وعادات وتقاليد القبائل البربرية ودرستها، وكلفت مجموعة من رجالها برئاسة جورج سوردون<sup>(3)</sup>، لدرستها وصياغتها وفق المنظور الفرنسي، وبعد إضافة مواد قانونية مشتقة من القانون الفرنسي تم إصدارها على شكل ظهير صدر في 11 أيلول 1914 وبموجبه فتحت لمناطق القبائل البربرية محاكم عرفية تفصل في القضايا وفق الأعراف والعادات والتقاليد البربرية، مما أخرجها عن المحاكم الشرعية الإسلامية<sup>(4)</sup>.

---

1 ينظر: لحسن بو عياد، الحركة الوطنية والظهير البربري، ص 605.597.

2 خيرية عبد الصاحب، الفكر القومي العربي نشوءه وتطوره 1830 . 1962، ص 58.

3 هو أحد رجال الاستعمار الفرنسي كان أستاذا للحقوق الإسلامية أو ما يسمى العرف البربري ثم عين رئيسا للعدلية عام 1930 عند إعلان فرنسا تطبيق السياسة البربرية تطبيقا نهائيا (محمد مكي الناصري، فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، ص 64 . 65).

4 علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1919 . 1945، ص 218.

## 2- طمس التعليم العربي والإسلامي:

عملت السلطة الفرنسية على محاربة اللغة العربية والتعليم لطمس الثقافة العربية الإسلامية وتشكيل مدارس فرنسية وبربرية لإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية<sup>(1)</sup>. فيقول ليوتي<sup>(2)</sup> من أهداف التعليم في مراكش: "يجب أن نلتزم بمبدأ التعليم المهني للعامة والتعليم العام للنخبة ولكن ينبغي أن ننتبه حتى لا يصبح الشباب دعاة للهيّاج الثوري والاضطراب، ويجب أن يقتنعوا بأن واجبهم الأول هو مساعدتنا في الحفاظ على تراثهم"<sup>(3)</sup>.

و لما دخل العرب إفريقيا عربوا السهول وانتشرت لغتهم فيها وحلت محل البربرية ولم يبق من البربر محافظا على لغته إلا الجيليون، وعلينا تجنب الفقهاء الذين تحتاج إليهم الجماعة والكتاب والمدرسون، ويجب أن يكونوا من البربر لأن من استعملناه من الجزائريين العرب في التدريس نشروا العربية القرآن<sup>(4)</sup>، فقد جاء نظام التعليم الذي وضعته إدارة الحماية الفرنسية في المغرب الأقصى لخدمة مصالحها في جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسة والاقتصادية وإنشاء العديد من المدارس الفرنسية البربرية وكان الهدف من هذه المدارس عزل البربر عن العرب لطمس شخصيتهم العربية الإسلامية<sup>(5)</sup>.

"و هذه المدرسة الفرنسية البربرية هي فرنسية باعتبار ما يقرأ فيها وبربرية باعتبار تلاميذها، فلا حاجة بنا إلى وساطة أجنبي، حيث إن التعليم العربي وتدخل الفقهاء وكل المظاهر الإسلامية ستبعد عنها

- 
- 1 لقمان صالح احمد لقمان، سياسة فرنسا تجاه البربر وأثرها في الحركة الوطنية المغربية 1930-1936 (ماجستير)، العراق، جامعة بغداد، 1987، ص71.
  - 2 هو لويس هوبرت ليوتي، أول مقيم فرنسي في المغرب، كان المنفذ للسياسة البربرية وقد تولى منصب الإقامة العامة في المغرب الأقصى 1912-1925 (لقمان صالح احمد لقمان، سياسة فرنسا تجاه البربر وأثرها في الحركة الوطنية المغربية 1930-1936 (ماجستير)، العراق، جامعة بغداد، 1987، ص27).
  - 3 علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1919-1945، ص197.
  - 4 مجلة المنار المصرية، العدد 14، 304/4.
  - 5 نازلي معوض أحمد، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، ص58.

أبعادا، وإنما سنجذب إينا بوساطة هذا التعليم الصبيان البرابرة وبذلك نبعدهم قسرا عن كل ما يطلق عليه لفظ إسلام"<sup>(1)</sup>.

ومن أجل تنفيذ فرنسا لسياستها التعليمية فقد أصدرت الإقامة العامة بلاغا رسميا بتاريخ 22 أيلول عام 1915م يقضي بجعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للجماعات البربرية وبها تكتب جميع المداوات في سجلات الجماعات، وبها تسجل العقود والسندات<sup>(2)</sup>، وأصدرت منشورا عام 1919م يدعو إلى إعداد ضباط من البربر متقنين ثقافة فرنسية لحكم المناطق البربرية، فقد قامت السلطة الفرنسية ببناء عدد من المدارس الابتدائية على حدود المناطق البربرية لمنع اتصال البربر بإخوانهم العرب من أجل ضمان نجاح مشروعها، وقامت بفتح بعض المدارس الثانوية بمناطق البربر أيضا، حيث كانت أشهر تلك المدارس الثانوية (ازوا) البربرية، التي فتحتها سلطة الاحتلال عام 1924م بعد ذلك تزايد فتح المدارس، لكن ذلك لم يدم طويلا، بسبب شدة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي للمغرب<sup>(3)</sup>.

### 3- إدارة القبائل البربرية وتنظيمها:

تألفت لجنة الأبحاث البربرية بأمر من ليوتي في الرباط في 9 كانون الثاني عام 1915 بهدف جمع المعلومات وإعداد الأبحاث عن القبائل البربرية وتقديم مقترحات عملية تساعد سلطات الحماية على تنظيم هذه القبائل وإدارتها، وتولى رئاسة هذه اللجنة الكاتب العام للحماية، وضمت في عضويتها رئيس إدارة التعليم ورئيس إدارة الأوقاف، ومدير الاستخبارات، ورئيس المكتب الحربي، ومدير المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية، وجميع أسانذتها الذين اختارهم ليوتي من خيرة دعاة السياسة البربرية في الجزائر وتونس وفرنسا<sup>(4)</sup>.

1 أنور الجندي، الفكر الثقافي المعاصر في شمال إفريقيا، ص226 .

2 علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1919 . 1945، ص197.

3 كريدية إبراهيم، السياسة البربرية للحماية الفرنسية في المغرب، ص48.

4 مصطفى شهابي، القومية العربية (تاريخها وقوامها ومراميتها)، ص75.

#### 4- تنصير القبائل البربرية:

قامت السلطة الفرنسية بتنفيذ سياستها التبشيرية، فأنشأت الكنيسة الجامعة الكبرى في الرباط، في أعلى مكان في الرباط، حيث يعلو برجها على جميع منائر جوامع المدينة<sup>(1)</sup>. واستدعت السلطة الفرنسية مئات المبشرين من فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وأنشأت العديد من الكنائس الصغرى ومدارس الراهبات وملاجئ الأيتام في المدن والقرى<sup>(2)</sup>، واتخذت السلطة الفرنسية جملة من التدابير تمثلت بطرد حفظة القرآن ورجال الصوفية من القبائل البربرية وإجبار البربر على إرسال أبنائهم إلى الراهبان ليدرسوا التعاليم المسيحية وتعليمهم تاريخ الرسول محمد . صلى الله عليه وسلم . تعليما مشوها بعيدا عن الحقيقة، ومنعت البربر من الاختلاط مع العرب وذلك بمنع سفرهم إلى المدن وإلى المناطق العربية إلا بعد الحصول على جوازات سفر وبذلك منعت السلطات الفرنسية الاختلاط بين العرب والبربر، واقتصرت الاختلاط على البربر بالراهبان والمبشرين بالدين المسيحي، وفرض أيضا الحصار ضد تسرب الكتب والمجلات الإسلامية للمناطق البربرية، لتحل مكانها كتبهم ومجلاتهم التي تهاجم الإسلام، وكذلك تفضيل بناء الكنائس على المساجد<sup>(3)</sup>. وادعى كتاب السياسة البربرية أن البربر الذين فتحوا إسبانيا ووصلوا إلى فرنسا هم من البربر المسيحيين ووصل بهم الأمر إلى حد عد طارق بن زياد الذي قاد الجيوش الإسلامية إلى الأندلس بربريا مسيحيا<sup>(4)</sup>.

#### 5- محاربة القضاء الشرعي الإسلامي:

عملت فرنسا على إخراج القضاء الشرعي من ميزانية الدولة المغربية، فلم يعد القضاة موظفين يتقاضون رواتبهم من الدولة، بل أصبحوا يتقاضون أجورهم من المدن من ريع الأوقاف الإسلامية وفي البوادي يأخذون أجورهم من المتقاضين<sup>(5)</sup>.

- 
- 1 كريدية إبراهيم، السياسة البربرية للحماية الفرنسية في المغرب، ص46.
  - 2 لقمان صالح أحمد القطان، سياسة فرنسا في البربر وأثرها في الحركة الوطنية المغربية 1930 . 1936 (ماجستير)، العراق، جامعة بغداد، 1987، ص42
  - 3 عبد القادر الشاوي، السلفية والوطنية، ص90.
  - 4 قسم التحرير، مقترحات كتاب فرنسا في شأن البربر: مجلة المنار المصرية، العدد 14، 247/3.
  - 5 جريدة الاستقلال العراقية، العدد 2119، 2 آذار 1934.

وبهذه الطريقة حاولت فرنسا نشر الفساد والرشوة في جهاز القضاء ليفقد قدسيته وروحيته، فيصبح القاضي عوناً للاستعمار الفرنسي ليسير على تعليمات مديرية العدل الإسلامية، وإذا ما خالف القاضي الشرعي تعليمات هذه المديرية فإنه يفصل من منصبه<sup>(1)</sup>.

وأجلست فرنسا إلى جانب قضاة الشرع حاكماً فرنسياً يتولى مهمة الفصل بين المتخاصمين بالقضايا الشرعية فضلاً عن القاضي الشرعي، وله الحق في التدخل في كل قضية من القضايا الشرعية، ولا يعد رأي القاضي إلا رأياً استشارياً وثنائياً وبذلك أسقطت السلطة الفرنسية استقلال القضاء الإسلامي<sup>(2)</sup>، وألغت السلطة الفرنسية المحاكم الشرعية وقامت بطرد القضاة الشرعيين في مناطق أكبر عشرين قبيلة بربرية<sup>(3)</sup>، وأنشأت المحاكم القضائية التي تخضع للسلطة الفرنسية. ومن خلال ما ذكر سابقاً، يتبين لنا كيفية استخدام الغرب لمسألة الأقليات بالطريقة التي تضمن تقسيم البلاد العربية، وإذكاء نار الفتنة لتستمر سيادته على البلاد التي يحتلها، فهو لم يبحث يوماً عن حل لهموم الأقليات بقدر سعيه لجعل الأقليات هي الهم<sup>(4)</sup> والخنجر في ظهر إخوانهم وأبناء شعبهم وأمتهم.

### ثانياً: المسألة الكردية:

مسار وتطور القضية الكردية منذ عام 1914 م ولغاية الحال الحاضر تأثر بعوامل إقليمية ودولية كثيرة، انعكست سلباً وإيجاباً على مسار الحياة الكردية والدولة العراقية معاً، ولقد تطور مسار القضية الكردية مستفيداً هو الآخر من الأحداث العالمية بعد الحرب العالمية الأولى، وأيضاً بعد الحرب

---

1 عبد العزيز رفاعي، الحركة القومية في إفريقيا أصولها نشأتها تطورها، ص 154.

2 محمد مكي الناصري، فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، ص 51-52.

3 وهذه القبائل: تالشوت، ايت هودي، وايت يعقوب وايت عيسى وايت احمد وايت اسحاق وايت يحيى وايت بوريد وايت عباس وايت اخياد وقصبة سقيرون وقصبة مسع وخنيفرة وايت سكوكو وايت مغمس، ايتي مكليد وزمور المشلح (قسم التحرير، القبائل التي طردوا قضاتها والظهير السلطاني للمحاكم الفرنسية: مجلة المنار المصرية، العدد 14، 306/4).

4 قسم التحرير، مقترحات كتاب فرنسا في شأن البربر: مجلة المنار المصرية، العدد 14، ص 306.

العالمية الثانية، مرورا بالحرب الباردة وانتهاءً بانتهاء الاتحاد السوفيتي وتحول العالم إلى نظام القطب الواحد أو ما يسمى أحيانا العصر الأمريكي.

وبسبب توزع الأكراد كشعب بين أكثر من دولة في صراعات عديدة الأوجه والأشكال فيما بينها من جهة، وبين الدول الكبرى فإن كل ذلك كان من شأنه أن ينعكس على وضع الأكراد عموما وعلى وضع أكراد العراق خصوصا، إن بعض دول الإقليم لم تخف جانبا من أطماعها في تحقيق مكاسب على جيرانها وبسبب إخفاق الدولة العراقية في التوصل إلى حلول مرضية لمواطنيها الأكراد واندفاع دول الإقليم لتحقيق منافع سياسية على حساب بعضها، وتورطها في برامج وخطط الدول الكبرى ذات الصلة، كل ذلك منح الأكراد فرصا تاريخية كثيرة لأجل تحقيق مطالبهم وتقديمها للعالم بوصفها مطالب مشروعة، وبالتالي تحقق الكثير لهم وبسرعة وطريقة لم يكونوا هم أنفسهم يتوقعونها، اليوم لم تعد القضية الكردية قضية عراقية فحسب بل أصبحت قضية إقليمية ودولية ستستمر لوقت طويل قادم وإن تطورها المستقبلي سيعتمد على قدرة الأكراد أنفسهم في مواجهة المستقبل والتعامل مع متغيراته السياسية (1).

### الموقف الإيراني:

استخدمت إيران أكراد العراق لأجل تحقيق مطامع على الأرض، وكذلك خلق المتاعب للحكومات العراقية بغية تحقيق منافع سياسية إيرانية أو خدمة لمصالح دول أخرى، وتعد إيران الدولة الإقليمية الأكثر تورطا في قضية أكراد العراق وهو تورط ذهب بعيدا إلى حد التورط في دخول القوات الإيرانية للقتال إلى جانب الأكراد<sup>(2)</sup>، إن أكراد إيران يشكلون أقلية في المجتمع الإيراني المتعدد القوميات، غير أن القومية الفارسية التي تشكل النسبة الأكبر من المجتمع الإيراني ترى في الأكراد أنهم ينحدرون من ذات العنصر الآري الذي ينحدر منه الفرس أيضا، ومن هذه الزاوية فإن حكام طهران لا يرون في

---

1 فايز العساف، الأقليات وأثرها في استقرار الدولة القومية (أكراد العراق نموذجا) (ماجستير)، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2010، ص52.

2 فايز العساف، م.ن، ص53.

الأكراد سوى أنهم إيرانيون أكراد، لذا فإنها عندما تقف إلى جانب الأكراد ترضي تلك الأقلية الكردية التي تعيش على أرضها<sup>(1)</sup>، وبالرغم من أن الأكراد هم من ذات الأصول الآرية فإن ذلك لم يمنع الفرس من ممارسة سياسات عنيفة ضدهم لأجل إخضاعهم وبالتالي كانوا دوماً يستخدمون القسوة لأجل قمع الثورات الكردية كلما وقعت<sup>(2)</sup>، في عام 1979م رحل نظام الشاه وحل نظام الدولة الإسلامية وتوقع الكرد أنهم وبعد تأييدهم للثورة سيحصلون على امتيازات جديدة، واعتراف بحقوقهم مثل منحهم الحكم الذاتي، مثل هذه التطلعات لم يستجب إليها القادة الجدد تحت ذريعة أن الطابع الديني للجمهورية الإسلامية يعد الكفيل بتحقيق ما تتطلع إليه كل القوميات التي تتشكل منها الدولة، وبينما اعتمدت الدولة الإيرانية المذهب الإثنى عشري بوصفه مذهباً رسمياً للدولة وكذلك اعتمدت صيغة ولاية الفقيه في تحديد مسؤولية الرجل الأول في البلاد الذي أسس له الإمام الخميني فإن أكراد إيران ومثلما أشقائهم في دول الجوار هم في غالبيتهم العظمى مسلمون أحناف وشافعية معتدلون، وهم متمسكون بديانتهم وتكثر في مجتمعاتهم العديد من المدارس والطرق الصوفية، ونظراً لعدم إشراك أكرادها بطريقة فاعلة عند إعداد الدستور الجديد للدولة الإسلامية، وإصرار النظام الجديد على تطبيق مفاهيم الدين الإسلامي استناداً للمذهب الجعفري فإنه كان متوقفاً أن يكون للأكراد مواقفهم وهذا ما حصل عام 1980م إذ ثار الأكراد على حكامهم الجدد ولكن تم قمع هذه الثورة بوحشية وبسرعة<sup>(3)</sup>.

الثورات التي قادها الشيخ محمود الحفيد في شمال العراق (1918-1932)م وصراعه مع القوات البريطانية تركزت في مناطق السليمانية وما حولها وكان في كل مرة يتم دحره يتخذ من الأراضي الإيرانية ملجأً له، لم تثر هذه الثورات أزمة بين البلدين، لكن التحول جاء عام 1945م بسبب ثورات البارزانيين والتي تم دحرها من قبل الحكومة العراقية ونجم عنها هروب البارزاني إلى الجانب الإيراني ملتحقاً إلى المؤسسات الموجودة في جمهورية مهاباد الكردية التي دعم الروس تأسيسها والتي لم تدم

1 يوسف محسن، الحوار المتمدن، ص32.

2 محمود الدرة، القضية الكردية، ص407.

3 عبد العاطي صلاح، الأقليات وحقوق الإنسان في المجتمع العربي: مجلة الحوار المتمدن، العدد 15906، ص57.

طويلا بعد أن انسحبت القوات السوفيتية من الأراضي الإيرانية، مع لجوء البارزاني إلى روسيا لم تشهد العلاقات العراقية الإيرانية أي تدهور<sup>(1)</sup>.

إن كلا من العراق وإيران وأفغانستان ارتبطت بمعاهدة أمن مشترك عام 1937م وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت العراق وإيران وتركيا أطرافا أساسية في مشاريع الغرب للدفاع عن الشرق ضد توجهات الإتحاد السوفيتي إزاء المنطقة، ووقفت الحكومة العراقية إلى جانب الشاه إثر هروبه من إيران إبان ثورة الدكتور مصدق وأسهمت بشكل أو بآخر من أجل إعادته من جديد<sup>(2)</sup>، وفي عام 1955م دخلت هذه الدول الثلاث مع بريطانيا في ملف أمني ودفاعي مدعوم أمريكي، كل هذه الأحداث، وفي عام 1958م وحالما انهار النظام الملكي في بغداد ظهرت ادعاءات إيران في منطقة السليمانية والبحرين وهي ادعاءات لم يلتفت إليها الغرب كثيرا، بالإضافة إلى أن نظام عبد الكريم قاسم حول العراق من الغرب وأقام علاقات وثيقة مع الإتحاد السوفيتي وبالتالي اتخذت إيران مواقف سياسية جديدة بالضد من العراق، ومع اندلاع المعارك من جديد بين القوات العراقية والبارزاني بعد عودته من منفاه عام 1959 أصبحت إيران تظهر دعمها العلني له، وهو دعم ازداد بعد أن تراجعت إيران عن تعهداتها المنصوص عليها في اتفاقية 1937<sup>(3)</sup>.

الحكومات الإيرانية في الوقت الذي لم تلتفت فيه إلى مطالب أكرادها فإنها في ذات الوقت استمرت تقدم كل أنواع الدعم إلى أكراد العراق في كل ثورة يقومون بها، وقد اختلفت الدعم الإيراني واتخذ أوجهها عديدة منها الدعم العسكري والسياسي ومنح اللجوء واستخدام الأراضي الإيرانية للسفر خارج العراق وأيضا اتصال الأكراد مع سفارات الدول الغربية في طهران، واستخدم الإيرانيون أكراد العراق جيدا لصالحهم في الضغط على الحكومة العراقية للاستجابة إلى المطالب الإيرانية في قضايا عديدة منها ادعاءاتهم في شط العرب ومسائل الحدود أيضا في إضعاف العراق داخليا عبر إنهاء القوات العراقية

1 ينظر: جرجيس فتح الله، يقظة الكرد، ص 217 . ص 221.

2 محمود الدرة، القضية الكردية، ص 407.

3 فايز العساف، الأقليات وأثرها في استقرار الدولة القومية (أكراد العراق نموذجا)(ماجستير)، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2010، ص 55 .

وإنهاك الاقتصاد العراقي وخلق مشاكل داخلية كل ذلك من اجل إجبار العراق على التوصل إلى تفاهات مع إيران أولا والمعسكر الغربي وإسرائيل ثانيا(1).

ففي عام 1974م كان واضحا أن الإيرانيين يدعمون موقف الأكراد حتى النهاية في قتالهم مع العراق وقد أقحم الإيرانيون وحداتهم العسكرية في القتال إلى جانب الثوار الأكراد، حيث كان جانب من هذا السلوك الإيراني إزاء العراق هو المواقف القومية التي اتخذتها الحكومة العراقية إزاء العديد من المسائل منها دعم دولة الإمارات العربية في مطالبها في الجزر الثلاث التي احتلتها إيران وأيضا في تصدي العراق للتغلغل الإيراني في مناطق الخليج.

وأيضا في مواقف العراق إزاء القضية الفلسطينية والتي كانت إيران الشاه تعد نفسها أقرب إلى إسرائيل من العرب بشأنها، لقد حقق الإيرانيون جانبا من مطالبهم عندما أجبروا العراق على التوصل إلى تفاهم معهم بصدد شط العرب لقاء سحب دعمهم للأكراد وهذا ما حصل فعلا عندما تم توقيع اتفاقية الجزائر عام 1975م، لقد أنهت الاتفاقية أكبر ثورة كردية في العراق غير أن إيران لم تلتزم بما تعهدت به من جديد، صحيح إن لجوء البارزاني وعدد من أتباعه إلى إيران قد تم بموجب توافق بين إيران وبغداد غير إن إيران سمحت للبارزاني التنقل بحرية خارجها وقد حقق أكثر من زيارة إلى تل أبيب وواشنطن(2).

مع رحيل نظام الشاه وتدهور العلاقات بين بغداد ونظام الجمهورية الإسلامية فقد عاد الإيرانيون إلى استخدام الورقة الكردية من جديد، الصراع المبكر الذي تم بين حكومة طهران وأكراد إيران والذي امتد من 1979 إلى عام 1982، والذي قاده الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة زعيمه عبد الرحمن قاسملي قد نجم عنه عمليات عسكرية للجيش الإيراني المدعوم من حرس الثورة أو الباسيخ وهي ميليشيات أسسها النظام لدعمه، خلال الصراع استخدمت طهران القسوة المفرطة بحق أكرادها الثائرين وتمكنت عام 1983 من وضع نهاية لتلك الثورة وفرار قادتها إلى خارج البلاد واستقر بعضهم في الجانب العراقي، مع اندلاع الحرب بين العراق وإيران عام 1980 عاد الإيرانيون لاستخدام أكراد العراق

---

1 محمد علي المداح، أبعاد انتخابات المجلس التشريعي لمنطقة كردستان العراق :مجلة السياسة الدولية، العدد 99، ص 194 .

1 فايز العساف، الأقليات وأثرها في استقرار الدولة القومية (أكراد العراق نموذجا)(ماجستير)، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2010، ص 56 .

لصالحهم عسكريا و قدموا لهم كل الدعم وقد شارك أتباع البارزاني والطالباني القوات الإيرانية في قتالها ضد القوات العراقية، كما أسس الإيرانيون قوات أخرى جسدها أتباع حزب الدعوة وغيرهم من الفارين لأسباب كثيرة وشكلوا منهم وحدات عسكرية للقتال في قواطع الحرب في الجنوب، العراقيون من طرفهم حاولوا استخدام العرب من سكان مناطق عربستان وأيضا مجاهدي خلق وهي منظمة إيرانية معارضة استقر أتباعها في العراق بعد عام 1982، كما وتم دعم جهود قاسملي في معارضته لطهران، ومع نهاية الحرب عام 1988 كان معظم القادة الكرد العراقيين لا يزالون يتخذون من الأراضي الإيرانية مستقرا لهم<sup>(1)</sup>.

حرب الكويت عام 1990م منحت إيران فرصة جديدة للانتقام من العراق بسبب الهزائم التي لحقت بها طوال سنوات الحرب، في البداية قدم الإيرانيون ضمانات للحكومة العراقية بالوقوف على الحياد ومعارضتهم للتواجد العسكري الأمريكي الجديد في المنطقة قد شجعت هذه التعهدات الحكومة العراقية لإرسال العشرات من طائراتها المدنية والعسكرية للاختباء في المطارات الإيرانية، ومع وقوع حرب الخليج الثانية سمح الإيرانيون للأكراد العراقيين بشن هجماتهم على وحدات الجيش العراقي وتقدمت الوحدات الكردية لتستولي على المحافظات الكردية الثلاث فضلا عن سيطرتها على مدينة كركوك، بالإضافة إلى أن إيران قد سمحت لقوات المعارضة الأخرى وقدمت الدعم العسكري والبشري لها للتغلغل في مناطق جنوب البلاد أيضا، ولكن ومع تمكن القوات العراقية من استعادة السيطرة على أراضيها فرّ المقاتلون الأكراد من جديد إلى الجانب الإيراني التركي، بعد أن فرضت الولايات المتحدة منطقة حظر جوي على مناطق شمال العراق وأجبرت الحكومة العراقية على سحب موظفيها من المناطق الكردية فقد عادت القوى السياسية الكردية ومسلحوها للسيطرة على شمال البلاد وتوزعت المسؤولية بين البارزاني والطالباني<sup>(2)</sup>.

وخلال المدة من 1992-2003 م قدمت إيران الدعم للسلطات التي أنشأها الأكراد في مناطقهم بما في ذلك الدعم الاقتصادي وأصبحت العملة الإيرانية واحدة من العملات الأساسية التي تم التعامل بها

1 ينظر: محمد الهادي أبو زيد، الشيعة والسنة والأكراد في العالم، ص 189 . ص 191.

2 ينظر: جلال عبد الله معوض، الأكراد والتركمان في العراق، ص 15 . ص 16.

في المنطقة، كما سمح الإيرانيون بأن تكون مناطقهم مناطق سفر للقادة الأكراد خارج المنطقة وأخيرا بات الإيرانيون يستلمون شحنات من النفط العراقي الذي بات الأكراد يستخرجونه بطرق غير شرعية وبيعه للجانب الإيراني بأسعار رخيصة، في ذات الوقت وبسبب الحصار الدولي على العراق فقد تمكنت الحكومة العراقية من تأمين بعض احتياجاتها الغذائية عبر الجانب الإيراني وتطورت العلاقات الاقتصادية نوعا ما نحو الأفضل إذ بدأت العديد من السلع الإيرانية تظهر في أسواق بغداد<sup>(1)</sup>.

ومع مطلع عام 2003 كان واضحا أن أمريكا عازمة على شن الحرب على العراق، ومن جديد أكد الإيرانيون أنهم يعارضون شن هذه الحرب وكانوا في هذه المرة يدركون أن الأمريكيين قادمون لأغراض ودواع عديدة تهدف إلى خلق أوضاع جديدة في المنطقة وبما أن إيران والعراق من وجهة نظر واشنطن هما محورا شرّ فإن إيران ليس بوسعها سوى مقاومة الحضور الأمريكي، ومع ذلك كان الإيرانيون سعداء بان غيرهم سيتولى تحطيم العراق ولم يعارضوا مشاركة أنصارهم والأكراد في الخطط العسكرية والسياسية التي تعدها واشنطن ولندن لأجل غزو العراق<sup>(2)</sup>.

### الموقف الإسرائيلي:

إن دولة العدو الصهيوني تعمل جاهدة على جعل المنطقة مضطربة حتى يتسنى لها إشغال العرب بقضايا داخلية وتتمكن هي من تحقيق أهدافها بعيدا عن أنظار العرب، والرأي العام العالمي، وبالتالي لهذا الكيان مصلحة سياسية واقتصادية بالتدخل في شؤون إقليم كردستان العراقي وفي هذا نجد أن واحدة من أهم وسائل إسرائيل في إشغال الدول العربية داخليا وخلق المشاكل هو موضوع استخدام الأقليات العرقية والطوائف الدينية داخل المجتمعات العربية<sup>(3)</sup>.

- 
- 1 فايز العساف، الأقليات وأثرها في استقرار الدولة القومية (أكراد العراق نموذجا)(ماجستير)، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2010، ص57
  - 2 فايز العساف، الأقليات وأثرها في استقرار الدولة القومية (أكراد العراق نموذجا)(ماجستير)، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2010، ص57.
  - 3 فايز العساف، م.ن، ص64

وأدرك الإسرائيليون مبكرا أن العراق بوصفه الدولة العربية الثانية من حيث قدراتها البشرية والعسكرية التي تشكل خطرا حقيقيا على بقاء واستقرار دولتهم خصوصا وأن العراق شارك في جميع الحروب العربية الإسرائيلية وهو دوما يقدم مختلف أنواع الدعم للقوى الفلسطينية وأيضا وقف مواقف متشددة إزاء الحلول السلمية لتسوية القضية الفلسطينية، ومن هذه الزاوية رأت إسرائيل إن من مصلحتها دعم التمردات التي يقوم بها الأكراد بوصفها أفضل أسلوب لإضعاف القدرات العراقية وإبقاء الجيش العراقي منشغلا داخليا وبعيدا عن حدودها، في 1964م كانت تل أبيب قد أسست فعلا علاقات وثيقة مع البارزاني وبدأ الخبراء والجواسيس الإسرائيليون يتوافدون إلى معقل المسلحين الأكراد بهدف التسليح والتدريب، المشاريع والخطط الإسرائيلية كثيرة لأجل إضعاف الدول العربية فهي دوما تشجع التمردات العرقية والطائفية وتسعى لتقسيم الدول العربية على هذا الأساس، مثل هكذا مشاريع تم تبنيها من قبل الأمريكيين وبعض الأوروبيين، موضوعات أخرى مثل قضايا حقوق الإنسان وحق الأقليات والطوائف بأن تكون لها إدارتها السياسية الخاصة كانت دوما موضوع تشجيع إسرائيل لها<sup>(1)</sup>.

وعلى قدر الأمر بالعراق يضغط الإسرائيليون في اتجاه أن يتمكن أكراده من أن يكون لهم كيانهم المستقل البعيد عن الدولة العراقية، وكان الملا مصطفى هو أول من أسس لعلاقات كردية إسرائيلية، واتبع خلفه مسعود البرزاني المنهج ذاته، وقد درب إسرائيليون الجماعات الكردية المقاتلة البشمركة مقابل معلومات وخدمات أفادت في احتلال العراق، حيث كان الإسرائيليون يطلبون معلومات عن الجيش العراقي وفي الوقت نفسه يزود الأكراد بمعلومات عن تحركاته حتى المستشفى الميداني الذي أقامه الإسرائيليون في كردستان كان من أهدافه جمع أسرار استخبارية عن العراق لمصلحة إسرائيل<sup>(2)</sup>.

في فترة الخمسينيات بدأت العلاقات مع إسرائيل تأخذ شكلا عمليا، ونشطت العلاقات بين جهاز المخابرات الإسرائيلي والأكراد عن طريق جهاز السافاك الإيراني، وعلى أثر المعارك التي خاضها الأكراد مع الجيش العراقي عام 1960م طلب الأكراد من إسرائيل أسلحة وذخائر وأدوية لمعالجة الجرحى الأكراد وتقديم المساعدة لإنشاء محطة إذاعة كردية جديدة، وفي هذه الفترة كانت اتصالات

1 ينظر: فهمي الهويدي، بروتوكولات الاختراق الإسرائيلي، موقع إسلام ويب (الإنترنت) [www.islamweb.net](http://www.islamweb.net)

2 محمود الدرة، القضية الكردية، ص400.

مع إسرائيل تتم عن طرق ثلاث قنوات أولها المخابرات الإيرانية، وثانيها نشاط الأكراد في أوروبا مع السفارات الإسرائيلية وثالثها علاقة البارزاني بصديقه القديم مورييس فيتشر سفير إسرائيل في روما<sup>(1)</sup>.

بعد ذلك أصبح ملف الأكراد في إسرائيل له أهمية خاصة، وفي 15 نيسان 1965 م عقد رئيس الحكومة الإسرائيلية ليفي أشكول اجتماعاً حضرته وزيرة الخارجية جولدا مائر ورئيس الأركان إسحاق رابين ومائير عميت رئيس الموساد الذي طرح قضية الأكراد والأعمال الخاصة التي تقوم بها إسرائيل، وخلص الاجتماع إلى قرار نص على ضرورة منح الأولوية الإسرائيلي للقضية الكردية، وبعد عدة أشهر وبالتحديد في أوائل عام 1966م التقى البارزاني بالمستشار الإسرائيلي ليشع روني<sup>(2)</sup>، وبعد هذا الاجتماع تواجد الإسرائيليون في شمال العراق، وتوالى ضباط إسرائيليون المجيء إلى المنطقة، وأصبح الطريق مفتوحاً إلى إسرائيل أمام القادة الأكراد عبر إيران.

وفي عهد رئيسة وزراء إسرائيل السابقة جولدا مائير تدفقت الأموال والأسلحة على الأكراد وكان في طليعة زائري تل أبيب سكرتير الحزب الديمقراطي الكردستاني وأسهم الموساد في تأسيس جهاز المخابرات الكردية البارستن برئاسة مسعود البارزاني، وفي 15 آب عام 1966م ساعد الأكراد الموساد في تأمين هرب الطيار العراقي منير روبا إلى إسرائيل مع طائرة ميغ 21 وكان لهم اليد في نقل الفلاشا من اليهود في شمال العراق إلى إسرائيل، ولقد تعاونت عناصر من جهازي السافاك الإيراني والموساد الإسرائيلي على تدريب أول كوادرات الاستخبارات الكردية وأخر الستينيات مع محاولة زعزعة نظام البعث القريب من السوفييت آنذاك، وسعياً إلى حماية الأكراد من الأخطار الخارجية والداخلية عادت بارستن إلى ذروة نشاطها وراحوا يسربون عناصرها في المنظمات الأصولية الناشطة

---

1 فايز العساف، الأقليات وأثرها في استقرار الدولة القومية (أكراد العراق نموذجاً) (ماجستير)، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2010، ص65.

2 عبد العاطي صلاح، الأقليات، حقوق الإنسان في المجتمع العربي: مجلة الحوار المتمدن، العدد 15906، ص54.

ويراقبون المقاومة السنية المتعددة الأطراف وجيش المهدي وتحركات تركيا وإيران ويعملون على منع العمليات المسلحة في المناطق الكردية<sup>(1)</sup>.

ويواكب الوكالة التجسسية الكردية في عملها جيش البيشمركة الذي يضم 130 ألف مقاتل في الحزبين الديمقراطي والاتحاد الديمقراطي الكردستاني، وقد زار مسؤولون أكراد واشنطن وتل أبيب وحصلوا على ضمانات، وتساهم البيشمركة منذ دخول الأمريكيين إلى العراق في لعب دور بارز استخباري عسكري داخل العراق وفي المحيط ويمانع الأكراد في دمج جيش البيشمركة في الجيش العراقي، وعدم الخضوع لسلطة مركزية قوية في بغداد ويفضلون المزيد من الاستقلالية على استعادة الوحدة العراقية الكاملة، وقد أبدى الأكراد حماسة للعمل مع التحالف، إذ لا يمكن حماية كردستان واستقلالها من دون الضغوط الأمريكية والإسرائيلية لا سيما اتجاه تركيا وسوريا وإيران، كما أكدت المصادر التركمانية أن أموالا يهودية أسست بنك القرض الكدلاي في السليمانية وتوسعت عملية شراء الأراضي في مدينتي الموصل وكركوك الغنيتين بالنفط ومنذ عام 2003 م تشكل جيش يهودي - كردي مشترك للحفاظ على استقلال الدولة الكردية مقابل منح الشركات الإسرائيلية امتيازات باستغلال الثروات النفطية والمعدنية في الشمال<sup>(2)</sup>.

ومنذ السبعينيات قصد ألوف الأكراد إسرائيل من أجل تدريبات عسكرية بين إسرائيل والأكراد الظاهر الذي يفسر سيطرة الأكراد واليهود على 300 قرية للأشوريين والكلدان، ووقوف المتمردين الأكراد ضد القومية العربية، وقد نشطت إسرائيل حاليا أكثر من السابق على خط الأكراد فنشرت ضباط الموساد وأعدت الكوادر الخاصة للإسهام في تفتيت العراق وترسيخ قيام دويلات داخل العراق منها الدولة الكردية، وعلى تصنيع نظام عراقي يقيم علاقات إيجابية مع تل أبيب في اغتصاب الأرض وامتصاص آبار النفط وتحقيق حلم إسرائيل من النيل إلى الفرات، إن عملاء الاستخبارات والجيش الإسرائيليين ناشطون في المناطق الكردية في كل من إيران وتركيا والعراق ويقومون بتوفير التدريب لوحدات

---

1 فايز العساف، الأقليات وأثرها في استقرار الدولة القومية (أكراد العراق نموذجا)(ماجستير)، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2010، ص65.

2 عدنان المفتي، وثائق مؤتمر القاهرة 1999، ص221.

العمليات الخاصة، كما يديرون عمليات عسكرية من الممكن أن تزيد من زعزعة استقرار المنطقة برمتها، وأهداف إسرائيل هي لتعزيز القوة العسكرية الكردية لكي توازن قوة الشيعة ولاستحداث قاعدة في إيران يستطيعون من خلالها التجسس على مرافق التصنيع النووي المشتبه به في إيران، هذا وقد أقر رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات أن إسرائيل قدمت للأكراد في العراق المال والسلاح والتدريب، وكذلك وجود علاقة بين الموساد والأكراد حتى حرب الخليج الثانية<sup>(1)</sup>.

وقد تزامن هذا التقديم مع إعلام إسرائيلي يولد الكراهية ويبعث الحقد في صدور الأكراد ضد الحكومة المركزية العراقية، ولكن قوام هذا الإعلام المناورة والابتزاز والتهديد والاستعطف والتزوير، كل ذلك من أجل إبقاء الأقلية الكردية في أحضان إسرائيل ونهب خيرات المنطقة الكردستانية وإلهاء العراق عن أهدافه القومية<sup>(2)</sup>.

### الموقف الأمريكي:

الحضور الأمريكي إلى منطقة الشرق الأوسط كان توجهه نحو منطقة الجزيرة العربية والخليج العربي ومع الزمن تركز الاهتمام الأمريكي على القدرات النفطية للمنطقة، وعلى قدر تعلق الأمر بالعراق وقضية أكراده، فقد وقفت واشنطن دوماً إلى جانب بريطانيا، كما حرص الأمريكان أن تكون لهم أوثق العلاقات مع مملكة العراق، وقد توجوا هذه العلاقة في أن يكونوا طرفاً مع العراق في حلف بغداد عام 1955 والذي بموجبه بات العراق يحصل على الدعم والمساعدات الاقتصادية والسياسية والعسكرية الأمريكية، وقد تميزت العلاقات الأمريكية العراقية بالتراجع عندما تقارب عراق عبد الكريم قاسم مع الإتحاد السوفيتي بعد تموز 1958م، في حين أعيدت هذه العلاقات عبر المحاولات التي بذلها العراق في زمن الرئيس عبد الرحمن عارف ورئيس الوزراء عبد الرحمن البزاز (1966-1967)، غير أن هذه

---

1 ينظر: وليد عبد الناصر، أكراد العراق وتأثير البيئتين الإقليمية والدولية: مجلة السياسة الدولية، العدد 127،

ص 131-132

2 محمد اللبدي، أساليب الإعلام الصهيوني، ص 5.

العلاقات عادت وتوترت من جديد بسبب حرب حزيران 1967م، وبالرغم من أن الأمريكيين يدعون أنهم كانوا وراء الكثير من الانقلابات العسكرية التي شهدتها العالم العربي طوال عقد الخمسينيات والستينيات منها مساعدتهم لتولي البعث الحكم في العراق مرتين الأولى في عام 1963م والثانية في عام 1968م فإن العلاقات العراقية الأمريكية في جانبها السياسي طوال حكم البعث في العراق كانت دوماً متراجعة عدا سنوات الحرب بين العراق وإيران إذ عرض الأمريكيون مساعدتهم العسكرية على العراق، في عام 1989م اتجهت العلاقات من جديد نحو التدهور بسبب المواقف الأمريكية الداعمة لإسرائيل من جهة ومخاوف أمريكا من القدرات العسكرية العراقية وانعكاساتها على حلفائها في المنطقة، لهذا نجد أن واشنطن استغلت الخطأ الكبير الذي ارتكبه العراق في احتلاله للكويت لتنفيذ برنامجها في تحطيم العراق<sup>(1)</sup>.

لهذا سرعان ما قادت التحالف الدولي ونفذت حرباً ضده رافقها تدمير كبير للبنية التحتية العراقية، حرب 1991م فتحت الباب لأن يؤسس الأكراد تقارباً كبيراً لهم مع واشنطن وليتبع ذلك تعاون وثيق بين الطرفين طوال عقد التسعينيات رافقه حضور عسكري واستخباراتي أمريكي كبير في شمال العراق، ومع بزوغ ملامح النظام الدولي الجديد والمستند على دعامين رئيسيين<sup>(2)</sup>، الديمقراطية وحقوق الإنسان وذلك في نيسان 1990م، فإن موقع القضية الكردية قد تغير في المعادلة السياسية الدولية حيث ولأول مرة في تاريخها خصص لها قرار دولي صادر عن مجلس الأمن الدولي وهو قرار 688 الصادر في نيسان 1991م حيث أشار القرار إلى اضطهاد وملاحقة الكرد في العراق<sup>(3)</sup>، والأخطر من ذلك عندما أكد وزير الخارجية في رسالة للأكراد على أنهم الحلفاء في الحملة الأمريكية المقبلة

---

1 صلاح بدر الدين، الأكراد شعباً وقضية، ص3؛ صلاح بدر الدين، مستقبل العلاقات العراقية الكردية في ظل المتغيرات الدولية: مجلة المستقبل العربي، العدد143، ص3.

2 صلاح بدر الدين، م،س، ص3.

3 محمود الدرة، القضية الكردية، ص108.

لمكافحة الإرهاب على العالم، وكانت إشارة واضحة في تقسيم العراق والبحث عن عراقي يحكم العراق<sup>(1)</sup>.

إن لجوء أمريكا إلى ترسيم خارطة دويلة كردية في المثلث الخطر المشرف على الشام وإيران وبغداد، سوف يسمح حتما بتصدير القلاقل عن طريق إثارة الجيوب الكردية التي ربما سنتعاطف مع إعلان الدولة الكردية في هذه المناطق علما بأن عدد الأكراد في العراق لا يتجاوز 3.9 مليون<sup>(2)</sup>، ويعتبر حزب العمال الكردستاني في تركيا أن بريطانيا وأمريكا تناوبتا على إقناع الأكراد بأن شمال العراق حصرا هو مركز تاريخي صالح لإقامة دولة كردية لإنهاء معاناتهم المعاصرة، وتعتبر أمريكا وبريطانيا وتركيا إن نضال حزب العمال الكردستاني بمثابة إرهاب منظم، في حين تتعامل مع مسعود البرزاني وجلال الطالباني في شمال العراق، وكأنها بعض الفصول المشرفة في النضال من أجل الحرية وتحقيق المصير للأكراد في شمال العراق، حيث وجدت التنظيمات الكردية العراقية ضالتها في الغرب ولو نسبيا حسب المعطيات الدولية، ودخلت الولايات المتحدة في المعادلة بقوة أكبر لدعم الشعب الكردي في كردستان العراق من خلال دعم المعارضة العراقية، وقرار مجلس الأمن 688 القاضي بوقف حملات القمع ضد الشعب العراقي وخاصة الشعب الكردي، ومراقبة الأجواء العراقية بمنع استطلاع الطائرات العراقية ومنع تدخل القوات العراقية في كردستان، ونجحت الولايات المتحدة بإيجاد قاعدة استخبارية في كردستان، والتي تم إجلاء بعض موظفيها أثناء تدخل القوات العراقية في العاصمة الكردية أربيل بطلب من قيادة البارزاني في النصف الثاني من التسعينات لطرد قوات الطالباني، ثم ما لبث أن رجعت الولايات المتحدة إلى المنطقة بزخم أكبر، كما ساهمت الولايات المتحدة في اتفاقية المصالحة والسلام في 17 أيلول 1988 م والموقعة من قبل مسعود البرزاني وجلال الطالباني وديفيد ويلش مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت، وتضمن الاتفاق إدانة الاقتتال الداخلي، وإقامة حكومة إقليمية موحدة على أساس انتخابات عام 1992 م وتوحيد الإدارتين في

1 فايز العساف، الأقليات وأثرها في استقرار الدولة القومية (أكراد العراق نموذجا)(ماجستير)، الأردن، جامعة

الشرق الأوسط، 2010، ص69.

2 فايز العساف، م.ن، ص69.

كردستان، وذهبت الولايات المتحدة أبعد من ذلك من خلال تنظيم اجتماع المعارضة العراقية في نيويورك في 29 تشرين الثاني 1999 م، حيث ساهم الموقف الأمريكي في بلورة المشروع الفيدرالي التعددي البرلماني للعراق بموافقة قوى المعارضة العراقية الأخرى<sup>(1)</sup>.

هذا وفي العام الذي شنت فيه الولايات المتحدة الأمريكية عملية غزو العراق الأخيرة فقد استفادت كثيرا من تعاون الأكراد معها في تنفيذ هذه العملية وما تبعها من خطوات سياسية في إدارة البلاد أو في إقامة المؤسسات العراقية الجديدة، مسار الأحداث بعد الاحتلال يؤشر بوضوح كيف استفاد الأكراد من عملية الاحتلال في تعزيز نفوذهم ليس في إقليم كردستان فقط بل وفي الحكم في بغداد وفي تقرير مسار العملية السياسية وحكم البلاد يكفي أن نقول بأن الأكراد قد باتوا طرفا أساسيا في كل شيء فرئيس الجمهورية ووزير الخارجية ورئيس الأركان لدولة العراق الجديد هم من الأكراد، ونجد في هذه الأيام في واشنطن أكثر من لوبي داخل الإدارة الأمريكية يعمل لصالح الأكراد الذين من جانبهم أقاموا صلات وثيقة حتى مع من عمل داخل أروقة وزارات الدفاع والخارجية وحتى الأمم المتحدة، عبر تعيينهم مستشارين للحكومة في إقليمهم ولعل فضيحة صاحب كتاب نهاية العراق تعد النموذج في هذا الاتجاه، إذ اعترف الرجل صراحة أنه هو من عمل معه قد أدرجوا الكثير من فقرات قانون الإدارة الانتقالية الذي شرعه بريمر وأنه هو من عمل على ترتيب بعض الامتيازات النفطية لبعض الشركات الأوروبية في مناطق كردستان لقاء حصة لنفسه<sup>(2)</sup>.

إن موقع الولايات المتحدة الأمريكية من أكراد العراق في اعتقادي يتلخص فيما يلي<sup>(3)</sup>:

- 1 ينظر: صلاح بدر الدين، الأكراد شعبا وقضية ص 3 . ص8؛ صلاح بدر الدين، مستقبل العلاقات العراقية الكردية في ظل المتغيرات الدولية: مجلة المستقبل العربي، العدد 143، ص16.
- 2 منذر الموصل، الحياة السياسية والحزبية في كردستان: مجلة السياسة الدولية، العدد 135، ص110.
- 3 فايز العساف، الأقليات وأثرها في استقرار الدولة القومية (أكراد العراق نموذجا)(ماجستير)، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2010، ص71.

- 1- إيجاد موضع قدم للولايات المتحدة في منطقة باتت من أكثر المناطق بؤرة للصراع، وحتى تكون قريبة من تركيا التي أخذت شيئاً فشيئاً تبتعد عن السياسة الخارجية الأمريكية، ومن الإتحاد السوفيتي قبل انهياره، وللهيمنة على الدول التي استقلت عن الإتحاد السوفيتي بعد الانهيار.
- 2- إيجاد معضلة سياسية للعراق الذي فيما مضى أمم شركات البترول وحرّم الشركات الغربية من منطقة كانت بالأمس منطقة امتياز لهم.
- 3- إبقاء زمام اللعب بأوراق المنطقة جميعاً بيد الأمريكان حتى يعملوا على ترتيبها وفق هواهم وما يتماشى مع مصالحهم وفق المعطيات الدولية الراهنة والقادمة.

### المطلب السابع: مأساة البوسنة والهرسك:

كما هو معلوم أن مسلمي يوغسلافيا ليسوا عنصراً واحداً، فإلى جانب أهل البوسنة والهرسك، هناك الصرب وسكان الجبل الأسود وهناك المقدونيون والألبان والأتراك وهناك بعض الكروات والسلوفينيين، إلا أن غالبية مسلمي يوغسلافيا هم من البشناق والألبان، والبشناق من العنصر السلافي الذي اعتنق الإسلام، ولم يكونوا من المهاجرين الأتراك أو غيرهم، وهم لا يزالون يتكلمون اللغة السلافية والتي لا تختلف كثيراً عن لغة أهل صربيا أو كرواتيا أو الجبل الأسود وليس لهم لغة أخرى غيرها، غير أنهم يصرون على أن قوميتهم هي الإسلام ولا قومية لهم غير الإسلام<sup>(1)</sup>.

عندما عقدت معاهدة سان جرمان مع النمسا بتاريخ 1919/9/10م وكان من بنودها إلحاق مناطق البوسنة والهرسك بصربيا، كان من نتائجها أن شكلت صربيا ما يسمى بالمملكة الصربية الكرواتية السلوفينية التي تضم أيضاً البوسنة والهرسك والجبل الأسود تحت حكم الملك بطرس الأول وفي عام

---

1 علي بن عبد الرحمن، انتهاكات حقوق الإنسان في البوسنة والشيستان، ص 89.

1929م تم استبدال اسم المملكة الصربية الكرواتية السلوفينية بمملكة يوغسلافيا<sup>(1)</sup> وأصبحت يوغسلافيا في عام 1945م جمهورية شيوعية تتبنى دستورا على النمط السوفيتي<sup>(2)</sup>.

إن تشكيل المملكة اليوغسلافية أوقع أقليات قومية ودينية تحت حكم دولة لا تمثلها ولا تتصفها مما أدى إلى نشوء مشكلة كانت وما تزال نواة حروب البلقان وهي تطلع المجموعات القومية والدينية للاستقلال الذاتي بعيدا عن هيمنة الصرب<sup>(3)</sup>، بعد انهيار الشيوعية في الاتحاد السوفيتي المنحل مع نهاية عام 1991م على يد ميخائيل جورباتشوف ظهر الشعور القومي والديني الكامن في نفوس شعوبه، وزاد الأمر ضراوة بعدما تبع ذلك سقوط الشيوعية في أوروبا الشرقية ومنها يوغسلافيا، ونتيجة ذلك أعلنت جمهورية البوسنة والهرسك استقلالها عن الاتحاد اليوغسلافي لعام 1974م المتضمن حق كل جمهورية بتقرير مصيرها وانفصالها عن الاتحاد اليوغسلافي متى رغبت بذلك<sup>(4)</sup>.

بذل عدد من القادة المسلمين في البوسنة الهرسك الذين لم تنتهم السلطة الشيوعية عن قول الحق وعلى رأسهم علي عزت بيجوفيتش جهودا كبيرة لرفع صوت المسلمين وصياغة عدد من المشروعات السياسية التي تساعد في حمايتهم، ومن أهم جهود هؤلاء المسلمين في المجال السياسي تأسيس حزب جديد تحت اسم حزب العمل الديمقراطي الإسلامي في مايو 1990م ووضع خطة منظمة للحصول على موقع سياسي في الجمهورية اليوغسلافية<sup>(5)</sup>.

عندما بدأت الانتخابات في البوسنة والهرسك، نجح هذا الحزب في الفوز بأول حكومة ديمقراطية جديدة، وأصبح علي عزت بيجوفيتش رئيسا لها وفي ظل هذه الحكومة الجديدة لجمهورية البوسنة والهرسك بدأ المسلمون يخططون للخروج من سيطرة الصرب وأثاروا فكرة الاستقلال عن الاتحاد اليوغسلافي بعد أن أعلنت كل من كرواتيا وسلوفينيا استقلالهما بدعم من الدول الأوروبية وعلى رأسها

1 الأرقم الزعبي، قضية البوسنة والهرسك، ص30.

2 خالد الأصور، البوسنة والهرسك، ص27.

3 الأرقم الزعبي، م،س، ص31.

4 الأرقم الزعبي، م،ن، ص37.

5 أكرم رزق، البوسنة والهرسك بين الأمس واليوم، ص103.

ألمانيا، ولكن الوضع في البوسنة والهرسك يختلف تماما لكثرة العناصر السكانية واختلاف أعراقهم في أنحاء الجمهورية<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من أن المسلمين يشكلون الأغلبية السكانية في الجمهورية إلا أنهم لا يمتلكون مقومات السلطة بسبب استئثار الصرب بها، ولكن ذلك لم يثن المسلمين في البوسنة والهرسك عن المضي في طريق الاستقلال المحفوف بالمخاطر، فتقدمت جمهورية البوسنة والهرسك مع بقية الجمهوريات الأخرى مثل كرواتيا وسلوفينيا ومقدونيا بطلب الاستقلال إلى المجموعة الأوروبية التي وافقت على استقلال كرواتيا وسلوفينيا فقط بينما أجلت البت في طلب الجمهوريتين المتبقيتين البوسنة والهرسك، ومقدونيا<sup>(2)</sup>.

عاودت جمهورية البوسنة والهرسك بقيادة المسلمين في المطالبة بالاستقلال مما جعل المجموعة الأوروبية تطلب منها إجراء استفتاء شعبي لإثبات رغبة الشعب الحقيقية في تلك الجمهورية نحو طلب الاستقلال، وتم إجراء الاستفتاء وسط أجواء مشحونة بالتوتر وعدم الاستقرار ونجحت الجمهورية في الحصول على الأغلبية الكبيرة التي تؤيد الاستقلال مما أدى بالمجموعة الأوروبية إلى أن تعترف باستقلال البوسنة والهرسك في 6 من ابريل لعام 1992م<sup>(3)</sup>.

لقد حقق مسلمو جمهورية البوسنة والهرسك بعد سقوط الشيوعية ما يلي هي:

**أولاً:** فوز حزب العمل الديمقراطي (الحزب الإسلامي) في أول انتخابات حرة في شهر نوفمبر عام 1990م وتعيين رئيس الحزب علي عزت بيجوفيتش رئيسا للجمهورية.

**ثانياً:** الاعتراف الدولي بالجمهورية في 6 ابريل 1992 م وقد أوصى مجلس الأمن بقبول جمهورية البوسنة والهرسك عضوا في الأمم المتحدة بتاريخ 1992 /5/21 م<sup>(4)</sup>.

---

1 علي بن عبد الرحمن، انتهاكات حقوق الإنسان في البوسنة والشيشان، ص91.

2 علي بن عبد الرحمن، م.ن، ص92.

3 فهد بن عبد الله السماري، المسلمون في البوسنة والهرسك، ص31، ص32.

4 علي بن عبد الرحمن، م.س، ص93.

وقد اعترف برلمان الصرب في يوم 27 ابريل 1992 بانهيار الاتحاد اليوغسلافي وتأسيس دولة جديدة باسم يوغسلافيا الاتحادية تضم جمهوريتي صربيا والجبل الأسود<sup>(2)</sup>، وعدد السكان عشرة ملايين نسمة<sup>(1)</sup>.

وما أن أعلن الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش عن استقلال البوسنة والهرسك بتاريخ 1992/3/3م حتى بدأت صربيا بنقل أعداد كبيرة من الجيش النظامي اليوغسلافي إلى البوسنة والهرسك لإجبار البوسنة على إلغاء قرار استقلالها، وعندما رفضت البوسنة ذلك بدأ الصرب هجوما واسعا على البوسنة بتاريخ 1992/3/27م استخدمت فيه أنواع الأسلحة المختلفة كافة<sup>(2)</sup>.

بدأت الأحداث بوضع الصرب المتاريس في شوارع العاصمة البوسنة سراييفو، فقامت مسيرة سلمية اشترك فيها آلاف الشباب بإزالة هذه المتاريس فأطلق الصرب النار عليهم، وبدأت الحرب بين المسلمين والصرب أوائل مارس 1992م، بالقتل ونهب الأموال وهتك الأعراض، حيث قامت العصابات الصربية المدعومة من الجيش اليوغسلافي بالهجوم على المدن البوسنية المتاخمة لحدود صربيا، وفي 4 مارس 1992م بدأ الصرب يزحفون في جماعات من القرى والمراكز المحيطة بالعاصمة وخرج إليهم المسلمون المسلحون بأسلحتهم في الشوارع مع إصرارهم على الدفاع عن بلدتهم واندلع القتال في القرى القريبة من سراييفو<sup>(3)</sup>، واتخذ الصرب إجراءات فعلية بضم أراضي الجمهورية إلى صربيا على الرغم من الاعتراف الدولي الذي حصلت عليه البوسنة بعد استقلالها الذي تم بالطرق القانونية المعروفة.

إن الصرب اتخذوا من رفض شعب البوسنة والهرسك الانضمام إلى صربيا الكبرى وإصراره على الاستقلال ستارا لشن حرب تخدم أطماعهم التوسعية فكل الدلائل تؤكد أنها حرب ضد الإسلام<sup>(4)</sup>، لقد

1 الأرقم الزعبي، قضية البوسنة والهرسك، ص38.

2 الأرقم الزعبي، م.ن، ص62.

3 دار الدعوة، البوسنة والهرسك أمة تدبج وشعب يبأد، ص27.

4 فهد العصيمي، مأساة إخواننا في البوسنة والهرسك، ص143.

تفجر الموقف في البوسنة والهرسك في أوائل شهر مارس 1992م عندما أعلن راديو كرواتيا عن معارك يشنها الصرب في جمهورية البوسنة والهرسك وازداد القتال ضراوة عندما دخلت قوات جيش الصرب بلدة بوسانسكي برود بالمدرعات والدبابات وتم إخلاء المدينة من كل سكانها، وأحرق 80% من مبانيها، وفي منتصف شهر مارس 1992 م بدأ قصف مدينة سراييفو العاصمة البوسنية<sup>(1)</sup>.

وصل أول فوج من قوات الأمم المتحدة في 23 مارس 1992م إلى بلغراد لحفظ السلام لإيقاف اعتداء الصرب على الكروات من جهة وعلى البوسنة والهرسك من جهة أخرى، وتم توقف الاعتداء على الكروات في حين تزايد الاعتداء على المسلمين في البوسنة والهرسك وتصاعد وحشية وضراوة، وما إن أتى يوم 25 مارس 1992م حتى عم القتال جميع مدن البوسنة والهرسك وتشرّد أكثر من سبعين ألف مسلم بعد أن هدمت منازلهم ونجو بأرواحهم<sup>(2)</sup>.

بدأت الحرب ومع بدايتها اعترفت الجماعة الأوروبية باستقلال البوسنة والهرسك، وفي 21 مايو 1992م قبلت الأمم المتحدة عضوية كل من جمهورية كرواتيا وسلوفينيا ثم تبعتها عضوية البوسنة والهرسك، واشتعلت الحرب ولا أحد يعرف عدد أفراد الميليشيات الصربية المسلحة في البوسنة والهرسك، فالميليشيات الصربية تحت القيادة العسكرية والسياسية لزعيم صرب البوسنة رادوفان كارادزيتش، وقد انضمت إليهم جماعات مسلحة من جمهورية الصرب نفسها تسمى النسور البيض بقيادة زعيمهم الذي يسمى باسمه الحركي أركان، وكذلك مجموعة التشيتنيك التي يقودهم فوييسلاف سيسلي السياسي الصربي القومي المتعصب<sup>(3)</sup>.

اشتد القتال وزاد امتداده، وبدأت المذابح الوحشية للأطفال والنساء والرجال والعزل داخل مدنهم وقراهم، وشهدت عدة مدن مذابح رهيبة يشيب من هولها الولدان وذلك في شهر ابريل 1992م كان من أشدها

---

1 علي بن عبد الرحمن، انتهاكات حقوق الإنسان في البوسنة والشيستان، ص108.

2 عدنان النحوي، ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى - ص94.

3 مجدي نصيف، حرب البوسنة والهرسك في إطارها السياسي والاقتصادي، ص49، ص182.

ما تم في مدينة بيلينيا<sup>(1)</sup> لم يبال الصرب بقرارات هيئة الأمم المتحدة ولا بالإنذارات ولا بالنداءات وصراخ الأطفال والشيوخ والنساء الذين يذبحونهم ويقطعونهم بل مضوا في جريمتهم التي تتزايد كل يوم وحشية ويزداد العالم من حولهم صمتا وعجزا<sup>(2)</sup>.

ووصل الأمر إلى أن الأهالي لا يستطيعون دفن أقاربهم الشهداء الذين تعفنت جثثهم في شوارع سراييفو لخوفهم من المذابح البشعة التي ترتكبها القوات الصربية التي خربت كل الأبنية الأساسية للمدينة وعزلتها عن العالم<sup>(3)</sup>، إن مناطق بوسنية كثيرة تم تفرغها تماما من سكانها على إثر تلك المجازر الوحشية التي يندى لها الجبين الإنساني على مرأى ومسمع من العالم كله ومراقبة مندوبي الأمم المتحدة والولايات الأمريكية زعيمة ما يسمى بالنظام العالمي الجديد<sup>(4)</sup>.

لقد استولى الصرب على ما يزيد على ثلثي مساحة جمهورية البوسنة والهرسك بالقوة والوحشية وسط صمت دولي رهيب لم يعرف التاريخ مثله من قبل بالرغم من أن هذه الجمهورية قد نالت عضوية كاملة في هيئة الأمم المتحدة، وتحظى باعتراف دولي رسمي مما يضمن لها الحماية الدولية وبيح لها الدفاع المشروع عن النفس وفق ميثاق الأمم المتحدة<sup>(5)</sup>.

أما المساجد التي بناها المسلمون العثمانيون الفاتحون والتي كانت تزين بمآذنها الشامخة كل مدينة وقرية في البوسنة والهرسك فقد دمر الصرب منها ما يزيد على 800 مسجد تزيد أعمار كثير منها على أربعمائة عام وقد كانت طوال القرون الخمسة الماضية شاهدا من شواهد الحضارة الإسلامية ومنازة للعلم في قلب أوروبا<sup>(6)</sup>.

- 
- 1 علي بن عبد الرحمن، انتهاكات حقوق الإنسان في البوسنة والشيشان، ص 109.
  - 2 عدنان النحوي، ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى - ، ص 143.
  - 3 فهد العصيمي، مأساة إخواننا في البوسنة والهرسك، ص 143.
  - 4 علي بن عبد الرحمن، م.س، ص 109.
  - 5 عبد الوهاب زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا، ص 41.
  - 6 أحمد منصور، قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد، ص 96.

وتفيد الإحصاءات الرسمية التي أعلنتها الوكالات الدولية أنه وفي خلال ثلاث سنوات من بداية الحرب تم تهجير نحو مليونين ومائتي ألف من المسلمين البوسنيين خارج بلادهم، وتمت إبادة نحو ربع مليون بوسني مسلم في الأفران وفي مذابح جماعية بغرض إرغام الآخرين على الهرب وترك بلادهم، وأن القوات الصربية قد أنشأت على الأراضي البوسنية التي تحتلها أكثر من 150 معسكر اعتقال يحتجز فيها مائتي ألف من المسلمين البوسنيين غالبيتهم من الأطفال والنساء ترتكب بحقهم يوميا عمليات إعدام جماعية وتصفيات جسدية، وأفظع أنواع التعذيب والقهر ليس آخرها الاغتصاب الوحشي للنساء وسط اعتراف القادة الصربيين أنفسهم بذلك وبيانات لجان التحقيق الدولية وأفلام الفيديو التي عرضت على الكونجرس الأمريكي، ولكن دون أن تتحرك المشاعر الإنسانية لقادة النظام العالمي الجديد، وكأن شعب البوسنة والهرسك ليسوا من البشر<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثامن: غزو العراق عام 2003 م:

يمثل موقع العراق الجغرافي حلقة وصل بين أوروبا والشرق الأوسط ويتمتع بأهمية كبيرة لأنه يقع في شمال الخليج العربي ويكون مع بقية دول الخليج العربي أكبر مصدر للنفط في العالم كله، لذا كان محط أنظار القوى الاستعمارية التقليدية منها كبريطانيا وألمانيا بشكل خاص وقوى الاستعمار الحديث الممثلة بالولايات المتحدة وبريطانيا<sup>(2)</sup>.

بعد انتهاء الحرب العراقية - الإيرانية وخروج العراق عام 1988م مهزوما منها ومديونا وجيشه ما زال نسبيا على قدر من القوة يهدد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في الخليج وأمن إسرائيل، ارتأت واشنطن أن تجد مبررا جديدا لقيام حرب جديدة تهدف إلى الخلاص من ترسانة العراق العسكرية ومحاولة العودة إلى منابع النفط بشكل فعال، فكانت حرب الخليج الثانية عام 1991، ولم يكن جورج بوش الأب بعيدا عن قرار خوض واشنطن الحرب فقد كشفت وثائق رسمية أمريكية علاقته بفضائح

1 عبد الوهاب زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا ، ص41.

2 محمد أحمد، الغزو الأمريكي البريطاني للعراق سنة 2003: مجلة جامعة دمشق، ص121 العدد (3+4)، سنة 2003.

مالية تمس أجهزة المخابرات وأبيه وأخيه، وفصائح شركات النفط أسكتتها حرب الخليج الثانية وحولتها إلى الاتجاه المعاكس<sup>(1)</sup>.

وما من شك في أن للحرب العدوانية الأمريكية على العراق واحتلاله في ربيع عام 2003 عدة أهداف متشابهة ومتداخلة بعضها ببعض على الصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري ومعظم هذه الأهداف تلتقي مع الأهداف الإسرائيلية في السيطرة على مقدرات الشرق الأوسط، ويمكن تلخيص أهداف الحرب الأمريكية المعلنة على العراق بما يلي<sup>(2)</sup>:

1- الادعاء بامتلاك العراق لأسلحة دمار شامل وسعيه لتطوير أسلحة بيولوجية وبناء برنامج لمثل هذه الحرب وبأن العراق على وشك أن يصنع أول قنبلة نووية.

2- اتهام العراق برعاية الإرهاب وبأنه يخطط لتزويد المنظمات الإرهابية وخاصة تنظيم القاعدة بأسلحة دمار شامل يمكن أن تستخدم في تهديد الأمن العالمي بشكل عام وأمن الولايات المتحدة بشكل خاص.

3- تهديد العراق لجيرانه كالكويت وسوريا وتركيا.

4- إسقاط صدام حسين بالقوة العسكرية من أجل منح الحرية للشعب العراقي وإقامة نظام ديمقراطي على الطريقة الغربية يكون نموذجاً يجب أن يحتذى به لدى العديد من دول الشرق الأوسط إذ سيصبح العراق واحة للديمقراطية في المنطقة.

### تضليل الرأي العام العالمي:

عملت الإدارة الأمريكية على شن حرب إعلامية نفسية قبل الحرب العسكرية، حيث أظهرت تكنولوجيا متطورة بتغطيتها الإعلامية للحرب بصورة مكثفة وتدفق غير مسبوق للأخبار والتقارير والتعليق

1 سمير صارم، إنه النفط يا (...) الأبعاد النفطية في الحرب الأمريكية على العراق، ص163.

2 سمير صارم، م.ن، ص167. ص168.

والصور<sup>(1)</sup>، وتمثلت وسائل أسلحة الحرب النفسية الأمريكية في وكالة المخابرات المركزية ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية والكونغرس وكافة وسائل الإعلام لتشكيل رأي عام محلي وعالمي لشن حرب مدمرة ضد العراق تخدم المصالح الأمريكية<sup>(2)</sup>.

وقامت وسائل الإعلام بنشر صور الرئيس العراقي صدام حسين بجوار أسامة بن لادن وحسب استطلاعات الرأي العام الأمريكي أن 66% من الشعب الأمريكي يؤيد العمل على إسقاط النظام العراقي، واستخدمت الحرب الإعلامية والنفسية لتحطيم نفسية الجيش العراقي حيث ألفت نحو 43، 8 مليون منشور ما بين ديسمبر 2002 و 9 ابريل 2003 تطالب فيها الإدارة الأمريكية القوات المسلحة العراقية بالاستسلام<sup>(3)</sup>. حيث قامت وسائل الإعلام بأكبر عملية استطلاع جوي وأرضي بأقصى سرعة ممكنة إلى القيادة المركزية، وبناء خطة محكمة حيث نشرت أكبر أسطول جوي من أقمار التجسس من أجل معرفة القوات العراقية وحجمها وتسليحها ودرجة استعدادها، ويلعب الإعلام دورا محوريا في تشكيل الرأي العام والتأثير عليه اتجاه القضايا المختلفة عن طريق بث صور إعلامية أو رسائل صوتية مفبركة، وهذا ما تم استخدامه من طرف الإدارة الأمريكية في حربها النفسية على العراق لما تشكله هذه الأخيرة من دور كبير في كسب المعركة<sup>(4)</sup>، هذا بالإضافة الى الترويج لعدد من الافتراضات لتبرير الحرب ومحاولة إقناع الرأي العام العالمي والكونغرس بها بأن هذه الحرب غير مكلفة عسكريا وأن الشعب العراقي يحمل كرها شديدا لصدام حسين ولديه رغبة في التخلص منه، وأن

- 
- 1 فيصل القاسم وآخرون، الفضائيات العربية وتغطية الحرب على العراق 2003: مجلة المستقبل العربي، العدد 295، سنة 2003، ص117 . ص118.
  - 2 استيرق فؤاد وهيب، المعالجة الإعلامية للاحتلال الأمريكي تحليل مضمون مجلة نيوزويك النسخة العربية (ماجستير) الأردن، جامعة الشرق الأوسط لدراسات العليا، 2009، ص115.
  - 3 محمد أحمد، الغزو الأمريكي البريطاني للعراق سنة 2003: مجلة جامعة دمشق، العدد (3+4)، سنة 2003، ص 15.
  - 4 سعيد كحال، حقوق الإنسان في ظل التدخل الأمريكي في العراق (ماجستير)، الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة، سنة 2008، ص91 . ص92.

القوات الأمريكية سوف تستقبل في العراق كقوات محررة لا غازية وأنها ستكون حربا سهلة وسريعة ومضمونة وأن تكلفتها منخفضة<sup>(1)</sup>.

### الاستعداد العسكري للغزو:

في أوائل مارس استكملت الولايات المتحدة الأمريكية عملية الحشد العسكري، حيث كان حجم القوات الأمريكية في الخليج قد وصل إلى ما لا يقل عن 280 ألف جندي أمريكي<sup>(2)</sup> و48 ألف جندي بريطاني، كما وصل إجمالي القوات الأمريكية وقوات التحالف المحتشدة في المنطقة وبالقرب منها إلى حوالي 333 ألفا تضم مختلف التشكيلات البرية والبحرية والجوية<sup>(3)</sup>. ففي الكويت 98 ألف جندي من جيش البر والمارينز بالقرب من الحدود العراقية مزودين بدبابات و24 مروحية هجومية من نوع أبانثي، تنتمي إلى فرقة المشاة الثالثة، بالإضافة إلى فرقة الهجوم الجوي و15 ألفا من قوات التدخل السريع<sup>(4)</sup>.

أما السعودية فكان يتواجد فيها خمسة آلاف بحار من المارينز على متن سفن في منطقة الخليج وترافق حاملات الطائرات "كونستاليشن، كيتي هوك، أبرهام لنكولن" في شرق البحر المتوسط، بالإضافة إلى خمس مجموعات بحرية وجوية<sup>(5)</sup>، أما قطر فتواجد فيها 1000 فرد من القيادة المركزية الأمريكية في قاعدتي السيلية، و3500 في قاعدة العديد، والبحرين كان يوجد فيها 4 آلاف فرد يتبعون قيادة الأسطول الخامس الأمريكي<sup>(6)</sup>، أما الإمارات العربية المتحدة فقد تواجد فيها حوالي 1200

- 
- 1 استبرق فؤاد وهيب، المعالجة الإعلامية للاحتلال الأمريكي تحليل مضمون مجلة نيوزويك النسخة العربية (ماجستير) الأردن، جامعة الشرق الأوسط لدراسات العليا، 2009، ص115.
  - 2 حامد محمود عيسى، القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي 1914-2003، ص524.
  - 3 استبرق فؤاد وهيب، م.س، ص118.
  - 4 جيف سيمونز، استهداف العراق "العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية"، ص55.
  - 5 مصطفى البكري ومحمود البكري، العراق المؤامرة الخيانة للاحتلال، ص12.
  - 6 حامد محمود عيسى، القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي 1914-2003، ص524.

جندي، في حين تمركز في تركيا في قاعدة انجليريك قاعدة الطيران الأمريكي البريطاني ألف رجل وطائرات أف 16 واف 15<sup>(1)</sup>.

بنيت الخطة الإستراتيجية الأمريكية لغزو العراق في إطار إستراتيجية هجومية تحمل اسم الهيمنة السريعة وتحقيق نصر عسكري حاسم ضمن نظرية "الصدمة والرعب"، حيث تتعدد الضربات الجوية والصاروخية والمدفعية في وقت متزامن مع هجمات برية قوية من اتجاهات متعددة، مع تخصيص دور رئيس ومؤثر للقوات الخاصة في عمليات الاقتحام وعمليات خلف الخطوط بهدف سرعة انهيار الدفاع العراقي وسقوط بغداد، كما خطط لإدارة حرب نفسية منظمة تهدف إلى أن يفقد النظام العراقي السيطرة على أركان الدولة مما يؤدي إلى انهيار السلطة وانتهاء المقاومة العسكرية في وقت محدود و بأقل خسائر ممكنة<sup>(2)</sup>.

أما الجانب العراقي فقد اعتمد الخطة العسكرية التالية:

- 1- تجنب حشد القوات العراقية قرب الحدود وتوزيعها حول المدن وداخلها اعتمادا على أن قوات التحالف سوف تقلل من قصفها الجوي للمدن حماية للمدنيين، وان تقوم هذه القوات بشن حملات خاطفة على قوات التحالف في إثناء تقدمها داخل العراق ثم ترتد مرة أخرى إلى داخل حرم المدن<sup>(3)</sup>.
- 2- تقوية الدفاع عن بغداد العاصمة حيث تم نشر قوات الحرس الجمهوري والقوات الخاصة التابعة له في حلقات متتالية حول بغداد وداخلها وصد الهجمات المتوقع انطلاقها من الجبهة الشمالية<sup>(4)</sup>.

---

1 احمد إبراهيم عطية، إرهابات غزو العراق ونهاية إسرائيل، ص168.  
2 ينظر: خليل حسين، النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية، ص440-ص439  
3 عاطف السيد، الغزو الأمريكي البريطاني للعراق مارس 2003، ص89  
4 استبرق فؤاد وهيب، المعالجة الإعلامية للاحتلال الأمريكي تحليل مضمون مجلة نيوزويك النسخة العربية (ماجستير) الأردن، جامعة الشرق الأوسط لدراسات العليا، 2009، ص122 . ص123

وكان للقوات العراقية أكثر من 400 ألف جندي نظامي بالإضافة إلى قوات احتياطية تقدر بأكثر من 600 ألف جندي، أما القوات البرية تشمل 7 فيالق منها فيلقان للحرس الجمهوري وتضم تلك الفيالق 22 فرقة مشاة أمشاة ميكانيكية مدرعة، وتمتلك نحو 2700 دبابة قتال رئيسية، بينما القوات الجوية تتكون من 300 طائرة قتال غير متطورة بالإضافة إلى أن القوات البحرية كانت تعاني حالة الضعف ونقص الفاعلية لضيق المنافذ البحرية للعراق على الخليج العربي وعدم مواكبة التطور بسبب الحصار الذي كان مفروضا عليها طيلة 13 سنة<sup>(1)</sup>.

---

1 عاطف السيد، الغزو الأمريكي البريطاني للعراق مارس 2003، ص89

## المبحث الثاني

### أسباب فرقة الأمة

#### المطلب الأول: الفرق الباطنية:

وجد في التاريخ الإسلامي عدة فرق باطنية منحرفة، كانت لها معتقداتها المخالفة للإسلام، حيث سأوضح أهم المعتقدات لتلك الفرق التي بقي وجودها في العالم الإسلامي حتى اليوم.

#### أولاً: النصيرية:

هم الفرقة التي قالت بنبوّة محمد بن نصير الذي ادعى أنه نبي بعثه الحسن العسكري وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن<sup>(1)</sup> ويذكر المؤرخون أن النصيرية من الشيعة الإثني عشرية ثم انشقوا فيما بعد، وأن سبب انشقاقهم أن الإمامية الإثني عشرية لم تقر لأبي شعيب محمد بن نصير بالإمامة فانفصل عنهم وأسس هذه الطائفة ثم عللوا انفصالهم بقولهم إنه لا يمكنهم أن يبقوا بدون مرجع ظاهر يعتقدون به إذ مهما تعالى البشر وتمسكوا بالمعنويات فإنه لا غنى لهم عن الأخذ بالماديات<sup>(2)</sup>.

يعيش النصيريون الآن في شمال غرب سوريا، بالجبال المعروفة بجبال النصيرية الواقعة شرقي محافظة اللاذقية الممتدة حتى أنطاكية في لواء الاسكندرونة، وفي منطقة كليكيا في تركيا، وقسم منهم يسكنون المدن والقرى قرب تلك المنطقة وقسم آخر يسكن في بعض أجزاء من فلسطين<sup>(3)</sup>.

وتاريخ النصيريين منذ أن وجدوا في هذه المنطقة، تاريخ أسود مشبوه، إذ لم يخرجوا على العقائد الإسلامية ويتجاوزوا أحكام الشرع فحسب، بل إنهم كانوا دائماً خنجرا في جنب الأمة الإسلامية، يتآمرون ضدها في الخفاء، ويظهرون لها العداء كلما وجدوا لذلك سبيلا، والتاريخ يشهد بأنهم كانوا

1 النويختي، فرق الشيعة، ص78.

2 د.الحلبي، طائفة النصيرية، ص39.

3 تقي شرف الدين، النصيرية دراسة تحليلية، ص14.

دائماً في تحالف مع أعداء الإسلام، فقد استظهروا بالصليبيين ضد المسلمين ودخل بعضهم في صفوفهم و خدمتهم، وبسبب عمالتهم وخيانتهم استولى الصليبيون على سواحل الشام والقدس وغيرها من بلاد الشام<sup>(1)</sup>، كما أنهم تعاونوا مع التتار، وحثوا تيمورلنك على قتل المسلمين بالجملة، وتخريب دمشق وأقاموا الأفراح حينما ذبح التتار المسلمين.

وبعد أن شكلت فرنسا حكومتي دمشق وحلب، استغلت التركيب الطائفي في البلاد السورية، فأنشأت حكومة الدروز ومركزها السويداء وأخرى للنصيريين ومركزها مدينة اللاذقية وشكلت مجالس لإدارة شؤونها، وكانت الطائفة النصيرية قد تحركت لخدمة فرنسا منذ عام 1919 وطالبتها بالاستقلال عن حكومة دمشق<sup>(2)</sup>.

ويقول يوسف الحكيم وقد كان معاصراً للأحداث آنذاك : "إن النصيرية أخلصوا للانتداب الفرنسي، فلم يبعثوا عنهم إلى المؤتمر السوري، وكان موقفهم هذا متقفاً مع عرفانهم للجميل حيث شملتهم فرنسا بالعناية والعطف"<sup>(3)</sup>، لقد كانت العلاقة بين النصيريين وفرنسا، بينما كانت العلاقة متوترة وعلاقة عداة مع الحركة الوطنية السورية.

في عام 1918م قاد صالح العلي المقاومة ضد فرنسا في منطقته في قرية الشيخ بدر، إحدى نواحي طرطوس، حيث ضخم دورها لكن حقيقة أمرها كانت ترتبط بالصراع القائم بين النصيرية والإسماعيلية آنذاك، فقد كان صالح العلي يشن غاراته على الإسماعيليين في القدموس وما حولها بهدف طردهم منها، ولما كان الإسماعيليون قد تحالفوا مع فرنسا توسعت دائرة الصراع، كما أن حكومة دمشق وكمال أتاتورك أمدا صالح العلي بالمال والعتاد ضد فرنسا وحلفائها، وكل من هؤلاء كان يسعى لهدف يختلف عن الآخر<sup>(4)</sup> وقد ساهم صالح العلي في هدم الخلافة الإسلامية، عندما قام بقطع الطريق التي تصل

1 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 150/35، 151،

2 محمد الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، ص381.

3 يوسف الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، ص94.

4 ينظر: نقي شرف الدين، النصيرية، ص68 . ص74.

طرطوس بحماة، فكانت خسائر الأتراك كبيرة نتيجة قطع الطريق عليهم<sup>(1)</sup>، وعندما قل العتاد واستولى المستعمرون على أكثر معاقله في منطقته استسلم واعتزل شؤون الحياة العامة، بعد أن عفا عنه الفرنسيون واستمر بعيد عن الأحداث منذ استلامه 1921م وحتى وفاته سنة 1950م<sup>(2)</sup>.

وعندما شكل حزب سياسي في سوريا باسم الكتلة الوطنية، أراد الحزب أن يكتسب النصيرية فأطلق عليهم اسم العلويين<sup>(3)</sup>، فصادف هوى في نفوسهم وهم يحرصون عليه الآن، وقد أقامت فرنسا لهم دولة العلويين في جبال نصير استمرت من سنة 1920 . 1936م، حيث قسموا سوريا إلى دويلات صغيرة، وجعلوا لدولة العلويين تلك مجلسا خاصا حيث طالبوا فرنسا بالبقاء على الوضع الحالي المتمثل في الانفصال عن سوريا حيث تقدم وفد نصيري في 28/4/1933 بمذكرة موجهة للمفوض السامي في بيروت ذكر فيها ما يلي: "إننا لا نريد الوحدة مع سوريا بل على العكس نحن نعارضها فالسوريون يعادوننا من الوجهة الدينية، ولا يمكن لنا التعاون معهم، ولا الارتباط مع سوريا ولو كان ذلك على شكل اتحاد كونفدرالي<sup>(4)</sup>، وظلوا ككيان منفصل حتى توقيع المعاهدة السورية الفرنسية عام 1936م، التي نصت على وحدة البلاد وبعد توقيع المعاهدة كانت هناك ردود فعل مختلفة من النصيريين إذ إن بعضهم قبل الوحدة وأكد على انتمائه إلى الإسلام والوحدة، وطالبت جماعات منهم بالانفصال واستمرار الدولة العلوية<sup>(5)</sup>، واستطاع العلويون النصيريون أن يتسللوا إلى التجمعات الوطنية في سوريا، واشتد نفوذهم في الحكم السوري منذ سنة 1963م لواجهة محسوبة على أهل السنة وقاموا بانقلاب بتاريخ 16/11/1970 واستلموا بعده السلطة وتولوا رئاسة الجمهورية سنة 1970م<sup>(6)</sup>، ومنذ ذلك التاريخ بدؤوا في عزل أهل السنة عن مراكز الدولة الحساسة والسيادية، وجعل قبضة الدولة تتركز في

1 أحمد قدي، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، ص133.

2 الزركلي، الأعلام، 3/197.

3 أطلق عليهم لقب العلويين من قبل فرنسا تمويها وتغطية لحقيقتهم الرفضية (عبد الرحمن العبادي، فتوى في حكم الدرور والنصيرية، ص16).

4 محمد الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، ص384.

5 أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص372.

6 حسن أبو الخير، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان، ص167.

يد العلويين، وأتبعوا ذلك بمذابح لم يشهد التاريخ مثلها حتى يستتب الأمر لهم ولحكمهم، مثل مجزرة حماة عام 1981 ومساندة المليشيات المسيحية اللبنانية في ارتكاب المجازر بحق اللاجئين الفلسطينيين إبان الحرب الأهلية اللبنانية، طبعاً ولا ننسى الأحداث الجارية حالياً في سوريا، والتي تشهد مذابح بالجملة بحق الشعب السوري من قبل سلطات النظام النصيرية هناك<sup>(1)</sup>.

وإذا كان هذا هو تاريخهم، فلا غرابة أن يصفهم ابن تيمية في فتواه المشهورة عنهم، بأن ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض، وأنهم في الواقع لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين، ولا بكتاب من كتب الله المنزلة، ولا يقرون أن للعالم خالقا، ومن ثم فإن حكمهم حكم الكفار، بل هم أكفر من اليهود والنصارى والمشركين، ولا تجوز مناكحتهم ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم ولا يتزوج منهم امرأة ولا تباح ذبائحهم ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين، ولا يصلى على من مات منهم<sup>(2)</sup>، وتسري هذه الفتوى على كل من يعتقد عقائد هذه الفرقة الضالة ويتبع مذهبها، وإلى أن يكتشف أمر هذه الطائفة الباطنية التي تكتم تعاليمها ومعتقداتها وتظهر غير ما تضرر.

## ثانياً: الدروز:

الدروز فرقة اتسمت بطابع الباطنية، يرجع المؤرخون نشأتها إلى العصر الفاطمي، إبان عهد الحاكم بأمر الله سادس الخلفاء الفاطميين بمصر، اتخذوا شخصيته مناظراً لدعوتهم وسموا الحاكمية نسبة له<sup>(3)</sup>، أما الدروز أنفسهم فيفضلون أن يطلق عليهم اسم الموحدين وإن كانوا لا ينكرون تلقيبهم بالدروز، وكان يسميهم أصحابهم بالأعراف<sup>(4)</sup>، ويربط المؤرخون نشأة الدروز مع ابتداء الحاكم بأمر الله<sup>(1)</sup> بدعوى الربوبية.

1 موقع الجزيرة نت (www.aljazeera.net).

2 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 160/35، 49.

3 أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ج1، ص630.

4 مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص258.

وقيل لما هلك الحاكم، شرع حمزة بزرع بذور الاعتقاد بالوهية الحاكم، وتوحيده، وعبادته، ويجتمع هو أتباعه في المعبد السري حتى ثار عليهم المسلمون وطردوهم<sup>(2)</sup>، ولم يجد أصحاب هذه الدعوة ملجأ لهم إلا وادي التيم، والدروز عرب في نسبهم، فهم من لحم وتوخ وهما قبيلتان عربيتان، ولكنهم يعتبرون أنفسهم الآن والألف سنة التي مضت، في دور الستر فلا يكشفون عن عقائدهم وأئمتهم<sup>(3)</sup>.

بعد انتصار فرنسا في معركة ميسلون، دخلت إلى دمشق، حيث كان الدروز ممن رحب بالغزاة، حيث بدأت تتبلور هذه العلاقة باختيار غورو قائد جيوش فرنسا في المشرق حرسه الخاص من الدروز<sup>(4)</sup>، ثم قويت علاقة الدروز بفرنسا وجرت اتصالات لاستقلال الجبل عن سوريا، وعقد زعماء الجبل والرؤساء الدينيون اجتماعات وضعوا فيها برنامجا لاستقلال الجبل، حيث يقول ذوقان قرقوط: "وهكذا خلقت دولة لم يكن عدد سكانها يتجاوز الخمسين ألفا، ووجد لها علم مستمد من رموز طائفية ومجلس تمثيلي، يكاد أعضاؤه جميعهم أن يكونوا أميين"<sup>(5)</sup> حيث عين سليم بن يحيى الأطرش حاكما على الجبل، وكان قبل سنوات قائدا للجيش التركي، ومسؤولا عن الجبل تحت مظلة الدولة العثمانية.

كما أن هناك ثورة سلطان الأطرش ضد فرنسا التي لم يكن هدفها إلا المصالح الضيقة لطائفة الدروز، حيث كان سلطان الأطرش عميلا لبريطانيا<sup>(6)</sup>، حيث ثار الأطرش بسبب خرق فرنسا لأعراف الجبل وتقاليده، حيث أُلقت فرنسا القبض على أدهم خنجر الذي التجأ إلى قرية سلطان الأطرش إثر اشتراكه بمحاولة اغتيال غوروفي 1921/7/22م فغضب سلطان لذلك<sup>(7)</sup>، كما أن هناك تنافسا بين آل الأطرش على زعامة الجبل حيث منحت فرنسا سليم الأطرش لقب أمير وعينته حاكم الجبل، حيث

- 
- 1 هو أبو علي المنصور: ابن العزيز بالله بن المعز العلوي، ولد سنة 357 هـ وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 386هـ، كان جبارا عنيدا وسفاكا لدماء وكان يتسم بالمتناقضات حيث يأمر بشيء ثم يعاقب عليه (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص305).
  - 2 محمد كرد علي، م.س، ص264.
  - 3 الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص259 . ص261.
  - 4 ينظر: محمد النواوي، الصراع العربي الإسرائيلي، ص46
  - 5 ذوقان قرقوط، تطور الحركة الوطنية في سوريا، ص266
  - 6 حيث يؤكد ذوقان قرقوط هذه الصلات بين بريطانيا والأطرش في كتابه تطور الحركة الوطنية في سوريا ص264 . ص265.
  - 7 محمد الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، ص379.

أغضب ذلك أجنحة أخرى من العائلة، وبعد وفاة سليم عينت فرنسا حمد الأطرش حاكماً على الجبل، فبرز الخلاف بين آل الأطرش من جديد، الأمر الذي دفع السلطات الفرنسية إلى اختيار الكابتن كارييه حاكماً للجبل عام 1924م، حيث شعر الدروز بالظلم، فكانت ثورتهم من أجل تحقيق مطالبهم الخاصة، وكان من عادة الدروز أن يثوروا ضد الحكومات الوطنية من أجل هذه المطالب فليس مستغرباً إذن أن يثوروا على الفرنسيين<sup>(1)</sup>، هذه الثورة استمرت عاماً ونصف العام، وفي 1927/5/28 غادر سلطان البادية متوجهاً إلى قرية الملح ثم لجأ إلى الأردن، وأقام في الكرك حتى عام 1937م حيث عاد إلى الجبل بعد صدور العفو عنه، حيث عاش عشر سنوات في الأردن كما كان يعيش رجال الكتلة الوطنية، حيث يتحدثون عن سوريا من خارجها، وتحت مظلة الإنجليز وعطفهم، بينما كان المجاهدون ينطلقون من المساجد ومن غوطة دمشق وأرياف حوران وروابي سوريا كلها<sup>(2)</sup>.

أما في فلسطين فقد كان وقوف الدروز على الحياد مما يجري في فلسطين من تطورات سياسية بدءاً من الاحتجاج على وعد بلفور 1917م إلى اشتباكات العام 1920/1921م، مما لفت أنظار القيادات الصهيونية التي رغبت في نسج خيوط التعاون مع الدروز أملاً في استخدامهم في الحفاظ على أمن التجمعات اليهودية في الجليل والكرمل، وشق وحدة المجتمع العربي الفلسطيني، بتكريس الخلافات المذهبية والسياسية بين الدروز وباقي أفراد المجتمع الفلسطيني، تطبيقاً لمبدأ كرره بن غوريون: "وهو عدو عدوي صديقي"<sup>(3)</sup>، ولقد ساعد قرب التجمعات الدرزية واليهودية من بعضها، ووجود مصالح اقتصادية بين الجانبين على بدء هذه العلاقات وسرعان ما تطورت العلاقات بين الجانبين لتتجاوز علاقة العمل والجوار إلى حد قيام شخصيات من الوكالة اليهودية بزيارات رسمية للقرى الدرزية أعقبها مساعدات سخية لهذه القرى، كما تطلعت السلطات اليهودية إلى إخراج الطائفة عن حياها وعزلها عن

---

1 ينظر: محمد النواوي، الصراع العربي الإسرائيلي، ص 55 . ص 57.

2 محمد الخالدي، م.س، ص 380.

3 مروان جرار، العلاقات اليهودية الدرزية في فلسطين في فترة الانتداب البريطاني (1918-1948)، ص 307.

وسطها العربي واستثمارها ضد العمل المقاوم في فلسطين<sup>(1)</sup>، وحاليا أصبحوا يتجنسون بالجنسية الإسرائيلية، ويشاركون في الحياة السياسية بل وفي الحياة العسكرية الإسرائيلية ضد المسلمين<sup>(2)</sup>.

ويقطن الدروز اليوم في شوف لبنان وجبل حوران، ووادي التيم، وبعض قرى الغوطة بدمشق والجبل الأعلى في حلب، وبعض قرى عكا، وكذلك في أنطاكية، وإسكندرية، وإزمير، وإسطنبول، وبلغاريا، وبلاد اليونان، وأمريكا الجنوبية لا سيما البرازيل، وللدروز الآن تواجد سياسي كبير في لبنان يمثلته الحزب التقدمي الاشتراكي الذي أسسه كمال جنبلاط وخلفه ابنه وليد جنبلاط<sup>(3)</sup>.

ويبدأ التاريخ عند الدروز من سنة 408هـ وهي السنة التي أعلن فيها حمزة ألوهية الحاكم، ويعتقدون بأن الحاكم أرسل خمسة أنبياء هم: حمزة، وإسماعيل، ومحمد الكلمة، وأبو الخير وبهاء، ويحرمون التزواج مع غيرهم والصدقة عليهم ومساعدتهم كما يمنعون التعدد وإرجاع المطلقة ويحرمون البنات من الميراث ولا يعترفون بحرمة الأخت والأخ من الرضاعة، وينكرون القرآن الكريم ويقولون إنه من وضع سلمان الفارسي، ولهم مصحف خاص يسمى المنفرد بذاته أو مصحف الدروز، كما أنهم يقولون بتناسخ الأرواح وأن الثواب والعقاب يكون بانقزال الروح من جسد صاحبها إلى جسد أسعد أو أشقى، وينكرون الجنة والنار ويعتقدون بأن القيامة هي برجوع الحاكم الذي سيقودهم إلى هدم الكعبة وسحق المسلمين والنصارى في جميع أنحاء العالم وأنهم سيحكمون العالم إلى الأبد ويفرضون الجزية والذل على المسلمين<sup>(4)</sup>.

---

1 مروان جرار، م.ن، ص 307.

2 حسن أبو الخير، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان، ص 169.

3 مصطفى غالب، الحركات الباطنية في الإسلام، ص 272.

4 حسن أبو الخير، م.س، ص 168.

### ثالثا: البابية والبهائية:

البابية والبهائية عقيدتان مرتبطتان ارتباطا وثيقا، فالبابية تعتبر مقدمة للبهائية وتمهيدا لها، البهائية نسبة إلى بهاء الله، لقب يدعى به حسين بن علي<sup>(1)</sup>، وهي عبارة عن تدبير مدروس، محكم، منظم، أخذ طابعه المعروف بعد مروره بأطوار ومسميات عدة.

بدأت البهائية بأفكار الشيخ أحمد الإحسائي، مجدد الأفكار الباطنية خلال القرن التاسع عشر، ومؤسس الفرقة الشيعية، وتسمى الكشفية أيضا، نسبة إلى الكشف والإلهام اللذين كان يدعيهما، قيل إن الإحسائي لم يكن أصله من الإحساء، وإنما كان قسا غريبا أرسل من أندونيسيا، حسب خطة مرسومة لإفساد العقيدة وتغيير أحكام الدين<sup>(2)</sup>، وبعد وفاته تولى تلميذه كاظم الرشتي<sup>(3)</sup>، نشر آراءه وأفكاره، وكون أتباعا وأنصارا، عرفوا بالرشدية نسبة له، وقبل وفاته اختار من بين تلامذته خليفة له وهو علي محمد الشيرازي مؤسس الفرقة البابية التي سطرت تاريخا دمويا في أرض فارس وهي التي أرست القواعد الأولى للبهائية.

ويعتقد البهائيون بأن جميع الأديان صحيحة، وأن التوراة والإنجيل غير محرفين، وضرورة توحيد جميع الأديان في دين واحد وهو البهائية، ويقولون بنبوة بوذا وكنفوشيوس وأمثالهم من حكماء الهند والصين والفرس، ويجحدون بأسماء الله الحسنی وصفاته ويعتبرون كل ما يضاف إلى الله إنما هم رموز لأشخاص امتازوا من بين البشر، كما يعتقدون أن القيامة هي بمجيء البهاء في مظهر الله تعالى، كما ينكرون معجزات الأنبياء ولا يؤمنون بالجنة أو النار ويحرمون الجهاد والخوض بالسياسة، ويحرمون حجاب المرأة ويحللون المتعة ويدعون إلى شيوعية النساء والأموال، كما يحرفون أركان الإسلام، فالصلاة عندهم ثلاث مرات في اليوم، فيها ثلاث ركعات دون تحديد لكيفية معينة لأدائها، ولا يبيحون

1 هو بهاء الله حسين ولد سنة 1233هـ (محسن عبد الحميد، حقيقة البابية والبهائية، ص38).

2 محمد إقدير، العقائد الفلسفية المشتركة بين الفرق الباطنية، ص52.

3 ولد في رشت بايران سنة 1205هـ والتحق بالإحسائي وأصبح ضمن تلاميذه (محمد زرندي، مطالع الأنوار، ص9).

الصلاة في الجماعة، والقبلة تكون باتجاه قصر البهجة في عكا، ولا وضوء عندهم إلا بماء الورد، وإن لم يوجد فيقال باسم الله الأطهر خمس مرات. أما الزكاة فعندهم نسبتها 19% من رأس المال تدفع مرة واحدة، أما الحج فيكون لقبر البهاء في عكا، كما يبيحون زواج الشاذين ويحرمون زواج الأرامل إلا بعد دفع دية معينة، كما ألغوا جميع العقوبات عدا الدية<sup>(1)</sup>.

لقد كانت البهائية أكبر معين لكل يد ظالمة مستبدة حيث عملت عن كثب في خدمة الأنظمة الديكتاتورية في العصر الحاضر مثلما كان عليه الحال في إيران حيث وضعت البهائية كامل طاقتها في خدمة نظام الشاه المخلوع محمد رضا بهلوي، وأصبح البهائيون في عهده قوة منظمة يحتلون المواقع الرئيسية في مؤسسات الدولة وخاصة الجيش الذي تعتبره البهائية ميدانها المفضل، ولقد تبين فيما بعد عقب خلع الشاه والقضاء على نظامه أن كثيرا من كبار المسؤولين في حكومته كانوا يدينون بالبهائية وعلى رأسهم أمير عباس هويدا الذي ظل رئيسا للوزراء منذ عام 1965م إلى قبيل الثورة في إيران بقيادة الخميني، كما أن دور البهائيين في التآمر مع الاستعمار على الدولة العثمانية لا يخفى على أحد، ففي سنة 1904 وسنة 1907 بلغت تحركات عباس السرية ضد الحكومة الإسلامية نروتها وتقدم شاهد من أسرته هو ومن البهائيين أنفسهم وشهدوا ضده بأن له أعمال مناوئة للحكومة فأرسلت الحكومة التركية لجانا للتحقيق ولم يكثرث ولم يبال بهم لأيد أجنبية خفية قوية كانت تراعيه وتحافظ عليه<sup>(2)</sup>، ويشهد أسلمنت نفسه بذلك حيث يقول: "وبينما كانت اللجنة تجمع الأدلة ضده كان يزاول أعماله اليومية وأشغاله العادية بكل اطمئنان وبدون اكثرث ويشغل في زرع الأشجار المثمرة في الحديقة ويرأس حفلة زواج بالعزة والحرية"<sup>(3)</sup>، والدليل على أن هذا الاطمئنان وعدم الاكثرث لم يكن إلا لاتصاله بالأيدي الأجنبية التي كانت تدعمه، هو اعتراف البهائيين أنفسهم بأن القنصل الإيطالي اتصل به آنذاك وقدم له تسهيلات لفراره من عكا ومنح الجنسية الإيطالية إن رغب فيها<sup>(4)</sup> لكنه آثر

1 حسن أبو الخير، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان، ص 178.

2 إحسان الهي ظهير، البهائية نقد وتحليل، ص 303.

3 اسلمنت البهائي، بهاء الله والعصر الجديد، ص 65.

4 اسلمنت البهائي، م.ن ، ص 65.

البقاء في فلسطين لأداء الخدمات للاستعمار حتى قامت الثورة ووقع الانقلاب وأتاح الدونمة إطلاق سراح ذلك الخائن وريبب الصهاينة<sup>(1)</sup>.

وجزاء للأعمال التي قام بها عباس أفندي في تلك البلاد المسلمة من الجاسوسية والتهويد هياً له الانكليز والصهيونية العالمية أسباب سياحته إلى أوروبا لتجديد الولاء الرسمي بينه وبين الاستعمار البريطاني من جهة، وإلى أمريكا حيث يتمركز فيها اليهود ويسيطرون على اقتصادها لتلقي التعليمات الجديدة لخدمتهم من جهة أخرى ومن هناك رجع مرة أخرى إلى لندن وإلى باريس ومن باريس إلى ألمانيا وبودابست وفيينا وقضى هناك سنتين تقريباً من أغسطس 1911 إلى ديسمبر 1913<sup>(2)</sup>، ضيفاً على الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية مخططاً معهم المؤامرات ومدبراً معهم القضاء على المسلمين، وناقلاً المعلومات للصهاينة في مختلف أقطار أوروبا ومنفذاً رغبات الإنجليز قبل الحرب العالمية الأولى بقليل<sup>(3)</sup>.

كما لا يخفى دور البهائية في مساعدة الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، حيث قاموا بتحقيق مآربهم في الدول التي كانوا يعيشون فيها، وبعد انتهاء الحرب حصلوا على نصيبهم من الغنائم فأغدق الإنجليز عليهم الكثير من العطايا<sup>(4)</sup>.

وللمزيد على ذلك فإليك أخي القارئ ما كتبه حفيد عباس ونائبه بعده شوقي أفندي: "قبل سقوط فلسطين وحيفا خاصة حوصر آل البهاء بدارهم. لما علم عنهم من خيانات وأعمال جاسوسية وعمالة للاستعمار الصليبي العاشم. فاضطرب الإنجليز وفي مقدمتهم لورد كرزن ووزير الخارجية اللورد بلفور، فأرسوا برقية مستعجلة إلى قائد القوات الإنجليزية وأكدوا عليه بأن يسعى ويحاول قدر جده وجهده للحفاظ على عبد البهاء وأسرته و أتباعه"<sup>(5)</sup>.

---

1 إحسان الهي ظهير، البهائية نقد وتحليل، ص303.

2 دائرة المعارف الإسلامية، 5/94.

3 إحسان الهي ظهير، م.س، ص304.

4 حمد حسن إسماعيل، البابية والبهائية، ص521. ص522.

5 وفي أفندي، قرن بديع، 3/396.

بالإضافة إلى أن انجلترا قد قدمت أكبر وسام إنجليزي لعباس (عبد البهاء) في حفلة أقيمت على شرفه، وأكثر من ذلك ومنذ الاحتلال البريطاني طلب عدد عظيم من العسكر والموظفين من كل الطبقات حتى العليا مقابلة عبد البهاء وكانوا يبتهجون بمحادثاته النوراء وسعة اطلاعه وتعمق باطنه الأنور وكرم ضيافته ونبالة ترحيبه<sup>(1)</sup> وليس هذا فحسب بل هناك أكثر من ذلك "وكان إعجاب رؤساء الحكومة بعظمة أخلاقه وعمله الجليل للسلام والوئام والسعادة الحقيقية للعالم شديدا لدرجة أن أنعم عليه بنيشان فرسان الإمبراطورية البريطانية باحتفال وقع في حديقة الحاكم العسكري بحيفا في السابع والعشرين من شهر أبريل سنة 1920م<sup>(2)</sup>، وكان من بين الشركاء والحاضرين في هذا الحفل الجنرال اللنبي، وفضحت هذه الحفلة القوم كما اكتشف بها حقيقة أمرهم وأزيع النقاب عن وجه الخيانة والعمالة التي كانت يقوم بها البهائيون.

#### رابعا: الأحمديّة (القاديانيّة):

تتنسب هذه الفرقة إلى مؤسسها ميرزا غلام أحمد القادياني، نسبة إلى قاديان إحدى مدن إقليم البنجاب، وأسس غلام عقيدته المعروفة باسمه، وسجل مذهبه رسمياً سنة 1900م، وأنشأ مجلة تنطق باسمه وتعبّر عن فكره أسماها مجلة الأديان<sup>(3)</sup>. وقد أطلق على أبناء هذه الفرقة أسماء عدة منها: (القاديانيون، الأحمديون، المرزائيون)<sup>(4)</sup>.

وعُرف مؤسسها بالقادياني، نسبة إلى بلده "قاديان" من أعمال كشمير بالهند<sup>(5)</sup>، وهي المدينة التي ولد وترعرع فيها. وانقسم أتباع هذه الفرقة إلى فرقتين، كما يقول أبو الأعلى المودودي<sup>(6)</sup>.

- 
- 1 أسلمت البهائي، بهاء الله والعصر الجديد، ص70.
  - 2 وفي أفندي، قرن بديع ، 299/3.
  - 3 مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص375.
  - 4 إسماعيل بن عتيق، حوار مع القاديانيين وجهاً لوجه، ص5.
  - 5 عبد المنعم احنفي، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، ص 513.
  - 6 أبو الأعلى المودودي، أمير الجماعة الإسلامية في باكستان، دافع عن الإسلام بكتابه، ووصل عدد مؤلفاته تقريبا إلى 120 مصنفاً، ما بين كتاب ورسالة، أشهرها: الجهاد في الإسلام، المسألة القاديانية، الجهاد في سبيل الله، دين الحق، ويكيبيديا الموسوعة الحرة الشبكة العنكبوتية: <http://ar.wikipedia.org/wiki>.

(وأُتباع هذه الحركة منقسمون إلى فرقتين: القاديانية أو الأحمدية. والثانية: اللاهورية. والفرقة الأولى تعتقد في الميرزا غلام أحمد نبياً مرسلًا من الله . تعالى . ومسيحاً موعوداً. والفرقة الثانية تعتبره مُجدد القرن الرابع عشر الهجري، المسيح الموعود. وكل منهما يسمى فرقة بالأحمدية)<sup>(1)</sup>. وتدعى باللاهورية، نسبة إلى مدينة لاهور في باكستان.

كان الميرزا يقول عن نفسه: "إنه كان ذا شغف كبير بالقراءة والمطالعة، يقضي فيها معظم وقته، وقد تفرغ لدراسة الكتب الدينية والصوفية وغلبت عليه هذه النزعة، وكانت يومئذ سائدة عند كثير من العلماء في الهند، وكان لها رجالها، وطرقها، ومؤلفاتهم، كما كان لهم خصومهم الذين يجاهرون بنقدهم ومعارضتهم)<sup>(2)</sup>.

ويعتبر الأحمديون بأن جميع المسلمين (أهل السنة) -حسب زعمهم -كفار لأنهم يعتقدون بأن القادياني رجل أحق يدعي النبوة وليس بنبي ولا بولي، بل هو رجل كذاب أشر، وهو أحد الكذابين الذين أخبر الرسول . صلى الله عليه وسلم . عنهم.

وقد ورد في كتاب (خونة الإسلام): (وقع الاختيار - أي اختيار الإنجليز - على الميرزا غلام أحمد القادياني لتحقيق هذا الهدف، وقد ظهر في بداية الأمر في مظهر المتكلم؛ الذي كان يجادل الآباء اليسوعيين الذين كانوا يواجهون الإسلام. ثم كون جماعة من أتباعه في عام 1880م وادعى أنه محدث (ملهم من الله) ثم أعلن دعواه عن كونه مجدداً، وفي عام 1888م أعلن أن الله أمره بأخذ البيعة من المسلمين، وادعى في عام 1891م، أنه هو المسيح الموعود كما اخترع لنفسه مصطلحاً جديداً، وهو أنه نبي ظلّي)<sup>(3)</sup>.

---

1 أبو الأعلى المودودي، ما هي القاديانية، ص20.

2 رستم سعد، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، النشأة والتاريخ، ص356.

3 النجار، عامر، القاديانية، ص17.

## انتشار دعوته وامتدادها:

إن انتشار أي أمر لا بد أن يكون له أتباعه وأعدائه؛ يحملون أفكاره وتعاليمه، وبنشاطهم أو تقاعسهم نستطيع الحكم على انتشار مبادئهم، وعليه فإن انتشار القاديانية مرتبط بارتباط أتباعها في فكرتهم وبنبيهم المزعوم، كذلك فإنه يعتمد على الجهة أو الجهات التي تقف خلفهم، لذلك نرى اتساع انتشار القاديانية الأحمدية في عالم اليوم، في باكستان والهند كما أن لهم مراكز في أمريكا و أوروبا وأفريقيا وبعض الدول العربية وبإقبال شديد، وبدعم لا متناهٍ ولا محدود، أثر تأثيراً كاملاً على انتشارها، إذ لو كانت هذه الفرقة ممنوعة ومحاصرة وملاحقة، شأنها شأن كافة الجماعات الإسلامية لما وصلت إلى هذا الحد من الانتشار، ناهيك عن تعلق كثيرين من أصحاب المناصب والنفوذ بهم، وقد استسلموا لهم وتبعوهم وكأن ذلك أمرٌ دبرٌ بليلٍ، وعليه فماذا يعني حضور العديد من القادة والزعماء الدوليين مناسباتهم، والإشادة بأعمالهم، لذلك نرى لعبة السياسة واضحة تمام الوضوح، بمشاركة قادة الدول وزعمائها، حتى أصبح أحد أتباع هذه الفرقة رئيساً للوزراء في بلاده في الباكستان، ناهيك عن أن أعدادهم في تزايد مستمر ليس فقط في الهند وباكستان، بل في العالم أجمع، وإن تواصل المسؤولين مع ساسة العالم؛ لأكبر دليل على أن هناك سرّاً خفياً يعلمه الله، والراسخون في العلم، ومن نور الله بصائرهم، وإن مما لاقته القاديانية من دعم المؤسسات اليهودية والتبشير في أماكن وجودهم في فلسطين، والهند، وباكستان، وأوروبا، وبريطانيا، وهامبورغ، وإسبانيا، وسويسرا، وسيلان، وماليزيا، وإندونيسيا، وكينيا، وسيراليون، ونيجيريا، وأمريكا، لخبر دليل على سر نشاطهم.

ومن المعروف أن (أوروبا قد غزت الشرق الإسلامي، في القرن التاسع عشر وكان في مقدمة الغزاة (بريطانيا) التي تولت الهجوم السياسي والمعنوي والمادي على الهند ومصر، وتآمرت على الدولة العثمانية مما حقق لها النصر على الهند الإسلامية، حتى عدت حكومتها المغولية التيمورية رهينة في يد الإنجليز، وقد ازدادت المسألة سعة وانتشاراً عندما توافق وانهاled الدعم المالي على أفراد الجماعة الأحمدية حينما سارت بركب الدولة الإنجليزية)<sup>(1)</sup>؛ خصوصاً أنها تحارب الإسلام من وراء ستار

1 أبو الحسن الندوي، القادياني والقاديانية دراسات وتحليل، ص93.

باختيارها جانب الإنجليز الداعم لها، والمكشوفة مواقفه بأنه ضد الإسلام والمسلمين مهما لبس من أئمة يتستر بها على سوء أفعاله، (وقد وافقت الحكومة الإنجليزية على إنشاء قناة خاصة بهذه الفرقة تقديراً لدور القاديانية في وقفها إلى جانب الاستعمار الإنجليزي في الهند، ودعوة القاديانية إلى إلغاء فريضة الجهاد الإسلامي، وهذه القناة التلفزيونية تبث بأكثر من خمس عشرة لغة مختلفة في أنحاء العالم، منها اللغة العربية، وتغطي العالم كله ببرامجها الداعية لمذهبها الخارج عن الإسلام، ومن العجيب أن اسمها القناة الإسلامية)<sup>(1)</sup>، ويمكن إجمال ما تبثه هذه الفرقة في الفضائيات بما يلي:

1. إن الفرقة القاديانية تقوم بالدعاية المعادية ضد حكومة باكستان، وضد الجماعات الدينية، ويساندها الإعلام الغربي واللوبي الغربي والصهيوني.

2. إن الفرقة القاديانية استأجرت قناة للقمر الصناعي، وبدأت تنشر عقائدها وأفكارها الباطلة باسم الإسلام، وبصورة المسلمين في العالم كله، مما يسبب خطراً بانتشار الضلال بين الشباب المسلمين الذين هم بعيدون عن تعاليم الإسلام.

3. إن عالم الطبيعة المشهور الدكتور (عبد السلام القادياني)؛ يسعى بتعاون مع بعض الدول الإسلامية لعقد مؤتمر عالمي للطبيعة للدول المسلمة ودول عدم الانحياز، وليس الغرض منه إلا السيطرة على جهود العالم الإسلامي في ميدان عالم الطبيعة والوصول إلى المفاعلات الذرية لباكستان.

4. إنهم يأمرون الشباب المسلم، الموجودين في الدول الغربية؛ العاطلين عن العمل بملء الاستمارات القاديانية، ثم يقدمونهم كلاجئين سياسيين قاديانيين، وهذا العمل يجري بنظام.

---

1 عامر النجار، القاديانية، ص77.

5. إنهم ينشرون ترجمة القرآن المحرفة في اللغات المختلفة، والنشرات القاديانية، في العالم على نطاقٍ واسع، ولما كانت هذه التراجم والنشرات تقدم باسم الإسلام، كان ذلك سبباً لضلال أولئك المسلمين الذين لا يعرفون عن حقيقة القاديانية<sup>(1)</sup>.

ويمكننا أن نبين بداية هذه الفرقة وعلاقتها بالإنجليز على النحو الآتي: اجتمع قادة الاستعمار الإنجليزي وزعماءه في لندن، وخططوا الخطط ضد الإسلام، وتوصلوا إلى أنه لا بد من تدعيم قوتهم الاستعمارية في القارة الهندية، بعد زوال دولة الإسلام، وإيجاد فرق باطلة منهم تحمل اسم الإسلام، وتهدم أصول الإسلام وعقائده، فَوَجَدَتْ غُلام أحمد القادياني؛ من أسرة عريقة للتعامل مع الإنجليز، ووجدت به الحامل الأمين لدعوتهم ضد دينه وأمته وبدأ على النحو الآتي:

- 1- أفتى بعدم جواز رفع السلاح في وجه الإنجليز، لأن الجهاد . حسب زعمه . قد رُفِع.
- 2- عدم جواز الخروج على الإنجليز لأنهم . حسب زعمه . خلفاء الله في الأرض.
- 3- حصل منهم على المراكز والمناصب المتقدمة في الدولة.
- 4- ولقد أمدَّه الإنجليز بالأتباع من عليّة الدولة.
- 5- ولقد أمدّه الإنجليز بالأموال اللازمة لتمير مشروعهم.

ذلك أن (أسرته عملت في خدمة الإنجليز لدرجة أن أباه قدم فرقة مؤلفة من خمسين فارساً؛ لمساعدة الإنجليز للقضاء على الثورة التي قامت ضدهم في البلاد عام 1857م، وقد تلقى كتب الشكر والتقدير من الحكومة الإنجليزية تقديراً لجهوده معها). يقول: (إن عقيدتي التي أذكرها أن للإسلام جزئين، الجزء

---

1 ينظر: محمود المفتي، المتنبئ القادياني من هو، ص 38 . 39.

الأول إطاعة الله، والجزء الثاني إطاعة الحكومة التي بسطت الأمن وأوتنا في ظلها من الظالمين وهي الحكومة البريطانية<sup>(1)</sup>.

فكيف بنبي هذه عقيدته؛ يكون غير مغضوب عليه من الله . تعالى . والمؤمنين، وهو يغير أو يرفض ما عُرف من هذا الدين بالضرورة، فيرفض الجهاد ويشكر المحتل الغاصب، ويقدم الرجال من أجل خدمته.

---

1 عامر النجار، القاديانية، ص15.

## المطلب الثاني: الأمية الدينية:

الأمية الدينية هنا هي عدم معرفة الدين والجهل به، وإن أحرز المرء أعلى درجات المراتب في الدرجات العلمية، فإنه إذا جهل حقيقة الدين ومفاهيمه، أو فهمه فهما قاصرا كان أميا، وحق له أن يوصف بالأمية الدينية في هذه الحالة، مهما نبغ في كثير من العلوم، وتفوق على أقرانه، ونال شهادة الجدارة والامتياز<sup>(1)</sup>.

والعلم بأصول الحلال والحرام واجب على كل مسلم، لأن العلم منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية: أما فرض العين فهو الذي يجب على كل مسلم وذلك يشمل أمرين:

**أحدهما:** العلم بواجبات الدين التي تصح بها عقيدة الإيمان، وفرائض الإسلام من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ومن أركان وفرائض الصلاة والزكاة والحج، ومن أصول المعاملات الضرورية التي لا بد منها في حياة كل مسلم لتبادل المنافع، ونماء الحياة الاجتماعية واستقرارها، كحل البيع والإجارة والشركة وفرض المواريث، والعقوبات النصية في الجنايات والحدود.

**وثانيهما:** العلم بالحرام المقطوع به الذي يتنافى مع قيام الدين، كالشرك بالله وتحريم عقوق الوالدين والكذب والخيانة والزنا وأكل المال بالباطل والغش وشرب الخمر وتحريم السفور والمحرمات في النكاح، وأما فرض الكفاية: فهو الذي إذا قام به بعض الناس سقط عن الآخرين كالعلم بتفاصيل ما جاء في فرض العين وأحكامه الفرعية وأدلته من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولا يقتصر الأمر في ذلك على علوم الشريعة وتوابعها، وإنما يتجاوزها إلى سائر العلوم والمهن والصناعات....<sup>(2)</sup>.

والذي يطلع على أحوال العالم الإسلامي يجد أن الجماهير في معظم دياره تجهل كثيرا من شرائع الإسلام التي هي فرض عين، لقد مرّ على العالم الإسلامي أحقاب من الزمن تعرض فيها لغزو

1 منع القطان، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، ص8.

2 منع القطان، م.ن، ص12.

عسكري خطير، وغزو فكري أشد خطورة، فتداعت مفاهيم الإسلام وانحسر ظلها، وغاب عن الأذهان كثير منها، وكان هذا العمل عن تخطيط مدروس رهيب، لينسخ المسلمون من دينهم، وإن لم يعلنوا ردتهم، فلا يكون للإسلام وجود تطبيقي، وإن ظل له وجود رسمي، ووجود شعبي، وهذا ما عناه غلادستون رئيس وزراء بريطانيا في كلمته المشهورة التي طرحها على مجلس العموم البريطاني في عام 1883 حين حمل المصحف وقال: "ما دام هذا الكتاب باقيا في الأرض فلا أمل لنا في إخضاع المسلمين، بل ونحن على خطر في أوطاننا"<sup>(1)</sup>، فإنه لم يقصد المصحف المكتوب في السطور، أو المحفوظ في الصدور، وإنما قصد القرآن المطبق في حياة المسلمين.

وقد ظلت أحكام هذه الشريعة الغراء، تبسط نفوذها على أمة الإسلام في عصور التاريخ المختلفة بالواقع التطبيقي لها، ولم يتهاون المسلمون في حكم من الأحكام، لأن تحكيم الشريعة الإسلامية من أصول الإيمان بهذا الدين، فلما كثر احتكاك المسلمين بالغرب وضعفت الدولة العثمانية تسلمت إلى ديار الإسلام تصورات الغرب ونظمه وأحكامه وأوضاعه، ولم تلبث طويلا حتى انبهر الناس بها، وبدأ التهاون في التزام أحكام الشريعة، ثم كان استبدال القوانين الوضعية بها مرحلة بعد مرحلة، والذي يعتبر ذلك من أبرز مظاهر التردّي العقدي الذي ابتليت به الأمة في أكثر ديار المسلمين، وقد جاء ثمرة خبيثة للاستعمار الحديث والغزو الفكري الذي صاحب الاستعمار، وما زال ينفث شروره عن طريق عملائه الذين خلفهم في البلاد<sup>(2)</sup>.

وقد ندد الشيخ عبد العزيز بن باز<sup>3</sup> - رحمه الله - بفتواه بمن يحكم بغير شريعة الله فقال: "من اعتقد أن نظام الإسلام ينحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى أو يرى أن

---

1 مناع القطان، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، ص12.

2 ينظر: محمد حامد الناصر، الحياة الدينية بين الجاهلية والإسلام، ص465 وما بعدها.

3 رئيس هيئة كبار العلماء في السعودية، والمفتي السابق للمملكة.

إنفاذ حكم الله بقطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، فذلك كله كفر اعتقاد يخرج عن الملة"<sup>(1)</sup>.

ومن أبرز التجاوزات والاعتداءات على أحكام الشريعة ما حصل في مصر، إبان حكم الخديوي إسماعيل باشا الذي استتف عن تطبيق المجلة الشرعية، وترجم القانون المدني الفرنسي الأول (قانون نابليون) وطبقه في بلاده، وكان هذا بداية التقنين الوضعي في أحكام المعاملات، وما كان الشعب المصري المسلم ليقبل هذا بسهولة، لولا أن الخديوي استخدم بعض العلماء في الكتابة عن ذلك، لبيان أن هذا القانون مستمد من مذهب الإمام مالك وهي تكأة باطلة للتغريب بالناس<sup>(2)</sup>.

وحين زحف الاستعمار الغربي على العالم الإسلامي بعد أن مزق باقي أوصاله، زحفت معه القوانين الوضعية وسادت أحكام القانون المدني الغربي، وانتشرت البنوك الربوية بألوان تعاملها وسيطرت كاملة على تنمية الثروة والتجارة الداخلية والخارجية، أما أحكام نظام الأسرة التي تسمى الأحوال الشخصية فقد ظلت ولا تزال في أنحاء العالم الإسلامي مأخوذة من الفقه الإسلامي وظلت لها محاكمها الشرعية الخاصة أو أدمجت مع غيرها<sup>(3)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه البقية الباقية من جانب الفقه الإسلامي التطبيقي، يحاول بعض الناس العدوان عليها فيما يتعلق بتعدد الزوجات وأحكام الطلاق والتفاوت بين الذكر والأنثى في الميراث، وأحرزت هذه المحاولات العدوانية شيئاً من النجاح في بعض البلاد، ومع مرور الزمن نشأت أجيال في البلاد الإسلامية بعيدة الصلة بالواقع التطبيقي، فلا تفهم من الإسلام سوى الجانب التعبدي الذي تشاهده من الصلاة في المساجد، وسماع المواعظ العامة، وقراءة القرآن وشاب هذا ما شابه من تصوف مبتدع، أما جوانب الإسلام الأخرى ولا سيما الجنايات والحدود فقد غابت من المجتمع، وغاب معها في أذهان أكثر الناس أنها من صميم الإسلام<sup>(4)</sup>.

1 جمعها الشويعر، مجموع فتاوى الشيخ ابن باز 137/1.

2 مناع القطان، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، ص14.

3 مناع القطان، م.ن، ص15.

4 ينظر: مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، ص400 . ص402.

كما أن فرية (فصل الدين عن أمور الحياة) قد صفق لها دعاة التغريب والاستعمار وطبقوها في معظم بلاد المسلمين منذ بداية القرن العشرين، ومن العجب العجاب أن يزعم العلمانيون أن الدعوة إلى إقامة الدولة الإسلامية تمثل ردة حضارية، وأن قوانين البشر أقر على إصلاح المجتمعات من الشريعة الإسلامية، ونحن لا نعجب من أن ينتصب لعداوة شريعتنا وديننا اليهود والذين أشركوا، ولكن العجب أن ينصب لعداوته نفرًا من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا وينذرون لحربه حياتهم وأقلامهم، في تظاهر لا تخطئه العين<sup>(1)</sup>، وكان التغريب هجمة نصرانية صهيونية استعمارية في آن واحد لتقف على هدف مشترك بينها، ذلك هو طبع العالم الإسلامي بالطابع الغربي التماسا لمحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية<sup>(2)</sup>.

وقد ظهرت فئة تدعو إلى تجديد الفكر الإسلامي، ومسح أصول الحديث والفقه، بحجة مواجهة المستجدات العصرية، وتغيير أصول العلوم الإسلامية عن طريق التشكيك بالسنة النبوية بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية لمجاراة التطور، مع دعوة جادة لفصل الدين عن واقع الدولة والحياة، كل ذلك تحت ستار عصريته الإسلام وتطويره<sup>(3)</sup> هذا هو واقعنا للأسف، وهو ما يخطط له أعداؤنا، انظر إلى ما جاء في صحيفة يديعوت آحرنوت الإسرائيلية: "إننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدا عن تنفيذ خطتنا لمنع يقظة الروح الإسلامية بأي شكل، ولو اقتضى ذلك الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف في إخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية"<sup>(4)</sup>.

ينبغي للمسلم أن يتنبه إلى مخططات أعداء الدين الموجهة للمسلمين من محاولتهم تجزئة الشريعة والحد من العمل بها وتعطيل بعض أحكامها لإضعاف المجتمع المسلم ومحاولتهم الدائمة لتشكيك الناس في السنة النبوية، ولقد علم أعداء الدين أهمية العلم الشرعي في بقاء الأمة المسلمة وقوتها

1 محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ص419.

2 محمد حامد الناصر، م.ن، ص420.

3 ينظر: محمد حامد الناصر، العصريون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، (الباب الثالث) ص175 . ص232.

4 عمر عبيد حسنة، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، ص159.

وعلموا أيضا خطورة الجهل وكيف أنه أقوى سلاح لتفريق هذه الأمة ومن ثم السيطرة عليها فعمدوا جاهدين إلى نشر الجهل بالدين الإسلامي بين صفوف أبنائه ومحاولة فصل المسلم عن دينه ثم استغلال المسلمين الجهلاء لبث مخططاتهم الاحتفالية ولمد نفوذهم على ثروات المسلمين بل وعقولهم ولقد سلكوا وسائل عدة لتحقيق هدفهم من نشر الأمية الدينية بين المسلمين فاستفادوا من فترة احتلالهم لبلاد المسلمين بالتدخل في المناهج التعليمية، ومحاولة إحلال المنهج الغربي كما يدعون مكان المناهج الإسلامية في البلاد المحتلة<sup>(1)</sup> عملوا على محاولة استبعاد دراسة القرآن والسنة والتاريخ في البرامج التعليمية العامة والعمل على تشويه عقائد المسلمين وإثارة الشكوك والشبهات حولها<sup>(2)</sup>، عبر وسائل التربية والتعليم من جهة، وعبر وسائل الإعلام من جهة أخرى، وكم خدم المندسون والمنافقون والجهلاء أعداء الدين في تحقيق أهدافه<sup>(3)</sup>.

### أبرز الاتجاهات "العلمانية" التي تبنت نشر الأمية الدينية في العالم الإسلامي:

#### 1- العلمانية في تركيا<sup>(4)</sup>:

قامت العلمانية أولا في تركيا على أنقاض الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك، وحاربت الإسلام حربا عنيفة ومنظمة على النحو التالي:

- إلغاء الخلافة الإسلامية لأنها وسيلة لجمع المسلمين كلهم وهذا أمر يشكل خطرا على الغرب وتجاربه الجاهلية الحديثة (العلمانية)<sup>(5)</sup>.

- محاربة الإسلام والمظاهر الإسلامية في تركيا وسائر بلاد المسلمين وتربية جيل جاهلي ينتكر للدين والفضيلة . محاربة اللغة العربية لغة الإسلام . وتحريم التكلم بها والكتابة بحروفها واستبدال اللغة التركية والحروف اللاتينية بها . إلغاء الشعائر الإسلامية التي ترمز إلى إسلام الشعب التركي مثل

1 ينظر: سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص181.

2 ينظر: عبد الرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثي، ص44.

3 عبد الرحمن الميداني، م، ن، ص274.

4 ناصر بن عبد الله القفاري وناصر العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص108.

5 ممدوح الحربي، موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة، ص83.

الأذان والصلاة جماعة وقراءة القرآن ولبس العمامة ونحو ذلك<sup>(1)</sup>. وهكذا سارت تركيا بهذا الاتجاه تريد العزة والرفعة والمجد، فأصابها الله بالذلة والهوان والضعف، وتلك سنة الله في المسلمين، فإنهم ما طلبوا العزة بغير الإسلام إلا نكبوا وذلوا.

## 2- العلمانية في مصر والبلاد العربية:

بدأت العلمانية في مصر اتجاها فكريا في الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي . خاصة أيام الاحتلال البريطاني . وقد خطت مصر خطوات نحوها آنذاك وبرز دعاة إليها في كثير من جوانب الحياة أمثال:

- قاسم أمين في الجانب الأخلاقي والأسري.
  - طه حسين في جانب الثقافة والأدب والفكر.
  - الشيخ علي عبد الرازق في الجانب الأسري والتشريعي<sup>(2)</sup>.
- وغيرهم كثيرون كسلامة موسى، وسعد زغلول ولطفي السيد، وبالرغم من هذه الاتجاهات القوية نحو الجاهلية إلا أنها لم تكن ذات أثر في واقع الشعب المصري والدولة المصرية إلا بعد الثورة التي قادها عبد الناصر عام 1952م والتي تبنت في واقع الشعب ما يسمى بالعلمانية وأقامت عليها الدولة، ومن أهم الخطوات التي حققتها هذه الثورة في سبيلها ما يلي<sup>(3)</sup>:
- الإشادة بالقومية العربية باعتبارها بديلة عن الإسلام في جمع كلمة العرب.
  - تبني الاشتراكية باعتبارها نظاما اقتصاديا بديلا عن أحكام الإسلام وتشريعاته وإبرازها بأنها هدف سام من أهداف الدولة والشعب.

---

1 ناصر بن عبد الله القفاري وناصر العقل، م.س، ص108.

2 ينظر: ممدوح الحربي، موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة، ص81 . ص82.

3 ناصر بن عبد الله القفاري وناصر العقل، م.س، ص109.

البحث عن بدائل ثقافية وفكرية وعقائد للشعب المصري كالفردانية بدلا من الإسلام والبحث عن بذور الجاهليات الأولى لتكون مرتكزات جديدة للمصريين.

بالإضافة إلى استبعاد التشريع الإسلامي من الحياة ووضع (الميثاق) كبديل عنه ليكون الميثاق المصدر الأساسي للتشريع والتوجيه في الدولة، ثم تلتها قوانين وضعية لا تزال هي السائدة الآن، كما تم تصدير الثورة بما تحمله من علمانية واشتراكية وشعارات غير إسلامية إلى الدول العربية والعالم الثالث وهذا ما حصل فعلا، كما مهدت لقيام شعارات جاهلية أخرى كالبعثية.

وبهذا ترسخت العلمانية في مصر وبعض الدول العربية التي سارت في التيار العلماني الوافد، والذي ترسخ لدى الكثير من كتابه و أدبائه الهدف الأعظم وهو فصل الدين عن الدولة كما وصفه عبد الوهاب المسيري كما فعل فؤاد زكريا الذي يقول: "إن ما تريد العلمانية إن هو إلا إبعاد الدين عن ميدان التنظيم السياسي للمجتمع، والإبقاء على هذا الميدان بشريا بحتا"<sup>(1)</sup>.

كما أفضت إلى بروز أحزاب علمانية وقومية مثل حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب القومي السوري<sup>(2)</sup>، والتي تدعو إلى القومية العربية وجعلها بديلا عن الإسلام في تحقيق وحدة العرب، والانقلاب الشامل في المفاهيم والأفكار والعقائد والقيم لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي شعار هذا الحزب "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة"<sup>(3)</sup>، ويتلخص موقف هذه الأحزاب من الإسلام فيما قاله ميشيل عفلق في كتابه في سبيل البعث: "وليس المهم أن تكون شتى المعاني السلبية والإيجابية كالعنصر والدين والتراث التاريخي قد أسهمت في الماضي في صنع هذه القومية وتداخلت فيها، ولكن المهم هو المعنى الذي نستخرجه من كل ذلك في مرحلتنا الحاضرة، مرحلة انبعاث وخلق المستقبل العربي"<sup>(4)</sup>. في الوقت الذي كان يحذر فيه ميشيل عفلق من القومية التي تأتي من أوروبا وبين أنها

---

1 ينظر: محمد علي البار، العلمانية جذورها وأصولها، ص37.

2 موقع صيد الفوائد، [www.saaaid.net](http://www.saaaid.net)

3 ينظر: سعد الغامدي، حزب البعث تاريخه وعقائده، ص 10.

4 ينظر: ميشيل عفلق، في سبيل البعث، ص186 . ص189.

من الأخطار والمفاسد<sup>(1)</sup> حيث قال: "إن هذه القومية التي تأتينا من أوروبا مع الكتب والمجلات تهددنا بخطر مزدوج فهي من جهة تنسينا شخصيتنا وتشوهها من جهة أخرى تسلبنا واقعنا الحي وتعطينا بدلا منه ألفاظا فارغة ورموزا مجردة"<sup>(2)</sup>، فما أصدق وصفه هذا على حاله وما أكثر تطابقه مع ما قام به من عمل.

### العوامل التي أدت إلى الأمية الدينية<sup>(3)</sup>:

ومناهج الدراسة في معظم البلاد العربية بالتعليم العام شملتها موجة التغريب، ووقعت في شباك المندوب البريطاني كرومر ووزيره القسيس دنلوب في مصر<sup>(4)</sup>:

- فانطمست فيها معالم المواد الدينية
- ولا تشمل خطتها سوى مادة واحدة لا يزيد نصيبها عن ساعة أو ساعتين في الأسبوع.
- ولا تضاف درجة مادة الدين إلى المجموع العام للطلاب، وهذا يدعو إلى الاستهانة بها، ويكفيه منها النهاية الصغرى للنجاح، وكثيرا ما يطلب مدرس اللغة الإنجليزية أو مدرس الرياضيات مثلا من زميله مدرس مادة الدين أن يتنازل عن نصيب المادة له، فيستجيب لذلك.
- ولا تشمل هذه المادة سوى موضوعات عامة أخلاقية أو تعبدية محدودة، ويدرس الطالب ويتخرج، ويحصل على أعلى الدرجات العلمية وهو لا يعرف عامة الأحكام الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة، ولا يدرك أن تطبيق الشريعة الإسلامية في أوضاع الحياة الاجتماعية، والاقتصادية والجنايات والحدود من فرائض الإسلام في دولة مسلمة.

---

1 سعد الغامدي، حزب البعث تاريخه وعقائده، ص14.  
2 ينظر: ميشيل عفلق، في سبيل البعث، ص137.  
3 ينظر: مناع القطان، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، ص15 . ص18.  
4 كرومر (1917.1841) دبلوماسي بريطاني، خدم بالهند ثم بمصر مندوبا ساميا لبريطانيا ووزيرا مفوضا، وكان الحاكم الحقيقي لمصر عقب الاحتلال البريطاني سنة 1883، وكان دنلوب مستشار التعليم (ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، ص1456 . ص1457).

وفي أحد الأيام (يقول مناع القطان في كتابه) تجاذبت أطراف الحديد مع بعض الطلبة الجامعيين، وذكرت آية من سورة الحديد، فما إن سمع أحدهم اسم السورة حتى قال: حديد أو خشب، فظننته مستهزئاً متهكماً، فلما استفسرت منه بلطف عرفت أنه لا يعلم أن القرآن الكريم فيه سورة تسمى سورة الحديد، وهذا أقل ما يقال فيه أنه أمية دينية<sup>(1)</sup>.

وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمشاهدة لا تثبت في برامجها الدينية إلا القضايا العامة، والثقافة الإسلامية التقليدية، والعرض العام لتفسير القرآن أو شرح الأحاديث النبوية، فلا تمس جوهر الحكم بغير ما أنزل الله من قريب أو بعيد، وتضرب صفحا عن تعطيل أحكام الشريعة، واستبدال القوانين الوضعية بها، وهذه الوسائل الإعلامية نوافذ للمعرفة، فإذا خلت من تبصير السامع والمشاهد بتقليص المجال التطبيقي للشريعة الإسلامية والعدوان على أحكامها، فهيهات أن يعلم الناس هذه الحقيقة وما جرت عليه من وبال، وبهذا يظلون في أمية دينية.

فلا يستنكر الإنسان بعد ذلك أن يجد كاتباً يرى أن أئمة الفقه الإسلامي شغلوا أنفسهم بمسائل فرعية، ولم يعرفوا من معاش الناس سوى ما لدى أهل الصحراء، وأنه . أي الكاتب . أتيح له في العصر الحاضر أن يعرف أنواع الثقافات، أي أنه أقدر منهم على فهم الإسلام وفقهه، ويرى أن التطبيقات التشريعية كانت تاريخاً وليست تشريعاً، وأن مفهوم الشريعة يتلون ويتغير بلون الحكم وتغيره، وكان سبباً في النزاع والخلاف والفرقة والشقاق واندلاع نار الحرب، وانتشار ألسنتها بين الدول<sup>(2)</sup>.

ويقول الكاتب: "في القرن العشرين، قرن المعرفة والعلم والثقافة الحقيقية بكل إمكانياته الجبارة، لا أستطيع أن أقبل مقدماً تفسير فقيه عاش في الصحراء، ولم يعرف الحياة التي عرفت، ولم تتح له كل العلوم والثقافات، هناك بعض الكتاب يسمون أنفسهم إسلاميين، في حين أننا كلنا إسلاميون، ولسنا بوذيين، هؤلاء يخلطون بين الشريعة والتاريخ، ويقولون: إن الشريعة كانت مطبقة حتى نهاية الخلافة

---

1 مناع القطان، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، ص 16.

2 مناع القطان، م.ن، ص 18.

العثمانية...أية شريعة؟ هل تسمى قمة الظلم والنهب والاستغلال والفسق شريعة؟...فعلى مر التاريخ كان مفهوم الشريعة الإسلامية يتغير بتغير نظام الحكم، وظل المسلمون في حرب مستمرة بسبب اختلاف المفاهيم القرامطة، الخوارج، وحتى حرب الخليج<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثالث: واقع لغة الضاد في العصر الحالي:

فما يرسخ الأخوة الإسلامية ويزيل عقبات التفاهم والانسجام بين الشعوب المسلمة أن نولي العربية مزيدا من العناية في نشرها بين المسلمين حتى تكون لغة العلم والثقافة بينهم، ولا أعني هنا أنه ينبغي لكل المسلمين هجر لغاتهم الأصلية، بل ما أعنيه هو أن نولي العربية ما تستحقه بوصفها لغة القرآن والسنة التي يتعذر على من لم يحذقها الرسوخ في العلم الشرعي "فإذا فرضنا مبتدئا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطا؛ فهو متوسط في فهم الشريعة والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة؛ فالاهتمام إذن بالعربية هو اهتمام بالشرع ولهذا اتفق علماء الإسلام من العرب والعجم على حفظ اللغة العربية، وكان العلم والدين في أوج القوة بحياة اللغة العربية وخدمتها من المسلمين جميعا.

واجتماع المسلمين باعتماد العربية لغة للعلم والثقافة والتدريس في المدارس والجامعات سيحقق أمة مسلمة متحدة في دينها وثقافتها، وما لم يحصل ذلك فستبقى في الوحدة الإسلامية ثلثة بتشرذم شعوبها وغياب الناظم الثقافي لهم فاللغة من أهم عوامل الوحدة "ولا يمكن أن يتم الاتحاد والإخاء بين الناس، وصيرورة الشعوب الكثيرة أمة واحدة إلا بوحدة اللغة. وما زال الحكماء الباحثون في مصالح البشر العامة يتمنون لو يكون لهم لغة واحدة مشتركة، يتعاونون بها على التعارف والتآلف ومناهج التعليم والآداب والاشتراك في العلوم والفنون والمعاملات الدنيوية.

1 ينظر: مجلة صباح الخير، ص14، العدد 1736.

في هذا المطلب سنحاول أن نتعرف على واقع اللغة العربية في مجال التعليم وخارجه، وذلك من أجل التوصل إلى الصورة الكاملة التي توضح واقع حال اللغة العربية ووضعها الذي لا يليق بمكانة لغة هي لغة كتاب الله، ولغة أمة سادت العالم وأثرت في حضارته الكثير.

### أولا: اللغة العربية في العملية التعليمية:

من يلق نظرة على واقع اللغة العربية في العملية التعليمية يلاحظ غياب السياسة اللغوية على الرغم من أن دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة الرسمية في الدولة هي اللغة العربية، ولكن ثمة فجوة بين ما ينص عليه الدستور وما يمارس على أرض الواقع، فإذا ألقينا نظرة على الموقف من اللغات الأجنبية في العملية التعليمية فإننا نلاحظ أن ثمة اعتمادا للغة العربية في دول المغرب العربي ابتداء من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي إلى جانب إدراك أهمية تعليم اللغة الأجنبية في عصر المعلومات منذ وقت مبكر<sup>(1)</sup> ففي تونس مثلا لا تدرس اللغة الفرنسية قبل الصف الثالث الابتدائي على الرغم من حفاظ اللغة الفرنسية على وجودها وتحدياتها لجهود التعريب، وكذلك الشأن في بقية بلدان المغرب العربي، ففي الجزائر ما تزال اللغة الفرنسية حاضرة بكثافة، وتحافظ على مثلها في ثقافة المجتمع الجزائري بصورة أو بأخرى، على الرغم من محاولات التعريب الكثيرة، ولكنها تعليميا لا تدرس قبل الصف الرابع الابتدائي.

ولما فتح باب المدارس الخاصة فتحت الأبواب على مصراعيها للغات الأجنبية وخاصة الفرنسية، فأخذ بعضها لا يعلم إلا بالفرنسية، وتعددت وكثرت في البلاد إلى أن اضطرت وزارة التربية في الجزائر أن تلزمها تعليم العربية وتطبيق برامجها، أما التعليم العالي فهو قلعة محصنة لا تتفد إليها العربية في يومنا هذا ومعظم المشرفين على التعليم العالي من أساتذة وإداريين لم يتخلصوا من هيمنة اللغة

---

1 محمود السيد، واقع اللغة العربية في الوطن العربي وآفاق التطوير: مجلة اللسان العربي، ص 23، العدد 66 (سنة 2011).

الفرنسية ويقف التعليم العالي في وجه العربية وبهذا تصبح نصوص اللغة المالطية أصغى من نصوص العربية الجزائرية، على حد تعبير عبد المجيد مزبان وزير الثقافة الجزائري سابقاً<sup>(1)</sup>.

ويدل رصد واقع اللغة العربية في المغرب العربي على أن السياسة اللغوية المتبعة تجاهها هي سياسة عدم التدخل وسياسة عدم التدخل تنتهجها الدول حينما تكون لغتها الوطنية قوية متمكنة لا يخشى عليها، وأما حين تكون اللغة الوطنية مهددة باللهاجات الدوارج وباللغات الأجنبية، ويضعف الإمكانيات المتاحة لتعلمها، ويانحسار تداولها في الإعلام والإدارة وغيرهما، ويتراجع وضعها الاعتباري في مجال العلوم والاقتصاد، فإن ذلك يعد إسهاماً في هذا الوضع وإبقاء عليه<sup>(2)</sup>.

وإذا انتقلنا إلى دول الخليج العربي فإننا نلاحظ أن الحكومات تبذل من الناحية الرسمية المعلنة كل ما في وسعها لدعم مواقف اللغة العربية، وتعمل جاهدة كما هو ظاهر على تعزيز مكانتها والحفاظ عليها انطلاقاً من كونها لغة الدين والتراث، وهي اللغة الأساسية الأولى للمجتمعات التي تحكمها وتديرها وللشعوب التي ترعاها وتسهر على مصحتها، إلا أن الواقع العملي يناقض في حقيقة الأمر ما تسنه الحكومات من قوانين نظرية وما تعلنه من نداءات لدعم اللغة العربية وتعظيم مكانتها، بل إن من السياسات والإجراءات المعمول بها حالياً في هذه الدول ما يعمل على إضعاف اللغة العربية والتقليل من فاعليتها، ويشكل تحدياً لمسيرتها، ويعطل في نهاية الأمر الكثير مما تهدف إليه المناهج المتعلقة بتعليمها وتعلمها، وإن معلمي اللغة والمعنيين بشؤون اللغة عامة لا يملكون تجاه ما يشاهدونه من فوضى لغوية مفروضة عليهم، وما يشاهدونه من تحديات للغتهم على مختلف المستويات، إلا أن يسلموا ويستسلموا حتى وإن رأوا أن كل ذلك يتسع ويزداد يوماً بعد يوم، ولكنهم ربما تساءلوا في حيرة وإحباط سرا وعلانية عن جدوى ما يعلمونه لتلاميذهم عن عناصر اللغة القومية وصيغها وأساليبها

---

1 محمود السيد، واقع اللغة العربية في الوطن العربي وآفاق التطوير: مجلة اللسان العربي في الجزائر، ص 337-354.

2 عز الدين البوشيخي، نحو مقارنة وظيفية تواصلية لتعليم اللغة العربية ص 7.

ومهاراتها وعن مدى فاعلية ما يقرر في مناهج تعليم اللغة من موضوعات ومواد في حياتهم العملية ما دامت الأمور تسير باللغة في الاتجاه المعاكس<sup>(1)</sup>.

إن السياسة اللغوية ومن ثم التخطيط اللغوي غائبان عن دول المغرب العربي وعن دول الخليج في الوقت نفسه، وعلى الرغم من أن مجتمع الخليج تربط بين أهله روابط النسب والدم والبيئة إضافة إلى اللغة والدين والتاريخ والتراث المشترك، إلا أن هناك غيابا للتخطيط اللغوي المشترك لتعليم اللغة العربية وتعلمها، إذ إن المناهج تعتمد في وضعها على الاجتهادات الفردية والتصورات الشخصية والانطباعات الذاتية والنظم التقليدية المحكّمة، فبات لكل من دول الخليج مناهجه وطرائقه وسلسلة كتبه الدراسية الخاصة به، وله مقاييسه ومعاييرته التي اعتمد عليها في وضع المناهج<sup>(2)</sup>.

إن مسؤولية غياب التخطيط اللغوي لا تقع كلها على عاتق الدارسين والباحثين لأن أعمالهم قد لا تصل أو لا يصل منها شيء إلى حيز التنفيذ، لأن تنفيذ القرارات المتعلقة بالتخطيط اللغوي ليس بيد العلماء والباحثين، وإنما هو بيد من يمتلكون الحل والعقد فهو خاضع لإرادتهم ومن يمتلكون الحل والعقد في عالمنا قليلا ما يدركون أهمية ما ينظر إليه التربويون واللغويون ويخططون من أجله ويوصون بتنفيذه<sup>(3)</sup>.

وزيادة على ما تم ذكره سابقا فهناك أيضا بعض العوامل التي تحد من الارتقاء بمستوى اللغة العربية في العملية التعليمية منها:

1- أصبحت اللغة الإنجليزية أساسا للقبول والتخاطب الرسمي والنشاطات البحثية في معظم الأقسام العلمية في كثير من الجامعات العربية والخليجية، بل إن أقسام الطب والعلوم الطبية المساندة

---

1 أحمد محمد المعتوق، التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها وتعليمها في دول الخليج العربي، ص324.

2 محمود السيد، واقع اللغة العربية في الوطن العربي وآفاق التطوير: مجلة اللسان العربي، ص 28، العدد 66 (سنة 2011).

3 أحمد محمد المعتوق، م.س، ص327 . ص328

والعلوم الطبيعية لا يقبل فيها إلا المتفوقون في معرفة الإنجليزية بمختلف مهاراتها، أما مهارات اللغة العربية فلا يكاد يذكر منها شيء لأنها لا تستعمل في مثل هذه الأقسام إلا في حدود ضيقة من التعامل<sup>(1)</sup>.

2- أحاسيس الذين مارسوا أو يمارسون تعلمهم باللغة الأجنبية في الأقسام العلمية فإن المواقف السلبية تجاه اللغة العربية تزداد حينما تتسلل إلى حياة الناشئة والمتعلمين في مراحل تعليمهم في التعليم الأساسي والثانوي، فتدفع إلى الاستهانة بدروس اللغة العربية وموادها أو الفتنور في الإقبال عليها على اعتبار أنها مواد غير أساسية، لأنها لا تكون مهمة مستقبلاً مقارنة بدروس اللغة الإنجليزية والمواد العلمية التي يبشر التفوق فيها بمستقبل واعد وأحلام جميلة، لأنه يعد بالقبول في التخصصات التي تهيئ الدارس لمناصب وظيفية عالية وعوائد مالية مغرية<sup>(2)</sup>.

3- كما أن هناك نظرة فوقية من ذوي الثقافات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية إلى الدارسين بالعربية كما يحصل في دول المغرب العربي ودول الخليج العربي، أما بقية الدول كما هي عليه الحال في سوريا ومصر والعراق والأردن والسودان، فهي في منأى عن هذه النظرة الفوقية، وإن كانت ثمة جهات في تلك الدول قد بدأت نحو هذا المنحى سرا لا علانية في تفضيل خريجي الجامعات الغربية والأمريكية في التعيين في بعض التخصصات الطبية والعلمية والتربوية على خريجي الجامعات العربية<sup>(3)</sup>.

4- كما أن هناك ظاهرة سلبية في مضمار التعليم تتجلى في وجود المدارس والجامعات الأجنبية على الأرض العربية وزيادة عددها في الآونة الأخيرة وهذه المدارس تتبع جهة أخرى في مناهجها لا

---

1 أحمد محمد المعتوق، التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها وتعليمها في دول الخليج العربي، ص 344.

2 أحمد محمد المعتوق، م.ن، ص 344.

3 محمود السيد، واقع اللغة العربية في الوطن العربي وآفاق التطوير: مجلة اللسان العربي، ص 32، العدد 66 (سنة 2011).

صلة لها بالوطن، ولا بالمجتمع العربي وهويته وثقافته وحضارته وتاريخه، ولهذا يعيش الطلاب فيها بعقول وقلوب أخرى، حيث تجذب هذه المدارس والجامعات أفضل الطلاب من أبناء الطبقة العليا والوسطى وهؤلاء يعيشون غرباء في وطنهم لأنهم لا يستطيعون التفاعل معه عبر الكلمة العربية المقروءة بسرعة والمسموعة في أجواء هذه المدارس والجامعات<sup>(1)</sup>.

5- اللغة العربية تؤدي بأردأ المناهج، ويتولى تعليمها أقل المدرسين تأهيلاً، وأنها تعرض على التلاميذ بأبشع الوسائل، ويفصل فصلاً تاماً بين التلميذ وهذه اللغة بمختلف الحواجز، فهي لغة ميتة في حياته اليومية لا يجد التشجيع على إجادتها ولا النصوص الجيدة التي تجعله يتعلق بها<sup>(2)</sup>، كما أن المناهج تتعدد في الوطن العربي بتأثيرات إقليمية مرضية تطلق على العملية ألقاب مملكة في غير موضعها فهي جزارة وسعودة ولبننة...<sup>(3)</sup>.

وإذا كان الاستعمار بمختلف أشكاله قد حارب اللغة العربية في دول المغرب العربي أو في بلاد الشام على يد الاستعمار الفرنسي أو في مصر وفلسطين والعراق على يد الاستعمار البريطاني، فإن حرب اللغات مستمرة في بلادنا في ظلال العولمة، وما عجز الاستعمار عن تحقيقه في إبعاد العربية وتهميشها فإننا نعمل على تحقيقه في بلادنا العربية عندما نستعمل اللغة الإنجليزية في التعليم في جامعاتنا وفي المدارس الخاصة ونبعد العربية<sup>(4)</sup>.

- 
- 1 القرضاوي، اللغة العربية في دولة قطر بين العناية والشكوى، ص 126
  - 2 أحمد الضبيب، أزمة اللغة العربية في التعليم: مجلة الحياة الفكرية، ص 26، العدد 2 (سنة 2009)
  - 3 محي الدين عيمور، راهن العربية في أوطانها في كتاب الراهن والمأمول، ص 53
  - 4 أحمد درويش، التحديات اللغوية العامة للعربية المعاصرة، ص 185

## ثانياً: اللغة العربية في المجتمع:

تنص دساتير الدول العربية على أن اللغة الرسمية في الدولة هي العربية، ولكن هناك فرق شاسع بين ما تنص عليه الدساتير والواقع العملي في المجتمع، وإذا كانت السياسة اللغوية في العملية التعليمية والتخطيط اللغوي في ضوءها غائبين، فإن السياسة اللغوية لاستخدام العربية في المجتمع غائبة هي بدورها، وليس ثمة وعي كاف في الأعم الأغلب على مستوى القيادات السياسية والاقتصادية والثقافية بخطورة الدور الذي تؤديه اللغة في تنمية المجتمع الحديث، كما أن ثمة غياباً للرؤية الواضحة للإصلاح اللغوي في المجتمع، إذ إن ثمة متعثرًا يواجه المعارضة لا من قبل الأكاديميين في أغلب الجامعات العربية، بل من قبل بعض رواد الثقافة أيضاً<sup>(1)</sup>.

وحاول البعض رصد واقع اللغة العربية في المجتمعات العربية فوجد أن الحكومات تبذل من الناحية الرسمية المعلنه كل ما في وسعها من أجل دعم مواقف اللغة العربية، وتعمل جاهدة كما هو ظاهر على تعزيز مكانتها والحفاظ على قدسيتها، من منطلق كونها لغة القرآن والدين والتراث، واللغة الأساسية الأولى للمجتمعات التي تحكمها وتديرها، وللشعوب التي ترعاها وتسهر على مصحتها، بيد أن الواقع العملي يناقض في حقيقة الأمر ما تسنه الحكومات من قوانين نظرية، وما تعلنه من نداءات لدعم اللغة العربية وتعظيم مكانتها، بل إن من السياسات والإجراءات المعمول بها ما يعمل على إضعاف اللغة والتقليل من فاعليتها، ومن أبرز ما يظهر ذلك عدم اهتمام رجال السياسة في المنطقة العربية بسلامة اللغة على الصعيد العملي، إذ إنهم لا يستعملون العربية الفصيحة في مخاطبتهم مع جماهيرهم، وفي اللقاءات الصحفية وغيرها، فيتحدثون بالعامية أو بالعربية الركيكة المحشوة بالأخطاء والتجاوزات، كما أنهم لا يتصدون للغزو اللغوي الوافد عبر العلاقات الخارجية، فتأثرت لغة المجتمع باللغات الأجنبية في كثير من مواطن استعمالها، وكان تأثيرها باللغة الإنجليزية من بين اللغات الوافدة هو الغالب، حيث اتسعت المجالات أمام التأثير بهذه اللغة الأجنبية، وبقي التأثير بها يمتد ويستفحل مع

---

1 محمود السيد، واقع اللغة العربية في الوطن العربي وآفاق التطوير: مجلة اللسان العربي، ص 46، العدد 66 (سنة 2011).

تزايد الحوافز والمغريات لتعلمها حتى صارت تكتسح الكثير من مواقع اللغة العربية في عدد كبير من مرافق المجتمع ومؤسساته<sup>(1)</sup>.

ولما كان الاقتصاد في هذا العصر هو عصب الحياة، وكانت البيئة العربية بيئة مستهلكة للمستورد من نتاج الغرب والشرق، رسخت الشركات الأجنبية في البلاد العربية أقدامها بالترويج للغاتها عن طريق وكلائها وسماستها من رجال الأعمال الذين لا يهمهم سوى الكسب السريع دون وعي أو بوعي، بما يصيب الثقافة المحلية من التآكل والاضمحلال، فأصبحت اللغة الأجنبية لغة الأعمال التجارية، وأقصيت العربية عن مجالات العمل الاقتصادية، بل حورت حربا ضروسا، وأصبح اجتياز اللغة الأجنبية محادثة وكتابة بنجاح شرطا من شروط التعيين في وظائف القطاع الخاص وفي كثير من الوظائف الحكومية، وأصبحت اللغة الأجنبية لغة طبيعية مطلوبة في كثير من الأنشطة في الحياة العامة كالوظائف الطبية ووظائف السياحة والمؤسسات التجارية<sup>(2)</sup>.

كما أصبحت إدارة كثير من الشركات والمؤسسات في أيدي مسؤولين وإداريين ومستشارين عرب ممن تلقوا تعليمهم في الخارج، أو أمضوا فترات طويلة في التعليم أو التدريب في البلدان الأجنبية، وبعض هؤلاء تتراجع اللغة العربية لديهم حتى يصبح من الصعب عليهم التعامل بها ويفقد بعضهم الآخر شعوره بالانتماء إليها، أو تسيطر عليه عقدة النقص فيأنف من التعامل بها، ويتحول ولاؤه للغة الأجنبية فيتباهى بمعرفتها، وعندما يتولون مناصبهم القيادية يصبح تأثيرهم السلبي المباشر على من حولهم وربما أسوأ من تأثير الأجانب الغرباء<sup>(3)</sup>.

بالإضافة إلى أن استخدام العمالة الأجنبية كما يحصل في دول الخليج العربي وبعض الدول العربية الأخرى أدى إلى حدوث تحولات سلبية في حياة المجتمع، فأدت هذه العلاقات الواسعة إلى اختلاط

---

1 أحمد محمد المعتوق، التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها وتعليمها في دول الخليج العربي، ص340

2 أحمد الضبيب، أزمة اللغة العربية في التعليم، ص25

3 أحمد محمد المعتوق، م.س، ص342

المجتمع بأجناس كثيرة ومختلفة من البشر، واتصالهم عن قرب وعن بعد بهم، والتأثر بأفكارهم وتصوراتهم وتعاملاتهم وسلوكياتهم ولغاتهم وأساليب التخاطب معهم وكان لكل ذلك آثاره السلبية على فكر المجتمع وثقافته وعلى لغته العربية<sup>(1)</sup>، حيث تسربت المئات من ألفاظ اللغة الإنجليزية، وصيغها وتراكيبها إلى لغتهم، وقد تضاعف هذا التسرب واتسعت مجالاته مع زيادة حركة التجارة والاستيراد، حيث امتلأت الأسواق بمختلف أنواع البضائع والسلع وغيرها حاملة معها أسماءها وصفاتها وتعريفاتها بلغات البلدان التي أنتجتها، وتزداد هذه الخطورة عندما تنتسحب هذه الألفاظ والتعبيرات الأجنبية الدخيلة والهجينة إلى أوساط الناشئة في أسرهم، أو في مراحل تعليمهم، وتستقر في أذهانهم لتتربص بدائلها الهجينة، في الوقت الذي لا تبدو فيه أي بوادر من أي جهة تملك السلطة والإدارة لإيقاف الزحف اللغوي الأجنبي أو الحد من تأثيراته<sup>(2)</sup>.

كما أن إبعاد العربية عن مجالات العلوم وحصر دورها في التكوين الأدبي والقضائي أدى إلى الاستعانة بلغة أجنبية أو أكثر، حيث أدى ذلك إلى حدوث ضعف لغوي من جراء تداخل الأنساق<sup>(3)</sup>.

وإذا كانت اللغة العربية على نطاق الساحة القومية تتأى عن السلامة اللغوية في أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية من جراء استعمال العامية في المسلسلات التلفزيونية وفي المسرحيات واللقاءات والحوارات... إلخ، فإن ظاهرة الإعلانات هي الأخرى تتأى عن استعمال العربية السليمة حيث تشغل لافتاتها أسطح المباني والميادين العامة ومنعطفات الطرق وواجهات الأبنية الكبيرة، والمركبات العامة وواجهات المحلات التجارية، ولا تخلو منها أغشية المشروبات وكل ما يمكن أن تقع عليه العين في الحياة العامة المدنية<sup>(4)</sup>.

- 
- 1 أحمد محمد المعتوق، التحديثات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها وتعليمها في دول الخليج العربي، ص 32.
  - 2 أحمد محمد معتوق، م.ن، ص 354
  - 3 ينظر: عباس الصوري، في الوضع اللغوي المغرب، ص 9.
  - 4 أحمد درويش، التحديات اللغوية العامة للعربية المعاصرة، ص 187

ويعد هذا كله يتضح لنا جليا حجم المأساة التي تعاني منها اللغة العربية والتحديات التي تواجهها، في الوقت الذي تختفي فيه سياسة رسمية جادة لإعطاء اللغة العربية حقها ومكانها الطبيعي في حياة المجتمع أو حتى الذود عنها على أقل تقدير، بوصفها عاملا من عوامل وحدة الأمة.

## المطلب الرابع: الغرب وسياسات التقسيم وإقامة الكيانات التجزئية:

### دور الاستعمار الأوروبي في نشأة الحدود بالمشرق العربي:

جرت نشأة الحدود بمنطقة المشرق العربية ضمن التفاعلات السياسية والدبلوماسية التي كانت تشهدها المنطقة إبان التواجد الاستعماري بها، ويعكس بروز ظاهرة الحدود في هذه المنطقة عملية التقسيم والتجزئة المكثفة التي قامت بها القوى الاستعمارية الأجنبية سواء في إطار تقاسم مناطق النفوذ أو في إطار محاولة إضعاف شوكة الإمبراطورية العثمانية بفصل جزء هام تمثله أجزاء من العالم العربي من نطاق سيادتها<sup>(1)</sup>، وكان بعض الزعماء العرب القبليين أو الدينيين يميلون إلى التحالف مع هذه القوى الاستعمارية لتحقيق هدف الانفصال عن العثمانيين وتشييد دولتهم العربية المستقلة والموحدة، إلا أن التطورات السياسية فيما بعد الحرب العالمية الأولى أبانت عن أن مخططات القوى الاستعمارية كانت تتجه نحو إلحاق المنطقة العربية بدائرة نفوذها وتبعيتها وإخضاعها لانتدابها، وذلك عكس الوعود والاتفاقيات التي أجرتها مع الزعماء العرب بشأن مساعدتهم لبناء دولتهم داخل حدود معلومة ومحددة<sup>(2)</sup>.

ويتبين من خلال تطورات تلك الأحداث، أن القوى الاستعمارية كانت تعمل متفقا على إفشال مشروع الدولة العربية التي كانت تضم في تصور بعض الزعماء والحركات القومية العربية مجموعة من المناطق والأقطار العربية، مما حدا بكل من بريطانيا وفرنسا إلى فرض تصور بديل يشمل عدة دول وكيانات سياسية مستحدثة تفصل فيما بينها حدود موضوعة بصورة اعتباطية لا تراعي خصوصيات المنطقة وظروفها وإرادة سكانها<sup>(3)</sup>.

1 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي، ص12

2 توفيق برو، القضية العربية في الحرب العالمية الأولى، ص306، ص307

3 ينظر: جورج فرم، جيوبوليتيكا الأقليات في المشرق العربي: دراسات عربية، ص28، العدد 11.

وفي هذا الإطار كانت كل من بريطانيا وفرنسا تلجأ غالبا إلى طريقتين لفرض تصورهما بشأن الكيانات السياسية الجديدة وحدودها، تتمثل أولاهما في استغلال الخلافات والمنافسات بين زعماء المنطقة ليتسنى لها التدخل عن طريق الحلول التي تقترحها لتسوية تلك الخلافات، وقد لعبت بريطانيا دورا بارزا في هذا الاتجاه، إذ أن جزءا مهما من حدود الخليج العربي تم إنشاؤه بهذه الطريقة من طرفها<sup>(1)</sup>.

أما الطريقة الثانية التي اعتمدها بريطانيا وفرنسا في مساعيها لإنشاء الحدود، فتمثلت في المبادرات الدبلوماسية المكثفة التي كانتا تتخذانها لتنسيق مواقفهما وخطتهما المرتبطة بتقسيم أجزاء المنطقة بينهما وفرض الحدود الفاصلة فيما بين مجالات نفوذهما الاستعماري<sup>(2)</sup>.

وإذا كانت الآلية الدبلوماسية الاستعمارية قد تحركت في البداية في ظروف اتسمت بالتكتم والسرية التامة، فإنها أصبحت بعد الحرب العالمية الأولى تتحرك في إطار الشرعية الدولية التي كانت تعكسها معاهدات السلام والاتفاقيات الدولية المبرمة في ظل نشاطات عصابة الأمم، مما أعطى المخططات الاستعمارية المتعلقة بتقسيم المنطقة ووضع حدودها جانبا من تلك الشرعية، وذلك في إطار حركة الانتداب التي اجتاحت المنطقة<sup>(3)</sup>.

إن تحليل الظروف السياسية التي كانت سائدة بالمنطقة والتفاعلات الدبلوماسية التي أحاطت بتلك الظروف، يبرز أن ظاهرة الحدود في العالم العربي، وبخاصة في جزئه الشرقي، هي ظاهرة تراكمت مع التواجد الاستعماري بها وتمنتها خطته وترتيباته التي أعدها لإحكام قبضته على المنطقة و إدامة هيمنته عليها<sup>(4)</sup>، كما يبدو جليا أن التصور العربي لهذه الحدود كان يختلف كثيرا في تفاصيله عن التصور الاستعماري المفروض، إلا أن النزاعات العربية الداخلية أعاقت تحقيق المشروع العربي

---

1 ينظر: فتوح عبد المحسن، التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك، ص221، ص225.

2 أبو خلدون ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، ص162، ص163.

3 عمر عبد العزيز، تاريخ المشرق العربي، ص454، ص460.

4 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي، ص13.

ويسرت تنفيذ خطط القوى الاستعمارية التي استغلت ظروف المنطقة وانعدام إرادة سياسية عربية موحدة<sup>(1)</sup>.

### الظروف السياسية لدول المشرق العربي ودورها في نشأة الحدود:

كانت منطقة الشرق العربي إلى غاية بداية القرن الماضي تعرف تنظيماً خالياً من الحدود السياسية والكيانات المستقلة وذلك في إطار حكم الإمبراطورية العثمانية، وكان الشكل الوحيد للحدود الذي كانت تعرفه المنطقة هو ذلك الذي كان يفصل فيما بين الإمبراطوريتين العثمانية والفارسية<sup>(2)</sup>، ولم يكن التقسيم الإداري الذي كانت تخضع له بعض أجزاء المنطقة العربية يوحى بالانفصال، فقد كانت منطقة الشام مقسمة من الناحية الإدارية إلى أربع ولايات، وهي بغداد والموصل وشهر يزور ثم البصرة، دون أن يعني هذا التقسيم وجود انفصال أو حدود بالمعنى الحديث<sup>(3)</sup>، إلا أن هذا التنظيم السياسي والإداري للمناطق العربية الخاضعة للحكم العثماني سمح في كثير من الأحيان ب بروز بعض الزعامات القبلية وتضخم سلطتها بهذه الولايات، لكن دون استقلالها التام عن الباب العالي، غير أن بداية ظهور معالم انحطاط الدولة العثمانية وتوتر الأوضاع السياسية بالمنطقة شجع بعض هذه الزعامات والحركات العربية على إعلان ثورتها واستقلالها عن الحكم العثماني، فنجحت بعض تلك المحاولات الانفصالية بينما ظلت محاولات أخرى تنتظر مصيرها إلى غاية دخول الاستعمار الأوروبي إلى المنطقة<sup>(4)</sup>. وكانت أولى أهداف القوى الاستعمارية بمنطقة الشرق العربي تتمثل بالتحكم في الأجزاء الإستراتيجية للمنطقة من الناحية الجغرافية والعسكرية، وإضعاف السلطة العثمانية وتقليص قوتها من خلال التحالف مع القبائل والزعماء العرب الراغبين في الاستقلال السياسي وإنشاء دولة قومية قوية موحدة<sup>(5)</sup>.

---

1 إسماعيل نوري الربيعي، نشاط القوى الكبرى في الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر: مجلة الوثيقة، ص 82 . ص 92، العدد 26.

2 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي، ص 13.

3 ينظر: عمر عبد العزيز، تاريخ المشرق العربي، ص 384 . ص 402.

4 عمر عبد العزيز، م.ن، ص 384 . ص 402.

5 ينظر: توفيق برو، القضية العربية في الحرب العالمية الأولى، ص 243؟

وتعد بريطانيا التي لعبت دورا حيويا بالمنطقة سبابة على التوغل في كثير من أجزاء الشرق العربي، وذلك لمراقبة بعض الشواطئ العربية، بحيث يعود التواجد البريطاني بكل من عمان وعدن إلى سنة 1830 م والبحرين سنة 1867م والكويت سنة 1899م وقطر سنة 1913م<sup>(1)</sup>، وقد ظلت بريطانيا تعمل على تدعيم سيطرتها على المشيخات العربية مبتدئة بتقديم نصائحها المتعلقة بمقاومة عمليات القرصنة والنخاسة بالمنطقة، ثم تعزز دورها بعد ذلك بإحالة الخلافات بين الشيوخ ونزاعاتها إلى المقيم البريطاني، كما تمكنت بريطانيا في عام 1869 من إلزام بعض شيوخ المنطقة بالتعهد على عدم التنازل عن أي جزء من أراضيهم وعدم التعاقد مع أية حكومة أخرى غير الحكومة البريطانية<sup>(2)</sup>.

وتركز نشاط بريطانيا وعملية تدعيم توغلها بمنطقة الشرق بصورة كبيرة على منطقة الخليج العربي وخاصة أجزاء شبه الجزيرة العربية حيث كانت المنافسات القوية بين زعماء إماراتها تتيح حظوظا أوفر لاستتباب سيطرتها وقطع الطريق على أية قوة أجنبية أو محلية أخرى لمنازعتها في هذه السيطرة<sup>(3)</sup>، فقد كانت العلاقات بين الإمارات الخمس لشبه الجزيرة العربية الخاضعة للسيادة العثمانية وهي مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها واليمن وإمارة شمر وإمارة الإدريسي في عسير لا تتسم دائما بعلاقات الود وحسن الجوار، وإنما كان يكتنفها التنافس والعداوة بسبب رغبة بعض حكامها في السيطرة والهيمنة على الإمارات الأخرى، بالإضافة إلى التدخل الأجنبي الذي كان يستقطب زعماء بعض الإمارات ويميزها ويستقويها على الإمارات الأخرى وذلك طيلة فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى<sup>(4)</sup>.

ولئن كانت هذه المنافسات بين زعماء الإمارات والولايات العربية التابعة للحكم العثماني شديدة وقوية ورغبتها في الانفصال عن الحكم العثماني أكيدة، فإن زعماء المنطقة وسكانها لم يكونوا مع ذلك

1 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي، ص14.

2 محمود كامل، العلاقات الدولية لولايات الخليج العربي: المجلة المصرية للقانون الدولي، 62/14.

3 محمود كامل، م.ن، 62/14، ص63.

4 عبد الله فؤاد ربيعي، قضايا الحدود السياسية للسعودية والكويت ما بين الحربين العالميتين في الفترة 1909 - 1939، ص13.

يميلون إلى وضع الحدود الفاصلة فيما بينهم ولا يعرفونها، إذ لم تكن تلك الحدود السياسية معروفة من قبل إلا من لدن الدول السلطانية الكبرى كالدولة العثمانية ونظيرتها الصفوية وذلك للحيلولة دون وقوع صدامات بينهما نتيجة تدافعهما السياسي المستمر<sup>(1)</sup>.

وقد أدى اعتراف بريطانيا بسيادة عدد من شيوخ وزعماء القبائل وتعاملها معهم كأمرء إلى تعزيز سلطات هؤلاء الزعماء وترسيخها داخل الإمارات والمشايخات التي كانوا يحكمونها، مما ساعد فيما بعد على تحويل هذه الإمارات إلى كيانات تحظى بحماية القوى الاستعمارية ورعاياها وكذا حرصها على فرض احترام خطوط الحدود الفاصلة فيما بينها<sup>(2)</sup>، وقد تضمنت بعض الاتفاقيات والمعاهدات التي وقعتها بريطانيا والدولة العثمانية بعض هذه الكيانات السياسية الجديدة، أهمها الاتفاقية الإنجليزية التركية التي تم توقيعها عام 1913 حول الخليج الفارسي<sup>(3)</sup>، وقد تم اعتماد نفس هذه الاتفاقية بعد سنوات لوضع حدود مجموعة من دول الخليج كالحدود السعودية والكويتية والحدود السعودية العراقية والحدود العراقية الكويتية<sup>(4)</sup>.

وإذا كانت طريقة تكوين الدولة السعودية تختلف عن طرق إنشاء الدول الخليجية الأخرى التي لعبت بريطانيا في تكوينها دوراً أساسياً وحيوياً، فإن الدولة السعودية لم تتمكن في جميع مراحل نشأتها وتطورها من حسم وضعها الحدودي مع الأقطار العربية المجاورة، فظلت بعض المجالات الترابية لهذه الأقطار متداخلة فيما بينها، كما ظلت حدودها غامضة بسبب عملية التقسيم غير الواضحة والدقيقة<sup>(5)</sup>.

ويختلف الجزء الآخر من الشرق العربي الذي تشكله منطقة الشام في ظروفه السياسية آنذاك عن ظروف شبه الجزيرة العربية بحيث إنه إذا كانت بريطانيا قد استطاعت الانفراد بشبه الجزيرة العربية التي أخضعها لتقسيم ينسجم مع مصالحها ورغبتها وتحالفاتها مع شيوخ المنطقة، فإنها في منطقة

---

1 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي، ص15.

2 محمد رضوان، م.ن، ص15.

3 ينظر: ميمونة خليفة الصباح، مشكلة الحدود الكويتية بين الدولتين العثمانية والبريطانية، ص9.

4 محمود رضوان، م.س، ص15.

5 ينظر: عبد الله الأشعل، قضية الحدود في الخليج العربي، ص26.

الشام كانت تعاني مقاومة عنيدة من لدن سكانها ومنافسة شديدة من قبل غريماتها فرنسا، بحيث أصبحت الحدود التي تشكلت بهذه المنطقة وكذا الكيانات السياسية المكونة لها، تعكس في نهاية الأمر تفاعل ظروف المقاومة المحلية والمنافسة الدولية في الآن ذاته<sup>(1)</sup>.

ولم تتمكن الحركة القومية المتمثلة في الحسين بن علي ونجله فيصل من أن تقدم تصورا أو مخططا سياسيا تشيد على هديه الدولة العربية الموحدة المنشودة بمجرد التخلص من السيطرة الاستعمارية الأوروبية على أراضي عدد من أقطار المنطقة، فقد كانت بريطانيا وفرنسا بالإضافة لقوى استعمارية أخرى تولي اهتماما لهذه الأقطار قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى وذلك قبل فرض حالة الانتداب<sup>(2)</sup>، غير أنه كانت هناك مشاريع عربية تتبلور بخصوص شكل التنظيم السياسي الذي يمكن أن تأخذه الدولة العربية وحدودها السياسية تضمنتها بعض المراسلات التي كان يتبادلها أحد الزعماء العرب وممثلو الدول الأوروبية، ولعل أهم تلك المراسلات التي جرت بين شريف مكة الحسين بن علي والمندوب السامي البريطاني في القاهرة السير ماك ماهون خلال عام 1915<sup>(3)</sup>.

حيث تضمنت هذه المراسلات طلب قادة الحركة القومية اعتراف بريطانيا بالجزء العربي الواقع بآسيا كدولة مستقلة موحدة ترتبط ببريطانيا بمعاهدة دفاع مشترك، غير أن ماك ماهون رفض في مراسلاته مع الشريف حسين الاعتراف بالطابع العربي لاسكندرونة والجزء الساحلي لسوريا، كما طالب ماك ماهون بضرورة اعتراف الشريف بولايتي بغداد والبصرة كمنطقتي نفوذ لبريطانيا، وظلت الخلافات مستمرة بين الطرفين بسبب الالتزامات البريطانية واتفاقها مع فرنسا وروسيا حول تقاسم مناطق الحكم العثماني من جهة، وكذا بسبب إصرار الشريف الحسين على بعض مطالبه ومع ذلك فقد كان موقف الأخير يميل إلى أن هذه الخلافات ليس من شأنها الحيلولة دون إقامة تحالف مع الإنجليز<sup>(4)</sup>.

---

1 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي، ص16.

2 أبو خلدون ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، ص138.

3 توفيق برو، القضية العربية، ص243.

4 محمد رضوان، م.س، ص17، ص18.

## دور التفاعلات الدبلوماسية في نشأة الحدود بالمشرق العربي:

لعبت التفاعلات الدبلوماسية بين القوتين الاستعماريتين البريطانية والفرنسية بصفة خاصة، قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها، دورا كبيرا في عملية إنشاء أجزاء من الحدود بمنطقة الشرق العربي بالإضافة إلى إحداث الكيانات السياسية بهذه المنطقة، ولقد تمخضت المفاوضات الدبلوماسية التي انطلقت بطلب فرنسي لتسوية المسألة الشرقية عن توقيع اتفاقية عرفت باسمي وزيرى خارجية كل من بريطانيا وفرنسا آنذاك وهي اتفاقية سايكس . بيكو في 16 مايو 1916<sup>(1)</sup>.

ولعدم إثارة غضب العرب وزعمائهم، تم إجراء تلك المفاوضات الدبلوماسية وتوقيع اتفاقية سايكس بيكو في ظروف سادها التكتم والسرية، في الوقت الذي وصلت فيه بريطانيا وعودها للشريف حسين بمساعدته على تحقيق مشروع دولته مقابل وقوفه إلى جانب الحلفاء في الحرب المشتعلة<sup>(2)</sup>، وقد شجعت هذه الوعود البريطانية الشريف حسين على تنصيب نفسه ملكا على العرب في عام 1916 بمكة، غير أن القوى الاستعمارية المتمثلة في روسيا وفرنسا وبريطانيا لم تعترف به إلا ملكا على منطقة الحجاز وحدها فقط<sup>(3)</sup>.

وعلى الرغم من أن الشريف مكة اكتشف فيما بعد المناورات السياسية والدبلوماسية البريطانية ونكوثها بالوعد التي قطعها لفائدة إنجاز الدولة العربية، فقد ظل يصر على تذكير البريطانيين مرة أخرى والتأكيد لهم على النقط الرئيسية التي تم الاتفاق عليها بشأن تلك الدولة وحدودها، وفي هذا الإطار بعث برسالة مؤرخة في سنة 1918 إلى ريجنالد ونجت المندوب السامي البريطاني في القاهرة تضمنت خلاصة اتفاه مع بريطانيا وتتمثل هذه الخلاصة فيما يلي<sup>(4)</sup>:

1 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي ، ص18.

2 توفيق برو، القضية العربية، ص272.

3 محمد رضوان، م.س، ص19.

4 محمد رضوان، م.ن ، ص19. ص20.

1- تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وتكون حدودها شرقا بحر فارس، ومن الغرب بحر الأحمر والحدود المصرية والبحر الأبيض، وشمالا ولاية حلب والموصل إلى نهر الفرات ومجموعة مع الدجلة إلى مصبها في بحر فارس، ما عدا مستعمرة عدن، فإنها خارجة عن هذه الحدود، وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحل محلها في رعاية وصيانة تلك الاتفاقيات مع أربابها، أميرا كان أو مع الأفراد.

2- تتعهد بريطانيا بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت وبأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البحرية والبرية من أي تعد، بأي شكل يكون، حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الأعداء أو من حسد بعض الأمراء، فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى، على دفع ذلك القيام لحين اندفاعه، وهذه المساعدة في القيامات والثورات الداخلية تكون مدتها محدودة، أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية.

3- تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه الحكومة العربية من الأسلحة ومهماتهما والذخائر والنقود مدة الحرب.

إلا أن شروع القوات البريطانية في النزول بولاية العراق واحتلالها عام 1918/1917، وكذلك نزول القوات الفرنسية على الساحل السوري في 7 أكتوبر عام 1918 وتقسيم بلاد الشام إلى ثلاث مناطق عسكرية رسخ قناعة العرب بعدم جدية الوعود البريطانية معتبرين هذه التجزئة بداية تنفيذ اتفاقية سايكس - بيكو السرية بالمنطقة، مما دفع بعض القادة والسكان العرب إلى التعبير عن رفضهم ومقاومتهم العنيفة لهذا التقسيم<sup>(1)</sup>.

وهكذا خضع تقسيم المنطقة العربية لما جاء في اتفاقية سايكس - بيكو التي تم بموجبها تقسيم العراق وبلاد الشام إلى خمس مناطق وهي: منطقة زرقاء مخصصة للنفوذ الفرنسي، ومنطقة حمراء للنفوذ البريطاني يمكن لهما في هاتين المنطقتين إنشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم المباشر أو غير

1 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي، ص20.

المباشر بعد الاتفاق مع الدولة أو اتحاد الدول العربية، وتشمل المنطقة الفرنسية سوريا الساحلية من إسكندرون حتى رأس الناقورة، وتضم جبل لبنان وكيليكيا وجزءا من الجنوب الشرقي لآسيا الصغرى<sup>(1)</sup>.

أما المنطقة البريطانية فتشمل جزءا كبيرا من العراق، من البصرة إلى بغداد، ومينائي حيفا وعكا، وأما المنطقة الثالثة (السمراء) فتشمل ما تبقى من فلسطين، وتقام فيها إدارة دولية بعد التشاور مع روسيا وممثلي شريف مكة وبقية الحلفاء، والمنطقة الرابعة (أ) تتألف من سوريا الداخلية وولاية الموصل، والمنطقة الأخيرة (ب) تضم ما تبقى من العراق ويقام في هاتين المنطقتين (أ و ب) دولة عربية أو اتحاد دول عربية تدعمه فرنسا وبريطانيا، على أن يكون للأولى في منطقة (أ) وللثانية في منطقة (ب) الأفضلية في تنفيذ المشروعات الاقتصادية وتقديم القروض والمستشارين والموظفين الأجانب<sup>(2)</sup>.

وواضح من خلال هذا المخطط الذي تضمنته اتفاقية سايكس - بيكو، أن القوى الاستعمارية بمنطقة الشرق لم تعر أي اهتمام أو اعتبار لرغبات سكانها وبعض قادتها الذين تفاوضوا معها من قبل، كما عمدت إلى تجزئ المنطقة وتقسيمها في غياب أي معيار موضوعي يأخذ بعين الاعتبار ظروف المنطقة السياسية والاجتماعية والجغرافية، مما أضفى على هذا التقسيم حالة من الارتجال والعشوائية<sup>(3)</sup>، إلا أن أوضاع حدود المنطقة والكيانات السياسية الناشئة بها ترسخت بشدة بعد المفاوضات الدبلوماسية والمؤتمرات السياسية التي انطلقت مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وتمخضت هذه المفاوضات عن مجموعة من الاتفاقيات والمعاهدات الأخرى التي تهم في جانب كبير منها وضعية الدول العربية وحدودها استنادا إلى جزء مهم من مقتضيات مرجعية اتفاقية سايكس - بيكو<sup>(4)</sup>، وتم تنفيذ مضمون هذه الاتفاقيات . بعد إدخال بعض التعديلات الطفيفة حسبما اقتضته مستجدات الظروف . تحت غطاء الشرعية الدولية المتمثلة آنذاك في عصبة الأمم، بحيث مكنت هذه

---

1 وجيه كوثراني، صفحات من تاريخ التجزئة الاستعمارية للوطن العربي :مجلة الوحدة، العدد 30/29، ص77.

2 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي ، ص20.

3 جورج قرم، أوروبا والمشرق العربي من البلقنة إلى اللبنة، ص92.

4 جورج انطونيوس، يقظة العرب، ص471 . ص480.

الأخيرة كلا من فرنسا وبريطانيا من ممارسة انتدابهما على أقطار المنطقة بهدف مساعدة الدول الناشئة على اكتساب طرق إدارة حديثة<sup>(1)</sup>.

ويعد مؤتمر سان ريمو الذي انعقد في 25 أبريل 1920 من أهم تلك المؤتمرات الدولية التي تقرر خلالها مصير حدود ووضعية الدول العربية بالشرق، إذ اتفقت الدول المشاركة فيه على وضع تلك الدول تحت الانتداب، وتطبيق اتفاقية سايكس بيكو التي تقسم المنطقة بين فرنسا وبريطانيا مع إمكانية وضع منطقة القدس تحت تسيير إدارة دولية، كما تعد معاهدة سيفر الموقعة في عام 1920 إحدى أهم الوثائق الدبلوماسية التي عكست بصورة واسعة رغبة ومخططات القوى الاستعمارية الأوروبية في تجزئة المنطقة وإنشاء الحدود الفاصلة فيما بين وحداتها، وتهم مواد هذه المعاهدة التي تصل في مجموعها إلى 139 مادة كافة الوطن العربي من المحيط الأطلسي إلى الخليج بحيث تهدف إلى تشطير العالم العربي ورسم حدوده الداخلية<sup>(2)</sup>.

فقد نصت هذه المعاهدة على تمكين الأكراد من الاستقلال السياسي مع إمكانية إنشاء دولة لهم، وكذا إقامة دولة للأرمن ودولة سوريا والعراق والدولة الحجازية، بالإضافة إلى دول أخرى كانت موجودة أو كانت عبارة عن مشروع سياسي مستقبلي، وعلى الرغم من مواجهة العرب لهذا التقسيم الذي ناضلوا ضده بعنف شديد، فقد عمدت فرنسا بعد دحرها للقوات السورية، إلى تجزئة البلاد إلى أربع دول وهي: دمشق وحلب والدولة العلوية ثم دولة جبل الدروز، كما قامت في نفس الوقت بإنشاء دولة لبنان عن طريق فصل هذا الجزء عن سوريا في مطلع عام 1920، أما مقاطعة إسكندرونة فقد تنازلت عنها فرنسا واقتطعتها لفائدة تركيا بمقتضى اتفاقية تم توقيعها عام 1936<sup>(3)</sup>.

ولعبت بريطانيا كذلك نفس الدور في تخطيط حدود أقطار شبه الجزيرة العربية بعدما تمكنت الإمارات الخمس من نيل استقلالها عن الحكم العثماني، إلا أن اشتداد المنافسات والمعارك بين هذه الإمارات، وخاصة حول بعض الحدود الفاصلة فيما بينها وكذا محاولات عبد العزيز بن سعود توسيع دولته عن

---

1 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي، ص21.

2 محمد رضوان، م.ن، ص22.

3 محمد رضوان، م.ن، ص22.

طريق ضم الإمارات والأقاليم المجاورة إلى دائرته السياسية والدينية، قد أتاح لبريطانيا فرصة التدخل لفرض بعض الحدود كالحدود المشتركة بين السعودية والإمارات العربية والحدود بين البحرين وقطر<sup>(1)</sup>، غير أن كثيرا من هذه الحدود ظلت غامضة وغير واضحة، كما هو الشأن بالنسبة لحدود السعودية والكويت أو حدود السعودية واليمن أو الحدود التي كانت تفصل بين اليمن الشمالي واليمن الجنوبي<sup>(2)</sup> وقد تجزأ اليمن في عام 1918 خلال عهد الاحتلال البريطاني للشطر الجنوبي وقيام المملكة المتوكلية بالشمال<sup>(3)</sup>.

### الظروف العامة لنشأة الحدود بالمغرب العربي:

إذا كانت بريطانيا هي التي لعبت الدور الأساسي والمركزي في وضع كثير من حدود المشرق العربي، فإن فرنسا هي التي تولت القيام بهذا الدور، وبنفس الدينامية في بعض أجزاء منطقة المغرب العربي، وعلى الرغم من أن جزءا من الحدود السياسية بالمنطقة، كانت مرسومة قبل مجيء الاستعمار الأوروبي إلا أن أغلب الباحثين والمؤرخين يعزون مع ذلك ظاهرة الحدود بشكلها الحالي إلى الدور الاستعماري الحديث، لقد تراوحت وضعية المنطقة من الناحية التاريخية بين ظروف الوحدة والتجزئة شأنها في ذلك شأن بقية أقطار العالم العربي، بحيث إن المنطقة المغاربية كانت تعرف بعض تجاربها التاريخية الطويلة وحدة متماسكة لمكوناتها من حدود مصر الساحلية إلى حدود الأطلسي مرورا بجميع سواحل إفريقيا الشمالية وصولا إلى إسبانيا<sup>(4)</sup>، لكن ضعف السلطة المركزية وقيام المنافسات والتحالفات المحلية أدخل المنطقة تجربة التجزئة التي تمثلت في ميلاد إمارات منفصلة كإمارة بني مرين بالمغرب الأقصى وبني عبد الواد بالمغرب الأوسط وبني حفص بإفريقية أو تونس، غير أن هذه الإمارات المنفصلة كانت كثيرا ما تواجه محاولات توحيدها سياسيا ودينيا، من طرف بعض القبائل النافذة أو بعض الزعماء الدينيين الذين كانوا غالبا ما ينطلقون من الصحراء جنوب المغرب الأقصى<sup>(5)</sup>، وحتى

1 عبد الله الأشعل، قضية الحدود في الخليج العربي، ص 49 . ص 58.

2 خلدون نويهض، تكوين الحدود العربية: لماذا وإلى أين: مجلة المستقبل العربي، العدد 187، ص 35.

3 أحمد صالح الصياد، اليمن بين التجزئة والوحدة: مجلة الوحدة، ص 137.

4 صلاح الدين برحو وأحمد مالكي، حول اتحاد المغرب العربي: مجلة الميادين، العدد 6، ص 43 .

5 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي، ص 39.

في فترات التفكك والانفصال بين الوحدات السياسية بمنطقة المغرب العربي، فإن هذه الأخيرة ظلت دائما وعاء حضاريا وكتلة سوسولوجية مترابطة لا تعرف فيما بين مكوناتها البشرية والجغرافية حواجز أو حدودا، إلا أن التحولات السياسية التي أخذت تخضع لها في ظل التدخلات الأجنبية هي التي أدت في نهاية المطاف إلى إفراز ظاهرة الحدود، وخاصة أثناء التدخل العثماني والأوروبي بالمنطقة<sup>(1)</sup>.

ويذهب الأستاذ عبد الله إبراهيم إلى أن كلمة الحدود بمعناها الدولي الراهن، كانت هدية الأتراك العثمانيين إلى شعوب الشمال الإفريقي، حينما تدفقت قواتهم في القرن الثامن عشر على أقطار ليبيا وتونس والجزائر فاحتلتها جميعا ثم عينت في كل واحد منها مندوبا ساميا يحكم أهلها باسم السلطة المركزية<sup>(2)</sup>، وقد أدت الهيمنة العثمانية على هذه الأقطار المغاربية إلى إدارة كل منها على أساس أنها وحدة منفصلة، أما تجربة الحكم العثماني آنذاك مع السلطة بالمغرب الأقصى فقد كان يكتنفها النزاع والتوتر بسبب الخلاف حول حدود سيادة ونفوذ كل منهما، بحيث بقي المغرب الأقصى الكيان السياسي الوحيد بشمال إفريقيا الذي ظل يتمتع بالاستقلال عن هيمنة الحكم العثماني<sup>(3)</sup>.

وتمخض هذا الخلاف بين القوتين العثمانية والمغربية عن اتفاقهما على وضع خط للحدود يفصل بين مجالي كل منهما، ويشكل هذا الخط الحد الأول من نوعه ليس فقط في تاريخ العلاقات بين المغرب والجزائر وإنما أيضا في العالم العربي بصورة عامة وبإفريقيا كذلك، أما دوافع الأطماع الأوروبية بالمنطقة فهي تختلف في كثير من مثيراتها في المشرق العربي، كما أن عوامل تخطيط الحدود بين أقطار المغرب العربي تختلف هي الأخرى عن عوامل المشرق العربي، فقد كانت منطقة المغرب العربي تكتسب أهميتها بالنسبة للقوى الأوروبية من كونها تقع محاذية لشواطئ حوض البحر الأبيض المتوسط الذي كان ولا يزال يكتسب بعدا استراتيجيا مهما في سياسة الإمبراطوريات والقوى السياسية الكبرى على مدى قرون من التاريخ، بالإضافة إلى كون هذه المنطقة كانت تقع محاذية لكثير من

---

1 صلاح الدين برحو وأحمد مالكي، حول اتحاد المغرب العربي: مجلة الميادين، العدد6، ص44

2 عبد الله إبراهيم، صمود وسط الإعصار، ص36

3 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي، ص40

المستعمرات الأوروبية بإفريقيا جنوب الصحراء التي كانت هي الأخرى هدف اندفاع القوى الاستعمارية<sup>(1)</sup>.

ونظرا لهذه الأهمية التي كانت تكتسبها أقطار المغرب العربي من حيث موقعها الإستراتيجي الجغوي، وكذا لموقعها القريب من القارة الأوروبية ومحاذاتها لشواطئ الأطلسي المتوسط، كانت المحاولات الأوروبية للسيطرة على هذه المنطقة تعتمد على عدة طرق منها إثارة بعض الخلافات المحلية والنزاعات بين بعض المكونات الاجتماعية المتميزة كالعرب والبربر، كما عمد الاستعمار إلى توقيع اتفاقيات ومعاهدات وضع بمقتضاها حدودا فاصلة بين الكيانات السياسية، مما أفرز لديها بعد الاستقلال شعورا ذاتيا بالانفصال وزج بها في التزامات دولية مختلفة<sup>(2)</sup>.

وتشكل الاتفاقيات والمعاهدات الموقعة بين المغرب والجزائر بعد احتلال هذه الأخيرة من طرف فرنسا أهم النصوص والمراجع المتعلقة بنشأة الحدود بالمنطقة، إذ أن أغلب فقرات هذه الاتفاقيات كانت تنصب بصفة مباشرة على مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب، أما حدود الأقطار الأخرى من المغرب العربي، فإنها نشأت هي الأخرى إما نتيجة مفاوضات واتفاقيات بين العثمانيين والفرنسيين في مطلع القرن الحالي كما هو الشأن بالنسبة للحدود التونسية الليبية، وإما نتيجة المبادرات الفرنسية في إطار الإجراءات المتخذة لتنظيم مجالات النفوذ كما هو الشأن بالنسبة للحدود الليبية الجزائرية<sup>(3)</sup>.

وفيما يتعلق بإسبانيا، فقد كان لها هي الأخرى دور مهم في التأثير على حدود المنطقة وخاصة بشمال المغرب وجنوبه حيث ما تزال آثار احتلالها تنتظر تسويات نهائية إما عن طريق الانسحاب التام من الثغور الشمالية أو تقرير مصير الصحراء الغربية بواسطة استفتاء تشرف على تنظيمه منظمة الأمم المتحدة، وبعين المغرب كان وجود موريتانيا الحديث وقيامها كدولة يثير عدة إشكاليات وقضايا مرتبطة بحدود المغرب، إذ كانت بعض الأوساط السياسية المغربية الفاعلة تعتبر هذه الدولة الناشئة

---

1 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي ، ص40.

2 عبد الله إبراهيم، صمود وسط الإعصار، ص109.

3 محمد رضوان، م.س ، ص41.

جزءا ترابيا غير منفصل عن السيادة المغربية وبالتالي تطالب باسترجاع هذا الجزء إلى نطاق التراب الوطني المغربي، إلا أن الاعتراف الدولي المتزايد بموريتانيا حال دون استمرار هذه المطالب.

### إقامة الكيانات التجزئية:

الغريب أن بريطانيا في الهند عملت على توحيدها وقد دخلتها مجزأة، أما في البلاد العربية فالقرار كان تمزيقها شر ممزق وقد دخلتها موحدة، ولن تجد تفسيراً غير السمة الإسلامية التي قرر الغرب أن يقضي عليها بكل الوسائل، ومن بينها تجزئة الأمة إلى عشرات الأجزاء المتباعدة المتناحرة، أي المشلولة وقد أريد فيما أريد من التجزئ أن تبرز مشاكل حدود ومطالبات فيما بين الأجزاء تؤدي إلى صراعات لا نهاية لها، وهذا واضح مثلا من التقسيم الذي حدث بين لبنان وسوريا أو بين الأردن والسعودية، أو بين المغرب والجزائر أو تركيا وسوريا. ففي كل هذه الحالات أقيمت هناك مطالب لهذا الجزء بأراضي الجزء الآخر، أو المطالبة به كله باعتباره اقتطع من الإقليم المعنى، وانتهت خريطة التجزئة إلى ما نرى الآن أمام أعيننا من عشرات الدول، فالبلاد العربية وحدها جزئت ليقوم بها واحد وعشرون أو اثنان وعشرون كيانا، ولم يكن مخطط التجزئة ضمن ما حدث على أرض الواقع فقط، بل كانت هنالك مخططات إضافية لم يستطع الاستعمار، لسبب أو لآخر تنفيذها فعلى سبيل المثال كانت خطة فرنسا تقتضي بأن تجزأ سوريا إلى ثلاث دول أو أربع، وحملت خطة ترمي إلى تجزئة المغرب الأقصى إلى خمس دول على الأقل، وكذلك كان الحال بالنسبة إلى شبه الجزيرة العربية، ولعل النموذج الأمثل الذي كان التفتيت يريد أن يذهب إليه، هو ذلك التفتيت الذي نراه في الخليج الآن، فما هو بمستوى جزيرة صغيرة أو ما يساوي ناحية أو متصرفية أعلن دولة، هذا دون إغفال المخططات المبيتة لبعض البلدان لتجزئتها على أسس طائفية أو اثنية<sup>(1)</sup>.

نعم إنها التجزئة المؤدية إلى إقامة الحدود الدولية فيما بين أجزاء الأمة الواحدة، وسن قانون للجنسية في كل جزء، تماما كما هو الحال فيما بين الدول القومية، وإقامة دول حديثة من الطراز الغربي داخل كل جزء بحيث يصبح مع مضي الأيام جسما غريبا عن أشقائه وبحيث تتكون في داخله مع الأيام

1 ينظر: منير شفيق، الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، ص 82 . ص 85.

أنظمة وقوانين خاصة به، وتنشأ فئات ذات مصلحة في بقاء الكيان وإدامته، ويقوم الاقتصاد ولو مشوها على أساس الكيان باعتباره دولة قائمة بذاتها وتنشأ أفكار وعقلية ووطنية خاصة بالكيان، ويعبر شعب كل كيان تجربة تاريخية في الصراع مع الاستعمار بعيدا عن مسار أشقائه، وتنشأ زعاماته وأحزابه وجرائده وحركاته الخاصة به، وبهذا لا يبقى فعل التجزئة عملا قسريا تفرضه حراب المستعمرين، وإنما تصبح واقعا تكوينيا موضوعيا له مؤسساته الموضوعية والذاتية وله بناء التحتية والفوقية، وما إلى هنالك، وبهذا تنشأ دول ووطنيات وأمم يصبح أقصى الأمنيات معها أن تتضامن وتتسق فيما بينها، أو أن تقيم سوقا مشتركة، أو بعض المشاريع الاقتصادية المشتركة، أو تخفف من إجراءات الجمارك وتأشيرات الدخول فيما بينها، لقد أصبح أقصى الأمنيات ألا تشتبك فيما بينها بصراعات تضع بأسها فيها، وبهذا تصبح الوحدة مستحيلة ويصبح العجز مقيما، وعندها نضيف إلى ذلك حتمية الصراعات فيما بين هذه الكيانات، سواء على الحدود أو الزعامة أو مواقع النفوذ<sup>(1)</sup>.

أضف إلى ذلك أن كل جزء عليه أن يبحث عن تعامله وعلاقاته مع الخارج لا مع الأشقاء، فالسوق الأوروبية المشتركة تصبح أقرب إلى بعض من السوق العربية أو الإسلامية المشتركة والاتصالات السلكية والبرقية وخطوط المواصلات والطيران والعلاقات الثقافية والاقتصادية تمتد بين الجزء والغرب عموما أكثر بكثير من امتدادها فيما بين الأجزاء الشقيقة.

وخلاصة الأمر إن سمة التجزئة وإقامة الكيانات التجزئية تشكل سمة خصوصية للسيطرة الاستعمارية على بلاد المسلمين، وقد أراد عتاة الاستعماريين من وراء هذه التجزئة إقامة حالة موضوعية لا تسمح بالاستقلال الحقيقي ولا بإعادة الوحدة ولا بالتححرر فهي حالة تحكم على الأمة بالعجز الدائم والشلل والأهم تحكم مسير المرحلة والمراحل التالية برحيل السيطرة الاستعمارية المباشرة.

---

1 ينظر: منير شفيق، الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، ص 87

## المطلب الخامس: أبرز الحروب المفتعلة بعد التقسيم:

### أولاً: حرب الرمال:

إذا كان العالم العربي قد عرف خلال تاريخه عدة أنواع من أشكال النزاعات المسلحة فإن الاشتباكات العسكرية المحدودة تظل هي الشكل الأكثر تجربة في علاقات الدول العربية المرتبطة بتعاملها مع خلافاتها الحدودية<sup>(1)</sup>، إن العنصر العسكري يحتل أولوية بارزة في آليات التعامل مع هذه النزاعات وخصوصاً في بداية حقبة الستينات<sup>(2)</sup>، حيث يعتبر النزاع المسلح الجزائري . المغربي من أبرز الأشكال المعبرة عن هذه الرؤية، فكانت المرحلة الممتدة من أول أكتوبر لغاية 5 نوفمبر 1963 مرحلة الاشتباكات في ثلاث مناطق: "تندوف، بشار، في الجزائر ومنطقة عين فجيح بالمغرب، وهي الاشتباكات التي أطلق عليها اسم حرب الرمال<sup>(3)</sup>.

إن التضارب الحاد بين التصور المغربي والتصور الجزائري حول آليات التسوية الحدودية، قد أفرز حملات دعائية من خلال تبادل الاتهامات، حيث اتهم المغرب الجزائر بمساندتها للمعارضة المغربية، كما قامت الجزائر في نفس الفترة باتهام المغرب بوقوفه ومساندته لحركة القبائل الانفصالية<sup>(4)</sup>، لتتوتر العلاقات أكثر عندما أوعزت الحكومة المغربية لبعض القبائل بالتحرك والمطالبة بالانضمام إلى المغرب، مما دفع الجزائر للرد الفوري، وإسكات القبائل بالقوة الأمر الذي أدى إلى حدوث صدامات مسلحة بين الجانبين وسقوط 130 قتيل<sup>(5)</sup>.

- 
- 1 ينظر: مراد الدسوقي، البعد العسكري للنزاعات العسكرية :مجلة السياسية الدولية، العدد 111، ص196.
  - 2 مراد الدسوقي، م.ن، ص196.
  - 3 عبد القادر محمودي، النزاعات العربية العربية تطور النظام الإقليمي العربي 1945-1985، ص245.
  - 4 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي مقارنة سوسيو تاريخية وقانونية، ص175.
  - 5 علي الشامي، الصحراء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي، ص223.

كما استمر التعبير عن النهج النزاعي والعلاقات الجزائرية المغربية على خلفية النزاع الحدودي من خلال<sup>(1)</sup>:

- تعزيز القوات العسكرية الجزائرية على طول الحدود، وخصوصا على منطقة تندوف.
- طرد المواطنين المغربيين العاملين في الجزائر.
- فشل اللقاءات الدبلوماسية على وقف عمليات التصعيد، حيث تم إفشال عقد لقاء قمة بين الحسن الثاني وبن بلة.

ليطور النزاع باتجاه التصعيد الحاد، حيث دخل الطرفان في مواجهة مسلحة مباشرة، وهذا بعد تقدم قوات مغربية نحو جنوب تاجونيت، ودخلت الإقليم الجزائري لتحتل في الفاتح من أكتوبر حاسي البيضاء وتتجوب الواقعتين على بعد 500 كم شمال شرق تندوف<sup>(2)</sup>، وقابله ذلك محاصرة جزائرية لمنطقة فجيح لتتسع المعارك وتشمل منطقة حاسي البيضاء وتندوف من جهة، وفجيح من جهة ثانية<sup>(3)</sup>، وتجدر الإشارة إلى الأهمية الجيوستراتيجية للمنطقة المتنازع عليها، بالإضافة إلى كون هذه المناطق غنية بالحديد والفحم فهي بمثابة منافذ تقرب المغرب من أراضي موريتانيا التي كانت في ذلك الوقت أحد أهم المطامح التوسعية المغربية<sup>(4)</sup>.

### مساعي التسوية:

إن اندلاع الحرب الحدودية بين الجزائر والمغرب قد حرك العديد من مبادرات التسوية السلمية، بدءا من اللقاءات الثنائية بين ممثلي البلدين، إلى تدخل بعض الدول منفردة من خلال مبادرات قادتها

- 
- 6 بوزرب رياض، النزاع في العلاقات الجزائرية المغربية 1963-1988 (ماجستير)، الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007، ص64
  - 2 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي مقارنة سوسيو تاريخية وقانونية، ص175.
  - 3 علي الشامي، الصحراء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي، ص223.
  - 3 عتيقة نصيب، العلاقات الجزائرية المغربية في فترة ما بعد الحرب الباردة (ماجستير)، الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2011، ص80.

وصولاً إلى محاولات الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية، حيث انتهت أولى المحاولات الثنائية إلى اتفاق من أجل وقف العمليات العسكرية بالفشل، وهذا ما يعكسه الاجتماع الثنائي على مستوى وزراء الخارجية يوم 5 أكتوبر 1963 بمدينة وجدة المغربية، حيث لم يستطع هذا النشاط الدبلوماسي وضع حد للنشاطات المسلحة، رغم أن بيان وزير الخارجية قد أكد على ضرورة تشكيل لجنة مشاركة لدراسة المشاكل الحدودية، وعلى العزم على وضع حد لكل ما من شأنه أن يؤدي إلى زعزعة العلاقات القائمة بين البلدين، مع التأكيد على مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للطرفين، وتحديد تاريخ 10 أكتوبر 1963 لعقد قمة على مستوى رؤساء الدول من أجل وضع حد نهائي للنزاع الحدودي<sup>(1)</sup>.

فشل قمة تلمسان المفروض انعقادها في العاشر من أكتوبر وقمة مراكش بين 15-17 أكتوبر صاحبه التصعيد المتواصل في الحملات الدعائية والعمليات العسكرية<sup>(2)</sup>، استمرارية الحرب صاحبها استمرارية في المبادرات الدبلوماسية أهمها تلك التي قادها الرئيس الغاني كوام نيكروما الذي زار كلا من المغرب والجزائر في محاولة منه للتوفيق بين الطرفين المتنازعين، إلا أن إصرار كليهما على مطالبه الإقليمية قد عجل بفشل مبادرة نيكروما الذي حاول استثمار موقعه السياسي البارز بالقارة الإفريقية في مساعيه الدبلوماسية لتقريب رؤى الجانبين، وهو نفس المسعى الذي واصله الإمبراطور الإثيوبي هايلي سيلاسي الذي سعى لتحقيق اتفاق بين البلدين المتنازعين من أجل عقد دورة استثنائية لمجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية، إلا أن الجانب المغربي رفض هذا الاقتراح الذي ساندته الجزائر<sup>(3)</sup>.

إن فشل المبادرات الثنائية والمسعى الانفرادية لبعض القادة الأفارقة أدى إلى إعطاء الجهود الدبلوماسية الطابع المؤسسي، وتمثل ذلك من خلال عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعاً غير عادي بناء على دعوة الأمين العام في 19 أكتوبر 1963 حيث أصدرت القرارات التالية:

- 1 فايز العساف، الأقليات وأثرها في استقرار الدولة القومية (أكراد العراق نموذجاً) (ماجستير)، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2010، ص71. بوزرب رياض، النزاع في العلاقات الجزائرية المغربية 1963 . 1988 (ماجستير)، الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007، ص65.
- 2 ينظر: أحمد العايب، البعد الأمني لسياسة دبلوماسية الجزائر الإقليمية منذ 1962 (ماجستير)، الجزائر، جامعة الجزائر، 1993، ص62
- 3 محمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي مقارنة سوسيو تاريخية وقانونية، ص223.

- إيقاف جميع العمليات العسكرية ووقف الحملات الدعائية.
  - دعوة الحكومتين إلى سحب قواتهما إلى مراكزها السابقة على وقوع القتال.
  - تشكيل لجنة وساطة من الدول الأعضاء الراغبة في المساهمة في فض النزاع<sup>(1)</sup>.
- اعتراض المغرب على هذه القرارات وميل الجزائر إلى معالجة النزاع على المستوى الإفريقي عجل بفشل المبادرة العربية، وانتقال ساحة النزاع إلى منظمة الوحدة الإفريقية، بعد مؤتمر باماكو لتسوية النزاع الحدودي الجزائري . المغربي، والمنعقد في 29 أكتوبر 1963 الخطوة الأولى باتجاه إعطاء النزاع طابعه الإفريقي من منطلق أن النزاعات الإفريقية يجب أن تحل في إطار منظمة الوحدة الإفريقية، وحضر هذا المؤتمر رؤساء كل من الجزائر، المغرب، مالي، إثيوبيا، وأسفر عن القرارات التالية:
- إيقاف القتال في منتصف الليل في 2 نوفمبر 1963.
  - تحديد منطقة منزوعة السلاح بوساطة لجنة رباعية من ممثلي الدول الأربع المشاركة.
  - تعيين مراقبين من الدولتين لضمان حياد وسلام هذه المنطقة.
  - تشكيل لجنة تحكيم يتولى اختيارها وزراء خارجية دول المنظمة، وتكون مهمتها تحديد المسؤولية عن بدء العمليات الحربية بين البلدين ودراسة مشكلة الحدود بينهما، وتقديم مقترحات إيجابية للطرفين، ووقف الحملات الدعائية بين البلدين، وعدم تدخل كل منهما في الشؤون الداخلية للأخرى<sup>(2)</sup>.
- قرر مجلس وزراء الدول الأعضاء بمنظمة الوحدة الإفريقية المنعقد في دورة غير عادية بالعاصمة الأثيوبية من 5 إلى 8 نوفمبر، تشكيل لجنة خاصة لتنفيذ لقرارات مؤتمر باماكو، ومن مهامها تحديد مسؤولية الهجمات وتقديم الاقتراحات اللازمة للطرفين لتسوية النزاع نهائيا، حيث باشرت أشغالها وانعقدت في الفترة ما بين 24-28 كانون الثاني 1964 لتخرج بتوصيات تمثلت في تحديد المنطقة

1 أحمد مهابة، مشكلات الحدود في المغرب العربي: مجلة السياسة الدولية، العدد 89، ص243.

2 عبد القادر رزيق المخادمي، النزاعات الحدودية العربية، ص123.

المنزوعة السلاح بين الطرفين، كما تم الاتفاق على عودة قوات البلدين إلى مواقعها الأصلية قبل بدء الاشتباكات، وقد واصلت اللجنة جهودها لدراسة وتقديم الحلول لهذا النزاع حيث عقدت عدة اجتماعات من نيسان 1964 إلى شباط 1965 . باماكو، الرباط، الجزائر، القاهرة، نيروبي . وبذلك دخلت العلاقات الجزائرية المغربية، في هذه الفترة مرحلة اتسمت بالتحسن من مظاهره :تبادل الأسرى وتبادل السفراء ووقف الحملات الدعائية وتشكيل لجنة فنية بين البلدين لدراسة المشاكل المتنازع عليها<sup>(1)</sup>.

لقد بدا واضحا أن اهتمام منظمة الوحدة الإفريقية والقرارات الصادرة عنها بخصوص هذا النزاع كان له أثر ايجابي على بوادر الانفراج، بحيث انسحبت قوات البلدين إلى مواقعها قبل بدء الحرب، كما تم الاتفاق على أن تكون مرتفعات فجيح مناطق منزوعة السلاح<sup>(2)</sup>.

وصول الرئيس بومدين إلى الحكم في الجزائر، وتبنيه لموقف أكثر صلابة قائم على رفض أي مناقشة حول مسألة الحدود من منطلق المساومة، والدفاع عن مكتسبات الثورة، والسيادة الكاملة كمبدأ من مبادئ السياسة الخارجية الجزائرية، أدخل العلاقات الجزائرية المغربية مرحلة التأزم، خاصة بعد قرار التأميمات الجزائرية للمناجم في 8 مايو 1966، والذي يمس منجم غاز جبيلات الواقع في المنطقة التي تطالب بها المغرب التي احتجت على القرار الجزائري واعتبرته انتهاكا لمهام لجنة التحكيم الإفريقية، بينما اعتبرت الجزائر ذلك قرارا متعلقا بالسيادة الجزائرية، مما أدى إلى توتر العلاقات من جديد من خلال التعبير عن الأشكال الكامنة للنزاع في شكل حرب باردة مغربية تمثلت في تجديد الحملات الدعائية بين الطرفين، واشتباكات حدودية وتأيد الخصوم السياسيين<sup>(3)</sup>. وبقي الوضع بين 1964 و1967 يتراوح بين الانفراج والتوتر، حتى توصل الطرفان إلى إبرام عدة اتفاقيات لإعادة رسم الحدود وتحسين العلاقات بينهما:

- 
- 1 أحمد مهابة، مشكلات الحدود في المغرب العربي: مجلة السياسة الدولية، العدد 89، ص245.
  - 2 بوزرب رياض، النزاع في العلاقات الجزائرية المغربية 1963.1988(ماجستير)،الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007، ص67.
  - 1 فاطمة وزان، تطور مشكلة الحدود في المغرب العربي: حالة الحدود الشرقية والغربية للجزائر (ماجستير)، الجزائر، جامعة الجزائر، 1998، ص25. ص26

1- **اتفاقية افران:** المبرمة بتاريخ 15 كانون الثاني 1969، تقرر من خلالها إنشاء لجنة مشتركة تجتمع بصفة دورية لحل المشاكل العالقة بين الطرفين.

2- **اتفاقية تلمسان:** بتاريخ 27 مايو 1970 تضمنت إنشاء لجنة مشتركة تعهد إليها مهمة تخطيط الحدود بين البلدين كما اتفق الطرفان على إنشاء شركة جزائرية . مغربية لإحياء واستغلال منجم غاز الجبيلات<sup>(1)</sup>.

3- **معاهدة الرباط:** 15 يونيو 1972 وقع الجانبان اتفاقية الحدود (الملك الحسن الثاني وهواري بومدين) وذلك على هامش أعمال القمة التاسعة لمنظمة الوحدة الإفريقية، صادقت الحكومة الجزائرية على هذا الاتفاق في 22 حزيران 1972 أما المغرب فلم يصادق عليها إلا في 24 حزيران 1992، مرجعا عدم تأسيس البرلمان المغربي السبب لامتناعه عن التصويت<sup>(2)</sup>.

### ثانيا: الحرب العراقية الإيرانية:

منذ أن تسلم النظام الجديد بزعامة الخميني الحكم في إيران عام 1979م، أظهر معاداته وحقده على العراق نظاما وشعبا، كما وقف موقفا عدائيا من العراق على الرغم من أن العراق أبدت تأييدها للجمهورية الإيرانية، وسارت الحكومة الإيرانية الجديدة على نفس سياسة الشاه التوسعية، حيث اعتبرت العراق منطقة من مناطق نفوذها، لذا رأت العراق أن الثورة الإيرانية خلقت أوضاعا جديدة في المنطقة اعتبرتها العراق مهددة لتوازنها الداخلي والسياسي والطائفي<sup>(3)</sup>.

فالحرب الإيرانية العراقية لم تكن إلا نتوجا لهذه المرحلة، حيث حصلت بعض المقدمات التي سبقت نشوب تلك الحرب التي استمرت لسنوات طوال، أخذت الأخضر واليابس تمثلت في الاعتداءات

---

2 عتيقة نصيب، العلاقات الجزائرية المغربية في فترة ما بعد الحرب الباردة (ماجستير)، الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2011، ص82

2 عبد القادر رزيق المخادمي، النزعات الحدودية العربية، ص127.

3 حسن نافعة، التفاعلات بين الحرب العراقية الإيرانية والصراع العربي الإسرائيلي: مجلة شؤون فلسطينية، العدد 168-169، ص44

الإيرانية على الحدود العراقية، بالإضافة إلى تكرر إيران لاتفاقية الجزائر التي وقعت عام 1975، الأمر الذي دفع العراق إلى إلغائها في 17 أيلول 1980.

### الاعتداءات الحدودية الإيرانية:

شهدت الحدود بين العراق وإيران حوادث واشتباكات متعددة، حيث قامت القوات الإيرانية بالعديد من الاستفزازات العسكرية على الحدود العراقية، فقد سجلت خلال الفترة الواقعة بين 23 شباط 1979م، وحتى 26 مايو 1980، 54 حادث اختراق للطائرات الإيرانية عبر الأجواء العراقية، و15 اعتداء بریا على مخافر الحدود العراقية و12 حادث اعتداء على البحرية العراقية<sup>(1)</sup>.

كان شهر تموز 1980م حافلا بالاعتداءات والاشتباكات التي أصبحت شبه يومية، حيث قامت القوات الإيرانية بمئات الاعتداءات الجوية والبرية والبحرية على الأراضي الحدودية مع العراق شملت عمليات قصف للمخافر الحدودية العراقية، وأسر عسكريين من قوات الحدود وقامت القوات الإيرانية بالتعرض للطائرات المدنية، كما قامت بالاعتداءات على السفن، والبواخر العراقية والأجنبية المارة في شط العرب، ونتيجة لتلك الاعتداءات قدمت العراق مذكرات للعديد من المنظمات الإقليمية والدولية لكن إيران استمرت بعمليات القصف الحدودية، حيث قامت بتاريخ 28 تموز 1980م بقصف مخفر الشيب العراقي، مما ألحق أضراراً كبيرة بالمنطقة<sup>(2)</sup>.

### إلغاء اتفاقية الجزائر الموقعة عام 1975م:

تعد اتفاقية الجزائر الموقعة بين العراق وإيران في آذار (مارس) 1975م، أكثر شمولاً من جميع الاتفاقيات السابقة، حيث استهدفت وضع تسوية شاملة لجميع المشاكل القائمة بين العراق وإيران، وترسيم حدودهما بصورة دائمة ونهائية<sup>(3)</sup>.

1 حسن طوالبه، مناقشة في النزاع العراقي الإيراني، ص49.

2 ينظر: مؤسسة الدراسات والأبحاث، الصراع العربي الفارسي، ص40، ص124 . ص125.

3 أحمد محمود، التناقس الاستراتيجي بين العراق وإيران في الخليج، ص120.

بعد أن تم توقيع اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران جرت مفاوضات واتصالات عديدة من أجل وضع بنودها موضع التنفيذ، لكن إيران استفادت منذ وقت مبكر من البند الخاص بشط العرب، بينما تطلب الأمر وقتاً إضافياً لإعادة الأراضي التي نصت الاتفاقية على عائدتها للعراق، فيما بعد تعطلت إجراءات تسليم الأراضي للحكومة العراقية، بسبب الظروف التي كانت تعيشها إيران خلال عامي 1980 و1979، أملاً في أن تتغير الظروف وتقوم إيران بتسليم الأراضي للحكومة العراقية<sup>(1)</sup>.

بعد سقوط شاه إيران محمد رضا بهلوي وتولى النظام الإيراني الجديد بزعامة الخميني الحكم في إيران، بدأ حكام إيران يتنكرون لاتفاقية الجزائر وإعادة الأراضي للحكومة العراقية، كما أصر النظام الإيراني الجديد على استفزاز العراق، ورفض كل محاولة عراقية جادة وكل مسعى عراقي أو من خلال وسطاء لمواصلة تنفيذ نصوص اتفاقية الجزائر، ثم راح المسؤولون الإيرانيون يتباهون بأنهم رفضوا مهام مبعوثين وسطاء من قبل العراق ثلاث مرات بهدف تسوية الخلافات بينهما بالطرق السلمية والمفاوضات<sup>(2)</sup>.

قدرت العراق أن النظام الإيراني الجديد يحتاج للوقت لكي ينفذ الالتزامات التي تترتب عليها بموجب اتفاقية الجزائر لكن إيران لم تقدر الموقف العراقي، بل اتخذت مواقف عدائية من العراق وأخلت بعلاقات حسن الجوار<sup>(3)</sup>، أصرت إيران على عدم التزامها باتفاقية الجزائر، التي تنص على حسن الجوار بين العراق وإيران، كما أن إيران خرقت بنداً أساسياً من بنود اتفاقية الجزائر عندما استدعت قادة التمرد الكردي من الولايات المتحدة إلى إيران لتهديد أمن العراق ووحدته<sup>(4)</sup>.

اعتبر الرئيس العراقي صدام حسين أن إيران تتحمل المسؤولية القانونية الكاملة على اعتبار اتفاقية الجزائر بحكم المنتهية، كما رأى أن الاتفاقية رغم الظروف الصعبة التي كانت العراق تمر بها عند

- 
- 1 جابر الراوي، إلغاء الاتفاقية العراقية . الإيرانية لعام 1975 في ضوء القانون الدولي، ص 94.
  - 2 منشورات وزارة الثقافة والإعلام، جهود السلام الدولية لإيقاف الحرب العراقية الإيرانية، ص 7.
  - 3 مؤسسة الدراسات والأبحاث، الصراع العربي الفارسي، ص 224.
  - 4 ينظر: جابر الراوي، م.س، ص 94 . ص 95.

توقيعها، إلا أنها كانت تستند إلى عناصر متوازنة، واعتبر أن الإخلال بأي عنصر من عناصرها يعد إخلالا بروح الاتفاقية، وأن إيران أخلت بتلك الاتفاقية، لذلك أعلن الرئيس صدام حسين في الاجتماع الاستثنائي للمجلس الوطني يوم 17 أيلول 1980م، اعتبار اتفاقية 6 آذار 1975 ملغاة<sup>(1)</sup>، كما أكد بيان مجلس قيادة الثورة الذي تلاه طارق حمد العبد الله أمين السر العام لمجلس قيادة الثورة إلغاء اتفاقية الجزائر<sup>(2)</sup>.

توصل مجلس قيادة الثورة العراقي إلى قرار الأخذ بالمبادأة، والاستعداد للهجوم ضد إيران، لإحراز نصر عسكري حاسم تستطيع العراق من خلاله فرض شروطها على إيران<sup>(3)</sup> لذلك خططت القيادة العراقية لحرب خاطفة هدفها تدمير سلاح الجو الإيراني وقواعده الجوية، والقيام بغارات جوية مكثفة في العمق الإيراني، والقيام بعمليات اقتحام مكثفة بالدروع عبر شط العرب إلى عمق عريستان، وبالتالي يتم تدمير جزء مهم من القوات المسلحة، ثم احتلال خوزستان وشط العرب أيضا واحتلال المدن الرئيسية في المنطقة<sup>(4)</sup>.

في صباح يوم 22 أيلول 1980م، تم تنفيذ ضربة جوية بقوة 154 طائرة حربية عراقية بهجوم جوي كاسح على مطارات إيران والمراكز الحيوية فيها ثم أعقبها 100 طائرة أخرى في ضربة ثانية لإكمال ضربة المطارات، والطائرات الحربية الإيرانية في نفس الوقت تقدمت الدبابات والمدرعات العراقية نحو الحدود الإيرانية<sup>(5)</sup>.

واستمرت الحرب حتى أعلنت إيران يوم 18 تموز 1988 استعدادها لقبول وقف إطلاق النار، حيث أعلن الخميني أنه يأمر القوات الإيرانية بوقف إطلاق النار شاعرا أنه يتجرع كأسا من السم<sup>(6)</sup>.

- 
- 1 ينظر: مؤسسة الدراسات والأبحاث، الصراع العربي الفارسي ، ص224-ص225
  - 2 بدر غيلان، تاريخ الأطماع الفارسية في شط العرب، ص90.
  - 3 عبد الناصر سرور، السياسة العراقية الخارجية تجاه الولايات المتحدة، ص144.
  - 4 مركز الدراسات الإستراتيجية بجامعة تل أبيب، التوازن العسكري في الشرق الأوسط، ص25.
  - 5 لبيب عبد الستار، قصة الخليج تفاعل دائم وصراع مستمر، ص194.
  - 6 مركز الأهرام، حرب الخليج، ص143.

رفض العراق العرض الإيراني لوقف إطلاق النار، حيث أعلنت القيادة العراقية أن قبول إيران لوقف إطلاق النار غامض وغير واضح، لذلك قامت القوات العراقية في اليوم نفسه 18 تموز 1988م بصب مجموعة من الضربات الجوية ضد المفاعل النووي الإيراني في منطقة بوشهر وضد المنشآت الصناعية في بندر خميني والأهواز، وردت القوات الإيرانية بغارة صغيرة على عدة أهداف بالقرب من الفاو وكركوك، لكن الخميني أعلن يوم 20 تموز 1988م قبوله لوقف إطلاق النار لإنهاء الحرب<sup>(1)</sup>، حيث تجاوب الرئيس العراقي مع القبول الإيراني بوقف إطلاق النار مشروطاً أن تكون المفاوضات مباشرة بين العراق وإيران، كما حدد يوم 20 آب 1988م موعداً نهائياً لوقف القتال، ويوم 25 آب 1988م موعداً لبدء المفاوضات في جنيف<sup>(2)</sup>.

---

1 عبد الحلیم أبو غزالة، الحرب العراقية الإيرانية (1980 . 1988)، ص252.

2 لبيب عبد الستار، قصة الخليج تفاعل دائم وصراع مستمر، ص225.

## المطلب السادس: إدامة العنف والفوضى الخلاقة:

الفوضى الخلاقة هي مصطلح سياسي عقدي يقصد به تكون حالة سياسية أو إنسانية مريحة بعد مرحلة فوضى متعمدة الإحداث<sup>1</sup>، و يمثل مصطلح الفوضى الخلاقة أحد أهم المفاتيح التي أنتجها العقل الاستراتيجي الأميركي في التعامل مع قضايا الوطن العربي، حيث تمت صياغة المصطلح بعناية فائقة من قبل النخب الأكاديمية وصناع السياسة في الولايات المتحدة، فعلى خلاف السائد في المجال التداولي العربي لمفهوم الفوضى المثقل بدلالات سلبية من أبرزها عدم الاستقرار أضيف إليه مصطلح آخر يتمتع بالإيجابية وهو الخلق أو البناء، ولا يخفى على أحد خبث المقاصد الكامنة في صلب مصطلح الفوضى الخلاقة بغرض التضليل والتمويه على الرأي العام العربي والعالم، وتمثل كتابات أليوت كوهين أحد المصادر المهمة لنظرية الفوضى الخلاقة وخصوصا كتابه: "القيادة العليا، الجيش ورجال الدولة والزعامة في زمن الحرب" ويرى كوهين أن الحملة على ما يسمى بالإرهاب هي الحرب العالمية الرابعة باعتبار أن الحرب الباردة هي الثالثة، ويؤكد بأن على الولايات المتحدة أن تنتصر في الحرب على الإسلام الأصولي<sup>(2)</sup>.

أما مايكل ليدين وهو العضو البارز في معهد أمريكا انتربرايز فهو أول من صاغ مفهوم الفوضى الخلاقة أو الفوضى البناء في معناه السياسي الحالي، وهو ما عبر عنه في مشروع التغيير الكامل في الشرق الأوسط، الذي أعده عام 2003، حيث ارتكز المشروع على منظومة من الإصلاحات: السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الشاملة لكل دول المنطقة وفقا لإستراتيجية جديدة تقوم على أساس الهدم ثم إعادة البناء<sup>(3)</sup>.

## دعائم الفوضى الخلاقة:

تقوم نظرية الفوضى الخلاقة على عدة دعائم أساسية هي:

1 يوسف يوسف، أسرار الثورات العربية والفوضى الخلاقة، ص198

2 ينظر: مجدي كامل، حروب الجيل الرابع، ص51 . ص75

3 ينظر: مجدي كامل، م.ن، ص51 . ص75

1- **إطلاق الصراع العرقي:** فهي تقوم على بعث الشرخ العرقي الحاد في الدول التوافقية القائمة على التوازن بسبب تركيبها العرقي، والمشكلة القبرصية تعبر عن هذه الحالة، وقد لجأ التدخل الأمريكي في العراق إلى هذا الدرس في أعقاب حرب الخليج الثانية، حيث سلخ سياسيا وعسكريا الشمال الكردي من البلاد على أساس خلاف تاريخي وعرقي مع الحكام العرب في بغداد، وفي جنوب السودان تم تغذية نوازع الانفصال العرقية والدينية، حتى توج ذلك بتقسيم السودان لدولتين: شمال مسلم عربي في أغليته وجنوب إفريقي مسيحي في أغليته<sup>(1)</sup>.

2- **ضرب الاستقرار الأمني:** إطالة أمد الاختلال الأمني بحيث يشعر الناس أن لا مجال للعودة إلى الحالة التي كانت سائدة قبل الحرب، ومن أبرز الأمثلة على هذه العملية السيارات المفخخة التي كانت تضرب لبنان إبان حربه الداخلية التي عاشها ما بين 1975 و1989 وما نشهده في العراق اليوم يشبه السيناريو اللبناني في أكثر من نقطة مما يعني أن استثمار دروس الحالة اللبنانية الاقتتالية جار على قدم وساق في البلبلة العراقية، فالطرف الأمريكي ينسحب تدريجيا من اللعبة لكن بعد تأكده من ثباتها على اختلال دائم سينهك الطرفين في نهاية المطاف أي الحكومة العراقية الجديدة والفصائل المعارضة عليها فما الذي سيطلب به العراقيون بعد خروج الأمريكيين وبعد تحطم الطرفين سيطالبون بكل بساطة بالشرعية الدولية المتمثلة في الأمريكيين<sup>(2)</sup>.

هذا المصطلح أدرجته الإدارة الأمريكية منذ عام 2007، وردده كبار مسؤوليها ومنهم كوندوليزا رايس (وزيرة الخارجية آنذاك) حيث أشارت إليه في مقابلة مع صحيفة واشنطن بوست الأمريكية في شهر أبريل من عام 2007، عندما قيل لها إن التفاعلات التي تموج بها هذه المنطقة من العالم لا تترك مجالاً آخر سوى للاختيار بين الفوضى أو سيطرة الجماعات الإسلامية على السلطة، ولن تؤدي بالضرورة إلى انتصار الديمقراطية، لم تتردد في أن تقول: إن الوضع الحالي ليس مستقراً، وأن

1 رمزي المنياوي، الفوضى الخلاقة، ص27.

2 رمزي المنياوي، م.ن، ص28.

الفوضى التي تفرزها عملية التحول الديمقراطي في البداية من نوع الفوضى الخلاقة التي ربما تنتج في النهاية وضعا أفضل مما تعيشه المنطقة حاليا<sup>(1)</sup>.

وينادي أقطاب نظرية الفوضى الخلاقة باستخدام القوة العسكرية لتغيير الأنظمة كما حدث في أفغانستان والعراق، وتبني سياسة التهديد بالقوة التي تسهم في تفجير الأمن الداخلي للعالم العربي وتشجيع وتأجيج المشاعر الطائفية وتوظيفها في خلق الفوضى، والحقيقة أن مصطلح الفوضى الخلاقة هو تغطية للفشل الأمريكي الذريع في المنطقة لدرجة أن الفوضى أصبحت مصلحة أمريكية مؤقتة، فالفوضى لم تكن يوما ولن تكون يوما بناءة، بأي شكل من الأشكال، فهي دائما هدامة، والمقصود بالبناءة هنا: أي التي تصب في مصلحة أمريكا وبذلك تكون بناءة للولايات المتحدة ولكن هدامة للجميع وتعاني المنطقة العربية الآن من سياسة إشاعة الفوضى التي دعمتها إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش كثيرا، أحد أدوات حروب الجيل الرابع، بما خلفته من انقسامات وصراعات طائفية وقومية تسيطر على معظم الدول العربية، خاصة وأن هذه الصراعات لا يمكن أن تنتهي بين يوم وليلة<sup>(2)</sup>.

ويستمد واضعو هذه النظرية أفكارهم من النظريات السابقة التي وضعت لتقسيم المنطقة العربية مثل مشروع برنارد لويس والتي ترى أن المنطقة العربية هي تجمع أقليات عرقية ودينية لا تستطيع حكم وإدارة شؤونها لذلك هي متخلفة ويجب نشر الوعي المعرفي ومبادئ الديمقراطية حتى لو كان على حساب تشكيل أهل كل دين أو مذهب أو عرق نظاما سياسيا خاصا بهم، وهذا ما ينتج عنه فوضى خلاقة<sup>(3)</sup>، وترى الإدارة الأمريكية أن خلق هذه الفوضى وعدم الاستقرار من شأنه أن يولد نظاما سياسيا ديمقراطيا (العلاج بالصدمة) تبقى أهم أهداف الولايات الأمريكية في المنطقة العربية هي الانفراد

---

1 مجدي كامل، حروب الجيل الرابع، ص 51 . ص 75.

2 مجدي كامل، م.ن، ص 51 . ص 75،

3 محمد بن المختار الشنقيطي، جذور الصور النمطية للمسلمين في العقل الأمريكي، ص 15.

بالتفوق الأمريكي في المنطقة لتوفير كل ما يمكن أن تتقدم به الولايات المتحدة حتى لو كان على حساب عدم استقرار المنطقة أو انتشار الفوضى أو تشظية خريطته<sup>(1)</sup>.

لقد أخذت النظرية مساراتها العملية في التطبيق بعدما كانت أميركا تتعامل عالميا خصوصا مع المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية والعسكرية وفق آلية الانقلابات العسكرية والتدخلات العسكرية المباشرة، لضمان أهدافها ومصالحها الحيوية فيها لمنع قيام الأنظمة والسياسات والأيدولوجيات التي تعرقل هذه المصالح، وبعد أن وجدت تلك الآليات مكلفة من الناحية العسكرية والاقتصادية والبشرية، ارتأت في السنوات الأخيرة اعتماد عدد من النظريات تكون من خلال اعتمادها القوى المهيمنة عالميا والمحقة لنظام عالمي جديد بأقل التكاليف وبأقصر الطرق وأبسطها، ومن دون التدخل العسكري المباشر من جانبها، ومنها نظرية الفوضى الخلاقة<sup>(2)</sup>.

ويعد الخبير والمفكر الاستراتيجي الأمريكي مايكل ليدن الباحث في معهد أيركا انتربرايز أول من صاغ مفهوم هذه النظرية عام 2003، عندما وضع خطة جديدة للولايات المتحدة لإدارة أهم المناطق حساسية في العالم، وهي الشرق الأوسط، بعد أن لاحظ ارتباطك السياسة الأميركية في هذه المنطقة، وأعطاه تسميات مرادفة، منها الفوضى والبناء والتدمير والبناء، وينطلق ليدن في نظريته من أفكار تعكس الفلسفة التي تدين بها النخبة المسيطرة المتحكمة في القرارات والاستراتيجيات الأميركية تجاه العالم الأوسط بالخصوص، وهي اعتماد الواقع أكثر مما يمليه الذهن أي جعل له الأسبقية والرجحان، وينطلق ليدن بعد قراءة الواقع وتشخيص البيئة المحددة له ليقول إنه لا بد من التعامل مع معطياته وتطوراتها<sup>(3)</sup>.

**وتقوم نظرية الفوضى الخلاقة على الأسس الآتية:**

- 
- 1 أحمد سليم، دور السياسة الأمريكية في التحولات الديمقراطية في المنطقة العربية (رسالة ماجستير)، جامعة الشرق الأوسط، 2013.
  - 2 مجدي كامل، حروب الجيل الرابع، ص 51. ص 75.
  - 3 ينظر: فتحي العفيفي، الحرب على الفوضى الخلاقة: النزعة المركزية في الثورات العربية المعولمة، ص 135.

1- التغيير الكامل في الشرق الأوسط.

2- إعادة البناء بعد هدم الأسس والتقاليد القديمة.

3- الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الشاملة لدول الشرق الأوسط.

4- إبعاد الجهد الأميركي المباشر والاكتفاء بصياغة وتنظيم بناء النظام السياسي في هذه الدول.

تمثل هذه الأسس محور نظرية الفوضى الخلاقة التي صاغها ليدن، فهي تمثل حقيقة الإستراتيجية الأمريكية حاليا في المنطقة ، وهذا ما صرح به أكثر من مسؤول أميركي حول إعادة صياغة شرق أوسط جديد ونظام عالمي جديد، ومنهم الرئيس السابق جورج بوش الابن، وكذلك مستشارة الأمن القومي الأميركي كوندوليزا رايس التي أطلقت المصطلح<sup>(1)</sup>.

ولا شك في أن بلدان منطقة الشرق الأوسط تعيش حاليا مأساة تطبيق مراحل هذه النظرية من صراعات داخلية طائفية وقومية وإثنية وعشائرية، ومن مميزات هذه الدول أنها تعاني من رجحان كفة الانتماءات القومية والطائفية والعشائرية على كفة النظام السياسي، وبالتالي فإن أي تغيير طفيف أو جذري يلحق بالنظام السياسي القائم فيها، يدخل بنيتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في دوامة الاضطرابات والفوضى، وبالتالي جاءت خطوات تنفيذ هذه النظرية متتاعمة مع ما تعيشه دول المنطقة من هذه الوقائع ومن خطوات تنفيذ النظرية الآتية:

1- إطلاق الصراع الطائفي والعرقي حيث تقوم هذه النظرية على بث الشرخ الطائفي والعرقي لتركيبية شعوب دول العالم.

2- صراع العصبية وتمثل هذه الخطوة بضرب مؤسسات الدولة واستبدالها بولاءات عشائرية وحزبية، وهذا ما عكفت عليه وتبنته الإدارة الأمريكية في عدد من دول المنطقة، منها ليبيا حاليا، حيث

---

1 ينظر: خليفة كعيسى، الربيع العربي بين الثورة والفوضى، ص229.

تحكم مؤسسات الدولة انتماءات قبلية كذلك العراق حيث استبدلت فيه مؤسسات الدولة بتوافقات حزبية ذات صبغة طائفية وقومية.

3- إطالة أمد الاختلال الأمني، ومن منطلقات هذه النظرية أيضا خلق حالة عدم الاستقرار واليأس واللاعودة إلى ما كانت عليه الأوضاع قبل استبدال النظام في هذه الدول، وذلك بإطالة أمد الصراع المصحوب بالأسلوب الدموي للقتل والدمار، مما يجعل المجتمع في حال من اليأس والضغط النفسي، وهو ما يخلق النظام الجديد الذي يولد من نقشي الفوضى، ومن أبرز الأمثلة العمليات المسلحة المتمثلة في السيارات المفخخة والعبوات والاعتقالات والإبادة الجماعية لبعض المكونات وعمليات التهجير التي يشهدها العراق حاليا<sup>(1)</sup>.

### نظام عالمي جديد:

إن الإستراتيجية الأمريكية تركز على أيديولوجيا أمريكية نابذة من مدرستين رئيسيتين: الأولى صاغها فرانسيس فوكوياما تحت عنوان نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ويقسم فيها العالم ما بين عالم تاريخي غارق في الاضطرابات والحروب، وهو العالم الذي لم يلتحق بالنموذج الديمقراطي الأمريكي وعالم آخر ما بعد التاريخ الديمقراطي الليبرالي الآمن على الطريقة الأمريكية، ومن العوائق التي تحول دون تطبيق الديمقراطية حسب نظرية فوكوياما عوامل القومية والدين والبنية الاجتماعية، والثانية صاغها صموئيل هنتنجتون تحت عنوان<sup>(2)</sup> صراع الحضارات معتبرا أن النزاعات والانقسامات في العالم سيكون مصدرها حضاريا وثقافيا، ويقسم الحضارة العالمية المتبقية إلى ثمانية وهي: الغربية والإسلامية والكونفوشيوسية واليابانية والسلافية واللاتينية والإفريقية واعتبر أن النزاعات الدولية سوف تحدث بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل، ورغم التناقضات والتباينات بين النظريتين فإنهما تتفقان على ضرورة بناء نظام

1 مجدي كامل، حروب الجيل الرابع، ص 51. ص 75

2 رمزي المنياوي، الفوضى الخلاقة، ص 29

عالمي جديد تقوده الولايات المتحدة، كما أنهما متفقتان على معاداة الحضارة الإسلامية باعتبارها نقيضا ثقافيا وقيميا للحضارة الغربية تاريخيا إن الإستراتيجية هذه تضع العالم أمام خيارين: إما التبعية لتفوقها وجبروتها وإمبراطوريتها، وإما الفوضى والخراب والصدام والحروب<sup>(1)</sup>.

## المبحث الثالث

### واقع الأمة السياسي والاجتماعي والفكري

#### المطلب الأول: الحياة السياسية وانقسام الأمة:

تخلى العرب والمسلمون عامة عن الدور المنوط بهم في قيادة البشرية وتوجيهها وهدايتها، فتداعت عليهم الأمم والشعوب لكي يظفر كل بما يريد وهم في جمود وضعف، حيث ظهرت أفكار كثيرة تبرر انتهاج الطرائق الغربية في الحكم وأسهمت وسائل الإعلام . لا سيما الصحافة . في نشر وتعميم تلك الأفكار حتى استحكمت غربة الشريعة وخفت صوت المكافحين عنها، بل أصبحت في نظر البعض رمزا للرجعية والتأخر وسط ضجيج الدعوة إلى الإصلاح والتجديد وصخب الشعارات التي رفعتها الأحزاب القومية والوطنية والإقليمية والاشتراكية المتصارعة، فانسحب الإسلام من الحياة السياسية ليتخبط العالم الإسلامي وهيئاته السياسية في تجارب حكم جديدة، وترتب على ذلك انسحابه من ميادين الحياة الاقتصادية وسيادة المبادئ الرأسمالية والاشتراكية المتصارعة، كما انسحب تدريجيا من الحياة الاجتماعية، وغدت الأمة ضائعة تبحث عن ذاتها شاردة لا تدري إلى أين تسير كما أصبحت حقلًا للتجارب الفكرية الوضعية، وضاعت أصوات دعاة الإسلام وسط هذا الضجيج وحوربوا وطوردوا وضيق عليهم بمختلف الأساليب<sup>(1)</sup>، مما نتج عنه الشعور بالإحباط في نفوس الذين لا يفقهون حقيقة البلاء وسنن الله . تعالى . في خلقه، كما نتج عنه استطالة الطريق فيضعف السير إلى الله تعالى، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزي أصحابه المضطهدين في مكة بتبشيرهم بأن المستقبل للإسلام وبأن العاقبة للمتقين<sup>(2)</sup>، ولكن العد العكسي بدأ فأخذ كثير من أقطار العالم الإسلامي يتلمس طريقه نحو الإسلام بعد أن قطع أشواطًا في الضلال، ورحلة العودة هذه مملوءة بالصعاب تحتاج

1 جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ص236.

2 محمد المقدم، علو الهمة، ص343.

لعزائم الرجال والدعاة لشدة التغيرات التي أصابت المسلمين في مختلف ميادين حياتهم وغريتهم عن الإسلام وعن شريعة الإسلام<sup>(1)</sup>.

ولكي تتضح صورة الواقع السياسي لبلاد الإسلام يتوجب علينا أن نلخص آثار الاستعمار السياسية في العالم الإسلامي: فقد خطا المسلمون خطوات واسعة في سبيل التحرر من الاستعمار وأفسدوا حلمه في البقاء الطويل، فاندلعت ثورات الهند وأندونيسيا ومصر والجزائر والمغرب وليبيا والسودان والقوقاز وأقطار إفريقيا الإسلامية فعمد الاستعمار إلى أساليبه المختلفة في إبقاء آثاره والحيلولة دون لقاء المسلمين ووحدتهم، فثبتت أوضاع المسلمين بعد رحيل الاستعمار كما هي بل وأشد انحرافاً عن منهج الإسلام وشريعته ومن هذه الآثار التي تركها<sup>(2)</sup>:

1- اقتسم المستعمرون العالم الإسلامي، فمزقوه بين بريطانيا وفرنسا وروسيا وهولندا وإسبانيا والبرتغال، وقد ترك كل منهم بصماته في الأقاليم التي تركها.

2- انتزع المستعمرون أقساماً من العالم الإسلامي وسلموها لغير المسلمين مثل فلسطين، وأريتريا، والصومال الغربي، وقبرص ولبنان وكثير من الأقطار الإسلامية الواسعة داخل الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية.

3- جزأ الاستعمار العالم الإسلامي، وأقام الحدود المصطنعة وأبقى لكل قطر مشكلة مع جيرانه بعد رحيله ليحول بين المسلمين والتعاون فيما بينهم ولن تعوزنا الأمثلة لذلك: الصومال مع جيرانه، العراق وإيران، سوريا وتركيا، مصر وليبيا، المغرب والجزائر.

4- عمل الاستعمار على نشر لغته وتاريخه وعاداته في بلاد الإسلام وحارب اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وشوه تاريخ الإسلام ليؤكد الطابع الإقليمي والوطني لكل قطر وليحول دون لقاء المسلمين.

---

1 جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ص 236.

2 جميل المصري، م.ن، ص 236.

5- عمل على نشر الحكم الفاسد في بلاد المسلمين فحصر الوظائف في أيدي أعوانه وممثليه، وأشاع روح الفرقة بين أبناء البلد الواحد فعملوا على الفصل بين العرب والمسلمين، وبين الترك والعرب، وبين المسلمين والنصارى في بلاد الشام ومصر، وأثاروا الخلافات واستغلوا بين أهل السنة والشيعة، والعرب والبربر، وجمد الاستعمار المجتمعات البدوية، وجمد القبليات، وحرص على عدم انصهارها في المجتمعات الكبرى، بل فرق بين الريف والمدن والبادية، وعمق المشكلة الطائفية وغذاها وفرضها ووجهها الوجهة التي تخدمه في بلاد الإسلام، في الهند ولبنان وجميع بلاد الإسلام، لتكون أداة سياسية له ينفذ أغراضه، ويتدخل في شؤون البلاد وقتما شاء، وفتح أبواب التبشير للإرساليات الأجنبية، وساندها وضمن لها حرية الحركة والتمويل، ففي إفريقيا وحدها يوجد مئة ألف مبشر بالإضافة إلى ما لهؤلاء من مدارس ومؤسسات ومستوصفات وصحف وغير ذلك<sup>(1)</sup>، وسهل الاستعمار استيراد أقلية دينية غريبة من الأرمن والآشوريين في المشرق العربي، واستقدم أناسا غريبة من مالطيين ويونانيين ويهود في أقطار أخرى.

6- شجع الأحزاب القومية والوطنية والطائفية والإلحادية التي عملت على تمزيق البلاد الإسلامية بتناحرها وولائها للأجنبي، لتخدم مصالحه، واصطنع الزعماء في كل قطر إسلامي، وسرق الثورات وزرع الخوف في نفوس كثير من المسلمين وأبعد مفهوم الجهاد وحاربه بمختلف الوسائل، وجاءت أمريكا مع روسيا لتتربص بالاستعمار، فوضعت خطة سميت لعبة الأمم وتعني النشاط الذي بدأته وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن بغية وضع المخططات المناسبة لبطش النفوذ الأمريكي على بلاد العالم عن طريق السياسة والخداع بدل اللجوء إلى الحرب المسلحة، وبذلك يقترب المعنى من: التخطيط السياسي للصراع على مناطق النفوذ في العالم عن طريق الحرب الباردة<sup>(2)</sup>.

يقول وزير المستعمرات البريطاني عام 1938م: "إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي أن نحذره ونحاربه، وليست إنجلترا هي التي تلتزم بذلك، بل فرنسا أيضا....، إن سياساتنا تهدف دائما إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي، ويجب أن تبقى هذه السياسة

1 إحسان حقي، المسلمون أمام التحدي العالمي، ص13.

2 ينظر: مايلز كويلاند، لعبة الأمم (تعريف المترجم للعبة الأمم)، ص6.

كذلك، إننا في السودان ونيجيريا ومصر ودول إسلامية أخرى، شجعنا وكنا على صواب نمو القوميات المحلية، فهي أقل خطرا من الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي"<sup>(1)</sup>.

وأسفرت هذه الآثار عن إقصاء الشريعة الإسلامية عن ميدان الحكم في العالم الإسلامي، وأصبح عدد دوله التي ظهرت بعد سقوط الخلافة العثمانية كبيرا، وجميعها تعد من دول العالم الثالث الموصوف بالضعف والتخلف، وتقع هذه الدول في قارتي آسيا وأفريقيا ودولة واحدة في أوروبا هي ألبانيا، هذا عدا عن الأقاليم الواسعة، التي لا تزال تزرع تحت الاحتلال في فلسطين والصين وغيرها، والدول التي لا يشكل المسلمون فيها أغلبية تزيد على 50 %، وتتصف معظم الدول الإسلامية الحالية بالتبعية السياسية في مجال الحكم والاقتصاد والفكر، وهذا ما يجعل أوضاعها غير مستقرة وعرضة لأطماع الدول الغربية، كما اتصف بالعجز في مواجهة التحديات العنيفة التي يواجهها من الصليبية والصهيونية في البلاد العربية وأفريقيا، والهندوسية في شبه القارة الهندية<sup>(2)</sup>.

### **المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية:**

أثر الاستعمار ومراحله القاسية كان جليا على الناحية الاجتماعية، حيث شرع المستعمرون في بلاد المسلمين في تنفيذ خططهم التي كانت ترمي إلى إنشاء جيل متجانس لهم في ثقافتهم ليسهل عليهم الاتصال به والتفاهم معه، وكان لا بد لبلوغ ذلك من إحداث انقلاب جذري في حياة المسلمين يصادم المنهاج الإسلامي في جملته الأساسية بحراسة الجيوش المستعمرة وعلى يد من ربتهم على منهاجها من أهل البلاد<sup>(3)</sup>.

بدأ احتكاك المجتمع الإسلامي المنحرف عن الإسلام بالمجتمع الغربي الشارد عن الدين في القرن التاسع عشر الميلادي، ومنذ اللحظة الأولى أحس الغرب بتفوقه الاجتماعي على العالم الإسلامي الذي لا شك أنه كان لديه من الفضائل ما يفنقه الغرب، لكن نظرة الغالب إلى المغلوب لا تسمح

---

1 المركز العام للوثائق في لندن، رقم الوثيقة (22951371) في 1938/1/9.

2 جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ص239.

3 جميل المصري، م.ن، ص211.

بالرؤية الصحيحة عادة لا سيما والروح الصليبية الحاقدة كانت من ورائها، وبالمقابل أحس المجتمع الإسلامي بالانبهار القاتل واستشعر النقص المرير ولم يتردد الغربيون<sup>(1)</sup> في القول بأن سبب تخلف المسلمين هو الإسلام، وهكذا كان الطريق مفتوحا لمهاجمة القيم الإسلامية وتدمير مقومات المجتمع من خلال مهاجمة ذلك الواقع المتخلف الذي لا يمثل الإسلام، وكان النموذج الغربي المشاهد الذي فصل الأخلاق عن الدين يزيد الأمر قوة ووضوحا، وقد جهد الاحتلال الأجنبي بشتى الطرق حتى تمكن من تحطيم مظلة الأعراف الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية، فانطلقت تسري في أوصالها كل موبقات الحضارة الأوروبية حتى وصلت في ظل الاحتلال درجة الشرعية التي تحميها القوانين الوافدة، ودخل في روع المغلوبين أن الانحلال والفساد من ضرورات التحضر والمدنية في جوانبها الصحيحة<sup>(2)</sup>، وقد ظهر هذا الانحلال في البداية في السلوك الفردي، فانحرف الناس عن نهج الدين واستهوتهم مظاهر الحياة الغربية، فأقبل كثير منهم على الخمر والفجور والقمار والربا ونحو ذلك، ثم دب دبيب التهاون في الدين فتناول إهمال العبادات والعقائد وغير ذلك من أنواع الانحلال.

فتكاسل الناس عن أداء العبادات وانتشرت في الجو ضروب من الفلسفة والمذاهب الضالة، واستمالت الشباب وغير الشباب وصارت العلاقة الجنسية والنزعة الإباحية الشغل الشاغل للسينما وكثير من المجالات والصحف ابتغاء وفرة الربح والدخل، فانحرف الشباب وفسدت روابط الأسرة ثم عمّ السيل وطمّ وانهارت الفضائل الاجتماعية والاقتصادية<sup>(3)</sup>، فشهد العالم الإسلامي موجة في التغيير الاجتماعي دعيت التغريب: وهو تغيير قيم الأمة ومثلها أي تغيير عقيدتها وثقافتها وأخلاقها، وبعبارة أخرى إبعاد المسلمين عن دينهم باسم المدنية أو التطور أو التقدم، وقد بدأ التغريب في العالم الإسلامي على يد المستعمرين ومؤسساتهم التبشيرية والاستشراقية أي بالإرساليات، ولكنه وفق الأسلوب الجديد أصبح على أيدي المسلمين أنفسهم من تلاميذ المستشرقين، يساندهم في تنفيذ هذا المخطط بعض الحكام العرب، وقد اتخذ هذا خطة إستراتيجية بعيدة المدى حتى لا تحس الأمة الإسلامية بالهدف البعيد، بل

1 ينظر: محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ص 259 . ص 262.

2 عبد الستار فتح الله، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص 63.

3 عبد الستار فتح الله، م.ن، ص 64.

قد تحس بالأسلوب والعادات والتقاليد تحت قناع التطور والمدنية والتقدم مستخدماً وسائل الإعلام المختلفة المسندة إلى غير المتمسكين بالدين<sup>(1)</sup>.

وانعكس هذا التأثير رمزياً في تغيير اللباس، وارتداء الزي الغربي، الذي بدأ في القرن التاسع عشر في صفوف الجيش بأمر عسكري، ثم كان ذلك في قطاع الموظفين المدنيين بأمر من الحكومة أيضاً، وأخيراً عم اللباس بين المتعلمين من أبناء المدن من غير الرسميين عن طريق العدوى والمحاكاة والتقليد<sup>(2)</sup>، وقد استوردت الأفكار الأوروبية مع السلاح والزي<sup>(3)</sup>.

ومن أجل عدم اصطدام الأفكار الجديدة بمشاعر المسلمين يقوم بالإعداد والتخطيط لها جيش من المبشرين الذين درسوا العالم الإسلامي من جميع جوانبه ونواحيه، وخبراء في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التاريخ، فضلاً عن أجهزة المخابرات والإحصاء المختلفة، فاستغلوا في سبيل مآربهم كل وسيلة من العلم والطب والسياسة والحياة الاجتماعية ومن الثقافة والأدب ليسلبوا الإسلام كل منحه للشخصية وكل أسباب الحياة<sup>(4)</sup> لتخرج أفكارهم تحمل شعارات العلمانية والقومية وتحرير المرأة. وقد أدرك هؤلاء أنه لا بد لكي يحصل التغيير الاجتماعي المطلوب من اقتحام حصون المسلمين بيوتهم باسم تحرير المرأة لأنه أهم مظاهر التغيير الاجتماعي وعنه تنشأ كافة الأمراض الاجتماعية، وقبل ذلك نلخص الآثار التي تركها الاستعمار في العالم الإسلامي من الناحية الاجتماعية لتتضح الصورة، فقد عمل الاستعمار على إضعاف معنويات المسلمين وأفكارهم وتجهيلهم وتحطيم كياناتهم الاجتماعي بأن:

1- شجع الاستعمار قيام نظام طبقي أساسه وجود فئة من الإقطاعيين والاحتكاريين يستأثرون بالثروة، على غرار النظام الإقطاعي في أوروبا في العصور الوسطى، وبأقي الناس في ذل وفقر

1 جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ص 212-213.

2 برنارد لويس، الشرق والغرب، ص 49.

3 برنارد لويس، م.ن، ص 50.

4 عمر الفروخ ومصطفى الخالدي، التبشير والاستعمار، ص 217.

وجهل، بمعنى آخر أوجد التفاوت الطبقي الكبير الذي لم يعرفه المسلمون في تاريخهم، ووجد أدوات من الطبقتين . الغنية والفقيرة . الغنية المتسلقة والفقيرة المحتاجة فأصبحت علاقات المجتمع عدائية بدل الحب والتعاون والتكافل في المجتمع الإسلامي<sup>(1)</sup>.

2- جعل بعض البلاد مرتعا خصبا للأجانب، بأن شجع الأوروبيين على النزوح إلى البلاد بما فيهم اليهود، والاستيطان فيها، واعتبرهم بأن لهم الحق في استعباد غيرها وتسخرهم لخدمتها، وبجانبيها طفيليات تعيش على فئاتها من أفراد المجتمع الإسلامي تسخرهم لأغراضها، كما حصل في الجزائر وأندونيسيا والهند الإسلامية ومورو والشيستان وأقطار أفريقيا<sup>(2)</sup>.

3- عمل على نشر الأمراض والعادات الاجتماعية السيئة في البلدان الإسلامية فعلم الناس: النفاق، وفقدان الثقة بالنفس، وعدم تحمل المسؤولية وأشاع فيهم بأساليبه روح الخوف والجبن من الحاكم والتشكيك في أعمال الغير، ونشر فيهم عادات مردولة زاعما أنها مميزات المدنية والتقدم مثل تعاطي الخمر ولعب القمار والإباحية والسفور والخلاعة والاستخفاف بكل ما هو إسلامي على اعتبار أنه قديم وبالٍ ورجعي، والتباهي بكل ما هو أوروبي على اعتبار انه حديث وتقديمي<sup>(3)</sup>.

وقد بدأت السهام تنفذ منذ حملة نابليون بوناپرت على مصر (1798-1801م) وبالإرساليات الأجنبية، ولكن حركة الابتعاث على أوروبا كانت أهم من كل ذلك زمن محمد علي باشا والي مصر، وكان أهم ما ظهر في هذا الموضوع كتابان لقاسم أمين<sup>(4)</sup> الذي اقترن اسمه من بعد بلقب (محرر المرأة) وهما تحرير المرأة والمرأة الجديدة، طبع الأول سنة 1899م والثاني سنة 1900م.

---

1 جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ص213.

2 جميل المصري، م.ن، ص214.

3 جميل المصري، م.ن، ص214.

4 قاسم أمين نشأ في أسرة تركية مصرية، اتصف بالذكاء وحصل على ليسانس الحقوق الفرنسية من القاهرة، وهو في العشرين من عمره، فتلقفه الفرنسيون وابتعثوه إلى فرنسا، فعاد إلى مصر بفكر جديد وعقل جديد ووجهة جديدة (جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي، ص215).

## الصراعات القبلية والتي انعكس أثرها سياسيا كإخلاف بين عائلتي الحسيني والنشاشيبي:

انقسم الفلسطينيون المسلمون والمسيحيون على السواء في الماضي إلى حزبين أو فريقين أساسيين وفقا لجذورهم العشائرية، وانتشرت هذه العصبية وبصورة خاصة في متصرفية القدس، وقد بلغت من الحدة في القرون الغابرة درجة خطيرة، أدت إلى نشوب حروب قبلية بين الفريقين القيسي واليميني، وإن المدن والقرى الفلسطينية كانت منقسمة إلى قيس ويمين، باستثناء قضاء الخليل الذي كان قيسيا بشكل عام، أما القدس فقد تركزت في عائلاتها الكبيرة زعامة اليمينية كالحسينيين والنشاشيبيين باستثناء عائلة الخالدي التي كانت قيسية<sup>(1)</sup>، ومن الممكن أن نعتبر التنافس على قيادة الحركة الوطنية في القدس في القرن التاسع عشر بين عائلة الخالدي من جهة وعائلة الحسيني من جهة أخرى على هذا الأساس، إلا أنه في بداية القرن العشرين ظهرت عائلة النشاشيبي كمنافسة لهما، وأخذت توثق صلاتها بالعثمانيين فاحتل بعض أفرادها مناصب إدارية مهمة، جعلها تقف على قدم المساواة مع الأسرتين السابقتين، فقد انتخب راغب النشاشيبي عضوا في مجلس المبعوثان العثماني عن القدس، كما تولى رئيس المهندسين في لواء القدس، ولما انهار الحكم العثماني نشأت حالة من الذعر لدى هذه الأسرة التي خشيت أن تفقد نفوذها في ظل الانتداب البريطاني بينما انتهزت أسرة الحسيني الوضع الجديد لتعزيز مكانتها وأقام شبابها المثقف علاقات جيدة مع الإدارة العسكرية البريطانية<sup>(2)</sup>.

ومن هنا بدأ التنافس بين الأسرتين أول الأمر على كسب رضا سلطات الاحتلال البريطاني والتعاون معها، طمعا في تبوء المناصب الهامة في إدارة البلاد ومؤسساتها الدينية، وبناء على ما تقدم لا يمكن اعتبار الصراعات العائلية في العشرينيات هو امتداد للصراعات القيسية اليمينية، وذلك لأن زعامات طرفي النزاع يمنية، إلا أنه كانت هناك محاولات من الأعداء لإثارة هذه النزعة الحزبية ولكن جهود الأعداء في هذا السبيل ذهبت أدراج الرياح<sup>(3)</sup>.

1 إميل الغوري، فلسطين عبر ستين عاما، ص 226.

2 علي المحافظة، الكواكب الاجتماعية للحركة الوطنية، ص 26.

3 معتصم الناصر، الحياة السياسية العربية في القدس 1918 . 1934، ص 88.

بذلت الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية جهوداً كبيرة لتكريس الانقسام، ومما ساعد على نجاحها أن الحركة الوطنية الفلسطينية نفسها، كانت تعاني في داخلها من عوامل الضعف والانقسام وفقدان الثقافة السياسية، حيث وصف المسلمين في تلك الفترة بقوله: "لكل أسرة إسلامية في القدس تقاليد مركونة في طباعها يتوارثونها أبا عن جد، لا يقول الواحد كلمة أو يخطو خطوة إلا وهو مراعاة تقاليده قبل كل شيء، ومصالحه أسرته قبل كل مصلحة ونفوذ أسرته قبل كل نفوذ، فإذا كلفت أحداً أن ينتخب عضواً لمجلس نيابي أو مجلس بلدي أو هيئة معارف أو جمعية وطنية أو غير ذلك، انتخب كبير أسرته، سواء كان يصلح لذلك أم لا، أسأله من هو أصدق وطنية أو أرقى أخلاقاً أو أوسع علماً أو أصح رأياً ذكر أباه أو أخاه أو ابن عمه، وكل جمعية أو هيئة أو حزب لا يكون فيه أحد أفراد تلك الأسرة انقلبت تلك الأسرة عليه وحاولت مقاومته، ولو كان فيه خير لا يكون الرأي صحيحاً عند أحدهم إلا إذا كان هو صاحب الرأي أو أحد أفراد أسرته<sup>(1)</sup>، وهذا التعصب العائلي كان له دور في تشكيل الخارطة السياسية والتحالفات في الحركة الوطنية.

كان للمواقف المساومة لمعسكر النشاشيبي دوافع نفعية من ناحية، واعتبارات تكتيكية وأيديولوجية من ناحية ثانية، فمن الناحية النفعية، قامت حساباته على أن انتهاج سياسة التسوية والمساومة مع بريطانيا، سوف يؤدي إلى إضعاف نفوذ الحسينية المسيطرة والمنافسة لها، إذا لم يؤدي إلى إنهائه واستئصاله، بالإضافة إلى أن جذور النشاشيبيين السياسية لم تكن عميقة مثل جذور الحسينيين، على الرغم من ظهورهم بقوة على العائلات الكبرى إلا أنه لم تتوفر لهم الموارد الاقتصادية التي توفرت للحسينيين، ولم يكونوا من بين العائلات الكبرى التي تملك الأرض في فلسطين، كما أن حلفاءهم كانوا عائلات وأفراداً نفروا من الحسينيين، بمعنى آخر لم يكن حلفاءهم السياسيون موالين لهم تقليدياً كما هو الحال مع العائلات التي كانت تتبع الحسينيين ذوي الجذور العميقة في القدس<sup>(2)</sup>، وعلى الصعيد التكتيكي كان في تقدير المعسكر النشاشيبي أن الكفاح العربي ضد الصهيونية والانتداب سوف يكون أجدى وأقوى فعالية إذا جرى في إطار الانتداب، ولا سيما أن المعارضة اعتبرت نفسها جزءاً لا يتجزأ

1 خليل السكاكيني، كذا أنا يا دنيا، ص 172.

2 مناويل حساسيان، الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية 1919-1939، ص 85.

من الحركة الوطنية الفلسطينية، ويجب ألا يغيب عن الأذهان أن راغب النشاشيبي (السياسي الفلسطيني المتوفى سنة 1951م) كان في عام 1919م عضواً في مؤتمر عموم سوريا قبل عودته إلى القدس<sup>(1)</sup>.

اتخذ التنافس بين الأسرتين الحسينية والنشاشيبيية منحى جديداً حينما قررت السلطات البريطانية إقالة زعيم الأسرة الحسينية من رئاسة بلدية القدس في نيسان 1920م بسبب الخطبة التي ألقاها في المتظاهرين بمناسبة موسم النبي موسى عليه السلام في الرابع من الشهر نفسه، ولمعارضته في إقرار اللغة العبرية كلغة رسمية في البلدية<sup>(2)</sup>، كان موسى كاظم (أحد رجالات السياسة في فلسطين و المتوفى سنة 1934م) يعتقد أنه ليس بين الزعماء المقادسة من يجرؤ على قبول رئاسة البلدية، ولكن قبول راغب النشاشيبي زعيم الأسرة النشاشيبيية . الذي يعمل على جعل عائلته المنافس الرئيس لعائلة الحسيني . بها آثار حنق وغضب الأسرة الحسينية وانصارها<sup>(3)</sup>.

ومنذ يومئذ أصبح كاظم زعيماً للحركة الوطنية الفلسطينية فقد اختاره المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث رئيساً له ورئيساً للجنة التنفيذية التي انبثقت عنه، واتخذت أسرة النشاشيبي موقفاً معارضاً لموقف أسرة الحسيني، ونجح الحسينيون في إبعاد النشاشيبيين عن اللجنة التنفيذية العربية، بحيث أصبح النشاشيبيون دون أي نوع من التمثيل، بالمقابل كان العضو الأبرز الآخر من عائلة النشاشيبي هو فخري الذي عين مساعداً لحاكم القدس<sup>(4)</sup>، وقد كان موضع جدل شديد، لأنه كان ضابط شرطة مرتبطاً بالسير هيرت صموئيل، المندوب السامي كما كانت له اتصالات وثيقة بشخصيات صهيونية<sup>(5)</sup>، مما دفع النادي العربي والمنتدى الأدبي إلى عقد اجتماع مشترك لاتخاذ قرار بطرد فخري النشاشيبي، إلا

---

1 مناويل حساسيان، الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية 1919-، ص 85.

2 ناجي علوش، المقاومة العربية في فلسطين، ص 45.

3 ينظر: بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات، ص 121 . ص 122.

4 علي محافظة، الكوابع الاجتماعية للحركة الوطنية الفلسطينية، ص 27.

5 مناويل حساسيان، م.س، ص 84.

أنهم قرروا أن يكونوا حذرين ومحترسين منه فقط<sup>(1)</sup>، ومن هنا اشتد التنافس والتناحر بين الأسرتين بتحريض من السلطات البريطانية، واتسع نطاق هذا التنافس والتناحر حتى شمل فلسطين كلها<sup>(2)</sup>.

لم يتردد راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس الجديد، في التأكيد على خط السياسة النشاشيبيية تجاه بريطانيا يوم 30 حزيران عام 1920م، حينما رحب بالمندوب السامي بمخاطبته "بأن المدينة المقدسة ترحب بفخامتكم أيها المندوب السامي الموفد من قبل صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى أعظم ملوك الأرض، لتتوب عن جلالتة في إدارة هذه البلاد، ولتجلب السعادة لسكانها ولتصنع لهم طريق التقدم والفلاح، ولتحافظ على ميزان العدالة بينهم دون تمييز أو تفريق، وهذه غاية الأمة البريطانية أم الحرية والسلام"<sup>(3)</sup>. كما لم يتردد بالمشاركة في حفل تنصيب المندوب السامي على فلسطين في 11/9/1922م، حين دعت معظم الجمعيات الإسلامية والمسيحية بقيادة الأسرة الحسينية إلى إضراب عام في البلاد في ذلك اليوم، وإلى الامتناع عن حضور الحفل، بينما قبلت ثمان وعشرون شخصية عربية حضوره ، ويلاحظ أن أحدا من آل الحسيني لم يحضر الحفل المذكور مما رفع من سمعة هذه الأسرة في البلاد ومنزلتها وعمق الانشقاق في الحركة الوطنية<sup>(4)</sup>.

ازدادت الأمور تعقيدا بعد انتخاب الحاج أمين الحسيني مفتيا لمدينة القدس (المتوفى سنة 1975م في لبنان ) عام 1921م وما رافقها من ملاسبات وتدخل المندوب السامي الذي أراد إيجاد توازن بين المصالح العشائرية وهي سياسة آمن بضرورتها للمحافظة على السيطرة السياسية، ولما كانت رئاسة البلدية في أيدي النشاشيبيين فقد أراد البريطانيون لأحد الحسينيين أن يشغل ثاني أهم وظيفة وهي منصب المفتي، وذلك لإشغال العرب، كما وقع فعلا، حيث لم يلبث أن صارت الحسينية والنشاشيبيية علما حزبيا لأنصار كل من الأسرتين ومظهرا من مظاهر التنافس بينهم ومشغلة من مشاغلهم<sup>(5)</sup>.

1 معتمد الناصر، الحياة السياسية العربية في القدس 1918-1934، ص90.

2 علي محافظة، الفكر السياسي، ص223.

3 علي محافظة، م.ن، ص39.

4 عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، 202.

5 ينظر: محمد عزة دروزة، الحركة العربية، 3/ص51. ص52.

استغلت السلطات البريطانية حالة الانقسام في الحركة الوطنية، ودعت إلى انتخاب المجلس التشريعي تطبيقاً للمادة السابعة عشرة من دستور فلسطين الصادر في أوائل أيلول 1922<sup>(1)</sup>، إلا أن هذه الدعوة جوبهت برفض عام، وعمل المفتي على مقاومته لأن هدف بريطانيا منه إضفاء الشرعية على وجودها، وشن المجلس الإسلامي الأعلى حملة كبيرة ضد انتخابات المجلس التشريعي، وأصبح موضوعاً لخطب المساجد من خلال التأكيد على أن مقاطعتها واجب ديني<sup>(2)</sup>، كما دعت اللجنة التنفيذية إلى مقاطعة انتخابات هذا المجلس عملاً بقرار المؤتمر الخامس، لأن المجلس الجديد سيقام لتنفيذ سياسة الوطن القومي اليهودي، كما رأته فيه أمراً يتعارض وطموحها لإقامة سلطة تشريعية منبثقة عن برلمان منتخب<sup>(3)</sup>.

وقد نجحت المقاطعة وتم إفشال خطوة انتخاب المجلس التشريعي، وفشلت الحكومة في كسر حدة المعارضة للانتخابات، فعمل هريز صموئيل على تأسيس مجلس استشاري في 29 أيار 1923 بهدف خلق طائفة من الزعماء التقليديين المتعاونين مع الحكومة والخارجين على الخط الوطني<sup>(4)</sup>، وقد وجد ضالته في المعارضة التي كانت ترى زحفاً على السلطة وتحقيقاً لمنافع ومصالح قبول المجلس التشريعي، والتعاون مع السلطات الإنجليزية والصهيونية، وحين فشل مشروع المجلس وجد الانجليز من بين هؤلاء من يرفضون أن يصبحوا أعضاء معينين في مجلس يعينه المندوب السامي، ويمثل هؤلاء عائلات فلسطين ووجهاءها<sup>(5)</sup>.

رفضت اللجنة التنفيذية العربية مشروع المجلس الاستشاري الجديد، وحذرت الحكومة من أن هذا العمل المجحف سيجر وراءه نتائج وخيمة يجب أن تتحملها الحكومة وحدها، وأشارت إلى أن هذا المجلس لا

- 
- 1 محمد عبد الرؤوف سليم، محاولات تكوين، ص85.
  - 2 علي سعود عطية، الزعامة السياسية، ص444.
  - 3 سمح شبيب، اللجنة الفلسطينية في عهد الانتداب البريطاني: مجلة شؤون فلسطينية، العدد 180، سنة 1988، ص9.
  - 4 محمد عبد الرؤوف سليم، محاولات تكوين المجلس التشريعي، ص85.
  - 5 ناجي علوش، المقاومة العربية، ص55.

يمثل أحداً غير أعدائه وأن البلاد لن ترتبط بشيء من مقرراته ولن تكون مسؤولة عن أعماله<sup>(1)</sup>، وفي شهر أيار 1923م مارست اللجنة التنفيذية الضغط على المرشحين للمجلس لحملهم على رفض التعيين، كما واجهوا ضغطاً شعبياً قوياً حيث وصفتهم صحيفة فلسطين بأنهم طبقة الباشاوات والبيكوات والشيوخ والخواجا وهي طبقة التردد والهزيمة<sup>(2)</sup>، ونتيجة هذا الضغط اضطر سبعة منهم لتقديم استقالتهم في الثالث عشر من حزيران عام 1923م، ومن ثم تبعهم الأعضاء العرب الباقون<sup>(3)</sup>، وبذلك فشلت المحاولات البريطانية لاستغلال التناقضات الداخلية الفلسطينية.

تصاعدت حدة المعارضة بعد ذلك فلم تقوت المعارضة أية فرصة لمهاجمة المفتي واتهام الحسينيين بالتعاون مع البريطانيين حيث كالوا للمفتي الإتهامات<sup>(4)</sup>، حيث اتهمته المعارضة باستخدام الأموال لتعزيز مكانته الشخصية، وتثبيت نفسه في السلطة كزعيم سياسي وانتقدوا أعضاء المجلس الإسلامي بسبب حصولهم على رواتب عالية<sup>(5)</sup>، في المقابل كان راغب النشاشيبي رئيس بلدية مختلطة من العرب واليهود وكان عليه أن يتعامل ويتعاون مع اليهود ومع سلطات الاحتلال ولذا استغل الحسينيون هذه القضية وأشاعوا بين الناس بأنه يهادن اليهود والإنجليز في الوقت نفسه<sup>(6)</sup>، مما دفع صحيفة مرآة الشرق الناطقة باسم المعارضة الدفاع عن راغب النشاشيبي أمام ما تعرض له من اتهامات في بعض المقالات الصحفية بالعمالة الصهيونية وأنه مارق ومشاغب وفي دفاعها عنه طالبت الحاج أمين أن يستقيل من منصبه لتوحيد صفوف الشعب<sup>(7)</sup>.

استطاعت المعارضة أن تقرض نفسها كجزء من الحركة السياسية العامة في أثناء زيارة وزير المستعمرات أميري في نيسان 1925م، عندما طالبت بأن تمثل في الوفد الذي يقابله، كما أصرت أن

- 1 مروان جرار، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1920-1948 (رسالة دكتوراه) الأردن، الجامعة الأردنية، 1997، ص 41 (غير منشورة).
- 2 معتصم الناصر، الحياة السياسية العربية في القدس 1918-1934، ص 93.
- 3 معتصم الناصر، م.ن، ص 93.
- 4 مناويل حساسيان، الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية 1919-1939، ص 76.
- 5 صحيفة مرآة الشرق، القدس، العدد 346، 1924/9/24.
- 6 خليل البديري، ستة وسون عاما مع الحركة الوطنية الفلسطينية وفيها، ص 24.
- 7 صحيفة مرآة الشرق، القدس، العدد 490، 2 كانون الثاني 1927.

ينكلم واحد منها باسم الوفد، فكان لها ما أرادت، واستمر الصراع بين الفئتين ثلاث سنوات حاول فيها المجلسيون استبعاد المعارضين إلا أنهم لم ينجحوا، بينما نجح هؤلاء في الوقوف بوجه المجلس الإسلامي الأعلى ونجحوا في فرض الانتخابات على المجلس سنة 1926<sup>(1)</sup>، وعلى الرغم من فشل المعارضة في إبعاد الحسينيين عن المجلس إلا أنها استطاعت فرض عضوين لها في المجلس<sup>(2)</sup>.

عاشت الصحافة الفلسطينية وضعا صعبا في فترة الانتداب فقد مثلت بعض الصحف والمجلات واقعية الانقسام الحزبي في فلسطين، وتشكيل وسيلة تساعد على طرح قضايا الخلاف بين الحسينيين والنشاشيبيين مما كان له دور بارز في تعميق شقة الخلاف وتصديق صفوف الحركة الوطنية، وكانت معظم الصحف السياسية في هذه الفترة إما مؤيدة للحسينيين أو للنشاشيبيين مع استقلال عدد منهم وأهم صحف المجلسيين الأقصى 1920م والصبح 1921م وقد كانت الجامعة العربية 1927م الجريدة الرسمية للمجلسيين، أما أهم صحف المعارضة فهي مرآة الشرق 1919م، وفلسطين 1919م، والقدس الشريف 1920م، والصراط المستقيم 1925م، والنفير 1919م<sup>(3)</sup>.

نشطت محاولات التوفيق بين المجلسيين والمعارضة عشية المؤتمر السابع وفعلا نجح كاظم الحسيني بدعوة زعماء المجلسيين والمعارضين في بيته في السادس من حزيران 1927م، وتمت المصالحة والاتفاق على دخول المؤتمر السابع الذي خرجت المعارضة منه بالعديد من المكاسب، حيث فازت بنصف المقاعد وبمنصبي نائب الرئيس ومركز سكرتير واحد<sup>(4)</sup>، إلا أن هذا الإنجاز لم يكن ليحقق للمعارضة ظروفًا أفضل لأن اللجنة التنفيذية أخذت تفقد نفوذها التقليدي كما فشلت المعارضة في كسب تأييد الأعضاء المستقلين في اللجنة الذي كان باستطاعتهم مساعدتها في ذلك<sup>(5)</sup> مما دفع المعارضة إلى العودة للعمل على إضعاف الحاج أمين الحسيني والمجلس الإسلامي، حيث قدمت

---

1 بيان نويهض الحوت، القيادات والسياسة، ص 194.

2 بيان نويهض الحوت، م.ن، ص 208.

3 منوه سالم عبد الله، موقف الصحافة، ص 27.

4 صحيفة مرآة الشرق، القدس، العدد 511، 16 حزيران 1927.

5 ينظر: مناويل حساسيان، الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية 1919-1939، ص 155-156.

المعارضة التماسات عديدة للسلطات البريطانية تشكو من نواح متعددة لتصرف المجلس في إدارة شؤون المسلمين، والمطالبة بتعديل النظام الانتخابي للمجلس والمطالبة بتغيير اسمه إلى المجلس الأعلى لإدارة الأوقاف، وأن تكون الدورة الانتخابية لمدة ثلاث سنوات بدلا من تسع سنوات، وأن يكون المجلس أكثر تمثيلا مما هو عليه<sup>(1)</sup>، إلا أن هبة البراق عام 1929م أجبرت المعارضة على الانضمام إلى المفتي وإلى المجلس الإسلامي الأعلى وتأييد أعمال الهيئة لأن الناس يؤيدونها، فبذلت جهودا كبيرة لتوحيد الحركة الوطنية، فمثلا وجهت رسالة إلى صحيفة التايمز البريطانية بتاريخ 15 تشرين الثاني 1929م، تحمل توقيع راغب النشاشيبي والمفتي، وتكمن أهمية هذه الرسالة في تأكيدها على أن هذه الحركة الشعبية تحظى بجميع الفئات السياسية في الحركة الوطني<sup>(2)</sup>.

عادت المعارضة تطالب بضرورة إجراء انتخابات لرئاسة المجلس الإسلامي الأعلى في عام 1932م وأن تحدد مدة رئاسة المجلس الإسلامي بأربع سنوات كما هو الحال بالنسبة لوظائف الأعضاء، لكن السلطات البريطانية كانت تدرك عدم أهمية المعارضة وهذا ما ورد في تقرير للمندوب السامي (واكهوب) إلى وزير المستعمرات في 24 أيلول 1932م بقوله: "إن هؤلاء مقدمي الشكاوي (معارضو الحاج أمين) ليسوا رجالا هاميين حتى أن كثيرا منهم ليسوا محترمين في الوطن"<sup>(3)</sup>، إلا أن رغبتها في إضعاف الحاج أمين الحسيني دفعها لتقرير إجراء انتخابات جديدة لتعيين أعضاء جدد في المجلس وقد وافق الطرفان الحسينيون والنشاشيبيون على ذلك إلا أنها تأجلت ثم ألغيت نهائيا<sup>(4)</sup>.

كانت المحاولة الأخيرة للمعارضة في المؤتمر الوطني الذي عقد في يافا في 26 آذار 1933م، وبناء على اقتراح حزب الاستقلال أقر سياسة اللاتعاون بتخلي قادة الحركة الوطنية عن مناصبهم الحكومية والتفرغ للعمل السياسي، وسارع رؤساء البلديات على إبداء استعدادهم للاستقالة وعلى رأسهم راغب النشاشيبي، فما كان من الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي إلا أن اعتلى المنصة وبين

---

1 ينظر: مناويل حساسيان، الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية 1919-1939، ص154 . ص155.

2 مناويل حساسيان، م، ن، ص126.

3 تيسير جبارة، الحاج أمين، ص201.

4 تيسير جبارة، م، ن، ص202.

أهمية المجلس والمحاكم ودوائر الأوقاف والأيتام التابعة له، وتساءل عن سيتولاها إذا استقال هو من منصبه، واتهم المطالبين بالاستقالة بعدم التعاون مع الحكومة و بأنهم ينفذون دسياسة استعمارية ومؤامرة صهيونية على المؤسسات الإسلامية وأعلن عن بقائه في مناصبه وتمسكه بها<sup>(1)</sup>.

باءت كل محاولات المعارضين لإسقاط الحاج أمين بالفشل بسبب حالة الضعف التي كانت تعاني منها المعارضة نتيجة لتجزئتها وغياب الأهداف المشتركة وحيث لا يجمعها سوى مناهضتها لسياسة الحسينيين وزعامة الحاج أمين، حتى بدت في مطلع الثلاثينات أكثر اهتماما بمحاربة المجلسيين من اهتمامها بمحاربة العدو الحقيقي البريطاني والصهيوني، ومما أضعف المعارضة دعوة النهج الدبلوماسي في مواجهة البريطانيين، الأمر الذي جعلها تبدو وكأنها تقول بإمكانية الثقة بالبريطانيين بالإضافة إلى ضعف تمويلها وعلاقاتها المشبوهة مع الصهاينة مما كان له الأكثر في نفور الجماهير منها<sup>(2)</sup>.

أصبح مصطلح المعارضة مرادفا لعائلة النشاشيبي إلا أن مجموعة من العائلات المقدسية انضمت إليها، وكانت لكل عائلة أسبابها في معارضة الحاج أمين، فعائلة الخالدي مثلا كانت بزعامة الشيخ خليل الخالدي، الذي نال المرتبة الثانية في الانتخابات التي جرت عام 1921م لاختيار مفتي القدس وشغل منصب القائم بأعمال المفتي، عندما شغل المركز بوفاء كمال الحسيني بوصفه رئيسا لمحكمة الاستئناف الشرعية، ولذا فإنه كان يمارس مهام المفتي عندما تسلم الحاج أمين التعيين المثير للجدل، وكان يرى أنه يجب أن يشغل المنصب هو نفسه، ولم يكن مستغريا أن تصبح عائلة جار الله من المعارضة بعد أن أجبر الشيخ جار الله بالانسحاب من الترشيح لمنصب الإفتاء إثر حصوله على دعم النشاشيبيين<sup>(3)</sup>، أما عائلة الدجاني فكانت ترى أن تظل مفاتيح قبر الملك داود في حوزتها على افتراض أن جذورها تعود إلى الملك داود، لذا رفضوا تسليمه بعد تأسيس المجلس الإسلامي الأعلى، وكما يبدو

1 أحمد الشقيري، الأربعون عاما في الحياة العربية والدولية، ص133.

2 معتصم الناصر، الحياة السياسية العربية في القدس 1918-1934، ص97.

3 ينظر: مناويل حساسيان، الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية 1919-1939، ص85-ص86.

أنهم انضموا إلى المعارضة بعد إصرار المجلس الإسلامي على أن يكون القبر تحت سيطرته بوصفه السلطة الإسلامية العليا في فلسطين<sup>(1)</sup>.

لم يكن المسيحيون في معزل عن هذه الصراعات فبعضهم انجذب نحو المعارضة بسبب ميولها العلمانية والارتباط الديني لمنافسيها المجلسيين، وكان بعض هؤلاء ممن شغل مناصب رفيعة في الإدارة العثمانية السابقة، وشعر بعدم الطمأنينة مع وجود الحاج أمين الحسيني رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى ومهما كانت الأسباب التي دعتهم للانضمام إلى المعارضة فقد كون المسيحيون فئة كبيرة ضمت أشخاصا ذوي نفوذ منهم نائب رئيس اللجنة التنفيذية العربية<sup>(2)</sup> وهكذا فإن أكبر مساعدة قدمها المسيحيون للمعارضة في مجال العلاقات العامة من خلال سيطرتهم على الصحافة، حيث كانت الصحف الثلاث الرئيسية في البلاد، هي الكرمل، وجريدة فلسطين، وجريدة مرآة الشرق، حيث كانت جميعها مؤيدة للمعارضة<sup>(3)</sup>.

### المطلب الثالث: الحياة الفكرية:

أدرك الغرب أن العالم العربي بخصائصه وحسن موقعه الجغرافي وأهميته السياسية يحسن الاضطلاع برسالة الإسلام، ويستطيع أن يتقلد زعامة العالم الإسلامي ويزاحم أوروبا وينتصر عليها، إذا تمسك برسالة الإسلام، لذلك واجه العرب دعوات فكرية هدامة منها:

1- **الدعوة إلى الارتقاء في أحضان الغرب:** وأخذ حضارته دون وعي ولا تمييز، وقد ترجم هذا الاتجاه كثير من الذين تقدموا إلى الصفوف الأولى في قيادة الأمة، بعد زوال الخلافة العثمانية، ومنهم قاسم أمين وطه حسين وغيرهم<sup>(4)</sup>.

- 
- 1 مناويل حساسيان، الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية 1919-1939، ص86.
  - 2 عجاج نويض، الحاج محمد أمين الحسيني: مجلة شؤون فلسطينية، العدد 36، آب 1974، ص145.
  - 3 مناويل حساسيان، م.س، ص89.
  - 4 جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ص180.

ففي كتاب "اليوم والغد" يرى أن مصر جزء من أوروبا وليست جزءا من آسيا (أي من الإسلام)، ويرى "أننا إذا أخلصنا النية مع الإنجليز فقد نتفق معهم إذا ضمنا لهم مصالحهم، وهم في الوقت نفسه إذا أخلصوا النية لنا فإننا نقضي على الرجعية في مصر وننتهي منها، فلنول وجهنا شطر أوروبا"<sup>(1)</sup>.

أما عن أوضاع المرأة المسلمة في مصر حيث ورد في كتاب المرأة الجديدة: "يقول هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه، وليس له دواء إلا أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا شؤون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها، وإذا أتى ذلك الحين . ونرجو ألا يكون بعيدا . انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربي، وتيقنا أن من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا، إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية"<sup>(2)</sup>، وتقاطرت البعثات على الدول الأوروبية من أبناء المسلمين استكمالا لتعليمهم العالي وما ماثله، وكانت هذه هي نهاية المطاف في الإجهاز على بقايا الإسلام وطباع الشرق وعاداته في نفوس أكثرهم، حيث لا يرجعون إلا وقد تأثروا بوجهة الغرب وفلسفته، أو أخذوا طريقة العيش الأوروبي، وبذلك أصبحوا رصيذا في حساب أعداء الإسلام بالسلوك والتربية، لإحداث الانقلاب الجذري في حياة المسلمين من حيث علموا أو جهلوا، ومن حيث أرادوا أو انساقوا مع التيار بلا فهم ولا وعي، وقد عم هذا الأسلوب بلاد الإسلام"<sup>(3)</sup>.

2- احتقار الماضي الإسلامي وتربية الأجيال تربية علمانية (لا دينية) حديثة: والاتجاهات الفكرية التي حملت وزر هذا، تلك التي دعت إلى الارتباط بالماضي التاريخي الغامض، البعيد، السابق على ماضيهم الإسلامي الحي، ودعوة إحياء الحضارات القديمة ظهرت في وقت واحد في كل من تركيا ومصر والشام والعراق<sup>(4)</sup>، حيث يقول أحد المستشرقين: "إننا في كل بلد إسلامي دخلنا،

1 محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، 222/2.

2 قاسم أمين، المرأة الجديدة، ص 192 . ص 193.

3 عبد الستار فتح الله، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص 74.

4 جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ص 182.

ونبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وتلك الحضارات"<sup>(1)</sup>.

ومن تلك الدعوات الفرعونية في مصر: التي أطلقت برأسها عند الحملة الفرنسية لمصر سنة 1798م فقد استصحب معها بعثة علمية للتنقيب عن آثار الفراعنة، وتم انشاء معهد الآثار الفرعونية في حي المنيرة بالقاهرة وما يزال قائما مكانه إلى اليوم، فنشط دعائها لغزو الأقطار بها وملؤا أبصار قارئ الصحف، وأسماع شاهدي الندوات بالدعاية لها، ورسموا رأس أبي الهول على طوابع البريد وعلى أوراق النقد واتخذة النحات محمود مختار شعارا لتمثال نهضة مصر الذي وضع نموذجه في باريس عام 1920م<sup>(2)</sup>.

واتخذت كل كلية من كليات الجامعة شعارا لها يمثل وثنا من معبودات الفراعنة، ونقلت رفات سعد زغلول بعد وفاته بثلاث سنوات إلى ضريح بني علي الطراز الفرعوني، وأصبحت هذه الجامعة الفرعونية دعوة انفصالية، تنزع العربية، ورأت في العرب غزاة دخلاء كاليونان والرومان سواء بسواء، وتزعمت صحيفة السياسة الأسبوعية هذا الاتجاه فأفسحت صدرها لدعائه ، إلى أن عدل من اتجاهه إلى الاتجاه الإسلامي<sup>(3)</sup>.

وأثيرت الفنيقية في لبنان، والأشورية والسومرية والبابلية في العراق، والكنعانية في فلسطين، والبربرية في المغرب، والفارسية في إيران لعزل هذه الأجزاء عن بعضها والتفريق بينها تفريقا يحول دون التقائها في وحدة واحدة قوية، كأن ذلك كان مبررا للدعوة العبرية اليهودية في فلسطين، وقد عرضت مناهج الدين والتاريخ الإسلامي بالذات، عرضا منفرا مغرضاً يجعلها على هامش المنهج الدراسي، مما يغرس في نفوس الأطفال والتلاميذ والناشئة عامة عدم الاهتمام بهما، ويطبعمهم على الاعتقاد بعدم جدواهما

---

1 محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص202.

2 جميل المصري، م.س، ص182.

3 محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، 149/2.

دراسيا، ويرسب في نفوسهم بالتالي الاستخفاف بالدين من حيث هو سلوك وعبادات وبالتاريخ الإسلامي من حيث هو سجل لأمجاد الأمة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

3- **العمل على تطوير المعاهد الدينية وخاصة الأزهر في مصر:** الأزهر كما نعرف أعرق المعاهد الدينية الإسلامية، بل هو أعرق جامعة في العالم كله، وقد استطاع بفضل الأوقاف العديدة التي وقفها عليه أغنياء المسلمين خلال عصره الطويل، وبفضل ما كان يتمتع به علماءه من هيبه ومكانة، أن يحمي العلوم الإسلامية والعربية بعيدا عن أن تمتد إليها يد الملوك والحكام بالتغيير والتبديل<sup>(2)</sup>.

وظل هذا المعهد الوحيد بمنأى عن العبث ببرامج التعليم فيه، في حين امتدت يد المحتل الأوروبي إلى كل برامج التعليم في مصر، فشكّلها حسب ما تقتضي مصالحه، ورسخت مكانته حتى احتل مكانا مرموقا في العالم الإسلامي كله، يتوارد عليه الطلاب من شتى بقاعه، ثم يعودون إلى بلادهم ينشرون فيها الوعي الإسلامي، وينشرون معه فضل الأزهر ويشيدون به، ويدعمون مكانته في نفوس الناس، وازدادت مكانته بعد سقوط الخلافة العثمانية فأصبح رمز الجامعة الإسلامية<sup>(3)</sup>، والقلعة الإسلامية التي حسب لها أعداء الإسلام كل حساب، وكان فيه رجال يلتهبون غيرة على الإسلام، وأدرك نابليون عند غزوه لمصر أهمية الأزهر فحاول استمالة علمائه، فلما فشل ضربه بالقنابل من القلعة، واتخذة اصطبلا للخيال<sup>(4)</sup>.

من أجل ذلك كله تعرض الأزهر لمقت أعداء الإسلام وصب اللعنات من قبل دعاة التغريب واللاذنيين، حتى جعلوه رأس المشاكل الثقافية في مصر، والعقبة الكؤود في سبيل النهضة، وكان المستعمر قد وضع خطة للإبقاء على نفوذه ونفوذ المعاهد الإسلامية الأخرى كالقرويين في فاس، والزيتونة في تونس وتهوين مركزه حيث وقفوا في طريق علمائه وحالوا بينهم وبين مراكز القيادة ومناصب الحكم، ووظائف الإدارة وأشاعوا بين الناس أنهم يهدفون إلى تكريم الدين على أن يكون

1 عبد الستار فتح الله، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص70.

2 محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، 176/2.

3 محمد حسين، م.ن، 176/1.

4 جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ص183.

الإسلام على حد تعبيرهم بعيدا عن السياسة، ويمعزل عن الحكم، فأعفوا علماء الدين من التجنيد وأسقطوا الجهاد عن حفظ كتاب الله فأبعد القرآن وتعاليم الدين عن المدارس والمحاكم وسائر دواوين المحاكم<sup>(1)</sup>.

وصدرت قوانين تطويع الأزهر باسم تطويعه تباعا من عام 1936م إلى عام 1976م، وتم التطويع في عهد الاستقلال وكان ثمرة من ثماره: حيث تم إلغاء القضاء الشرعي جملة وإدماج محاكمه في دوائر تابعة للمحاكم الأهلية التي قامت من أول يوم على القانون الوضعي، فقد ألغيت المحاكم الشرعية المصرية، وأدخل القانون الوضعي في صلب البرامج الدراسية لكلية الشريعة بجامعة الأزهر وسميت كلية الشريعة والقانون بموجب قانون يعرف باسم قانون تطويع الأزهر<sup>(2)</sup>.

### المشروع الإيراني تجاه الشرق الأوسط ونشر التشيع :

أوجد مشروع إيران انقسامًا حادًا في الأمة الإسلامية ما بين المعارض لهذا المشروع وما بين المؤيد له، فالإيران تاريخ قديم متجذر بمنطقة الشرق الأوسط، ولها امتدادات اجتماعية وثقافية وديموغرافية واقتصادية معقدة، الأمر الذي أدى إلى أن تقوم إيران تاريخيا بلعب أدوار إقليمية في مواضع جغرافية شتى، وبالأخص في ذروة المواجهة بين المعسكرين الغربي والشرقي، فكان دورها مكملًا للسياسة الأمريكية والبريطانية في منطقة الخليج العربي، في الوقت الذي بلغت فيه أوج مجدها السياسي والعسكري، في ظل سياسة الشاه محمد رضا بهلوي الطموح، ومساندة القوى الخارجية<sup>(3)</sup>، وبرزت التطلعات الإيرانية نحو جوارها الجغرافي في محاولة من نظام الشاه لتجاوز المشاكل الداخلية التي كان يواجهها المتمثلة بحدوث العديد من الاضطرابات داخل إيران، التي كانت مصدرا لقلق الشاه الذي ما لبث أن شغل الشعب بمنازعات خارجية من أجل تحقيق الالتفاف الشعبي حول قيادته وشغله عن

1 أنور الجندي، العالم الإسلامي، ص345.

2 عبد الستار فتح الله، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص132.

3 توماس مالتير، الجزر الثلاث لدولة الإمارات العربية المتحدة، ص133.

مشاكله الداخلية<sup>(1)</sup>، فجاءت المطالبة بالبحرين والجزر الإماراتية كتعبير عن تلك التطلعات في مسعى لتحريك الشارع الإيراني وتحفيزه بمبررات الحق التاريخي الفارسي في هذه المناطق<sup>(2)</sup>.

ثم ظهرت بوادر المشروع الإيراني في الشرق الأوسط، وتحديدا في المنطقة العربية بعد الثورة الإسلامية في إيران عام 1979م، عبر إطلاق شعار تصدير الثورة الذي كان مجرد بداية لعلاقة صعبة مع العرب تجاوزت مرحلة الإملاءات التي كان يمارسها نظام الشاه، كما أنها لم تقتصر على تحريك النزاع القومية الفارسية ضد العرب، فأصبحت تعبر عن مزيج من السلطة الدينية والميراث القومي، وإرادة السيطرة والاستحواذ والرغبة بالسيادة الإقليمية، والسعي للحصول على مكانة دولية بالقوة وإرادة الإرغام<sup>(3)</sup>.

وتنوعت مرتكزات المشروع الإيراني في منطقة الشرق الأوسط بين عدد من الأبعاد، من أبرزها:

1- **البعد الأيديولوجي:** تؤكد الرؤية الإيرانية ومن خلال الخطاب الديني أن الرسالة التي تحملها الثورة الإسلامية هي ما يحتاج العالم إليه اليوم، وهذا يفسر الإصرار الإيراني على الاستمرار في تصدير هذه الثورة كواجب إلزامي انطلاقا من تعدد مراحل الثورة وهي: اليقظة الإسلامية ومرحلة انتصار الثورة، ومرحلة استقرار النظام وإقامة الحكومة الإسلامية ومرحلة تنظيم البلاد والمجتمع الإسلامي وانتهاء بإقامة الحضارة الإسلامية الحديثة، وبهذا فإن الثورة الآن بمرحلة استقرار وإقامة الحكومة الإسلامية<sup>(4)</sup>.

2- **البعد الأمني:** تعرض الأمن القومي الإيراني إلى تحديات عدة فرضتها أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 وذلك بعد تعاظم الوجود الأمريكي في الشرق الأوسط، سواء في أفغانستان وآسيا

---

1 فهمي هويدي، العرب وإيران: وهم الصراع وهم الوفاق، ص 46.  
2 جون هوليداي، النفط والتحرر الوطني في الخليج العربي، ص 79.  
3 نظام بركات وآخرون، مشاريع التغيير في المنطقة العربية ومستقبلها، ص 343.  
4 محمد السعيد عبد المؤمن، رسالة النظام الإيراني إلى العالم في المستجدات السياسية والعلاقات الدولية، ص 22.

الوسطى والخليج العربي والعراق، خاصة أن قضية مخزونات الطاقة أضحت مرتبطة بقضايا وأسلحة الدمار الشامل<sup>(1)</sup>.

لهذا سعت إيران في مشروعها إلى انتزاع دور إقليمي تراه إيران حقا لها، من يد الولايات المتحدة الأمريكية القطب العالمي الأوجد والمؤثر في منطقة الشرق الأوسط، باستغلال غياب المشروع الإقليمي العربي، وتخطب السياسة الأمريكية في حسابات المنطقة، إذ تقدم إيران مثالا جديدا في نظام العلاقات الدولية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي والمعسكر الاشتراكي، عن كيفية انتزاع دور القوة الإقليمية دون أن تستغل طموحاتها بقوة عظمى، واللافت للنظر أن المشروع الإيراني قد حقق حتى الآن نجاحات واضحة في تثبيت حضوره على طول الخليج وعرض شرق المتوسط<sup>(2)</sup>، إذ انطلقت سياسة إيران في الخليج من كونها قوة مركزية تطل على سواحلها الشرقية، وتتحكم في ثرواته المائية وصادراته النفطية، وهي تولي موضوع الأمن في الخليج جل عنايتها في مواجهة التهديدات أو التدخلات من خارج الإقليم، لكنها انتهجت سياسة ديناميكية تستجيب لتحولات النظام الدولي وانعكاساتها على منطقة الخليج، فإيران تتفادى المجابهة مع الولايات المتحدة، وتسعى لتطوير علاقاتها مع دول الخليج العربي والعديد من الدول العربية الأخرى كالأردن والمغرب وتونس والسودان، وسار الخطاب السياسي الإيراني بصورة عامة في معارضة سياسة الولايات المتحدة في الخليج، إلا أنها في الممارسة السياسية تبنت مجموعة من الخطوات التي تعبر عن حركية في المواقف توازن بين إحساسها بمخاطر المجابهة مع النظام الدولي وعدم الإدعان الكلي لهذه السياسات<sup>(3)</sup>.

وقد ركزت إيران من ناحيتها على مقاومة السياسة الأمريكية في المنطقة عبر مقارنة شاملة لقضايا المنطقة من خلال محاولة عسكرة المجتمعات العربية: "العراق، فلسطين، لبنان" وفرض الميليشيات التي تمولها داخل هذه الدول، وربط استقرار هذه المجتمعات بقبولها دور إيران الإقليمي، ومحاولة

1 شاهرام تشوبين، طموحات إيران النووية، ص18.

2 مصطفى اللباد، قراءة في مشروع إيران الاستراتيجي تجاه المنطقة العربية: مجلة شؤون عربية، العدد 129، ص34.

3 إيما ميرفي وآخرون، أمن الخليج العربي في ظل النظام الدولي الجديد، ص61.

تحويل الصراعات في المنطقة من قومية إلى دينية وحضارية حتى تضمن أن يكون لها دور رئيسي فيها، بالإضافة للسير بخطا متسارعة للمضي قدما في برنامجها النووي<sup>(1)</sup>.

لكن العلاقات الإيرانية مع دول منطقة الشرق الأوسط وبالأخص العربية منها، لم تعرف مسارا واحدا منذ قيام النظام الإيراني الإسلامي عام 1979م، فقد تباينت تلك العلاقة وتفاوتت بين التوتر والتراجع كالعلاقات مع مصر والسعودية والعراق (قبل الغزو عام 2003 م)، إلى إستراتيجية بدأت واستمرت مع سوريا وبعض القوى المحلية العربية في لبنان وفلسطين أو علاقات تراوحت بين الدفاء والبرودة والتوتر والقلق مع عدد من الدول الخليجية، أي أن علاقات إيران قد تقلبت ولم تستقر، خاصة بعد تغيير نظام الحكم في العراق عام 2003م، إذ انتقلت من حالة الحرب والعداء المزمّن إلى مد النفوذ والتحكم بالشأن العراقي والتلاقي مع معظم القوى السياسية في العراق، وقد حدثت تحولات داخلية في إيران عبر سيطرة المحافظين في السنوات الأولى من عمر النظام الجمهوري إلى الإصلاح في عهد الرئيس محمد خاتمي، ومن ثم العودة إلى حكم المحافظين غلى يد محمد أحمدي نجاد، إذ أثرت هذه التحولات بالإضافة للمتغيرات الإقليمية والدولية الأخرى، في مجرى العلاقات العربية الإيرانية التي دفعت إيران لاتباع إستراتيجية جديدة تجاه منطقة الشرق الأوسط على مستوى الأدوات والتفاعلات<sup>(2)</sup>. لكن رغم ذلك لا زال الدور الإيراني يضطلع بدور واسع على المستوى الإقليمي بالاعتماد على عدد من الأدوات والآليات التي تمكنه من السير بذات الطريق الذي انتهجه، ومن أهم هذه الأدوات الآتي:

1- **الفعاليات السياسية الشيعية في العراق:** تملك إيران مفاتيح عديدة للمشكلات الأمنية التي يعاني منها الوضع الداخلي في العراق بعد تغيير نظام الحكم جراء الاحتلال الأمريكي عام 2003، وقد ساعد هذا الأمر إيران في تقوية نفوذها الإقليمي بعد أن اتفقت التوجهات الإيرانية في المنطقة مع

---

1 رفعت السعيد، حسابات السياسات العربية وعلاقتها بالتطورات الجارية بالمنطقة: مجلة شؤون عربية، العدد 132، ص7.

2 عزمي بشارة وآخرون، العرب وإيران مراجعة في التاريخ والسياسة، ص89.

نظام الحكم في العراق نتيجة التقارب النسبي بين المعتقدات الدينية بين البلدين القائم على وجود أغلبية شيعية، فضلا عن العلاقات المتميزة التي تقيمها بعض الأحزاب والحركات السياسية العراقية مع إيران، التي جرى تأسيسها في إيران خلال فترات سابقة إبان مرحلة المعارضة لنظام الحكم السابق، الذي تتهمه الولايات المتحدة وبعض الأطراف العراقية بتقديم معدات عسكرية للميليشيات الشيعية الناشطة بشكل لافت للنظر<sup>(1)</sup> والتابعة لعدد من الأحزاب السياسية، قد جرى دمجها مع القوات النظامية بعد إنشاء المؤسستين العسكرية والأمنية العراقية، فضلا عن الدور الذي تلعبه العديد من القيادات الشيعية الهامة التي سبق أن اتخذت من إيران ملاذا لها ومنطلقا لنشاطاتها ضد النظام العراقي السابق، والتي عادت بعد عام 2003 م لتشارك في السلطة<sup>(2)</sup>.

2- **مقلدو المرجعية الدينية في إيران من مواطني دول الجوار الإيراني سوريا ولبنان:** أخذت العلاقات الإيرانية بالشيعية من مواطني دول الجوار أشكالاً مختلفة عن تلك العلاقات في كل من سوريا ولبنان، إذ تقيم إيران علاقاتها مع الشيعة في دول الخليج العربي من خلال أحزاب وهيئات وطوائف، سواء كانوا أغلبية كما هو الحال في البحرين أو أقلية كما بقية دول مجلس التعاون الخليجي، في ظل فتور العلاقة في أحسن الحالات بين إيران والأنظمة الحاكمة في هذه الدول، لذلك بأنه يغلب الطابع السري على تلك العلاقة باعتبارها علاقة أيديولوجية في المقام الأول، فيما يغلب الطابع السياسي على العلاقة بين النظامين الإيراني والسوري نظرا لاختلاف أيديولوجيتهما، فالنظام الإيراني شيعي اثنا عشري متشدد والنظام السوري بعثي علماني، أما ما يخص العلاقة مع لبنان فهي تجري من خلال حزب الله الذي يرتبط بإيران بعلاقات أيديولوجية تتجاوز سقف السياسة إلى التحالف المرجعي الديني كما سابقا<sup>(3)</sup>.

- 
- 1 باكينام الشرقاوي، طبيعة المشروع الإيراني في المنطقة، [www.onislam.net](http://www.onislam.net).
  - 2 طابيل العدوان، الإستراتيجية الإقليمية لكل من تركيا وإيران نحو الشرق الأوسط (ماجستير)، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2013، ص133.
  - 3 ينظر: أبو بكر الزهيري، التوجهات الإيرانية في المنطقة العربية وأثرها على الأمن القومي، ص89 . ص91.

## إيران ونشر التشيع:

يمكن النظر إلى اهتمام إيران بإقامة علاقات مع دول العالمين العربي والإسلامي كجزء من الاهتمام الإيراني المتنامي؛ لمحاولة بناء تحالفات إقليمية ودولية تستطيع من خلالها مقاومة العزلة والعقوبات الدولية المفروضة عليها؛ بسبب برنامجها النووي، ومن خلال تلك العلاقات قامت إيران بنشر التشيع بين أبناء تلك الدول، ومن بينها: الجزائر والمغرب والسودان وجزر القمر على سبيل الذكر لا الحصر:

### أ- جزر القمر:

حيث استفادت إيران من فقر جزر القمر، حيث تعد من أفقر ثلاث دول في العالم لتتسلل عبر الأعمال الإنسانية وجمعيات الإغاثة، بالإضافة إلى غياب الدور العربي في جزر القمر وأزماتها، واحتياجاتها، فالدولة العربية الوحيدة التي تمتلك سفارة لها في موروتي هي ليبيا، كما أن الجامعة العربية نفسها لا تمتلك مكتب اتصال دائم في الجزر<sup>(1)</sup>.

بالإضافة إلى تولي الرئيس سامبي منصب الرئاسة في الجزر (وهو موالى لإيران) والذي حرص على تقوية علاقات بلاده مع إيران، ففي شهر حزيران 2008م زار سامبي إيران على رأس وفد اقتصادي . سياسي رفيع المستوى، وأكد على ضرورة الاستفادة من تجارب الخبراء الإيرانيين في تنمية بلاده، حيث وقع البلدان ثلاث مذكرات تفاهم للتعاون في مجالات التعليم المهني، والتشجيع المتبادل للاستثمارات، وتقديم إيران مساعدات لجزر القمر<sup>(2)</sup>.

وفي ظل تلك الأجواء أصبحت إيران قوة مؤثرة في جزر القمر، واستطاعت أن تقيم عددا من الهيئات والمؤسسات الخيرية والاجتماعية والثقافية، واستغلالها لنشر التشيع وأهمها:

1- لجنة إمداد الإمام الخميني: ويرأسها الإيراني محمد جلاي ومقرها على الطريق الرئيسي

المؤدي لمطار العاصمة، حيث تقوم اللجنة بأنشطة مختلفة؛ أهمها : تنظيم دورات تدريبية مدتها 3

1 عماد زكريا، جزر القمر...احتلال فرنسي ونفوذ إيراني وإهمال عربي (مقال)، موقع لواء الشريعة، 2009/4/1.

2 أسامة شحادة وهيثم الكسواني، الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم، ص242.

شهور لتعليم الشباب القمري الحرف المختلفة وكيفية استخدام الكمبيوتر، بالإضافة إلى رعاية الأسر الفقيرة.

2- مستوصف الهلال الأحمر الإيراني: ومكانه في العاصمة بجوار السفارة الليبية ونشاط المركز الطبي يدور حول الرعاية الصحية لأفراد الشعب القمري مجاناً.

3- مركز التبيان العلمي والثقافي بوسط المدينة حيث يقوم بعقد دورات لتعليم اللغة الفارسية، ويقدم بعثات دراسية إلى إيران.

#### ب- الجزائر:

لا تتوفر معلومات وأرقام عن حجم التشيع في الجزائر؛ غير أن بعض المراقبين يقدرون عدد الشيعة في الجزائر بالمئات اليوم، وأن عددهم كان لا يتجاوز العشرات في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات، وقد كان أول نشاط علني لشيعة الجزائر سنة 2006م؛ حيث أقام عشرات المتشيعين في شوارع مدينة عين تيموشنت الواقعة في غرب الجزائر طقوس الشيعة في يوم عاشوراء؛ كما يحصل في إيران أو العراق أو لبنان<sup>(1)</sup>.

وهناك عدد من الجزائريين قد سافروا للدراسة في الحوزات العلمية في إيران وسورية، ومنهم من رجع خلال المدة الأخيرة إلى الجزائر، وبينهم من بقي هناك؛ كما حدث مع عبد الباقي قرنة؛ الذي التحق بالحوزات العلمية بعدما كان سفره يقتصر على الحسينيات والزيارات؛ التي هي مقدسة لدى الشيعة، والآن هو يقوم بتقديم برنامج "معا على الهواء" في قناة الكوثر التلفزيونية الشيعية وله كتاب تحت عنوان: "الوهي والحقيقي في سيرة عمر بن الخطاب"، نشر فيه الكثير مما سمها فضائح التاريخ الإسلامي<sup>(2)</sup>.

1 الصايبي الحربي، انتشار التشيع في الجزائر، موقع (ملئقى أهل الحديث). <http://www.ahlalhdeth.com>.

2 أنور مالك، الشيعة والتشيع في الجزائر: حقائق مثيرة عن محاولات الغزو الفارسي، <http://www.ahewar.org>.

ويقدّر عدد الجزائريين المنتمين إلى حلقات وصفوف الحوزة العلمية بمدينة قم بـ 50 جزائريا، ويحظى هؤلاء برعاية خاصة من قبل السفارة الجزائرية هناك؛ كونهم يشكلون أغلبية الجالية الجزائرية في إيران، ويشار إلى أن السفارة نظمت في عام 2010 م زيارة جماعية لهؤلاء من مدينة قم إلى العاصمة الإيرانية؛ للمشاركة في إحدى المناسبات الوطنية؛ حيث أرسلت لهم حافلة لنقلهم جماعيا، حيث أوضحت صحيفة الشروق في تاريخ 2010/5/10 م أنه يوجد من بين الجزائريين في مدينة قم مهاجرون اختاروا الاستقرار نهائيا في قم؛ حيث تزوجوا هناك، بينما البعض الآخر لا زال ضمن حلقات العلم، ولم يتم التأكد إن كانوا سيستقرون في المدينة أم يعودون إلى أرض الوطن<sup>(1)</sup>.

ومن أهم أسباب انتشار التشيع بين الجزائريين وجود جاليات شيعية من العراق وسوريا ولبنان في الجزائر ونشاطهم بين أقربائهم وزملائهم وطلابهم ، وتأثير الفضائيات الشيعية ومن ضمنها دعاية حزب الله اللبناني بالإضافة إلى الخواء الروحي بين الشباب وسطحية الخطاب الديني الرسمي بعد أحداث الجزائر الدموية.

## ج - السودان:

إن نشر التشيع في السودان كان بسبب عمل منظم ومن قبل جهات شيعية متعددة إيرانية وعراقية، مما يشف عن خطورة القضية، وأنها ليست قضية عفوية، بل هي قضية تمس الأمن القومي السوداني ، وممن عرف أن له جهودا في نشر التشيع في السودان: الكاتب والباحث العراقي أحمد الكاتب نيابة عن المرجع الشيعي محمد تقي المدرسي والتيار الشيرازي ، حيث يقول الكاتب: "وفي عام 1985م دعاني السيد المدرسي إلى التدريس في حوزة الإمام القائم الني كان يشرف عليها، وتضم طلبة من السعودية والخليج وبعض العراقيين والأفغان وغيرهم ، وكانت أشبه بمدرسة كوادر حركية منها بحوزة

---

1 أسامة شحادة وهيثم الكسواني، الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم ،ص219.

علمية؛ حيث كان الطلبة يجمعون بين الدراسة الفقهية والإسلامية، وبين العمل التنظيمي، والقيام بمهام أخرى مختلفة<sup>(1)</sup>.

وبعد سقوط نظام النميري في السودان قررنا (والكلام هنا لأحمد الكاتب) إنشاء فرع للحركة في السودان، وقمت بالسفر عبر سوريا والقاهرة إلى الخرطوم، وبقيت حوالي أربعين يوما؛ قمت خلالها بالاتصال بمجموعة طلبة جامعيين، وشيعت بعضهم، ثم دعاني هؤلاء إلى الحوار مع بعض أصدقائهم السلفيين؛ فذهبت إلى دارهم، وجلست معهم إلى آخر الليل، وفي الصباح سألت أحدهم صاحبه: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت شيعيا، وبعد أن طونت نواة شيعية؛ قمنا بجلب بعض الأخوة إلى الحوزة العلمية ليشكلوا بداية حركة شيعية في السودان، وبالطبع لم تكن للحكومة الإيرانية أية علاقة بالموضوع<sup>(2)</sup>.

وفي حوار مع المتشيع السوداني معتصم سيد أحمد: "هناك تشيع في السودان منذ 1986م بتوجيهات مباشرة من سماحة المرجع المدرسي، ومجموعة من الطلبة في حوزة الإمام القائم العلمية؛ فقد جاؤوا إلى السودان وأسسوا مركزا وجمعية أسموها: "جمعية الرسالة والتضامن الإسلامية"، فكانت هي اللبنة الأولى والأساس في نشر التشيع في السودان، واستمر التشيع في السودان من تلك الفترة واستطاع خلال هذه الفترة أن يخترق كل طبقات المجتمع، وأثر في كل التكوينات الاجتماعية؛ سواء على مستوى النخب الثقافية والفكرية، أو على مستوى عامة الناس<sup>(3)</sup>.

وأخيرا يذكر أن جمعية الصداقة السودانية الإيرانية من أهم المؤسسات الشيعية والعاملة على نشر التشيع في السودان.

د - المغرب:

- 
- 1 أسامة شحادة وهيثم الكسواني ، م.ن ،ص135-ص136.
  - 2 أحمد الكاتب ،سيرتي الفكرية والسياسية ....من نظرية الإمامة إلى الشورى (الانترنت).
  - 3 أسامة شحادة وهيثم الكسواني،الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم ،ص137.

لا يخفى على أحد الجهود الرسمية الإيرانية المبذولة في نشر التشيع في المملكة المغربية، حيث ينشط الملحق الثقافي الإيراني في المغرب، ومن أهم الأساليب: استقطاب الشباب عبر البعثات التعليمية للجامعات والحوزات في إيران، ونشر وتوزيع الكتب والمجلات الشيعية والإيرانية مثل مجلة كيهان العربي، ومجلة الوحدة الإسلامية، وصوت الثورة الإسلامية في العراق، ومن الكتب: كتاب: "ثم اهتديت" للتيجاني السماوي، وكتاب "بحث حول الولاية" لمحمد باقر الصدر، وغيرها<sup>(1)</sup>.

وقد أشار عدد من المسؤولين المغاربة إلى دور السفارة في نشر التشيع؛ فقد أشار وزير الخارجية الطيب الفاسي الفهري إلى بعض الحركات والعمليات التي تقوم بها الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ والتي تمسّ داخل الوطن المغربي بوحدة السنة المالكية في المملكة المغربية، وقد كشفت الوثائق التي فضحها موقع ويكيليكس عن قيام طهران بتوظيف سفارتها في المغرب من أجل نشر المد الشيعي في السنغال ومالي<sup>(2)</sup>.

كما صرح مسؤول في وزارة الخارجية والتعاون المغربية أنه منذ 2004 م بدأت من جديد أنشطة الدبلوماسية الإيرانية بشكل مباشر أو غير مباشر بتشجيع عمليات توسع المد الشيعي؛ التي ترعاها مراكز ثقافية تعمل بشكل مباشر مع العمل الدبلوماسي الرسمي.

واعتبر عضو رابطة علماء المغرب عبد الباري الزمزمي سبب تزايد المد الشيعي بالمغرب هو: الإغراء المادي الذي تقدمه السفارة الإيرانية عبر المكافآت المالية والمنح الدراسية<sup>(3)</sup>.

---

1 أسامة شحادة وهيثم الكسواني، الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم، ص167.

2 موقع هسبريس، 2010/12/3، <http://www.hespress.com>.

3 تاريخ 2009/3/18، موقع قناة العربية الإلكتروني، <https://www.alarabiya.net/>.

## الفصل الرابع: تصورات لتحقيق الوحدة الإسلامية في الوقت المعاصر

---

المبحث الأول: من الناحية العقدية

المطلب الأول: إعادة الدور الريادي للمسجد

المطلب الثاني: التصدي للفكر الإلحادي والعلماني

المطلب الثالث: التصدي لأهل البدع وأصحاب الضلال والفرق المشبوهة

المطلب الرابع: العمل على إعادة دور العلماء في قيادة الأمة

المبحث الثاني: من الناحية السياسية

المطلب الأول: الاستغناء عن الدساتير والأحكام العلمانية والعودة إلى شرع الله

المطلب الثاني: وحدة العمل الإسلامي

المبحث الثالث: من الناحية التربوية

المطلب الأول: مراجعة مناهج التعليم والعمل على تطويرها

المطلب الثاني: تعزيز أصول جهاد النفس وأثرها على الفرد المسلم

المبحث الرابع: من الناحية الاجتماعية

المطلب الأول: العمل على إعادة مفهوم الأسرة ودورها في المجتمع

المطلب الثاني: تعزيز القيم الأخلاقية الإسلامية ومحاربة العادات الغربية الهدامة

## المبحث الأول

### من الناحية العقديّة

**المطلب الأول: إعادة الدور الريادي للمسجد:**

**الفرع الأول: دور الاستعمار في محاربة دور المسجد:**

لقد استقر في نفوس المستعمرين لبلاد المسلمين والمحتلين كالدول الصليبية، أنها ليست مخلدة في استعمارها للشعوب، ولا بد أن يأتي الوقت التي ترغم فيه على الانسحاب أو أن تتسحب برضاها، وكان المهم عندها أن تبقى ثقافتها وقيمها الكفرية معمولاً بها في بلاد المسلمين، وإبعاد الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة عن حياة المسلمين، وأن يبقى نظام الكفر الاستعماري هو الذي يحكم المسلمين في بلادهم، وقد صاحب هذا الغزو العسكري أو أتى بعده بقليل الغزو الفكري، الذي يهدف إلى إبعاد الإسلام من واقع الحياة، وحكم المسلمين بقوانين وضعية من وضع البشر تضاد الأحكام الشرعية، و قد استقر في روع المستعمرين أن للمسجد دوراً عظيماً في تحرير الأمة الإسلامية وبناء الدولة المسلمة، وعليه فإنه لا بد من تخريج حكام في المنطقة يتكلمون بلغة أهلها وقد تشربوا أفكار الغزاة ومبادئهم، واتبعوهم شبراً بشير وذراعاً بذراع، ومن الأمثلة على استهداف الاستعمار لدور المسجد، ما قام به الانتداب البريطاني في مصر من خلال بعض أذرعته الذي سيطر على مقاليد العملية التعليمية في مصر اللذين وضعوا خطة خبيثة للقضاء على الأزهر ومنافسته بالتعليم اللاديني، حيث بدأ دنلوب بإنشاء مدارس مدنية ليس القرآن ولا الدين من موادها الأساسية، كما هو الحال في الأزهر<sup>(1)</sup>، والمساس باستقلالية الأزهر المالية من خلال نقل أوقاف الأزهر إلى وزارة الخزانة<sup>(2)</sup>، كل ذلك خشية على وجود البريطانيين في مصر من الدور الريادي لمؤسسة الأزهر.

1 محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص 217.

2 أنور الجندي، عقبات في طريق النهضة، ص 157.

فقد وضع هؤلاء الغزاة بشقيهم العسكريين والثقافيين خطة خبيثة للمؤامرة على رسالة المسجد، ولقنوها لاتباعهم من الحكام الذين خلفوهم على سياستهم فبادروا فوراً إلى اتباع هذه السياسة ونشطوا في إشاعتها ونفت سمومها لتدمير المسجد والانحراف عما بنى له من غايات سامية وأهداف راشدة صالحة مصلحة، واستخدموا في سبيل تنفيذ هذه السياسة الاستعمارية أموراً كثيرة منها:

**أولاً:** حصر مهمة المسجد في أداء الصلوات فيه وإغلاقه بعد أداء الصلاة مباشرة، حتى لا يأتي عالم يحدث الناس فيه، ويقوم بتوعيتهم بل ومنع المتأخرين عن صلاة الجماعة من الصلاة فيه، ولقد حدث مع الشيخ محمد أبو فارس<sup>(1)</sup> أن جاء مسجداً ليصلي فيه وقد مضى على الوقت ساعة تقريباً، فوجد أبواب المسجد مغلقة ودورة المياه كذلك، فلم يجد مكاناً يقضي فيه حاجته، ولا متوضاً يتوضأ فيه، ولا مكاناً في المسجد يصلي فيه فعاد حسيراً، وقد حرم من الطهارة والصلاة في المسجد<sup>(2)</sup>.

**ثانياً:** عدم الحديث في شؤون الأمة الإسلامية وفصل الدولة عن الدين والدين عن الدولة، لقد أرادوا أن يكون المسجد كالكنيسة معزولاً عن حياة الأمة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية، وفي الوقت ذاته يطلبون من الخطباء والأئمة أن يؤيدوا الحكام والحكومات والأنظمة في المعاهدات مع أعداء الأمة المحتلين، ويطلبون من الناس أن يقوموا بالمحافظة عليها، وهم يأمرون الخطباء والمدرسين أن يدعوا مؤيدين ومباركين جهود الحكام في الوقوف مع الأمريكان ضد غير الأمريكان في احتلال الأوطان واستعباد الإنسان، إن هذا هو التناقض بعينه، حيث يريدون ألا يتدخل الخطيب في الأمور السياسية، كنفذ اتفاقيات السلام، ونقد الحكام وما يصدر عنهم من أخطاء وتأييدهم في تصرفاتهم القولية والفعالية.

**ثالثاً:** اختيار الأئمة والخطباء والمدرسين من أهل الموالات لهذه الأنظمة الحاكمة وإبعاد المعارضة عن هذه المساجد حتى يقوموا بغسل أدمغة الناس وتخديرهم وترويضهم على الإذعان للظلم والاستبداد

1 مؤلف كتاب دور المسجد في بناء الأمة والدولة.

2 ينظر: محمد أبو فارس، دور المسجد في بناء الأمة والدولة، ص 240-241.

مع أنه مر المذاق، بل أمر على النفس الأبية من مرارة المصاب والعلقم، وتعمم بعض وزارات الأوقاف على موظفيها بوجوب منع أي مدرس أو واعظ غير مرخص له بالتدريس وإخراجه من المسجد بالقوة إن لزم الأمر<sup>(1)</sup>، ومن أعاجيب الأمور ما يحصل في بعض الشعوب الإسلامية التي لا ينطق أهلها اللغة العربية، ولا يفهمون الحديث بها، من التزام كثير من خطباء الجمع بقراءة خطبة الجمعة من كتب أكل عليها الدهر وشرب باللغة العربية، والناس لا يفهمون شيئاً مما يقول، ولا يترجم لهم ما يقول، لعجزه في الغالب عن ذلك<sup>(2)</sup>.

**رابعاً:** طرد الأولاد من المساجد: وهناك سياسة هي إبعاد الأطفال عن المساجد، وصرف أنظارهم وتوجيههم إلى النوادي غير الإسلامية في الأهداف وفي التربية، بل إلى اللهو المحرم والأخلاق الذميمة، وأحياناً يحتجون بالحرص على نظافة المسجد، وأن الأطفال لا يحافظون على نظافة المسجد بل يتلفون الأثاث والسجاد ويبذرون في الماء ويسرفون، والأولى أن توثق صلة الأطفال بالمسجد عن طريق أن يصطحب الآباء أبناءهم حين يذهبون إلى المسجد لإقامة الصلاة فيه جماعة<sup>(3)</sup>، ويغرسون في نفوس أطفالهم حب بيوت الله . تعالى . والحث على العناية بها ونظافتها واحترامها والهدوء فيها<sup>(4)</sup>.

### الفرع الثاني: دور المسجد في تحقيق أمن الفرد:

المسجد بما يقوم به من دور في التربية الروحية وغرس الإيمان بالله . تعالى . وإخلاص العبادة له وحده في نفوس الأفراد، فإنه بذلك يبعد عن المسلمين شبح اليأس والخوف لأنهم يعلمون تمام العلم بأن الله . تعالى . قادر على كل شيء وعالم بكل شيء وهو الذي يحيي ويميت، ولن يصيب الإنسان شيء إلا الذي كتبه الله . تعالى . له أو عليه ومن هنا تهدأ النفوس وتتوكل القلوب على الله . تعالى . ويعمل كل واحد ما عليه، ويقوم بعمله وواجبه خير قيام، ثم يترك النتائج على الله . تعالى . ومن هنا يغرس

1 ينظر: محمد أبو فارس، دور المسجد في بناء الأمة والدولة، ص242-245.

2 هاشم بن علي الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام(دكتوراة) السعودية، جامعة محمد بن سعود، 2006، مجلد واحد ، ص80.

3 ينظر: محمد أبو فارس، م.س، ص246.

4 يحيى الزهراني، المساجد والأطفال . موقع صيد الفوائد . (الإنترنت).

المسجد الأمن في نفوس الأفراد ليبدأ في إحلال الأمن داخل المجتمع، والمسجد إذ يقوم بتحقيق الأمن للفرد فإنه يسلك في ذلك عدة طرق ليصل بها إلى قمة درجات الأمن النفسي والاجتماعي للفرد داخل المجتمع، ومن هذه الطرق:

1- **شغل الفراغ لدى الشباب والكبار:** لا شك أن الفراغ من أهم عوامل انتشار الانحرافات السلوكية والخلقية وبالتالي فإن المحافظة على الصلاة في المسجد والارتباط بالدروس العلمية والشرعية التي تقام في المسجد من تلاوة القرآن وحفظ للأحاديث والقراءة في كتب العلم والاستماع للمواعظ والخطب التي تقام في المسجد، تعمل على شغل أوقات الفراغ لدى الأفراد، وكذلك فإن المسجد يقوم بدوره في شغل الفراغ لدى الشباب والفتية بالأنشطة الرياضية التي يوفرها داخله أو خارجه كتعلم السباحة والرماية وركوب الخيل، وكلها من الأمور التي تعمل على تقوية أجسام الشباب وشغل أوقاتهم<sup>(1)</sup>.

2- **الوقاية من الجريمة:** يقوم المسجد بدور مهم في وقاية الفرد من الانحراف والوقوع في الجريمة، وذلك عن طريق حث الأفراد على تلمس الفقراء والمحتاجين في المجتمع ومواساتهم ودعمهم وإعانتهم بالزكاة والصدقات لوقايتهم من ارتكاب الجريمة والاعتداء على حقوق وممتلكات الآخرين، وهذا المبدأ من المبادئ المهمة التي يحث عليها الدين الإسلامي ويصوره الرسول عليه الصلاة والسلام بترابط المجتمع المسلم كترابط الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكت بقية الأعضاء فإذا اعتدى أحد الفقراء أو المحتاجين على ممتلكات غيره فإنهم سيغضبون ويعانون من جراء ما حصل ويظل الجميع في قلق وخوف ويضيع الأمن في المجتمع، وكذلك فإن المسجد يساهم في الوقاية من الجريمة، عن طريق بيان أهمية النصح في الإسلام والنصيحة الواعية للحكام ولعامة المسلمين ولخاصتهم، بالإضافة

---

1 عفاف حسن الحسيني، المسجد ودوره في تحقيق أمن الفرد والمجتمع: مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد 26، ص32

إلى بيان أهمية عدم الخروج على الحكام وطاعتهم، لما في الخروج على الحكام من فتن وحروب قد تقضي على مقومات الأمة وتضعفها وتدمر اقتصادها<sup>(1)</sup>.

3- **صنع الجار الصالح والجليس الصالح:** ومن أهم ثمرات دور المسجد في تحقيق أمن الفرد أن يوجد له الجار الصالح الذي يأمن جاره، والجليس الصالح الذي يفيد ولا يضره لهذا كان رسول الله يوصي بالجار ورعاية حقوقه، كما أنه نفى كمال الإيمان عن الجار الذي لا يأمن جاره من أذاه، وكذلك الجليس الصالح الذي يجلس معه الإنسان إن كان موافقا له كان خير معين على الاستقامة والصلاح، وإن كان غير ذلك فإما أن يفترق عنه أو سيؤثر فيه بفساده وعدم صلاحه، وهذا أخطر ما يكمن في الصحبة، لأن الصحبة السيئة غالبا ما تؤثر في صغار السن وتبعدهم عن جادة الصواب مما يجعل إمكانية إصلاحهم فيما بعد أمرا صعبا للغاية، أو قد يكون مستحيلا لذلك فإن من أهم أدوار المسجد في تحقيق أمن الفرد توفير الجار الصالح والجليس الصالح<sup>(2)</sup>.

### **الفرع الثالث: دور المسجد في تربية الفرد المسلم:**

يحتاج الفرد المسلم إلى تربية إيمانية وعقلية وتربية أخلاقية وسلوكية وتربية اجتماعية، كي تتكامل جوانب الإنسان فيه ويكون إنسانا مسلما مؤمنا بربه مخلصا في عبادته واعيا بدوره في الحياة مستشعرا لمسؤوليته تجاه الخلق جميعا، لذلك يقوم المسجد بهذه التربية للفرد المسلم ويهيئه لدوره خير تهيئة.

#### **1- دور المسجد في التربية الإيمانية لأفراد المجتمع:**

المسجد هو أول المؤسسات التي انطلق منه شعاع العلم والمعرفة في الإسلام، وهو يحمل خاصة أساسية في المجتمع المسلم، وهو مصدر الانطلاقة الأولى لدعوة الإسلام ونبع الهداية الربانية، فمن جنباته ترتفع الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح، وعلى منبره يعلم الإيمان والعمل الصالح وفي صحنه

1 عفاف حسن الحسيني، حروب الجيل الرابع، ص34.

2 عفاف حسن الحسيني، م.ن، ص34.

يؤخذ الإيمان المؤدي إلى العمل الصالح<sup>(1)</sup>، وفي المسجد يتم توطيد معنى الإيمان في نفوس الأفراد؛ لأن توطيد معاني الإيمان في نفوس أبناء الأمة الإسلامية يعد القاعدة الأساسية لبناء المجتمع المسلم بناء صحيحا، لذا ختم الله . تعالى . الإيمان به على كل فرد من أفراد المجتمع، وجعل ذلك الإيمان قاعدة البناء التي لا يقوم البناء بدونها، وتتأكد هذه الحقيقة حينما تعلم أنه لا يقوم وجود للإسلام حتى يكون الإيمان بالله إيمانا يجعل المسلم في حالة يقين مطلقة بالوحدانية الخالصة<sup>(2)</sup>.

ومن الاهتمام بالتربية الإيمانية للفرد إحياء المعاني الربانية من الإيمان بالله وتوحيده وبأسمائه الحسنى، والإيمان بالملائكة والرسول واليوم الآخر، باعتبارها أهدافا للحياة العليا وغايات الوجود الإنساني والعمل على دعمها وتثبيتها وحمايتها بكل الوسائل والأساليب العقلية والعاطفية النظرية والعملية، ومحاربة نزعات الإلحاد والشرك بكل صورته وألوانه حتى لا يعبد في الأرض إلا الله، وفي المسجد يذكر الله . تعالى . وبذلك تطمئن القلوب وتهدأ النفوس، وبهذه الروح الإيمانية تتخلص نفس المؤمن من الفزع والحيرة والقلق والهواجس، ويشعر براحة البال والاطمئنان الروحي وذلك لأن هذه التربية الروحية للفرد المسلم يقوم بها المسجد بتعليم المسلم العبادة بمعناها الواسع وهو التقرب إلى الله . تعالى . بكل ما شرع، وما قام به المسلم على الوجه المشروع ونفع به نفسه وغيره وخلصت نيته لله تعالى فهو عبادة لله . سبحانه وتعالى . يقوي بها إيمانه<sup>(3)</sup>.

كما يقوم المسجد ببيان المذاهب والأفكار الملوثة والفاسدة، والتيارات الهدامة التي تستهدف العقول والمعتقدات الدينية والخلقية الراسخة في المجتمع، وذلك لتحقيق الأمن العقدي والفكري لأفراد المجتمع، والبعد بهم عما يخلخل عقيدتهم أو يزعزعها في النفوس، ومن الأساليب التي يستخدمها المسجد لتحقيق

---

1 صالح بن غانم السدلان، المسجد ودوره في التربية، ص 19.

2 يوسف الشال، الإسلام وبناء المجتمع الفاضل، ص 24.

3 عفاف حسن الحسيني، المسجد ودوره في تحقيق أمن الفرد والمجتمع: مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد 26، ص 24.

ذلك أسلوب التحذير من العوامل الأساسية التي تغسل مخ الأفراد كالأفكار والمفاهيم الضالة الباطلة، بل يجعل من وعي الفرد وإيمانه حصنا يرد عنه أفكار الضالة والمنحرفين<sup>(1)</sup>.

كما أن المسجد يقوم بدوره الفعال في التحذير من الردة بشتى صورها، سواء كانت قومية أو وطنية أو مهاجمة أحكام الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، كأن يقول أحدهم أنا أكره الصيام لأنه يؤخر اقتصاد الأمة، أو يقول آخر أنا أكره الحجاب لأنه من علامات التخلف، وكثير من هذه المظاهر التي تدل على الارتداد عن الدين الإسلامي وتخرج صاحبها من الملة.

## 2- دور المسجد في التربية الخلقية:

كما يقوم المسجد بدور مهم في التربية الإيمانية لأبناء المجتمع الإسلامي، فإنه أيضا يقوم بدور مهم في التربية الخلقية لأبناء المجتمع الإسلامي، حيث يأمر المسلم بالتحلي بالفضائل ليستقيم سلوكه، وينهاه عن الرذائل لئيتعد عنها، فنجده يأمر المسلم بالرحمة بين إخوانه، كما يأمر بالحرص على الأخلاق الاجتماعية الفاضلة كالسعي على الأرملة والمسكين وعدم تركها بلا رعاية فيقول . صلى الله عليه وسلم .<sup>(2)</sup> [الساعي على الأرملة كالمجاهد في سبيل الله] فهذا المتخلق بهذا الخلق الفضيل الذي يرعى أبناء المجتمع ممن أصابهم العوز هو يؤدي عبادة مرتفعة عند الله . تعالى . وهي تشجيع على التحلي بالأخلاق الفاضلة، ولا يكتفي الإسلام بالدعوة إلى التحلي بالصفات الحميدة بل إنه يعمل في المقابل على الابتعاد عن الصفات الذميمة والصفات التي تضعف التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع<sup>(3)</sup>. فيقول . صلى الله عليه وسلم . ( لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا) من الصفات النفسية والأقوال والأفعال.

---

1 عفاف حسن الحسيني ، المسجد ودوره في تحقيق أمن الفرد والمجتمع: مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد 26، ص24.

2 محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري، كتاب الأدب-باب الساعي على المساكين ،ح6007، 9/8.

3 ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية، 90/1.

والمسجد يغرس التربية الأخلاقية الحميدة في نفوس الأفراد، ويحث على مكارم الأخلاق حثاً شديداً، ليكون الفرد المسلم قادراً على أن يميز بين ما هو خير وما هو شر، وكذلك ليثبت القيم الخلقية في شخصية الإنسان المسلم لينتقل بها البشر خطوات فسيحة إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، كما بين القرآن ثناء الله تعالى على رسوله . صلى الله عليه وسلم . في أخلاقه فيقول عز من قائل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(1)</sup>، وفي سبيل اهتمام المسجد بالتربية الخلقية للفرد المسلم نجده يسعى إلى تربيته على الشجاعة والإقدام على اعتبار أن هذه الصفة الخلقية إحدى مقومات الشخصية المسلمة، وكذلك يهتم المسجد في التربية الخلقية للفرد المسلم بتربية الضمير الحي لدى الأفراد، وذلك لأنه الأساس من أسس التربية الخلقية؛ حيث يرتبط مباشرة بالإيمان بالله . تعالى . ولأن الضمير يتكون بالتربية والتدريب والتتقيف<sup>(2)</sup>.

والمسجد إذ يقوم بدوره في التربية الخلقية للفرد المسلم يربي فيه مكارم الأخلاق التي عمل بها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وتحلى بها وحثنا عليها من: الإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والعفو عن ظلم، ووصل من قطع، وإعطاء من حرم، فهذه مكارم خلقية تحلى بها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . حيث يعيد المسجد تربية الأفراد عليها، فيعلمهم أن هذه هي الأخلاق التي يجب على كل مسلم التحلي بها، وأن يجاهد نفسه في ذلك حتى يكتسبها وتصبح خلقاً له، وهكذا تكون الأخلاق التي يربي المسجد عليها الفرد المسلم من كتاب الله وسنة رسوله<sup>(3)</sup>.

### 3- دور المسجد في تقوية الروابط الاجتماعية:

المسجد ملتقى المسلمين ومنتدى حواراتهم، من خلاله يتعارف المسلمون على بعضهم من كل الأقطار والأجناس، فهو يجمع بينهم في الصلاة، فيقف كل منهم بجوار الآخر غير مفرق بينهم في الصلاة

- 
- 1 القلم: 68/4.
  - 2 سراج محمد وزان، التدريس في مدرسة النبوة، ص101.
  - 3 عفاف حسن الحسيني، المسجد ودوره في تحقيق أمن الفرد والمجتمع: مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد 26، ص29.

ويقف كل منهم بجوار الآخر غير مفرق بينهم في اللون أو الجنس أو المكانة والمنزلة، مما يكون له بالغ الأثر في زيادة التعارف بين هؤلاء المصلين، الذين تجمع بينهم العقيدة برباط وثيق يذوب فيه الجنس والوطن واللغات والألوان وسائر هذه الروابط العرضية، التي لا علاقة لها بجوهر الإنسان وعبوديته لله . سبحانه وتعالى . ومن هنا كان ارتباط أفراد المجتمع المسلم ببعضهم، تحكمهم أسرة التواد والتعاطف التي تستمد جذورها من أسرة العقيدة<sup>(1)</sup>.

وفي إطار هذا الدور الاجتماعي الذي يقوم به المسجد في تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم نجده يعمل على إيواء المحتاجين والفقراء، فإمام المسجد يعرف الفقراء والمحتاجين ويحث على مساعدتهم والتصدق عليهم وتوزيع الزكاة عليهم، كما كان يفعل الرسول . صلى الله عليه وسلم . مع أصحابه حين تصيبهم الفاقة والعوز، فقد كان . صلى الله عليه وسلم . يبدو على وجهه آثار الغضب إذا أوى إلى المسجد من حلت به الفاقة، ويجتمع بأصحابه في المسجد ويحثهم على الإنفاق والصدقة على المحتاجين<sup>(2)</sup>.

والمسجد يقوم بدور مهم في تعارف المصلين وتأخيهم أخوة إسلامية، فالمصلون في المسجد ربما لا يلتقون غالبا إلا لأداء صلاة الجماعة، وأهل الحي الواحد تشغلهم الأعمال ولا يجمع بينهم إلا المسجد لأداء الفريضة، وإذا كان لهم ارتباط بحلقات الدروس في المسجد كان تعارفهم أوثق، وبذلك نجد أهل الحي الواحد بعد فترة قصيرة يصبحون متعارفين بسبب تكرار رؤية بعضهم بعضا، ومصافحة بعضهم بعضا ولقائهم في المسجد للصلاة أو لحضور حلقات الدرس عند العلماء<sup>(3)</sup>.

#### 4- دور إمام المسجد في التربية:

لما كان المسجد مكان التقاء المسلمين وتجمعهم وتعارفهم فإنه يقوم بدوره التلقائي في التعارف والتأخي والتعاون دون حاجة إلى مساعدة من أحد، إلا أن هناك من الأمور والأدوار التي لا يقوم بها المسجد

- 
- 1 سراج محمد وزان، التدريس في مدرسة النبوة، ص96.
  - 2 عفاف حسن الحسيني، المسجد ودوره في تحقيق أمن الفرد والمجتمع: مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد 26 ، ص31.
  - 3 صالح بن غانم السدلان، المسجد ودوره في التربية، ص50.

من تلقاء نفسه مثل أمور التربية الأخلاقية والروحية والتحذير من الباطل وبيان الشر، فإن هذه الأمور كلها تحتاج إلى إمام المسجد وخطيبه لكي يلقي الضوء عن طريق الخطب والدروس التي ينظمها لتعريف الناس بأمور دينهم ومتطلبات حياتهم الإيمانية وتعديل السلوك الذي قد ينحرف من آن لآخر، ولذلك فإن اختيار إمام المسجد لا بد أن يكون على أسس قوية، بحيث تتوافر فيه صفات القائد القدوة الذي يحرص على تلبية أفراد المجتمع عند أي خطر وتحذيرهم منه، ويحرص على تعليمهم أمور دينهم، ويهب نفسه لخدمة أبناء المسجد ومرتابيه لتوضيح كل ما يغيب عنهم أو ما يعين لهم من أمور العقيدة والفقهاء والأخلاق والسلوك، وهو ما يحتاج من الإمام أن تتوفر فيه مواصفات معينة منها الفقه والعلم والفصاحة والتواضع والذكاء والقدرة على إظهار الأخلاق الإسلامية على واقع المجتمع والنقد البناء، وطرح الحلول لكل المشكلات التي يعاني منها المجتمع، فلا فائدة من النقد والرفض في حال عدم وجود الحل البديل وكذلك يجب أن تتوفر في الإمام القدرة على إشراك الآخرين وجذبهم لجمعيات المسجد، وإسناد بعض الأدوار لأبناء الحي للقيام بها، ومعاونته على نشر الدين والأخلاق القويمة ومحاربة الفساد الخلقي والانحلال السلوكي الذي قد يعتري بعض الأفراد داخل المجتمع، وهذه المواصفات جميعها هي التي تفرق بين مسجد وآخر، ولهذا يجب أن يكون للمساجد دور بارز في خدمة الحي وأبنائه إضافة إلى الصلاة، وحيث أن التعارف هدف إسلامي كبير لقوله . تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (1).

فالتعارف عند المسلمين المقصود الأول منه تحقيق الأخوة الإسلامية وما يترتب عليها، فالمسجد كفيل بإيجاد هذا التعارف الأخوي الإيماني، ذلك أن المصلين في الحي الواحد يلتقون في المسجد خمس مرات في اليوم والليلة، وإذا كانت تربطهم حلقات الذكر والدرس، فإن لقاءهم يتكرر أكثر من ذلك، وكذلك إذا كانوا يجتمعون فيه لمناسبات أخرى كأعضاء الجمعيات الخيرية المرتبطة بالمسجد، وكذلك صلاة العيدين والجمعة وغيرها، فالمسجد يضم أهل الحي في كل يوم خمس مرات، تتلاصق فيها

الأبدان وتتعارف فيها الوجوه وتتصافح فيها الأيدي وتتألف فيها الألسن وتتآلف فيها القلوب ويلتقون على وحدة الغاية ووحدة الوسيلة، وأي وحدة أبلغ وأعمق من وحدة المصلين في الجماعة<sup>(1)</sup>.

إن أهل الحي الواحد بعد فترة قصيرة يصبحون كلهم متعارفين بسبب تكرار رؤية بعضهم بعضا ومصافحة بعضهم بعضا، ولقائهم في حلقات الدرس عند العلماء، يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "وللمسجد وظيفة اجتماعية، ففيه يلتقي أهل الحي أو أهل القرية، فتتعارف وجوههم، وتتقارب قلوبهم وتتصافح أيديهم وتقوى رابطتهم، ويسأل بعضهم عن بعض وخصوصا إذا غاب عن الجماعة، فإذا كان مريضا عادوه، وإن كان مشغولا أعانوه وإن كان ناسيا ذكروه"<sup>(2)</sup>.

ولكن التعارف بين المسلمين ليس هو مجرد معرفة اسم الشخص واسم أبيه ولقبه ووظيفته فقط، ولكن المقصود منه ما هو أهم من ذلك، وهو تقوية أواصر الأخوة الإيمانية التي يترتب عليها العمل بكل ما يقويها من المحبة والتزاور والتواصل، وعيادة المريض وإجابة الدعوة وإعانة المحتاج والضعيف، وإفشاء السلام وطلاقة الوجه وطيب الكلمة، والتواضع وقبول الحق والعفو والسماحة ودفع السيئة بالتي هي أحسن، والإيثار وحسن الظن، ونصر المظلوم وستر المسلم إذا وجدت منه هفوة وتعليم الجاهل والإحسان إلى الجار، وإكرام الضيف، وأداء كل الحقوق إلى أهلها، والنصح لكل مسلم<sup>(3)</sup>، وكذلك تجنب كل ما يضعف الأخوة الإيمانية من ظلم وحسد واحتقار وسخرية وغيبة ونميمة وهجر وقطيعة وتجنب فعل ما يثير الشك والقلق عند أخيه المسلم وتجنب منافسته على بعض أمور الدنيا المشروعة، كالبيع على البيع والخطبة على الخطبة والغش والكذب<sup>(4)</sup>.

- 
- 1 شريف أبو هاني، الرسالة التربوية للمساجد في الداخل الفلسطيني وأثرها في الحفاظ على الوحدة والهوية الإسلامية (ماجستير) الأردن، جامعة اليرموك، 2010، ص118.
  - 2 يوسف القرضاوي، الضوابط الشرعية لبناء المسجد، ص6.
  - 3 شريف أبو هاني، م.س، ص118.
  - 4 عبد الله بن أحمد قادري، دور المسجد في التربية، ص111.

## الفرع الرابع: المسجد ودوره في الحفاظ على وحدة المسلمين:

تبوأ المسجد منذ عهد رسول الله . صلى الله عليه وسلم . إلى اليوم دور الموحد بين المسلمين، حيث كانت له عدة أدوار شكل من خلالها عامل الوحدة بين تشكيلات المجتمعات المسلمة وأطيافها، حيث يمكن إجمال هذه الأدوار فيما يأتي:

### أولاً: دور المسجد في تعزيز المساواة بين الناس:

إن من أول ما دعا إليه الإسلام عدم التفرقة بين المسلمين، فقيرهم وغنيهم، عربهم وعجمهم، ولم يفضل أحداً على أحد إلا بالتقوى، قال . تعالى .: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(1)</sup>، وما من مكان يتجلى فيه هذا القانون الاجتماعي بصورة جلية مثل المسجد، إذ يقف الجميع في صف واحد في الصلاة وقد ذابت وانصهرت جميع الفوارق التي تميز بعضهم عن بعض، كما إن وحدة المجتمع الإسلامي وتكاتفه وقوته مستمدة من أمور منها عدم التفريق بين الأجناس والطبقات والأعمار، لذا أصبح هذا المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى فيه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، ليس في الصلاة فحسب بل في المعاملات الشرعية والشخصية والاجتماعية في الحياة<sup>(2)</sup>.

إن المسجد هو المكان الطبيعي الذي يجمع المسلمين لغرض واحد وبنية خالصة خلف إمام واحد لا يختلفون عليه، هذا الاجتماع الذي يوحي بالتآلف والوحدة، هو السبيل إلى السيطرة على طبائع النفوس ونزعاتها فبداخل المسجد يتربى المسلم على تطهير نفسه وتصحيح عقيدته في القرب من ربه سرا وعلانية، وفي داخل المسجد يتربى المسلم على الاتصال بإخوانه المسلمين والسؤال عنهم وتقوية الروابط الاجتماعية بينه وبينهم، مما جعله يهتم بجميع شؤونهم وفي اجتماع المسلمين في المسجد يشعر الجميع بالمساواة<sup>(3)</sup>.

- 
- 1 الحجرات:13/49.
  - 2 شريف أبو هاني، الرسالة التربوية للمساجد في الداخل الفلسطيني وأثرها في الحفاظ على الوحدة والهوية الإسلامية (ماجستير) الأردن، جامعة اليرموك، 2010، ص223
  - 3 أنور نصار، دور المسجد في التنمية المهنية والعلمية، ص32.

## ثانياً: دور المسجد في تقوية الأخوة الإسلامية:

من آثار المساجد الاجتماعية تكوين الأخوة بين المسلمين، فالمسجد حين يؤدي إلى التعارف بين رواده فمع مرور الأيام يألف بعضهم بعضاً وتتكون بينهم المحبة في الله، ثم تتقوى بينهم أواصر الأخوة الإسلامية، لذلك لم يكن عبثاً ما قام به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، حيث ستظهر هذه الأخوة في انسجام الجميع في أسرة واحدة، فالكبير يرحم الصغير، والصغير يحترم الكبير، وإذا وقع أحد المسلمين بمصيبة أو ضائقة وجد من إخوانه من يساعده. وبهذا يشعر الفرد أنه ليس بمعزل عن الآخرين، فالمسجد هو بمثابة أسرته الكبيرة التي تسأل عنه إذا غاب عن الصلاة، وتزوره إذا كان مريضاً، ويفقدون أهله في حال غيابه، فالمسجد عامل بناء في المجتمع لأنه يجمع الأفراد على أهداف واضحة مشتركة لا يؤدي التنافس عليها إلى إثارة الحقد والبغضاء وإرادة الشر، بل يؤدي التنافس عليها إلى زرع المودة والرحمة في القلوب وإرادة الخير للناس جميعاً<sup>(1)</sup>.

والمسجد هو بداية التعارف والتآلف، فللمسجد جوه الروحي بالإضافة إلى صلاة الجماعة فيه التي تعد من أقوى الروابط التي تربط بين جماعة المسلمين، إضافة إلى ما يقوم به إمام المسجد من تذكير للجماعة بواجبهم في التآلف والتآخي وإصلاح ذات البين، فهذا التعارف والتآخي مرحلة لتعارف أكبر وأشمل وذلك حيث يجتمع المسلمون يوم الجمعة في القرية الواحدة أو بعضهم في المدينة حيث تتعدد الجوامع، ومهمة الخطيب في هذا المجال أن يكمل ما بدأه المسلمون من التآخي في أحياء مختلفة ومساجد متعددة، وذلك بالتركيز على معاني الأخوة الإيمانية ولزوم الجماعة الإسلامية حتى يخرج المسلمون من المسجد وهم يشعرون بأن لهم إخوة في الله كثيرين، ويكفي أنهم يرون منهم يوم الجمعة هذا الحشد الكبير<sup>(2)</sup>، والمسلم ليس بإمكانه التعرف على كل الموجودين في المسجد يوم الجمعة، لكن يكفي الشعور بالأخوة الإيمانية معهم، والحديث عن الأخوة الإسلامية وواجباتها، وتذكير المصلين بها

---

1 شريف أبو هاني، الرسالة التربوية للمساجد في الداخل الفلسطيني وأثرها في الحفاظ على الوحدة والهوية

الإسلامية (ماجستير) الأردن، جامعة اليرموك، 2010، ص120 .

2 شريف أبو هاني، م.ن، ص121.

هو من أهم الموضوعات التي على خطيب الجمعة الحديث عنها والتطرق إليها. وإنما حينما نرى تلك المجتمعات التي لم تر في الإسلام طريقاً إلى أخلاقها وأسس تعاملها فيما بين أفرادها، فإننا سنجد حالة التفكك والتباعد بين أفراد المجتمع الواحد والأسرة الواحدة، وانعدام الرحمة والتكامل بين أفراد المجتمع، وما ذلك إلا لأنها لم توفق إلى هذه المبادئ السامية التي وفق إليها المسلمون، والتي توجد الإخاء والتكافل الاجتماعي. ولقد كانت الأخوة الإيمانية بتعاطي ما يقويها وتجنب ما يضعفها موجودة في أعلى صورها عندما كان المسجد موجوداً في أعلى صورة له، في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعهد خلفائه الراشدين، وقد كانت أول أخوة سامية وجدت على ظهر الأرض في المسجد، وهي الأخوة بين المهاجرين والأنصار الذين أظلمهم مسجده الشريف<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: صلاة الجماعة في المسجد تدريب على الوحدة بين المسلمين:

المسجد هو المكان الذي يلتقي فيه المسلمون بكل أطيافهم وفئاتهم وعائلاتهم وعشائرهم في صف واحد يتوجهون إلى قبلة واحدة، لهم كتاب واحد، ويعبدون رباً واحداً، ويؤدون نفس الحركات ويقرؤون نفس الآيات، يقفون في صفوف مترابطة في إخاء تام ومحبة، والناس فيه سواسية كأسنان المشط، فليس في المسجد مكان للوزراء والأمراء، ومكان آخر للعامة، بل الصف الأول لمن حضر، فنجد الغني بجوار الفقير والخادم أمام المخدم، والعالم المؤهل بأعلى الدرجات وفي أرقى المناصب يتقدم عليه العامل أو الفلاح بلا أي غضاضة، فالكل في صف واحد وفي جو إيماني يضيء عليه الصفاء والمحبة والإحساس بالرضا<sup>(2)</sup>.

والوقوف يكون خلف الإمام بشكل مستو منظم، وعلى هيئة صفوف متساوية ومترابطة ومعتدلة، فالكل يقف منصتاً خاشعاً ساكناً مقتدياً بالإمام ومحاذياً بالأقدام والمناكب لأخيه المسلم الواقف بجواره، لا

1 عبد الله عبد الرزاق السعيد، رسالة المسجد، ص51.

2 سالم سعيد الشامسي، المساجد ودورها التربوي والاجتماعي، ص111.

يحمل حقدا ولا يضرر سوءا، فتسود الأخوة الإسلامية، وتتعدم ملامح الطبقية، وتذوب سمات الإقليمية، وتضمحل فوارق القومية، فالكل في هذا المكان سواء أمام الله . تعالى (1).

وفي صلاة الجماعة في المسجد نلحظ تقوية أواصر الجماعة المسلمة، فالمصلي مثلا يدعو بلسان الجماعة لا الفرد في (إياك نعبد وإياك نستعين) و(اهدنا الصراط المستقيم)، ويختتم صلاته بالسلام العام التام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) على الذين عن يمينه والآخرين الذين عن شماله(2).

هذا بالإضافة إلى محراب المسجد الذي يتجه نحو قبلة واحدة توحد المسلمين بين جميع المصلين في العالم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وقومياتهم وانتماءاتهم، فيشعر المصلي حينها بشكل من الوحدة مع كل المسلمين على وجه الأرض.

يقول الأستاذ مرزوقي بكري إمام وخطيب مسجد بوكيت تتجي في أندونيسيا: "محراب كل مسجد يتجه إلى القبلة الواحدة، إلى هذا البيت العتيق فالمسلم إذا صلى في المسجد لا يغيب عنه الشعور بأصرة القربى بينه وبين الجماعة الإسلامية في أقطار الأرض....."(3).

### الفرع الخامس: دور المسجد في الحفاظ على الهوية:

المساجد تؤدي إلى اعتزاز المسلمين بدينهم:

إن المسلمين الذين يرفعون بيوت الله كما أذن الله ويعظمون الله . تعالى . كما عظم نفسه، ويوحدونه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ويتبعون نبيه . صلى الله عليه وسلم . ويقومون بالعمل الصالح، تلبية لنداء المؤذن ويواظبون على حضور صلاة الجماعة، ويأخذون الفقه من علماء المساجد ويتشاورون في شؤونهم العامة في المساجد، ويكون ولي أمرهم قدوة لهم في كل ذلك، فيكون المسجد

- 
- 1 شريف أبو هاني، الرسالة التربوية للمساجد في الداخل الفلسطيني وأثرها في الحفاظ على الوحدة والهوية الإسلامية (ماجستير) الأردن، جامعة اليرموك، 2010، ص126
  - 2 سالم سعيد الشامي، المساجد ودورها التربوي والاجتماعي، ص170.
  - 3 مرزوقي بكري، المسجد أساس الحياة الإنسانية، ص285.

عنده هو منطلق السياسة العامة والدعوة إلى الجهاد، وعقد الرايات وتجهيز الجيوش وتخريج الأكفاء، إنهم عند ذلك يكونون في غاية الاعتزاز بدينهم وفي غاية التوكل على ربهم، وهذا الاعتزاز يدفعهم لموالاة المسلمين، وإذا رأوا من يطلب العزة من غير الله سخروا منه، وهكذا ترى المسلم يعتز بدينه ويجهر باعتزازه، لكن البعيدين عن المساجد وعن الخضوع لله . تعالى . تجدهم يستحيون أن يجهروا بدينهم بل وتجدهم يداهنون من هم ضده من الكفار، ويحاولون أن يعتذروا عما يتهم به الدين ولو كان حقا، كالجهاد في سبيل الله وبعض الأحكام الإسلامية الثابتة<sup>(1)</sup>.

### المسجد عنوان لأي مجتمع مسلم:

لكل مجتمع يوجد عناوين وعناصر تدل عليه، إذا افتقدت هذه العناوين افتقد المجتمع، وهكذا هو المجتمع المسلم له عناوين ورموز تدل عليه وتثبت وجوده، من أهمها المساجد أو بمعنى آخر فإن المساجد تدل على هوية المجتمع المسلم، والدليل على ذلك أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . كان إذا نزل منزلا في سفر أو حرب ومكث فيه مدة يتخذ فيه مسجدا يصلي فيه بأصحابه . رضي الله عنهم . كما فعل في خيبر<sup>(2)</sup> وكذلك مسجد الفتح الذي أقامه في غزو الخندق وكذلك تبوك<sup>(3)</sup>.

ومن الأدلة أيضا على كون المسجد عنوانا لأي مجتمع مسلم، ما ورد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا بعث جيشا أو سرية يقول لهم:<sup>(4)</sup> (إذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحدا) فوجود المسجد وارتفاع الأذان دليل على إسلامية المجتمع وعدم جواز قتاله<sup>(5)</sup>.

### الفرع السادس: التحديات التي تواجه المسجد:

- 1 شريف أبو هاني، الرسالة التربوية للمساجد في الداخل الفلسطيني وأثرها في الحفاظ على الوحدة والهوية الإسلامية (ماجستير) الأردن، جامعة اليرموك، 2010، ص130 .
- 2 سعد الغامدي، مساجدنا والمخالفات الشرعية، موقع صيد الفوائد (الانترنت).
- 3 شريف أبو هاني، م.س، ص131 .
- 4 علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 210/6.
- 5 عبد الله قاسم الوشلي، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، ص21.

المسجد في الإسلام يعد جامعا وجامعة، ومركزا لنشر الوعي في المجتمع وهو بحق أفضل مكان وأطهر بقعة وأقدس محل يمكن أن تتم فيه تربية الإنسان المسلم وتنشئته، كما يعطيه هوية مميزة عن غيره، وهذا ما يبرز رسالته إضافة إلى ما يقوم به المسجد من عملية تأمين للمجتمع من الأفكار الوافدة، والأفعال المنحرفة التي تدعو إلى الفساد الخلقي والاجتماعي، إذ تفوق المؤسسة الدينية بتأثيرها كل التأثيرات المختلفة في الأسرة والمدرسة، في الشارع، في الإعلام سواء كان التأثير أساسيا أو ثانويا<sup>(1)</sup>.

إلا أنه ومع تزايد البدائل المتاحة المتمثلة خصوصا في الفضائيات والشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) تراجع وتفقه دور المسجد خصوصا في ظل الثورة العلمية والتطورات العصرية المتلاحقة على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، والذي يؤكد أن لكل عصر أدواته ووسائله التي تتناسب مع مختلف ظروفه وأوضاعه، حيث تعد هذه الوسائل من المعوقات التي تواجه المسجد في سبيل تحقيق رسالته، خاصة أنها تمتلك القدرة على تحقيق أقصى درجات الاستجابة لدى المتلقي، وينفق علماء الاجتماع والاتصال على أهميتها في إحداث التغيير الاجتماعي، ومع تداعي قيم العولمة والحدثة، حيث تزايد الدور الذي يقوم به الإعلام في تكوين الأنساق المعرفية والفكرية للفرد العادي<sup>(2)</sup>، وتغيير المفاهيم وتعديل أنماط السلوك، وكذا تثبيت القيم المرغوب فيها وتدعيمها على حساب دور المؤسسات التكوينية والتربوية والتقليدية كالبيت والمدرسة والمسجد. وهذا ما يشير إليه أسعد وطفة عندما يقول: "تؤدي وسائل العولمة إلى تقليص فرص المؤسسات التعليمية ذات الأداء التقليدي، مما يعني أن عليها أن تعمل على بناء منظومات فكرية جديدة قادرة على المواجهة والمناورة في مختلف الاتجاهات والبيئات"<sup>(3)</sup>.

وهنا تطرح عدة تساؤلات عن دور المسجد في العصر الحالي، ومدى قدرته على تصحيح الكثير من المفاهيم ومساهمته في التغيير، خاصة من خلال منبره في هذه الفترة بالذات، فالمجتمعات في حالة

1 الحارثي زايد، التنشئة الاجتماعية والسلوك المأمول للشباب، ص10.

2 انتصار عبد الرزاق وصفد الساموك، الإعلام الجديد "تطور الأداء والوسيلة والوظيفة"، ص20.

3 أسعد وطفة، التربية العربية والعولمة بنية التحديات وتقاطع الإشكاليات: مجلة عالم الفكر، ص333.

تطور دائم، تتغير معها حياة الأفراد المادية والروحية، وتتغير رؤيتهم للواقع أيضا، ويمكن إجمال ذلك بما يلي:

1- أصبح الفرد على تواصل دائم مع الأحداث عبر شبكة واسعة من تقنية الاتصال والإعلام الحديثة، التي تنتمي قدرتها الكبيرة على التأثير المتواصل على قنوات وأفكار وحتى سلوكيات شرائح مهمة من المجتمع، ممارسة فعلها الإيجابي والسلبي، فثقافة العولمة تتجاوز الثقافات المحلية وتتخطى كل الحدود، حيث تقوم بنقل رسائل ذات معنى إلى المتلقي، من خلال عملية مدروسة ودقيقة ومخطط لها بقصد التأثير فيه، فهي تملك كفاءة وفعالية كبيرة في توجيه الآراء وفي إنشاء الاتجاهات حول مختلف القضايا، وبالتالي نشر قيم جديدة والعمل على ترسيخها، ما يولد أيضا صراعا بين ما هو مألوف وبين ما هو جديد ودخيل، وهذا ما يؤكد محمد عابد الجابري: "اليوم لا أحد ينكر بأن صراع القيم أصبح حقيقة قائمة في عالمنا المعاصر، نظرا لصغر العالم واختلاطه بالشعوب والثقافات الأخرى التي تعرض قيما على وسائل الإعلام والاتصال"<sup>(1)</sup>.

فقد أثرت على جل حقول المعرفة، وأدت إلى انبثاق وتدفق هائل ومتجدد للمعلومات والفكر والآراء والخبرات العابرة للمجتمعات، والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال إيقاف تدفقها، فهذه الوسائل الحديثة تعتبر أداة فعالة، وسلاحا ذا حدين، أصبحت تخطو عمليا باتجاه الأفراد مستخدمة مختلف أساليب الإقناع، فالفضائيات تعتمد على حاستي السمع والبصر، وهي من أكثر الوسائل فاعلية وتأثيرا، إذ تقدر بعض الدراسات أن العقل البشري قادر على التذكر 15% مما يقرأ، و 20% مما يسمع، و 60% من المعلومات التي يراها ويسمعها في ذات الوقت<sup>(2)</sup>.

وبذلك تستطيع أن تؤثر إيجابا في نشر المثل السامية وتعزيز منظومة القيم الصحيحة وأنماط السلوك المقبولة في نفوس الأفراد والمجتمع ككل، وهي تعتبر منظومة متكاملة تشترك فيها جميع مؤسسات التنشئة في المجتمع، ابتداء بالأسرة ومرورا بالمؤسسات التعليمية والمسجد، ونهاية بوسائل الاتصال المختلفة، فالفضائيات ومختلف وسائل الإعلام الجماهيرية، هي إحدى أهم الوسائل الفعالة في تثبيت

1 محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ص 63.

2 جيفكين ف، تخطيط الإعلام والعلاقات العامة، ص 195.

قيم المجتمع، وهذا لقدرتها على إحداث تأثير خاص لدى أفرادها<sup>(1)</sup>، ومن جهة أخرى يمكنها أن تساهم في نشر أفكار وخلق اتجاهات جديدة، وترسيخ العديد من السلوكيات التي لا تمت بصلة إلى المجتمع، فالوسائل الإعلامية ذات الاتجاه الواحد تؤثر على سلوك وتفكير المتلقي، بحيث تجعله مستقبلاً لا مرسلًا للأفكار والتصورات، ولعدم تفاعله معها فإنها تؤثر فيه ولا يؤثر بها<sup>(2)</sup>.

2- أما الانترنت التي تنامت استعمالها اليوم، وأصبحت مرجعاً ومقصداً للملايين من البشر الباحثين عن المعلومة سواء دينية أو دنيوية، نظراً لسهولة الوصول إليها وتميزها عن وسائل الاتصال الأخرى بما تملكه من أدوات تفاعلية، فإنها تمنح المتلقي القدرة على المشاركة في العملية الاتصالية، فلم يعد دوره منحصراً في تلقي المعلومات فقط، بل أصبح يسعى للحصول على المعلومات، ويختار المناسب منها، ويتبادل الآراء مع المرسل ما يضمن التفاعلية بين المرسل وجمهوره بخلاف النموذج التقليدي، ما يجذب الجماهير إليها ويزيد من فاعليتها وتقبلها لدى المتلقي، مقارنة مع الوسائل التقليدية وهذا ما أكدته العديد من النظريات، ابتداءً من نظرية ويفر من أن وسائل الإعلام التقليدية، وسائل اتصالية ذات اتجاه واحد، وتفترق إلى رجع الصدى الفوري، في حين أن التفاعل الحقيقي يتطلب نموذجاً اتصالياً ذا اتجاهين أو اتجاهات متعددة<sup>(3)</sup>.

3- ويظهر وسائل الاتصال الحديثة بما تملكه من أدوات فاعلة، أصبح للمستقبل القدرة على المشاركة النشطة والأكثر فاعلية في العملية الاتصالية، بحيث صار طرفاً مهماً في العملية الاتصالية، يتواصل مع المرسل ويبيد رأيه بكامل حريته، بعدما كان دوره في الأسبق مجرد متلق للمعلومات وهناك من يذهب إلى أن التمييز بين المرسل والمتلقي قد أصبح صعباً في حالات متعددة، في ظل استخدام هذه الوسائل التي هيأت الطريق السريع للوصول إلى المعلومات<sup>(4)</sup>، إلا إن التفاعلية التي تشير إلى إمكانية أن يكون للمشاركين في عملية الاتصال تأثير على أدوار الآخرين، ويكون بوسعهم

1 محمد الغلابيني، وسائل الإعلام وأثارها في وحدة الأمة السعودية، ص 39.

2 معن خليل عمر، علم اجتماع الأسرة، ص 129.

3 شريف درويش اللبان، الصحافة الإلكترونية دراسات في التفاعلية وتصميم الواقع، ص 65-66.

4 شريف درويش اللبان، م.ن، ص 67.

التفاعل معها، يكمن خطرهما في أن المضمون الاتصالي المتبادل لا يخضع لسيطرة الدولة، ويخترق حدودها، فضلا على أنه يعمل على إعادة تنشئة المتواصلين على وفق قيم عالمية، تعدو على قيم المواطنة المحلية، وهو ما تطلب وضع استراتيجيات تراعي حريات التعبير مثلما تهتم بحماية المجتمع<sup>(1)</sup>.

4- وفي خضم متطلبات العصر وتحدياته الجديدة التي أثرت حسب المختصين والمهتمين على الأنماط الفكرية وحتى السلوكية، وفي معتقداتنا أيضا، وما يشير إليه توني شوارتز في كتابه: وسائل الإعلام الرب الثاني بقوله: "إن وسائل الإعلام قد أثرت على حياتنا وشكلت معتقداتنا بصورة عميقة كأى دين من الأديان"<sup>(2)</sup>، فيفترض بالمسجد تأسيس شراكة مجتمعية مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى لتناول القضايا التي تخدم الفرد المسلم والمجتمع، مواجهة الأفكار والممارسات السلبية والخاطئة التي تضر بالمجتمع في عصر تعدد الوسائط، فالمتلقي وخاصة المتلقي العادي إذا لم يجد ضالته في المسجد فإنه سيلجأ إلى الفضائيات وشبكة الإنترنت لإشباع نهمه وفضوله المعرفي، وفيها ما فيها من الغث والسمين<sup>(3)</sup>.

وعليه فالمسجد مطالب بأن تعكس رسالته التطورات والمستجدات والتغيرات الحادثة، وأن تساهم في تنمية الأفراد والمجتمعات وترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية وتصحيح الأفكار، فالمسجد من أبرز وأهم المؤسسات الدينية والتربوية، لا تزال له رسالته النبيلة ودوره الخاص والتميز في التوجيه والإرشاد، ولن تكون المؤسسات الأخرى بديلا عنه، فكل منها رسالتها الخاصة، وبذلك يتحتم عليه استرداد وظائفه كمرجع لتوحيد الرؤيا وخلق الانسجام وتوحيد المرجعية وترتيب سلم القيم وتوضيح الرؤية<sup>(4)</sup>. ولذلك لا بد أن تأخذ مواقع التواصل الاجتماعي حيزا في نشاطات المسجد الدعوية حيث سيكون التواصل مع المسلمين دون وسيط، فوجود موقع الكتروني للمسجد (أو حساب على مواقع التواصل

1 محمد نبيل طالب، البرامج التعليمية والثقافية بالإذاعة والتلفزيون، ص108.

2 محمود إسماعيل، مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، ص118.

3 محمد خاين، الآليات اللسانية لترقية الخطاب المسجدي: مجلة رسالة المسجد، العدد 5، ص37.

4 بوعلام الله غلام الله، المسجد يسترد وظيفته: مجلة رسالة المسجد، العدد 5، ص5.

الاجتماعي) سيسهم في دعم وإرساء دور المسجد الحقيقي، ويفعل دوره بشكل أكبر، فالمسلمون لن يقيموا شعائر الصلاة في موقع المسجد الإلكتروني بل سيذهبون لأداء الصلاة في المسجد، ولكن الموقع الإلكتروني للمسجد ربما يدفع الكثير من الشباب إلى الاستفادة من الموقع في نشر بعض الأفكار الدعوية المناسبة التي تكون تحت إشراف جهاز دعوي متمكن يمثل إمام المسجد محوره الرئيسي، ويكون أفراده من جماعة المسجد وطلاب الحلقات، وفي ذلك ربط للناس بالمسجد وجعلهم على اطلاع وتواصل دائم برسالة المسجد الدعوية، ودعوتهم للتمسك بدينهم، وعدم الولوج في بحر الظلمات المليء بموبقات التواصل مع الآخرين، وهي لا تخفى على أحد، بالإضافة إلى دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وتعريفهم بالإسلام كمنهج للحياة، كما أن وجود أنشطة للمسجد على مواقع التواصل سيحد من تأثير الأنماط الفكرية والسلوكية التي قد أثرت على حياتنا من خلال نشر أفكاره النابعة من الدين الإسلامي الحنيف.

## المطلب الثاني: التصدي للفكر الإلحادي والعلماني:

### الفرع الأول: العلمانية:

لقد ظهرت العلمانية وعلا شأنها في الغرب، وقد صاحب ظهورها في الغرب انحطاطا وتخلفا وهزائم في الشرق، مما أتاح للغرب أن يستلم زمام قيادة ركب الحضارة البشرية بما أبدعه من علم وحضارة، وما بذله من جهد وتضحية، فكان أمراً طبيعياً أن يسعى الغرب لسيادة نموذج الحضاري الذي يعيشه، وأن يسوقه بين أمم الأرض؛ لأنه بضاعته التي لا يملك غيرها، ولأنه أيضاً الضمانة الكبرى لبقاء الأمم الأخرى تدور في فلك التبعية له، وتكدح في سبيل مدنيته وازدهار حضارته، ولقد أصبح حَمَلَة العلمانية الوافدة في بلاد الشرق بعد مائة عام من وفودهم تياراً واسعاً نافذاً غالباً على نخبة الأمة وخاصتها في الميادين المختلفة، من فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية، وكان يتقاسم هذا التيار الواسع في الجملة اتجاهان<sup>(1)</sup>:

1 عوض بن محمد القرني، العلمانية التاريخ والفكرة، ص 9 (الانترنت).

أ- الاتجاه اليساري الراديكالي الثوري: ويمثله . في الجملة . أحزاب وحركات وثورات ابتليت بها المنطقة رداً من الزمن، فشتتت شمل الأمة ومزقت صفوفها، وجرت عليها الهزائم والدمار والفقر وكل بلاء، وكانت وجهة هؤلاء الاتحاد السوفييتي قبل سقوطه، سواء كانوا شيوعيين، أو قوميين عنصريين.

ب- الاتجاه الليبرالي ذو الوجهة الغربية لأمريكا ومن دار في فلكها من دول الغرب: وهؤلاء يمثلهم أحزاب وشخصيات قد جنوا على الأمة بالإباحية والتفسخ والسقوط الأخلاقي والعداء لدين الأمة وتاريخها.

### وللتجاهين ملامح متميزة أهمها:

1- مواجهة التراث الإسلامي: حيث رأى الخطاب العلماني أن المدخل لنصوص الشريعة ونقدها وإنزالها من قدسيته وجعلها كأي نص أدبي يأتي من خلال نقد الموروث الإسلامي كما يزعم، فالتراث لم يقتصر في نظر الخطاب العلماني على الفكر الإسلامي فقط ممثلاً في اللغة والأدب والفن والكلام والفلسفة والتصوف؛ بل يشمل العقيدة والشريعة أيضاً<sup>(1)</sup>.

2- اتهام التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ دموي استعماري عنصري غير حضاري: وتفسيره تفسيراً مادياً، بإسقاط نظريات تفسير التاريخ الغربية العلمانية على أحداثه، وقراءته قراءة انتقائية غير نزيهة ولا موضوعية، لتدعيم الرؤى والأفكار السوداء المسبقة حيال هذا التاريخ، وتجاهل ما فيه من صفحات مضيئة مشرقة، والخط المتعمد بين الممارسة البشرية والنهج الإسلامي الرباني، ومحاولة إبراز الحركات الباطنية والأحداث الشاذة النشاز وتضخيمها، والإشادة بها، والثناء عليها، على اعتبار أنها حركات التحرر والتقدم والمساواة والثورة على الظلم مثل "ثورة الزنج" و"ثورة القرامطة" ومثل ذلك الحركات الفكرية الشاذة عن الإسلام الحق، وتكريس فكرة مفادها أنها من الإسلام بل هي الإسلام مثل

1 محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص23.

القول بوحدة الوجود، والاعتزال وما شابه ذلك من أمور تؤدي في نهاية الأمر إلى تشويه الصور المضيفة للتاريخ الإسلامي لدى ناشئة الأمة وأجياله المتعاقبة<sup>(1)</sup>.

3- السعي الدؤوب لإزالة أو زعزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في وجدان المسلم، والمسيرة المؤطرة للفكر والفهم الإسلامي في تاريخه كله، من خلال استبعاد الوحي كمصدر للمعرفة والعلم، أو تهميشه . على الأقل . وجعله تابعاً لغيره من المصادر كالعقل والحس، وما هذا إلا أثر من آثار الإنكار العلماني للغيب، والسخرية من الإيمان بالغيب، واعتباره . في أحسن الأحوال . جزءاً من الأساطير والخرافات والحكايات الشعبية، والترويج لما يسمى بالعقلانية والواقعية والإنسانية، وجعل ذلك هو البديل الموازي للإيمان في مفهومه الشرعي الأصيل، وكسر الحواجز النفسية بين الإيمان والكفر، ليعيش الجميع تحت مظلة العلمانية في عصر العولمة. وفي كتابات "محمد عابد الجابري" و"حسن حنفي" و"حسين مروة" و"العروي" وأمثالهم الأدلة على هذا الأمر<sup>(2)</sup>.

4- خلخلة القيم الخلقية الراسخة في مجتمعات المسلمين من الأخوة والإيثار والطهر والعفاف وحفظ العهود واحترام الأجر، واستبدال ذلك بقيم النفعية والنظر للمصلحة المادية دون سواها، والنفع والتحلل والإباحية<sup>(3)</sup>.

5- الاستهزاء والسخرية والتشكيك في وجه أي محاولة لأسلمة بعض جوانب الحياة المختلفة المعاصرة في الاقتصاد والإعلام والقوانين، ولعل الهجوم المستمر على دول إسلامية مثل المملكة العربية السعودية بسبب احتكامها للشريعة في الحدود والجنایات من هذا المنطلق، وإن برّروا هجومهم وحقدهم تحت دعاوى حقوق الإنسان وحرياته، ونسوا أو تناسوا الشعوب التي تسحق وتدمر وتقتل وتغضب بعشرات الآلاف، دون أن نسمع صوتاً واحداً من هذه الأصوات النشاز يبكي لها ويدافع

1 عوض بن محمد القرني، العلمانية التاريخ والفكرة، ص10 (الانترنت).

2 سعيد بن ناصر الغامدي، الفكر العلماني، (موقع صيد الفوائد). [www.saaaid.net](http://www.saaaid.net).

3 عبد الله بن عبد العزيز الزايد، حماية المجتمع من الانحراف الفكري:مجلة البحوث الإسلامية، العدد77، سنة

عنها، لا شيء إلا لأن الجهات التي تقوم بانتهاك تلك الحقوق، وتدمير تلك الشعوب أنظمة علمانية تدور في فلك المصالح الغربية<sup>(1)</sup>.

6- الترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية، وبخاصة في الفن والرياضة وشركات الطيران والأزياء والعمود والحفلات الرسمية وقضية المرأة، لكن كانت هذه شكليات ومظاهر، لكنها تعبر عن قيم خلقية ومنطلقات عقائدية، وفلسفة خاصة للحياة، من هنا كان الاهتمام العلماني المبالغ فيه بموضة المرأة، والسعي لنزع حجابها، وإخراجها للحياة العامة، وتعطيل دورها الذي لا يمكن أن يقوم به غيرها، في تربية الأسرة ورعاية الأطفال، وهكذا العلمانيون يفسفون الحياة؛ يعطل مئات الآلاف من الرجال عن العمل لتعمل المرأة، ويستقدم مئات الآلاف من العاملات في المنازل لتسد مكان المرأة في رعاية الأطفال، والقيام بشؤون المنزل، ولئن كانت بعض الأعمال النسائية يجب أن تناط بالمرأة، فما المبرر لمزاحمتها للرجل في كل موقع<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: الفكر الإلحادي:

الكلام عن حركات الإلحاد المنظمة في العالم الإسلامي، وكذلك المجاهرة به، وإعلانه على الملأ، نشأ بعد منتصف القرن التاسع عشر، حينما بدأ العالم الإسلامي والعربي يتصل بالعالم الغربي، عن طريق إرساليات الدراسة أو التدريب، وتسبب ذلك في رجوع مجموعة من الطلاب متأثرين بالفكر الأوربي المادي، والذي كان يقوم على أساس تعظيم علوم الطبيعة، ورفع شأن العقل، وكذلك تنحية الدين والشرع عن حكم الحياة والناس وإدارة شؤونهم، وفي بداية الأمر لم يكن ثم دعوة صريحة للإلحاد أو الردة، وإنما كانت هناك دعوات للتحرر أو التغريب، أو فتح المجال أمام العقل، ومحاكمة بعض النصوص الشرعية إلى العقل أو الحس والواقع، ومحاولة إنشاء خلاف وهمي، وصراع مفتعل بين

1 عوض بن محمد القرني، العلمانية التاريخ والفكرة، ص12 (الانترنت).

2 عوض بن محمد القرني، م.ن، ص12 (الانترنت).

العقل والشرع، ومع مرور الوقت وزيادة الاتصال بالغرب وتراثه، وانتشار موجة التغريب بين الناس، ظهرت بعض الدعوات الصريحة للإلحاد وفتح باب الردة باسم الحرية الفردية<sup>(1)</sup>.

وحيثما نشط اليهود في تركيا، ودعوا إلى إقامة قومية تركية، تحل محل الرابطة الدينية، ظهرت مظاهر عدة في الواقع تدعو إلى نبذ الدين، وتظهر العداء لبعض شعائره، ومع مرور الوقت تطورت هذه الحركة، حتى جاء مصطفى كمال أتاتورك وقام بإلغاء الخلافة وأنشأ الدولة التركية العلمانية، وحارب جميع العلماء وسجنهم، وراج على أثر ذلك الكفر والإلحاد، وظهرت عدة كتب تدعو إلى الإلحاد، وتطعن في الأديان، ومنها كتاب بعنوان: (مصطفى كمال) لكاتب اسمه قابيل آدم<sup>(2)</sup>.

هذه الجراءة في تركيا قابلها جراءة مماثلة في مصر سميت ظلماً وزوراً عصر النهضة الأدبية والفكرية، بينما هي في حقيقتها حركة تغريبية، تهدف إلى إلحاق مصر بالعالم الغربي، والتخلي بأخلاقه، واحتوائها في ذلك حذو تركيا، التي خلعت جلباب الحياء والدين، وصبغت حياتها بطابع العلمانية والسفور والتمرد. في تلك الحقبة في مصر ظهر العديد من المفكرين والأدباء يدعون إلى التغريب والإلحاد، وفتح باب الردة باسم التنوير تارة، وباسم النهضة الأدبية تارة أخرى، ومرة باسم الحريات الفكرية، وتلقفت مصر. في تلك الفترة. دون تمييز، جميع أمراض المجتمع الأوروبي، وكذلك أخلاقه المنحلة، وأصبحت قطعة من أوروبا، ومن فرنسا تحديداً، وعاث في أرضها بعض المستشرقين فساداً وإفساداً، ثم سلموا دفة الإفساد إلى بعض المصريين، ممن لم يتوانوا في نشر الكفر والإلحاد، وسعوا سعياً حثيثاً إلى إلغاء الفضيلة والأخلاق الإسلامية، وإحلال النفعية والمادية محلها، حتى أصبح دعاة الإسلام والمحافظة غرباء على المجتمع دخلاء عليه، ويوصفون بالجمود والتخلف والعداء للحضارة، وبما أن مصر هي رثة العالم العربي في ذلك الوقت، فقد انتقلت حمى الردة والإلحاد إلى جميع دول الجوار، ابتداءً من الشام، ومروراً بالعراق، والخليج بما فيها السعودية، وانتهاءً ببلاد اليمن<sup>(3)</sup>.

1 ناصر بن سعيد بن سيف، ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية، ص6 (الانترنت).

2 ينظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الإلحاد، (موقع صيد الفوائد). www.said.net.

3 ناصر بن سعيد بن سيف، م.س، ص7 (الانترنت).

وكان هناك مجموعة من رواد الإلحاد في العالم العربي قادوا هذه الحملة الخبيثة حيث نبذوا الدين جانباً، واستبدلوا به الإلحاد أو اللادينية وأعملوا معاول الهدم والتخريب في الأخلاق والدين، وأرادوا جعل المجتمعات نماذج مكررة من الدول الأوروبية المُنحلةِ الفاسدة، وحاولوا صُنْعَ فجوةٍ بينَ العلم والدين، وأوهموا أن الدين يعارض العلم والواقع، ويقفُ دون الانطلاق إلى آفاق جديدة، ويُحرِّمُ الإبداع، ويدعو إلى الكهنوتية والتفوق<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: وسائل التصدي للأفكار العلمانية والإلحادية:

1- غرس العقيدة الصحيحة في النفوس بكل وسيلة؛ كالدروس والمحاضرات والخطب والمناهج وكل طريق لا سيما الأصول التي يؤدي الرسوخ فيها إلى تفكيك الأفكار الإلحادية: كالإيمان بالغيب والإيمان بالقدر واعتقاد الحكمة في أفعال الله وتعظيم النصوص الشرعية، كما يجب أن تعاد الهيبة للمواد الشرعية في المناهج التعليمية، وأن يربى الطلاب على أنها الأجدر والأعظم بالاهتمام في هذه الحياة، وأن تكون لها الصدارة في الحصص وفي أوقاتها وفي الدرجات، وليس أن يكون هذا للمواد العلمية التجريبية على حساب المواد الشرعية<sup>(2)</sup>.

2- تقوية الشعور بالاستعلاء الإيماني والنعمة الإيمانية، واليقين بأن الله . تعالى . مع المؤمنين؛ يكلؤهم برعايته ، ويمدهم بعونه وتوفيجه، ثم منقلبهم في الآخرة إلى جنات النعيم.

3- الترشيح الثقافي بملاحظة مصادر التلقي التي يستقي منها الشباب أفكارهم؛ فيلاحظون فيما يقرؤون، وفيما يتابعون من مواقع، ولا يترك لهم الحبل على الغارب، فإن من أعظم الأخطار أن يسمح للناشئ أن يبحر في الشبكة كيف يشاء دون رقيب أو حسيب، ولن نصل إلى الطمأنينة والأمن لأبنائنا إلا إذا وصلت العلاقة بين الابن وأبيه والأخ وأخيه والمعلم وتلميذه مرحلة الصداقة بحيث يكون الصدر

1 ينظر: وائل رمضان، ظاهرة الإلحاد ما حقيقتها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ص2.

2 صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي، الإلحاد (وسائله وخطره وسبل مواجهته)، ص69.

مفتوحاً أمامه لبيئته الشبهات التي تعرض له والأسئلة التي تحيره، بدل أن يبحث عن أجوبتها في جحر العقارب<sup>(1)</sup>.

4- تأصيل المنهج الشرعي في فن التعامل مع الشبهات؛ بالنأي عنها والسعي في كشفها، وهذا من الأمر المهم الذي ينبغي أن نعنى بغرسه في نفوس الناشئة، وهو أن الشبهة داء، ولا ينبغي التعرض للداء، وعليه فيجب أن يقنع الناشئة بالألا يرخوا أسماعهم لمن يبيث في نفوسهم الشبهات، فإنها الشبه خطافة، والقلوب ضعيفة؛ فالاستماع للشبهة إذن مغامرة غير محسوبة العواقب، وكم من إنسان ظن في نفسه القوة والعلم فولج إلى موقع أو استمع إلى ملبس فأوقع في صدره شبهة لم تخرج منه؛ فصرعته وفعلت به الأفاعيل<sup>(2)</sup>.

5- رعاية الشباب المبتعثين إلى بلاد الكفر، حيث ينبغي تحصين هؤلاء الشباب قبل ذهابهم وبعد ذهابهم، فعلى الجهات الرسمية المعنية بالدعوة والإرشاد والملحقيات الثقافية واجب في توعية الشباب وتحذيرهم، وأن يكونوا الصدر الواسع الذي يحتضنهم، وعلى طلبة العلم الشرعي المشاركة في المواقع والمنتديات المخصصة للشباب المبتعثين<sup>(3)</sup>.

6- أن تتحمل الأنظمة الحاكمة في البلاد الإسلامية مسؤولياتها في تجفيف منابع الفكر الإلحادي واجتثاث أسبابه، من خلال سن القوانين التي تجرم الترويج لهذه الأفكار وتطبيق العقوبات الرادعة بحق كل مروج لهذه الأفكار.

### المطلب الثالث: التصدي لأهل البدع وأصحاب الضلال والفرق المشبوهة:

- 
- 1 صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي، الإلحاد (وسائله وخطره وسبل مواجهته)، ص70.
  - 2 ينظر: محمد السعيد، تغريدات الدكتور محمد السعيد حول منهج التعامل مع الشبهات، (موقع صيد الفوائد) . www.saaaid.net
  - 3 صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي، م.س، ص72

لقد ألفت أفكار ومعتقدات وبدع بعض المتصوفة والمرجئة<sup>(1)</sup> وأصحاب الغلو بالآثار السيئة على المجتمع الإسلامي، الأمر الذي ساهم في ازدياد حالة الضعف والترهل التي أصبحت عنوانا للمرحلة الحالية التي تعيشها مجتمعاتنا الإسلامية، وهو ما أعطى للغرب الوقت الكافي للاستمرار في السيطرة والتمكين، الأمر الذي يحتم علينا في ضوء أي خطة لإصلاح أوضاع الأمة محاربة آثار هذه الفرق، وبيان خطورتها واستغلالها من قبل الغرب لاخترق حصننا العقدي والفكري. ومن هنا لا بد من استعراض بعض من تلك الآثار التي شاعت في مجتمعنا الإسلامي نتيجة لتلك البدع والأفكار التي ساعدت تلك الفرق على نشرها واستفحالها ومنها:

### أولاً: نظرة المتصوفة إلى الحياة:

من خلال المبالغة في التقشف ومدح الفقر والعزلة، فقد زعم كثير من الصوفية أن الفقر أمر محمود لذاته، وأنه مقام شريف من مقامات الوصول إلى الولاية<sup>(2)</sup>، إلا أن التطرف صار من لوازم التصوف وخصائصه وأنه أمر زائد على الزهد المشروع المحبب إليه، حيث ستجد عند بعض المتصوفين المبالغة في الجوع والتعري وترك الحلال وتجدهم يفرطون في التقشف وتعذيب النفس وجلب الأذى والتجاوز في أوامر الله أو نواهيه<sup>(3)</sup>، بالإضافة إلى ذم بعض المتصوفة للزواج ومدحوا العزوبية، حتى أنهم بوبوا في كتبهم أبوابا مستقلة في مدح العزوبية وذم الزواج، ولعل هذا مأخوذ من رهبان النصارى ونساک المسيحية الذين ألزموا أنفسهم التبتل خلافا لفطرة الله التي فطر الإنسان عليها، حيث يرى بعض المتصوفة أن هذه المعاني مقتبسة من النصرانية حيث قال أبو طالب المكي رويانا عن عيسى . عليه السلام . أنه قال: "أجبعوا أكبادكم وأعروا أجسامكم لعل قلوبكم ترى الله . عز وجل".<sup>(4)</sup>.

---

1 وهم الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل (الطبري، تهذيب الآثار، (659/2)، وعليه فإن: من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان من قال بهذه الأمور أو بعضها فهو مرجئ (البغوي، شرح السنة، 41/1).

2 محمد حامد الناصر، بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية، ص 266 (الانترنت).

3 ينظر: إحسان الهي ظهير، دراسات في التصوف، ص20.

4 أبي طالب المكي، قوت القلوب، 67/2.

فمن خصائص النصرانية وتعاليمها ترك الدنيا والتجرد من المال والجوع وتعري الأجساد والإعراض عن زينة الحياة المباحة وتحريم الطيبات باسم الانقطاع إلى الآخرة وكل ذلك مضاد للفطرة السوية، ولذلك بقيت تعاليم النصرانية المحرفة أفكارا مثالية لا تطبق في عالم الواقع، بل إن كثيرا من الرهبان انجرفوا في حمأة الرذيلة وتعلقوا بأطياب الدنيا ناهيك عن الغرب الذي يدين بالنصرانية، وهذا ما وقع فيه كثير من المتصوفة تعلقا بالحياة الدنيا باسم الزهد والدروشة وخاصة في العصور المتأخرة، مخالفين زهد الصحابة في متاع الدنيا، ذلك الزهد الإيجابي البناء الذي يدفع أصحابه إلى الجهاد والمواجهة والمجادة، لا إلى الانحسار داخل النفس وهو الزهد الذي يحصن النفس ضد الفتنة لا الذي يقتل النفس للوقاية منها<sup>(1)</sup>، وكانت النتيجة بسبب هذا الفكر السلبي أن وصل العالم الإسلامي إلى حالته الراهنة من الفقر والجهل والمرض<sup>(2)</sup>.

بالإضافة إلى أن بعض المتصوفة يتكون التكسب عادة ويرونه من المنغصات بل من المنكرات والمحرمات، ويأمرون بالتسول والاستجداء أو الكسل والخمول، حيث يقول ابن عجيبة الحسني "التصوف بني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التدبير والاختيار"<sup>(3)</sup> وهذا مخالف لهديه . صلى الله عليه وسلم . ولقد أدت تلك النظرة المنحرفة إلى احترام البطالة وإباحة التسول وتحقير ما تنطوي عليه الحياة من لذات، وإغراء الناس بتكلف الحزن، والسعي إلى مواطن الذل، ولقد أفسد التواكل كثيرا من عقيدة القضاء والقدر وحولها من عقيدة إيجابية دافعة إلى عقيدة سلبية مخذلة، وإلى الرضا السلبي بالواقع وعدم محاولة التغيير<sup>(4)</sup>، ولقد استغل نابليون بونابرت تلك الفكرة المنحرفة عن القضاء والقدر لما احتلت جيوشه أرض مصر، فكان يصدر منشوراته بتذكير

- 
- 1 ينظر: محمد حامد الناصر، بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية، ص272. ص273 (الانترنت).
  - 2 ينظر: محمد قطب، مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص323، ص328.
  - 3 ابن عجيبة الحسني، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص4.
  - 4 محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص144.

المسلمين بأن ما وقع لهم من الاحتلال والأسر كان بقدر من الله، فمن حاول الاعتراض على ما وقع فكأنه يعترض على القضاء والقدر<sup>(1)</sup>.

إن التربية الصوفية على الدعة في التكايا والزوايا مع سماع الأناشيد والأشعار وفهم مغلوط (عند كثير منهم) لمفهوم القدر، وأن إرادة الله نافذة ولا مجال لدفع العدو بالجهاد، كل ذلك أبعد المتصوفة عن الجهاد، بل جعل أكثرهم يوالي الأعداء مثلما حصل في الجزائر، حيث كانت الصوفية يحضرون اجتماعات جمعية العلماء لا خدمة لغاياتها ولكن عوناً لفرنسا والإدارة المحلية، ولكن الجمعية أخرجتهم منها. ولذلك كان الشيخ ابن باديس يحارب هذه الطرق الصوفية أثناء تفسيره للقرآن الكريم في الجامع الكبير في مدينة قسنطينة<sup>(2)</sup> أو ما حصل مع الطائفة التيجانية التي والى كثير من زعمائها المستعمر الفرنسي في الجزائر، حيث جاء في رسالة للمارشال الفرنسي إلى شيخ الطريقة التيجانية: أنه لولا موقف الطريقة التيجانية المتعاطف لكان استقرار الفرنسيين في البلاد المفتوحة حديثاً أصعب بكثير مما كان<sup>(3)</sup>، على أنه من باب إحقاق الحق، لا بد من ذكر أن بعض المتصوفة قد أعلنوا الجهاد ضد المستعمر الإيطالي في ليبيا وهي من أتباع الحركة السنوسية.

وبذلك يحاول بعض المتصوفة مخالفة هذا الدين ومصادمة نصوصه الواضحة في انحرافات كثيرة، ساهمت في تخلف المجتمعات، وأن تترك قيادة ركب الحضارة لغيرها من الأمم الضالة، بعد أن كانت خيراً وبناء وإعماراً للبشرية كلها، يوم أن كانت تسير على هدي هذا الدين وتستتير بنوره الوهاج.

### ثانياً: الابتداع في الدين يصرف الناس عن الابتكار في شؤون الدنيا:

حيث نجد الذين يحرصون على ارتكاب البدع يبذلون الجهد والطاقة في إظهار هذه البدعة، وبذلك يضيعون جهودهم وأنشطتهم في هذه الإضافات والزيادات التي أضافوها إلى الدين، فلن تبقى لهم طاقة للعمل للدنيا والابتكار في شؤونها، حيث إن البدعة كما عرفها كثير من العلماء: "هي طريقة في الدين

1 عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 239/2.

2 محمد العبدية وطارق عبد الحليم، الصوفية، ص93.

3 علي بن محمد الدخيل، التيجانية، ص66.

مخترعة"، والاختراع يجب أن يكون في أمور الدنيا، ولكن ما دام الإنسان قد جعل كل اختراعه في الدين فلن يخترع في الدنيا، ولذلك المسلمون الأوائل ابتكروا في أمور الدنيا، وعملوا أشياء لم يسبقهم إليها أحد، وقامت في ظل دينهم حضارة شامخة، جمعت بين العلم واليقين بالدين والدنيا، وكانت العلوم الإسلامية الكونية والرياضية والطبيعية والفلكية هي العلوم التي تدرس في العالم، ويتعلم فيها على أيدي المسلمين<sup>(1)</sup>.

والمسلمون كان دافعهم في معظم اكتشافاتهم العلمية دينياً، ولا يخفى على أحد أن علم الجبر، المنسوب إلى الخوارزمي اختراعه، وكان هدفه الأول هو حل مسائل معينة في قضايا الوصية والميراث، والميراث جزء منه رياضي، وكذلك الوصية، ولهذا كان كتابه في جزئين، جزء في الوصايا والميراث، وجزء في الجبر والمقابلة، ولما قام العلماء الذين حققوا الكتاب (الجبر المنسوب إلى الخوارزمي) علقوا على الجزء المتصل بالجبر، أما الجزء الفقهي المتصل بالوصايا والميراث فقالوا: لم نفهمه ولم نستطع أن نعرف منه شيئاً<sup>(2)</sup>، وذلك لأن العلم في عصر الصحابة والتابعين كان متصلاً بالدين، على سبيل المثال: ابن رشد مؤلف الكليات في الطب، كان قاضياً، صاحب كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) وهو من الكتب العظيمة التي كتبت في الفقه المقارن، ويعتبر من أشمل الكتب وأكثرها إحاطة بالمسائل الفقهية المقارنة<sup>(3)</sup>.

كل ذلك كان يتم؛ لأن المسلمين في العصور الأولى وقفوا عند النص، وعند السنن في أمور الدين، ولم يضيعوا أوقاتهم في اختراع البدع وابتكارها، على العكس تماماً، ابتكروا واخترعوا وأنشأوا وطوروا وحسنوا في أمور الحياة المدنية وشؤون الحياة العامة، ولكن حدث العكس، في عصور التخلف الأخيرة حيث ابتدع المسلمون أشياء كثيرة جداً في أمور الدين ما أنزل الله بها من سلطان، وليس عليها أي دليل من الكتاب والسنة، وجمدوا في أمور الدنيا، وقالوا: ما ترك الأول للأمر شيئاً، وليس في الإمكان أبدع مما كان، وضربت الحياة المدنية التي مجالها الإبداع والابتكار بالجمود والعقم، وتخلف المسلمون

---

1 أشرف عبد العاطي، البدعة وأثرها على المجتمع الإسلامي، ص 259.

2 يوسف القرضاوي، السنة والبدعة، ص 35، ص 36.

3 أشرف عبد العاطي، م.س، ص 260.

في كل ميدان وأصبحوا كالماء الراكد الآسن<sup>(1)</sup>. فلذلك كان الإنكار الشديد للابتداع في الدين معناه توفير طاقات الناس وقدراتهم من أجل الابتكار والإبداع والتطوير في الميدان الصحيح، ألا وهو الابتكار والإبداع في مجال الحياة المدنية بكل جوانبها.

### ثالثا: الابتداع في الدين يفرق شمل الأمة ويمزق وحدتها:

ومن الآثار السيئة التي تركها انتشار البدع في المجتمع الإسلامي التفرق والتشردم؛ وذلك لأن الوقوف عند السنن والالتزام بها يجمع شمل الأمة ويجعلها صفا واحدا متراسا وراء هذا الحق الذي بينه ووضحه النبي - صلى الله عليه وسلم - لأن السنة واحدة، ولكن البدع تتعدد وتتفرع ولا تنتهي، وذلك أيضا لأن الحق واحد والباطل يتعدد ويتغير ويتلون حسب الأهواء والمصالح، صراط الله واحد مستقيم لا عوج فيه، ولكن سبل الشيطان كثيرة ومتعددة ومتعرجة<sup>(2)</sup>. ولذلك يقول العلماء لما كانت الأمة تسير وراء السنة، كانت كلمتها واحدة، ولما تركت الالتزام بالسنة تفرقت وتمزقت إلى أكثر من سبعين فرقة، بل إن كل فرقة انقسمت إلى فرقة أخرى، وكل فرقة تعتقد أن ما عليها هي هو وحده الدين، وهو وحده الحق، وابتدعت من نفسها أشياء بدعا بعضها في العقائد وصلت أحيانا إلى حد الخروج عن الإسلام، منهم الذين قالوا في ذات الله . عز وجل . وشبهوا الله بخلقه، وهم المشبهة والمجسمة، ومنهم الذين أنكروا قدر الله . عز وجل . وإن لم ينكروا علمه، ومنهم الذين كفروا المسلمين واستحلوا دماءهم مثل الخوارج، رغم اجتهادهم في العبادة، وظهر بعد ذلك فرق المتصوفة وجاءوا بأقوال ما أنزل الله بها من سلطان، مثل الاحتكام إلى الذوق وإلى الوجدان الشخصي وليس إلى الشرع، فليس عندهم من الضروري أن يرجع الإنسان إلى حكم ربه، بل مرجعه إلى حكم قلبه معتقدا صحة ذلك، وقال بعضهم . من فرق المتصوفة . تأخذون علمكم من ميت عن ميت، ونحن نأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت<sup>(3)</sup>.

1 يوسف القرضاوي، السنة والبدعة، ص36، ص37.

2 يوسف القرضاوي، م.ن، ص36.

3 أشرف عبد العاطي، البدعة وأثرها على المجتمع الإسلامي، ص261.

وبعض فرق المتصوفة كالتيجانية تؤمن بجواز التوسل بذات النبي . صلى الله عليه وسلم . وبالشيخ التيجاني، ومؤلفاتهم مليئة بذلك، مثل ما أورده مؤلف كتاب الدرّة الخريفة حيث قال: "من زار من الإخوان الأحمديين شيخاً من المشايخ حياً كان أو ميتاً بقصد التوسل به والاستمداد غير شيخنا أبي الفيض... فقد خرج عن الطريقة الأحمدية ولا إذن عنده فيها، بل انسلخ منها انسلخ الجلد عن النعاج، وانفصل عنها انفصال البيض عن الدجاج..."<sup>(1)</sup>.

بالإضافة إلى إيمانهم برؤية النبي . صلى الله عليه وسلم . يقظة بعد موته في الدنيا والأخذ منه مباشرة، إذ كل ما قالوه من أفكار وما ذكروه من أوراد زعموا أن شيخهم (التيجاني) قد أخذها عن النبي . صلى الله عليه وسلم . يقظة لا مناما، وقد ورد ذلك في كتبهم مثل جواهر المعاني: "قال . رضي الله عنه .: أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناما قال لي: أنت من الآمنين ومن رآك من الآمنين إن مات على الإيمان... الخ"<sup>(2)</sup>.

ومن الأشياء التي جاؤوا بها ومزقوا صف الأمة، ما يسمى عندهم بالحقيقة والشريعة، فأهل الشريعة ينظرون إلى الظواهر، أما أهل الحقيقة فهم يعرفون الأسرار والبواطن، ولذلك قالوا: "من نظر إلى الخلق بعين الشريعة مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم"، فالزاني والسكير وشارب الخمر والظالم والذي يعذب الناس ويقتلهم بالمئات والآلاف ويهدم مدناً على أهلها، هؤلاء إذا نظرت إليهم بعين الشريعة تمقتهم، لأن الشريعة تمقت المنكر والظلم وأهله، ولكن إذا نظرت إليهم بعين الحقيقة تعذرهم، لأنهم وإن كانوا لا ينفذون أمر الله، فهم ينفذون إرادة الله، لأن الله أراد هذا، زعمهم هذا باطل، ويبررون موقفهم الخاطيء والسلبى بعبارات كلها مخالفة للشريعة والسنة النبوية، مثل: "دع الملك للمالك، واترك الخلق للخالق"، وينتهي هذا الموقف بسلبية أمام الفساد وأمام الطغيان، وبسلبية التربية وهكذا مما نتج عنه إنسان سلبي عديم الشخصية وعديم الإرادة، وهكذا تكون الأمة لو تركت وسمحت بانتشار البدع لا يمكن أن تجتمع أو يلتئم لها صف، وإنما يكون اجتماعها وتكون صفا واحدا عندما

1 محمد فتاح بن عبد الواحد السوسي، الدرّة الخريفة شرح الياقوتة الفريفة، 3/144.

2 علي حرازمان العربي براده، جواهر المعاني وبلوغ الأمانى، 1/129.

تقف خلف رسول الله، وتلتزم بسنته، وتتبع المحكم من كتاب الله وسنة رسوله، ولا مانع بعد ذلك أن تختلف في الفروع، لأن الاختلاف في الفروعيات لا يفسد الأخوة الإسلامية، ولا يمنع الوحدة الإسلامية، حيث ضرب لنا الصحابة والتابعون أعظم الأمثلة في ذلك، اختلفوا في الفروع ولكنهم ظلوا دائما إخوة متحابين، وظلوا مسلمين، وذلك بفضل التزامهم بالسنة النبوية، وبعدهم التام عن طريق البدع<sup>(1)</sup>.

#### رابعاً: الفكر الإرجائي المعاصر:

مدّ المرجئة المعاصرون فكرهم حتى شملوا به كل شيء من مقتضيات لا إله إلا الله، ذلك لأنهم ولدوا في مجتمع لا يحكم بشريعة الله، وفي مجتمع لا تؤدي فيه الصلاة ولا غيرها من العبادات ثم تناولوا الجرعة المسمومة من أسلافهم فقالوا: "من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن ولو لم يعمل عملاً واحداً من أعمال الإسلام، فتجاوزوا بذلك الحاجزين الأخيرين اللذين كان المرجئة القدامى قد وقفوا عندهما: حاجز الصلاة وحاجز الشريعة، فوصفوا المجتمعات التي لا تحكم بما أنزل الله بأنها مجتمعات إسلامية وصنفوا الناس كل الناس بأنهم مسلمون ما داموا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وقال ابن تيمية . رحمه الله . عندما سئل عن رجل قال: "أنا لو فعلت كل ما لا يليق وقلت لا إله إلا الله، دخلت الجنة ولم أدخل النار"، فأجاب . رحمه الله .: "الحمد لله رب العالمين من اعتقد أنه لمجرد تلفظ الإنسان بهذه الكلمة يدخل الجنة ولا يدخل النار بحال، فهو ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع المؤمنين، فإنه قد تلفظ بها المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار وهم كثيرون بل إن المنافقين قد يصومون ويصلون ويتصدقون ولكن لا تقبل منهم...."<sup>(2)</sup>. وبذلك يتبين أن ضمور مفهوم لا إله إلا الله عند المرجئة سبب هذا الانحراف، وأدى إلى التسبب الموجود حالياً عند كثير من المسلمين، ناهيك عن تبني بعض الإسلاميين لهذا الفكر المريض، لقد تميعت المواقف حتى عند بعض الدعاة، مما أدى إلى الاضطراب والانتكاس مع أعداء الدعوة الإسلامية، وفي ضوء الفكر الإرجائي نستطيع أن نفسر كثيراً من الانحرافات التي اشتدت وطأتها في هذا القرن وعلى رأسها انتشار مظاهر الشرك كلها.

1 أشرف عبد العاطي، البدعة وأثرها على المجتمع الإسلامي، ص 262.

2 محمد حامد الناصر، بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية، ص 82 (الانترنت).

وترتب على إهمال المرجئة لأعمال القلوب من الآثار المدمرة في حياة الأمة الشيء الكثير، ومن أعظم ذلك انحسار مفهوم العبادة وتضييقه وانتقاص توحيد الألوهية ووقوع الأمة في الشرك الأكبر حتى أصبح المرجئة في عصرنا الحاضر يجاهرون بإنكار دخول الأعمال في العبادة والتأليه، وينحصر الشرك بزعمهم في اعتقاد القلب أن هذا المخلوق إله أو رب معبود، أما إذا عمل أعمال الكفر، كالتشريع من دون الله مع اعتقاده أن ذلك لا يخرج من الملة فليس بكافر<sup>(1)</sup>، وقد وصل بهم التمادي إلى إخراج شعائر التقرب والتسك كالنذر والتوسل والذبح والتعظيم من مسمى العبادة، بل صرحوا بأن السجود للصنم ليس بكفر لذاته<sup>(2)</sup>.

ومن هنا تقام الفسق والفجور بعد ذلك، بل لقد تقشت مظاهر الشرك في مجتمعاتنا المعاصرة، وظهر شرك العصر المعروف وهو شرك الاتباع والتشريع بغير ما أنزل الله؛ فألغيت المحاكم الشرعية في أكثر البلدان، ومن بقيت فيها حجم دورها، وشيدت المحاكم الوضعية التي تحكم بقوانين ملفقة "من شرائع شتى وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسي والأمريكي والبريطاني، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين للشريعة وغير ذلك، فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهياة مكملة مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به وتحتمه عليهم، فأى كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة للشهادة بأن محمدا رسول الله بعد هذه المناقضة"<sup>(3)</sup>.

كما أن الملاحدة زعماء وكتابا قد تجرؤوا على دين الله سخرية واستهزاء عندما مهد الفكر الإرجائي لهم الطريق، وجرت بعد ذلك ألفاظ الاستهزاء على أسنة العوام، فأصبحت في أحيان كثيرة كالسلام، ما داموا لا يخشون عقابا ويجدون من تأويل المرجئة وفتاويهم اللين والاستخاء.

1 محمد حامد الناصر، م.ن، ص 83 (الانترنت).

2 سفر الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي (دكتوراه) جامعة أم القرى، السعودية، 1405 هـ ص 405.

3 محمد بن إبراهيم آل الشيخ، رسالة تحكيم القوانين، ص 6.

ومن ثم عم البلاء حتى تعدى مجال الاستهزاء إلى مجال الكفر الجاد الجلي الذي كان أمراً محظوراً، ففسى الناس تكفير الباطنية كالقرامطة والدروز وأمثالهم، وغاب عنهم تماماً كفر الطواغيت، كطواغيت الدجل والخرافة والسحر، أما طواغيت الحكم والتشريع فقد نسخوا شريعة الله جهارا نهارا وحكموا شرائع الطاغوت في الدماء والأعراض والأموال وألزموا الناس في مناهجهم ووسائل تربيتهم لموالات الكفار، بالمويقات ضروبا وألوانا، وسخروا من الحدود والحجاب وتعدد الزوجات وأحكام المواريث والعبادات والأخلاق، وانضم أغلب الطبقة المثقفة كما يسمونها إلى الأحزاب الكفرية والمنظمات الإلحادية، والمذاهب الأدبية التي تسير الكفر بالشعر، وسقط حد الردة إلا من كتب الفقه الموروثة، بل ظهر في صفوف المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية اتجاه جديد ينكر حد الردة ضمن ما ينكر من حدود الإسلام وأصوله، ومر على الأمة الإسلامية أجيال بل قرون لم تسمع فيها أن حد الردة أقيم على زندق مجاهر أو ملحد مكابر، في حين أن آلاف الأرواح تزهب لأسباب سياسية أو خلافات شخصية<sup>(1)</sup>.

ولقد حصر المرجئة الكفر في تكذيب القلب فقط، فهانت المقدسات، وتجراً السفهاء حتى أنهم لم يعتبروا أعمال الكفر الصريحة كالسجود للصنم، وإهانة المصحف وسب الرسول إلا دلالات على انتقاء تصديق القلب وليست مكفرة بذاتها، وهنا نقرأ ونرى عشرات الكتب وآلاف الصحف والمجلات وكثيرا من الوسائل المرئية والسمعية تهاجم أصول الدين، وتسخر من قضايا التشريع والأخلاق، بل إنها تشجع الزنا والفجور، وتهزأ بالرسول، ولا تخشى بسبب هذا الكفر أو التطاول عقابا، ولا نبالغ إذا قلنا أنها تجد تشجيعا من أكثر المنظمات العالمية وكثير من السلطات المحلية، ويجري ذلك باسم حماية الحرية الشخصية، وتحت مظلة من الأفكار الإرجائية، حتى أصبحت المحافظة على العقيدة الصافية جرما شائنا، والتمسك بما تتطلبه الشريعة رجعية عتيقة، إن لم تكن أصولية، يجمع أقطاب النظام العالمي الجديد على حريها خارج بلادها عند المسلمين فقط<sup>(2)</sup>.

1 سفر الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي (دكتوراه) جامعة أم القرى، السعودية، 1405 هـ، ص 47.

2 محمد حامد الناصر، بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية، ص 86 (الانترنت).

وعلى ضوء هذا الفكر لا نعجب من عدم الإنكار لتصرفات بعض الحكام الهوجاء، وصمت الناس حيال ما يصدر من حكامهم من خرق لأحكام الدين وانتهاك لمحارمه، ومن ظلم واضطهاد للناس، وأعظم من ذلك كله موالاته الكافرين ومناصرتهم وعداوة المؤمنين ما دام أن هؤلاء الحكام يتقوهون بالشهادة ويتكلمون باسم الدين، وبذلك ابتعدت الأمة عن تحكيم شرع الله، وهي لا تحس غضاضة بذلك ما دامت تفر أن شرع الله أفضل من شرع الطواغيت وكفى<sup>(1)</sup>.

### خامسا: البدعة وسيلة من وسائل التنصير:

لقد استغل المنصرون البدع بأنواعها وأشكالها المختلفة، لزراعة العقيدة في قلوب عامة المسلمين وبسطائهم، ثم تحويلهم تدريجيا إلى دينهم المحرف، وقد ركز هؤلاء المنصرون على البدعة في تقاريرهم ودراساتهم، وهذه نماذج منها:

يقول ليفنجستون: "بدلا من التفكير في تعاليم القرآن الأساسية، فإن إسلام شمال إفريقيا يميل إلى إظهار نفسه من خلال ممارسات دينية، تشمل الاعتقاد بأضرحة الأولياء والعرافين"<sup>(2)</sup>.

وتذكر فاليري هوفمان: وهي متخصصة في شؤون المرأة في الشرق الأوسط: كيف أن الأضرحة في الشرق الأوسط تلعب دورا مهما في حياة المرأة، حيث تقد إليها النساء لتقديم النذور وطلب العون، وكي تعتمد المرأة على ظاهرة بدعة الزار لطرد الأرواح الشريرة والتي تنتشر بين كثير من الطبقات الاجتماعية في مصر، حيث يستخدم الزار للتفيس عن التوترات الداخلية والضغط النفسية التي تعاني منها النساء<sup>(3)</sup>.

ويقول إفري وبليس: "إن غالبية المتنصرين في تاريخ إندونيسيا الحديث هم من أتباع ما يعرف بالإسلام الجاوي الذي يميل إلى التوفيق بين المعتقدات بدلا من الإسلام القويم المختلف تماما،

1 محمد حامد الناصر، بدع م.ن، ص 88 (الانترنت).

2 حمدي بن عبد الله، البدعة و أثرها في فساد العقيدة والتصور الإسلامي، ص143.

3 عبد الرحمن الزامل، البدعة مطية المنصرين إلى العالم الإسلامي، ص1.

والمنصرون استغلوا البدعة أفضل استغلال، فالمبتدعة يتقبلون ولا يفرقون، المهم أن يكون ما يقدم لهم وفق أهوائهم ورغباتهم، لذا نجد المنصرين قد جهزوا جيوشا من الاختصاصيين في شتى التخصصات مثل: البدعة، علم النفس، الاجتماع....إلخ.

يقول كينس كراج: "إن الاعتقادات في البركة والعين الحسودة والرقى طبعاً البدعية تهيئ فرصاً مواتية للمنصر، لأن هذه الاعتقادات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الخوف والموت والمجهول"<sup>(1)</sup>.

يقول أحد أفراد قبيلة الورايب في النيجر: "إنه في أحد سنوات القحط جاءنا منصرون وطلبوا منا أن ندعو محمداً، ليشفي ماشيتنا من الأمراض التي أصابتها، وفعلنا ولم تشف، وفي السنة التي بعدها طلبوا منا أن ندعو عيسى المسيح . عليه السلام . فلما فعل الناس ذلك قام المنصرون بعلاج الماشية وإعطائها اللقاحات والأدوية مما قلل من المرض، ونتيجة لذلك دخل بعض الناس في النصرانية"<sup>(2)</sup>.

ولحصر آثار البدع ولتقليل ضررها في المجتمع الإسلامي في وقتنا المعاصر، لا بد من تتبع ما يلي:

## 1- العمل على محاربة الجهل بأحكام الدين والتشبه بالكفار:

كلما امتد الزمن، وبعد الناس عن آثار الرسالة، قل العلم وفشا الجهل، فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء، فإذا فقد العلم والعلماء أتاحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولأهلها أن ينشطوا<sup>(3)</sup> فالواجب على أهل العلم والإيمان أن يبينوا للناس ما أنزل إليهم من ربهم، وأن يحذروهم من أهل الأهواء والبدع، ويردوا عليهم بكشف شبهاتهم وردّ تأويلاتهم، وبيان وجوه خطئهم ومخالفتهم للكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح من الأمة.

ولقد قام علماء الأمة وأئمتها من لدن الصحابة والتابعين ومن بعدهم برد مقالات الخوارج والروافض والقدرية والجهمية ومنحرفي العقيدة والمتزهدة، ومقالاتهم ومصنفاتهم في هذا معلومة مشهورة، كما قام الخلفاء الراشدون ومن بعدهم أمراء المؤمنين وعمالهم في ولاياتهم بالأخذ على أيدي أهل البدع

1 حمدي بن عبد الله، البدعة و أثرها في فساد العقيدة والتصور الإسلامي، ص145.

2 عبد الرحمن الزامل، م.س، ص5.

3 محيي الدين عطية، تذكير المسلمين بتوحيد الإله العظيم، ص109(الانترنت).

فناظروهم وردوا مقالاتهم وفندوا شبهاتهم، وحكموا على من عاند بما يستحق فقتلوا وجلدوا وحبسوا ونفوا كل ذلك لحفظ دين الله . تعالى . وحرمات عباده، فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، فلا ظهور للدين ولا صلاح لأحوال المسلمين ولا شهرة للسنة إلا بالرد على أهل الأهواء والبدعة وكشف تلبساتهم وتزييف باطلهم وإيقافهم عند حدهم ومنعهم من فتنة المسلمين وهذا من أعظم الجهاد في سبيل الله<sup>(1)</sup>.

كما تتوجب محاربة التشبه بالكفار، فهو أشد ما يوقع في البدع، في حديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (الله أكبر . إنها السنن . قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى<sup>(2)</sup>: ﴿اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾<sup>(3)</sup>.

ففي هذا الحديث أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل أن يطلبوا هذا الطلب القبيح وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها وهو الذي حمل بعض أصحاب الرسول أن يسألوه أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها من دون الله، وهذا نفس الواقع اليوم، فإن غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات كأعياد الميلاد والاحتفال بالمناسبات والذكريات، وإقامة التماثيل والنصب التذكارية وإقامة المآتم وبدع الجنائز والبناء على القبور وغيرها<sup>(4)</sup>.

## 2- تصدي أهل العلم للبدع وعدم تحسينها وإن شاعت عادة وعرفا بين المسلمين:

فعدم تصدي أهل العلم لبعض تلك البدع يدعو عامة المسلمين وجهلتهم لمقارفة تلك البدع، لحسن ظنهم بأهل العلم، فالعوام من المسلمين يعتقدون أن العلماء هم ألصق الناس بالسنة وأبعدهم عن

1 عبد الله بن صالح القصير، لمع بشأن البدع في بيان حقيقتها وأدلة بطلانها والواجب نحوها، ص111.

2 الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الفتن، رقم 2180 (صححه الألباني في جلابب المرأة المسلمة رقم 202).

3 الأعراف:7/138.

4 محيي الدين عطية، تذكير المسلمين بتوحيد الإله العظيم، ص110(الانترنت).

البدعة الأمر الذي يصيرهم قدوة مطلقة في الأمور الشرعية، فإذا شهدوا حضورهم على سبيل المثال عند الجنائز وفي المقابر والمآتم والقرآن يتلى ظنوا ذلك من السنة، وأنه من المشروع في دين الله والأمر على خلاف ذلك.

وقال الريسوني<sup>(1)</sup>: "إن سكوت العلماء عن بيان حقيقة البدعة وحقيقة السنة مما يشجع العامة على عد سكوتهم موافقة على ما يمارسونه من البدع وأعظم من سكوتهم على البدعة ممارستهم لها، لأن السكوت إقرار للعمل بها، بينما فعل البدعة تحفيز لعامة الناس على التقليد والاحتجاج به"<sup>(2)</sup>.

ومن هنا تمسك العامة بالبدع، بل بالمحرمات بحجة أنها أشياء ماثورة وقد رآها العلماء وخاطبوا أهلها، ولم ينكروها فدل على أنها الشرع وغيرها ضلال مبين، وقد انتشر عن هذا الطريق كثير من بدع المساجد والموائد وإحياء الليالي والاستئجار على الختمات والتهايل والتساييح، إلى غير ذلك مما هو معروف على أنه من الدين والدين منه بريء<sup>(3)</sup>. كما ينبغي ألا نقوم بتحسين البدع بكونها شاعت بين المسلمين عادة وعرفا، فهذا من أسوأ أنواع التقليد، إذ يظن البعض أن الأمر المبتدع إذا اشتهر وانتشر أنه لا يقبل المعارضة ولا يسوغ التطرق إليه بالنقض والنقد، فاستدام العمل على بعض البدع حتى أصبحت عند عوام المسلمين من المشروع الذي ينكر إنكاره، فلما ارتكبنا عوائد اصطلاحنا عليها بحسب ما سولت لنا أنفسنا، صارت تلك العوائد التي ارتكبناها ومضينا عليها سنة لنا، فإذا جاءنا من يعرف السنة ويعمل بها أنكرناها عليه، لأنه يعمل بخلاف سنتنا، وقلنا هذا يعمل بدعة بالنسبة إلى سنتنا التي اصطلاحنا عليها، فإذا نهانا عن عادتنا وأمرونا بتركها، وتركها هو، قلنا هذا يترك السنة، أي يترك السنة التي اصطلاحنا عليها<sup>(4)</sup>.

---

2 هو محمد بن المنتصر الريسوني من علماء المغرب المعاصرين ولد سنة 1360هـ وتوفي سنة 1421هـ عرف مع علمه بشعره وحارب البدع المنتشرة في وطنه (محمد بن المنتصر، وكل بدعة ضلالة، ص24).

2 الريسوني، وكل بدعة ضلالة، ص41.

3 محيي الدين عطية، تذكير المسلمين بتوحيد الإله العظيم، ص113 (الانترنت).

4 محمد بن الحاج، المدخل، 50/1.

### 3- محاربة التعصب والتقليد الأعمى:

قال شيخ الإسلام: "ولا ريب أن كثيرا من الناس يحتاج إلى تقليد العلماء في الأمور العارضة التي لا يستقل هو بمعرفتها، ومن سالكي طريق الإرادة والعبادة والفقر والتصوف من يجعل شيخه كذلك، ويجعله كالمعصوم ولا يتلقى سلوكه إلا عنه، وقال . رحمه الله : "إن كثيرا من الناس يحب خليفة أو عالما أو شيخا أو أميرا فيجعله ندا لله، وإن كان يقول إنه يحبه الله، فمن جعل غير الرسول تجب طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه، وإن خالف أمر الله ورسوله فقد جعله ندا، وربما صنع به ما يصنعه النصارى بالمسيح، فيدعوه ويستغيث به، ويوالي أوليائه ويعادي أعداءه مع إجابة طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه ويحلله ويحرمه، ويقيمه مقام الله ورسوله"<sup>(1)</sup>.

وإن فعل العالم للبدعة يوهم عامة الناس بأنها سنة، ويتسبب في كذبهم على رسول الله فيقولون: هذه سنة من السنن والتسبب إلى الكذب على رسول الله . صلى الله عليه وسلم . لا يجوز<sup>(2)</sup>.

وقال الشيخ محمود شلتوت . رحمه الله : "وقد أفرط الناس في رفع مستوى العلماء ومؤلفي الكتب بالنسبة إلى ما خلفوه من آراء وأحكام، واعتقد كل فريق أن رأيه متبوعه هو الحق"<sup>(3)</sup>.

### 4- اتخاذ وسائل الإعلام وسيلة لمحاربة البدع لا لنشرها:

فلوسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وتلفاز وصحف ومجلات وشبكات معلوماتية أثر كبير في نشر تلك البدع أو بعضها، كما هو الحال في بث مراسم الدفن المبتدعة والمتبعة في بعض البلاد الإسلامية، وإظهار صفة الأضرحة المحدثه وما يحصل عندها من تقديم الورود والهدايا وقراءة القرآن وتعدد الختمات، أو ما تبثه بعض الإذاعات المسموعة أو المرئية لبعض المنتسبين للإقراء وما يحصل منهم من مخالفات وبدع، تارة بالتمايل أو التغني غير المشروع حال الأداء أو جمع للقراءات أمام

1 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (10/267، 272).

2 محمد جمال الدين، إصلاح المساجد من البدع والعوائد، ص9.

3 محمود شلتوت، البدعة أسبابها ومضارها، ص38.

جمهور من الناس دون قصد التعليم والتعلم، أو التظاهر بسرد عدد من الآيات بتواصل النفس، والأظهر مخالفة إقرار أولئك القراء لما يحصل من مستمعهم من رفع للأصوات حال القراءة أو اتباع آخر المقطع المثلو بالتكبير والتبجيل والثناء على القارئ<sup>(1)</sup>، بالإضافة إلى قيام بعض وسائل الإعلام ببيت برامج دينية لبعض الفرق من أمثال الأحمدية وبعض فرق المتصوفة، والتي تقوم ببيت البدع والضلالات بين المشاهدين المسلمين، الأمر الذي يساعد في انتشار البدع على نحو واسع، كون قدرة وسائل الإعلام على اختراق كل بيت مسلم في عالم تكنولوجي حديث.

لذلك لا بد من إعادة ترتيب هيكلية وسائل الإعلام في عالمنا الإسلامي بحيث يتم وضع أصحاب الكفاءات الإعلامية ذوي الفكر الإسلامي النقي من كل بدع وضلالات في المناصب الإعلامية العليا، وإعادة صياغة ميثاق شرف إعلامي إسلامي تتبناه وسائل الإعلام الإسلامية، يتضمن صياغة المعلومة المراد إيصالها للمشاهد بأن تكون هادفة وخالية من أي مخالفة لشريعة وأحكام الدين الإسلامي، بحيث تتعكس هذه الهيكلية على رسالة الإعلام وضمان خلوها من أي ضلالات وبدع، واستخدام الإعلام كوسيلة لنشر الفكر الإسلامي والأحكام الشرعية الإسلامية النقية الخالصة.

##### 5- الحيلولة دون وصول أهل البدع إلى مناصب الدولة العليا أو سكوت أهل الحكم عنهم:

فوصول أهل البدع إلى مناصب عليا في الدولة، سيجعل لهم قوة في نشر بدعهم وأفكارهم الضالة بين أفراد المجتمع، وهذا ما حصل مع المعتزلة، حيث استطاعوا من خلال التأثير على خلفاء بني العباس، أن ينشروا بدعهم ويرغموا الناس على الأخذ بها واعتقادها، وكثير من البدع انتشرت تحت وطأة الرغبة أو الرهبة من الحاكمين أو المتسلطين، كما انتشرت بدع الخوارج في خراسان، وبدع القرامطة في البحرين وبدع الشيعة في اليمن وإيران<sup>(2)</sup>. ومقالة أهل البدع لم تظهر إلا بسلطان قاهر أو بشيطان

1 محيي الدين عطية، تذكير المسلمين بتوحيد الإله العظيم، ص117(الانترنت).

2 سعد الغامدي، حقيقة البدعة وأحكامها، 1/182.

معاند فاجر، يضل الناس خفيا ببدعته أو يقهر ذلك بسيفه وسوطه أو يستميله بماله ليضله عن سبيل الله، نصره لبدعته وذبا عن ضلالته، ليرد المسلمين على أعقابهم ويفتنهم عن دينهم<sup>(1)</sup>.

## المطلب الرابع: العمل على إعادة دور العلماء الرائد في قيادة الأمة:

### الفرع الأول: أهمية دور العلماء:

للعلماء دور عظيم في قيادة الأمة ينبع من علمهم المقترن بالعمل، فهم ورثة الأنبياء، يرثونهم في العلم والعمل، يقتدون بهم في السر والعلن، يلتزمون منهجهم في الغضب والرضا، فيدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرون بنور الله . تعالى . أهل العمى، إنه بقدر أهمية العلماء الريانيين وحاجة الأمة إليهم يتبين خطر غياب دورهم أو تغييبه، فإن الثغرة التي هم عليها لا يسدها غيرهم، ومن أجل تجنب ذلك لا بد من التأكيد على الأمور التالية:

أنه يجب على العلماء أن يتقدموا لسد الثغرة، وأن يتولوا زمام المبادرة بأنفسهم، و أن يكونوا قريبين من الناس قبل الفتن وفي أثنائها وألا ينتظروا أن تأتيهم الفرص وهم قاعدون، فإنهم متى ما تأخروا تقدم غيرهم ممن ليس أهلا لسد مكانهم، ولا بد للناس من قادة يرشدونهم ويوجهونهم، حتى إذا لم يجد الناس عالما اتخذوا رؤوسا جهالا فسألوا فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا<sup>(2)</sup>.

ولا بد من الاحتساب من قبل العلماء الراسخين على من يدعون العلم وينتسبون إليه من غير أهله، وتبيين حالهم للناس، وعدم ترك المجال لهم ليقودوا الأمة ويتصدروها، وإن من غش الأمة ترك الاحتساب على أولئك المتعالمين، يقول ابن القيم . رحمه الله . عن شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكان شيخنا . رضي الله عنه . شديد الإنكار على هؤلاء، فسمعتة يقول: قال لي بعض هؤلاء: أجعلت محتسبا على الفتوى؟! فقلت له: أكون على الخبازين والطباخين محتسب، ولا يكون على الفتوى

1 اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، 1/15.

2 ناصر بن سليمان العمر، دور العلماء في قيادة الأمة، ص 402 (الانترنت).

محتسب؟!<sup>(1)</sup>. ولا بد أيضا من التصدي لمن يسعى إلى زعزعة ثقة الأمة بعلمائها بوسائل شتى، لا سيما ممن يسيطرون على كثير من وسائل الإعلام على اختلافها، فإن الحرب الشرسة التي يقودها هؤلاء على أهل العلم ومحاولة التهوين من شأنهم والحط من قدرهم، لا بد أن تواجه وأن تقاوم من أهل العلم، بل من الأمة أجمع بما يتناسب مع هذه الحملات والتشويه<sup>(2)</sup>.

إننا لا نقول بعصمة العلماء عن الخطأ وإنما من يقرر أخطاءهم أو يناقشها ليس هم أولئك الجهلة أو المنحرفون، وإنما العلم يرد بالعلم، وتقارع الحجة بمثلها، ومن الأمور المهمة في هذا السياق أن يحذر العلماء من أن يقوموا هم بتغييب دورهم بأنفسهم، وقد يقع ذلك من حيث يظن العالم أن هذا هو مقتضى الثبات وعدم التأثير بالواقع، بينما هو في حقيقته نوع من الانغلاق والانكفاء على الذات، وهو مذموم بلا شك، فليس المراد بالثبات أن يقعد العالم في بيته معتزلا عن قضايا الأمة وهمومها، وإنما المراد هو الاضطلاع بدور الريادة والقيادة مع التمسك بأمر الله قدر المستطاع، فإن قدر وإلا عذر فإن الثبات على المبدأ هو التحرك به لا الانعزال والانطواء<sup>(3)</sup>، أما إذا استطاع العالم وقدر فإن المرجو منه شمولية الأهداف والمشاريع، والمنتظر منه إصلاح واقع الأمة بكل مجالات ذلك الواقع واتجاهاته.

وتأمل حال شيخ الإسلام ابن تيمية تلتمس أثره ظاهرا في التأصيل للمسائل العلمية والعملية، الدقيقة والجلية، وكذلك في تبني مشروعات عملية، منها التعبدي الخاص به، ومنها ما يتعلق بإنزال التأصيل العلمي الذي يقرره إلى أرض الواقع، فتراه مثلا يقرر مسائل الاعتقاد ثم يدعو إليها وينظر عليها، وتراه كذلك يؤصل للسياسة الشرعية ثم لا يألو جهدا في مناصحة الأمراء والولاة والقضاة وأكثر من ذلك تراه يتولى زمام الدعوة إلى شن الحروب على العدو المتغلب، وينخرط في برامج تدريبية تؤهل الناس إلى ذلك، ثم يحرض الناس على اختلاف طبقاتهم للمشاركة في وقعة شقحب<sup>(4)</sup> بل يقود

1 ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، 217/4.

2 ينظر: بيان الملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين بتاريخ 2011/8/13 (موقع رابطة العالم الإسلامي على الانترنت).

3 ناصر بن سليمان العمر، م.س، ص402 (الانترنت).

4 وهي معركة وقعت سنة 702هـ حيث تمكن فيها المماليك من صد الغزو المغولي تجاه مصر وبلاد الشام (ثاير نومان، واقعة شقحب ودورها في صد العدوان المغولي: مجلة ديالى، العدد 58، 2013، ص77).

الجيوش والمعارك ثم يوجه الدولة نحو أهل النفاق المظاهرين للعدو من رافضة أهل جبل كسروان<sup>(1)</sup> مع جهوده وطلابه في إنكار المنكرات، وفي أثناء ذلك كله يبين قراءته للأحداث، ويطرح رؤيته لتوقع سيرها، وقد كانت عنده من الوضوح بمكان يجعله يقسم على بعضها متفائلاً بتحقق النصر وهزيمة العدو، على رغم اضطراب الأوضاع في عصره بما يشبه حال الناس اليوم، فما أشبه عصره بعصورنا في كثير من القضايا كشيوع الجهل، وانتشار المنكرات العقدية والعملية والأخلاقية وضعف الأمة وانكسار شوكتها وتغلب العدو المغولي المحتل عليها، وتنازع الملك بما يشبه الانقلابات العسكرية المعاصرة، وإغارة الأمراء على الأقاليم<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: تفعيل دور العلماء في المجتمع:

لتفعيل دور العلماء فإنه لا بد من توافر ثلاثة عناصر متصلة بعضها مع بعض غير منفصلة، ألا وهي الحكام والعلماء والرعية، هي عناصر ترتبط مع بعضها البعض بعلاقة تتضمن واجبات وحقوقاً لكل منها لو تم إدراكها لنتج عنها ذلك الدور المنشود.

#### 1 - دور العلماء تجاه الحكام:

#### - عدم الدخول على الحكام:

حيث كان العلماء لا يدخلون على الحكام إلا في بعض المواقف مثل أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وللتذكير والموعظة، أو من باب إجابة دعوة السلطان وذلك فيما لو أمره ولي الأمر بالدخول والمجيء<sup>(3)</sup>، فقد كان الإمام أحمد لا يدخل على الحكام، حتى المتوكل . الذي جاء وأحيا السنة وأعادها، وزجر المبتدعة ونكل بهم وعذبهم حتى ماتوا . لم يكن الإمام أحمد يدخل عليه، ولما أصر

---

1 تقع في الأراضي اللبنانية حيث تبعد بلدة القليعات (كسروان) ثلاثين كيلومتراً عن بيروت وترتفع نحو ألف متر عن سطح البحر. لتمتد على مساحة مئة وخمسين ألف متر مربع. يحدها شمالاً بلدة ريفون وكفرديبان شرقاً وداريا ومجرى نهر الصليب جنوباً، أما غرباً فحجنتون وداريا ([www.locatelebanon.com](http://www.locatelebanon.com)) .

2 ناصر بن سليمان العمر، دور العلماء في قيادة الأمة، ص 403.

3 ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي، المنهج العلمي لطلاب العلم الشرعي وبعض الفوائد والنكات العلمية، 63/1.

المتوكل على أن يزوره الإمام أحمد ذهب إليه الإمام واشترط عليه ألا يحضر مجلسه الذي اعتاد أن يستقبل الناس فيه، لما في ذلك المجلس من الترف ومظاهر السلطة<sup>(1)</sup>.

وكذلك الإمام البخاري الذي رفض طلب والي بخارى الحضور إلى مجلسه لسمع منه وليقرأ كتاب الجامع والتاريخ على أولاده، حيث قال الإمام لمبعوث والي: "قل له إني لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين فإن كانت له حاجة في شيء منه فليحضرني في مسجدي أو في داري"<sup>(2)</sup>.

- عدم التذلل للحكام:

إن العلماء الذين يبتغون وجه الله تعالى أعزاء بعلمهم فلا يتذللون للحكام؛ فقد قال أبو الأسود الدؤلي: "ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك"<sup>(3)</sup>، إذ إن العالم الحقيقي لا يتذلل للحكام لينال عرضاً من الدنيا فانيا وهذا ما حدث مع الإمام عبد الرحمن الأوزاعي حينما قدم النصيحة لأبي جعفر المنصور فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال: "أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض الدنيا"<sup>(4)</sup>.

- عدم الخوف من الحكام وعدم طاعتهم في معصية الخالق:

السلطة مغرية لأصحابها فتجدهم يتفانون في الحفاظ عليها والتمسك بها، لأنها تحقق لهم رغباتهم وشهواتهم لذا فهم في سبيلها يبسطون ويعطون ويمنعون، فالخوف من شرهم والسعي لمرضاتهم طبيعي عند الناس، إلا أن العلماء الصادقين المخلصين لا يروعهم شرهم ولا يبهرهم ولا يجلبهم عطاؤهم<sup>(5)</sup>.

1 ينظر: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، شرح العقيدة الطحاوية، 571/1.

2 ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 393/1.

3 يوسف بن عبد البر النمري، جامع العلم وفضله، 60/1.

4 الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 140/6.

5 محمود الشويكي، علاقة العلماء بالحكام، 2011، (مؤتمر العلمي الثاني.. العلماء واقع وآمال)، ص596.

وقد كان الأئمة الأربعة رحمهم الله يقولون الحق ولا يخافون أبداً، فهذا هو الإمام أبو حنيفة النعمان حينما استشار أبو جعفر العلماء في أمر أهل البصرة، قد قال الحق أيضاً ولم يحل دماءهم، وهذا هو الإمام مالك قد عذبه جعفر بن سليمان فلم يتراجع عن قول الحق، أما عن الإمام أحمد فجميعنا نعلم محنته عندما رفض القول بخلق القرآن<sup>(1)</sup>.

- نصح الحكام سرا:

إن من واجب العلماء نصح الحكام، وبيان ما يجب عليهم فعله وما يجب عليهم تركه، حيث إن النصيحة للحاكم سرا هي أصل من أصول المنهج السلفي، والدليل على ذلك حديث رسول الله: [مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عِلَانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُو بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَلِكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ]<sup>(2)</sup>. فلما أدى العالم ما عليه من واجب النصيحة للحكام زال الظلم الواقع على الرعية وعاشت في نعيم ورغد.

2- دور الحكام تجاه العلماء:

- تهيئة البيئة الصالحة لبناء شخصية العالم المسلم:

من خلال تبني سياسة إعادة تفعيل المعاهد والمدارس الشرعية والعلمية التي تدار بشكل منفصل عن الدولة من حيث نفقاتها وطريقة إدارتها وأسلوب التدريس فيها، وذلك لضمان انعتاق العلماء من سلطة الدولة وسياستها التي قد تحول دون قيام العالم المسلم بواجبه تجاه أمته ومجتمعه وتصقل شخصيته العلمية والثقافية وحتى الاجتماعية، والتاريخ الإسلامي زاخر بأمثلة على تلك المدارس التي كانت تتم النفقة عليها من خلال ريع الأراضي والعقارات الوقفية التي يتم إيقافها عليها، فيتوفر لطلبة العلم الجو المناسب للعلم والتعمق فيه، فمع توفر الرواتب المالية لهم وتوفر المسكن والملبس، لا يوجد أمامهم ما

1 محمود الشوبكي، علاقة العلماء بالحكام، 2011، (مؤتمر العلمي الثاني.. العلماء واقع وآمال)، ص598.

2 مسند أحمد، 49/24، ح رقم 15333.

يعيق تعلمهم وتزودهم بالعلم، فلا راتب يذلون من أجله، ولا متطلبات حياتية تحتاج إلى أعمال إضافية تشغلهم عن التوسع في العلم والدراسة.

ولا ننسى أن مؤسسة الأزهر في مصر كانت تقوم بصرف الأموال على الطلاب عندها مما تجنيه من عوائد الأراضي والعقارات الوقفية (التي تم وقفها للأزهر) قبل أن يقوم الرئيس المصري السابق جمال عبد الناصر بإجراء تعديلات قانونية، أصبح بموجبها الأزهر يتبع الدولة بكل ما يملكه، وتم إلغاء الوقف الأهلي (المرسوم بقانون رقم 180 لعام 1952م)<sup>(1)</sup>، لتمهيد الطريق لأن يصبح الأزهر مؤسسة لا تقوى على الحراك.

بالإضافة إلى جعل المناصب الدينية الهامة بعيدا عن صلاحيات هرم السلطة والدولة (إدارة وتوجيها) وجعلها خالصة بيد العلماء ممن يختارهم ذوو العلم والدين والرأي، فيتمكن العالم هنا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخوض في الأمور المستجدة التي تواجه الدولة والمجتمع وإعطاء الحلول التي ترضي الله أولا، وتصلح الحال ثانيا بعيدا عن رضى الحاكم، ويقف ضد الظالم مهما كان منصبه ويعين المظلوم ويدافع عنه.

- استشارة العلماء وطاعتهم:

فإذا أراد الحاكم أن يصلح أمره وأمر المسلمين، فلا بد له من استشارة العلماء والصالحين فإنه ما خاب من استخار ولا ندم من استشار، "قفي زمان أبي جعفر المنصور انتفض أهل الموصل، وقد اشترط أبو جعفر عليهم أنهم إن انتفضوا تحل دماؤهم له، فجمع المنصور الفقهاء وفيهم الإمام أبو حنيفة، فقال: أليس صحيحا أنه . صلى الله عليه وسلم . قال: (المؤمنون عند شروطهم)، وأهل الموصل قد شرطوا ألا يخرجوا علي، وقد خرجوا على عاملي وقد حلت لي دماؤهم، فقال لأبي حنيفة: ما تقول أنت يا شيخ؟ أليس في خلافة نبوة وبيت أمان؟ فأجاب: إنهم شرطوا لك ما لا يملكون (وهو استحلال دمائهم) وشرطت عليهم ما ليس لك، لأن دم المسلم لا يحل إلا بأحد ثلاث، فأمرهم المنصور بالقيام

1 ينظر: الأزهر الشريف، الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان [www.anhri.net](http://www.anhri.net).

فتفرقوا فدعاه وحده، فقال: يا شيخ، القول ما قلت، انصرف إلى بلادك ولا تفت الناس بما هو شين على إمامك فتبسط أيدي الخوارج"<sup>(1)</sup>. ومن هنا كان لزاما على الحكام والسلاطين السمع للعلماء، بل عليهم الطاعة لهم وخاصة عندما تلزمهم الحجة.

- احترامهم والتواضع لهم:

إن للعلماء مكانة عظيمة توجب علينا أن نتواضع لهم، فقد ورد أن التابعي الجليل مكحول عالم أهل الشام عندما جلس في مجلسه يلقي درسه كعادته وحوله طلاب العلم يأخذون عنه، إذ أقبل الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك في زينتته وتبخرته وجاء إلى حلقة مكحول، فأراد الطلاب أن يوسعوا له، فقال مكحول: دعوه يتعلم التواضع"<sup>(2)</sup>.

كما أن الإمام مالك رحمه الله كان يحظى باحترام عظيم من قبل أبي جعفر فكان إذا دخل عليه لا يكاد يراه حتى يناديه: "إلى ههنا يا أبا عبد الله، أنت حقيق بكل خير وإكرام"<sup>(3)</sup>.

- محبتهم وعدم معاداتهم:

لقد مر في تاريخ الأمة الإسلامية العديد من الخلفاء والأمراء، فمنهم من أحب العلماء ونصرهم وأعانهم على أداء واجبهم كأمثال: هارون الرشيد وعمر بن عبد العزيز وغيرهما، ومنهم من عادى العلماء وحاربهم كأمثال الحجاج وجعفر بن سليمان والصالح إسماعيل، وهؤلاء من أخطئوا في معاملتهم مع العلماء، فجميعنا نعلم بأن محبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - واجبة علينا، وبالتالي محبة العلماء واجبة علينا كذلك؛ لأنهم ورثة الأنبياء"<sup>(4)</sup>.

---

1 ينظر: أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، ص70.

2 الذهبي، سير أعلام النبلاء، 5/150.

3 ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، 2/322.

4 محمود الشويكي، علاقة العلماء بالحكام، 2011، (مؤتمر العلمي الثاني..العلماء واقع وآمال)، ص602.

والعلماء العاملون الصالحون من أقرب الناس إلى الله - تعالى - بل وأكثرهم له خشية وأحبهم إليه، وهم أولى الناس بمحبة الله - تعالى - إذ اجتمع فيهم الأمان والصلاح والإصلاح والتقوى، ومن هنا وجب على الحكام والأمراء محبة علماء الأمة وعدم معاداتهم، لأن ذلك يؤدي إلى سخط الله سبحانه.

### 3- دور العلماء في مجابهة التحديات المجتمعية:

تفعيل دور العلماء والبحث عن طرق إعادته لم يكن إلا للوصول إلى ذلك الدور الذي تفتقده الأمة، بل والتي حرمت من آثاره العظيمة على جميع المستويات، لذلك لا بد من ذكر ذلك الدور المناط بالعلماء، والذي تم الحرص على تغييبه وتقزيمه؛ للإبقاء على وضع المجتمعات الإسلامية المدمرة دينيا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، لعلم أعداء الأمة لعظيم أثره وتميز حلوله.

#### أ- دور العلماء في مواجهة التحديات الدينية:

- الثبات على الدين والدفاع عن مبادئه:

مسؤولية أهل العلم في كل زمان ومكان أن يثبتوا على هذا الدين، ويثبتوا الناس عليه ويردوهم إلى أصوله ومصادره، ويحثوهم على التمسك بثوابته ومحكماته، حيث إنها لا تقبل الجدل والنقاش، ويلزمهم البيان والتوضيح أن هذا الدين كما يشتمل على جانب كبير من الثوابت، يشتمل كذلك على جانب آخر من المتغيرات، فهو جامع بين الثبات والتغير، أما الثبات فشأنه البقاء والدوام حفاظا للدين وحماية لجوهره، وأما التغير فشأنه التجدد والتبدل تلبية للحاجات الزمنية واحتواء لمطالب البشر ومصالحهم العاجلة، وهذه المسؤولية قام بها الأنبياء والمرسلون ثم الصديقون الأولون، فيجب أن يقوم بها العلماء الريانيون<sup>(1)</sup>.

---

1 شعبان بن رمضان موباجي، دور العلماء في مجابهة التحديات المجتمعية، 14-16/4/2015، ص27 (مؤتمر دور العلماء في الوقاية من الإرهاب بالرياض).

إن ثوابت هذا الدين لا تتغير بتغير الزمان والمكان، كوحداية الله تعالى، وفرضية الصلوات الخمس وزكاة المال وصوم رمضان وحج البيت والجهاد ونحوه، ولا تتبدل مهما توالى على الأمة الفتن والأزمات، ولا تتزعزع مهما اضطربت مفاهيم أفرادها، واختلفت آراؤهم وأفكارهم، وخير من يحفظ للناس التوازن في هذا ويعصمهم من الزيغ والضلال، ويثبت قلوبهم وأفئدتهم عليه بعد الله . تعالى . هم العلماء الصادقون<sup>(1)</sup>.

#### - إظهار خطر تكفير المسلمين واستحلال دماءهم:

فمن مسؤولية العلماء بيان خطر الفكر التكفيري على عقيدة المسلمين وأمنهم وديارهم، وأنه لا ينبغي الاغترار به حتى لو تبناه من ظهرت عليه ملامح الصلاح والتقوى، وتحمس لهذا الدين وأبدى حبه وحرصه على الدفاع عنه، ما لم يكن منضبطا بضوابط شرعية، ومبنيا على فقه دقيق وحكمة بالغة وروية جميلة، فالحماس الديني يجب أن يرافقه فقه العلماء في الدين وفهم لأحوال المدعويين، وحسن انتقاء لأساليب الدعوة وإدراك تام لأولويتها؛ حتى لا يمرق الإنسان من الدين من حيث يظن أنه باق فيه، فمثلا لم يكن عمل الخوارج وغيرهم مبنيا على أصل صحيح وعلم رصين ومرجعية نزيهة، فصار وبالا عليهم، وخطرا على أمتهم فلم تشفع لهم عباداتهم الجسيمة ولم ينجحهم حسن نياتهم ولم يفلحهم حماسهم الزائد وزهدهم الكبير<sup>(2)</sup>.

#### - التصدي للإلحاد والعلمانية ومطاردتهما:

مسؤولية ذوي العلم والنهي أن يبينوا للعامة خطورة الإلحاد ومضادة العلمانية للدين ومحاربتها لشرع الله القويم، وما تهدف إليه من منع الناس من عبادة ربهم وخالفهم وتحويلهم إلى عبادة الطواغيت من

---

1 يحيى بن محمد حسن زمزمي، مسؤولية علماء الأمة في مواجهة التحديات المعاصرة في ضوء القرآن، (الانترنت).

2 شعبان بن رمضان موباجي، دور العلماء في مجابهة التحديات المجتمعية، 14-16/4/2015، (مؤتمر دور العلماء في الوقاية من الإرهاب بالرياض) ، ص28.

الإنس والجن، فالعلمانية تستجمع قواها لاستبدال الحكم بشريعة الله النقية الطاهرة بحكم شريعة البشر الجائرة، التي إن أصابت الحق حيناً من الدهر أخطاته سائر الدهر كله<sup>(1)</sup>.

---

1 شعبان بن رمضان موباجي، م.ن، ص28.

## ب- دور العلماء في مواجهة التحديات السياسية:

- التركيز على الوحدة الإسلامية ونبذ الاختلاف والتفرق:

تأتي مسؤولية العلماء بالدرجة الأساسية في بيان أهمية الوحدة الإسلامية والدعوة إليها، ونبذ الفرقة والاختلاف والتشردم؛ لأن ذلك يورث للأمة الضعف والوهن، ويبدد جهدها وطاقتها، وتضيع عليها مسيرة التقدم والنمو والازدهار، فالوحدة والاجتماع مطلب شرعي وواجب إنساني لإزالة النزاع والتوتر حتى لا يصيب الناس أوارهما، ولهذا جاء التأكيد الإلهي على ضرورة الوحدة بالتصريح بالتمسك بها والنهي عن القيام بصددها في سياق واحد، فقال . تعالى .: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(1)</sup>، وذلك لأن غاية هذه الأمة واحدة، واهتماماتها الدنيوية مشتركة، فيجب عليها أن تركز على ما يجمع شملها وشتاتها، وتؤجل النظر فيما يفرق أمرها ويذهب بجملتها أبنائها "شذر مذر"<sup>(2)(3)</sup>.

- مكافحة الاحتلال والاستعمار:

الاحتلال الذي وقع في الدول الإسلامية ترك بصماته وآثاره في نفوس المسلمين، وشعر بعضهم بشيء من اليأس والإحباط، نظرا لشدة وطأته، وقلة حيلة المسلمين في مكافحته ومع ذلك كله فإن مسؤولية العلماء أن يبعثوا الثقة في نفوس المسلمين من جديد، ويواجهوا الاحتلال بكل وسيلة، ويبينوا للناس خطورته، وأن هذه الأمة وإن كانت منهكة به في هذا الزمن، ولكنها سرعان ما ستتكشف غمتها، ويعود مجدها وعزتها إذا اتخذت الأسباب، وتم حسن التوكل على الله . تعالى . طال الزمن أو قصر، حيث إن مقاييس النصر والتمكين ليست مادية صرفة، بل قد تكون معنوية تستدعي الثبات على المبدأ والصبر على المكاره، والدعاء بنصر الله الذي ساقه لأوائل هذه الأمة وهزم به أعداءها مع قلة عددها وبساطة عدتها وكثرة عدد عدوها وتفوق عتاده وأسلحته<sup>(4)</sup>.

- النصح لولاة الأمور وتحذيرهم من قرناء السوء:

- 1 سورة آل عمران، 3/103.
- 2 وتعني التفرق والشتات
- 3 ينظر: شعبان بن رمضان موباجي، دور العلماء في مجابهة التحديات المجتمعية، 14-16/4/2015، ص29.
- 4 سيد قطب، معالم في الطريق، ص175.

ومن مسؤولية العلماء مناصحة ولإزالة أمر المسلمين سرا لا جهرا، وفي خلوة بهم لا على ملاء من الناس، وحثهم على التمسك بكتاب الله وسنة نبيه، والتأكيد على أن فضلهم وكرامتهم كامنة في الاعتصام بهما، وأن مجدهم على مر العصور والأزمان في الاحتكام إليهما، بخلاف ما يفعله قرناء السوء من تخويفهم من هذا الدين، وتليب الأمر عليهم بأن الإصلاح المدني الذي يرضاه القاضي والداني، والصديق والعدو يقضي بتحكيم القوانين الوضعية وزحزحة الشريعة عن حكم حياة الناس<sup>(1)</sup>.

### ج- دور العلماء في مواجهة التحديات الاقتصادية:

- التحرر من المكاسب الخبيثة:

ومما حمل الله العلماء من المسؤولية بيان حقيقة المكاسب وأصنافها، وأن منها الصحيح والفاقد، والطيب والخبيث، وأن الله تعالى أباح للناس ما أباح للمرسلين من كسب طيب ومورد نافع، ومنعهم من كل كسب خبيث ودخل ضار، وعليهم أن يقتنعوا بما قسم الله لهم، ويلتزموا ما أحله لهم، ففيه الغنية والبركة، بينما يجب عليهم اجتناب الخبيث المحرم مثل الربا والقمار والغش ونحوها، والتخلص منه وتنقية مكاسبهم منه، لأنه يجر على صاحبه الويل والويل.

- دفع الحقوق الواجبة:

ومن مسؤولية العلماء توعية الناس بضرورة أداء الحقوق المالية والواجبة التي فرضها الإسلام كالزكاة والنذر والكفارة والخراج ونحوه، أو التي توجبها الدولة مقابل توفير الخدمات اللازمة للناس، كأجور الكهرباء والماء ورخصة التجارة واستمارة السيارة والقيادة واستصدار الجواز والتأشيرة ونحو ذلك، فهذه الأموال المفروضة هي التي يكافح بها الفقر في المجتمع، ويعطى منها الأجر للموظفين في الدولة الذين يسهرون على مصالح العباد، وتدعم بها الدعوة باستقبال ضيوف الإسلام ومعتقيه الجدد، حين

---

1 شعبان بن رمضان موباجي، دور العلماء في مجابهة التحديات المجتمعية، 14-16/4/2015، ص30 (مؤتمر دور العلماء في الوقاية من الإرهاب بالرياض)

يحرمون من العيش بسبب تحولهم عن دينهم، كما أن بهذه الأموال يفك المحبوسون في السجن، ويعان بها المأسورون بالقرض، ويدفع بها الإصر والأغلال عن المسافرين في سبيل الله<sup>(1)</sup>.

- التسامح في الكسب والشراء:

ومما يدخل في مسؤولية العلماء توعية المجتمع بالالتزام بالآداب الإنسانية الفاضلة والقيم الإسلامية الرفيعة في البيع والشراء وفي كافة المعاملات، فالبايع والمشتري السمح والمقرض السمح والمقترض السمح، كل منهم ينال حظين في وقت واحد، إذا سلم عوضه من العيب وخلا قصده من الإضرار بصاحبه.

د- دور العلماء في مواجهة التحديات الاجتماعية:

- تربية النشء تربية إسلامية:

من مسؤولية العلماء تعريف النشء بحق الله عليه، وتربيته تربية إسلامية، مذكّرين إياه بحقوق الوالدين اللذين جاهدا لأجله منذ أن كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم خلقا آخر، واختارا له أفضل الأسماء، وسهرا الليلي على راحته وسعادته، فهذا كله مدعاة لشكرهما بدلا من نكرانهما، ومحمل على طاعتها بدلا من عصيانها وطريق للدعاء لهما بدلا من التمرد عليهما وتمني موتها وذهابها.

- مسؤولية الأم في البيت وحشمة المرأة المسلمة ووقارها:

ومن مسؤولية العلماء توجيه الشباب والشابات بحفظ الفروج وصيانة الأعراض، فهي أمانة ائتمنهم الله عليها، حيث سيكون لهم العذاب الأليم إن استمتعوا بها بالوجه الحرام، وسيكون لهم الجزاء عليها إن صرفوها في الوجه المباح، كما أن مسؤولية العلماء تجلية منزلة المرأة في الإسلام، فهي صنو الرجل في تكوين المجتمع، لها ما له من حقوق وعليها ما عليه من واجبات، وهي ليست كسقط المتاع كما

---

1 شعبان بن رمضان موباجي، دور العلماء في مجابهة التحديات المجتمعية، 14-16/4/2015، ص32 (مؤتمر دور العلماء في الوقاية من الإرهاب بالرياض).

يراد لها أن تكون<sup>(1)</sup>، بل هي امرأة متميزة في سمتها ولبسها وقدوة حسنة في حركاتها وسكناتها، فاللائق بمن يريد العفاف أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء لا سيما فيما تطول صحبته ويرجى منه إنجاب أولاده، فيرثون عنه كثيرا من المزايا والصفات الجميلة، وفي أحضانه تتكون عواطف الأطفال، وتترى ملكاتهم ويكتسبون عن طريقه الكثير من التقاليد والعادات<sup>(2)</sup>.

#### هـ - دور العلماء في مواجهة التحديات الإعلامية:

من مسؤولية العلماء أن يواجهوا الإعلام توجيهها صحيحا يتناسب مع عقيدتنا وقيمنا وأخلاقنا، فالإعلام سلاح ذو حدين إذا لم يحسن المرء استعماله عاد على صاحبه بالوبال، والمتوقع من الإعلام أن ينشر الفضائل الخلقية التي تحفظ للأمة شخصيتها وبيتعد عن الأخلاق التي تحط من قدرها، كما يجب عليه أن يأتي بالأخبار الصادقة والمعلومات الصحيحة والحقائق الثابتة التي تساعد المجتمع على تكوين رأي سديد وفكر صائب في واقعة من الوقائع اليومية<sup>(3)</sup>.

إن الإعلام المعاصر . إذاعة وتلفازا وصحافة . بحاجة إلى توجيه العلماء ليتمكن تسخيرها لخدمة هذا الدين، ونصرة قضاياه ودحض الأباطيل عنه، فالإعلام الموجه بالعلماء الثقات يصبح إعلاما نقيًا من حيث أهدافه وغاياته، ومن حيث وسائله ورسالته، وهو الذي يمكن أن يصنع أمة واسعة الأفق عميقة الأثر ذات رسالة إنسانية للبشرية كلها على مر العصور والأزمان، ولا شك أن توجيه الإعلام وتصحيح مساره واجب شرعي يأثم العلماء بإهماله والتكاسل عنه، لأن الأمة تخسر به عقيدتها، وينحط به قدرها، وتذوب به قيمها وأخلاقها، وتفقد به وحدتها وينحسر به دورها، ولن يكون لأبنائها لقاء، ولا لقادتها اتفاق، ولا لعلمائها اجتماع إلا إذا عني به بما يليق به من اهتمام بالغ وتوجيه رشيد<sup>(4)</sup>.

#### 4- دور الرعاية تجاه العلماء:

- 1 ينظر: سيد السابق، فقه السنة، 20/2.
- 2 ينظر: سيد السابق، م.ن، 20/2.
- 3 موفق أحمد شكري، أهل الفترة ومن حكمهم، ص123.
- 4 أحمد بن سعد حمدان الغامدي، الوحدة الإسلامية: أسسها ووسائل تحقيقها، ص67.

- طاعتهم وعدم مخالفتهم:

إن من أهم الواجبات الشرعية طاعة العلماء الصادقين الغيورين على الإسلام، وخاصة في الجانب الشرعي، لأن طاعة الله لا تتحقق إلا باتباع الشريعة، وهم أعلم الناس بها، فبطاعتهم تتحقق مرضاة الله، يقول الإمام ابن القيم عن العلماء: "هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء، وقال عبد الله بن عباس: "أولو الأمر هم العلماء"<sup>(1)</sup>، والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، ولما كان قيام الإسلام بطائفتي العلماء والأمراء، وكان الناس كلهم تبعاً كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين وفساده بفسادهما<sup>(2)</sup>.

- الرد إليهم فيما أشكل على الناس من أمور:

هنالك أمور الرشد فيها بين، فلا بد من اتباعها، وهنالك أمور الغي فيها بين فلا بد من اجتنابها، وهنالك أمور مختلف فيها ولا نعلم الصواب منها فلا بد من ردها إلى العلماء، ورد المسائل يكون إلى أهل الاختصاص، والعلماء ذوو التخصصات المختلفة معروفون، وإنما شفاء العي السؤال، فمن لا يعرفهم فليسأل عنهم وليحرص على سؤال الأتقياء منهم<sup>(3)</sup>. قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

- الاقتداء بهم وتوقيرهم واحترامهم والدعاء لهم:

---

1 محمود الشوبكي، علاقة العلماء بالحكام، 2011، ص615(مؤتمر العلمي الثاني..العلماء واقع وآمال) ص614.

2 ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، 10/1.

3 محمود الشوبكي، م.س، ص615

4 النحل:43/16.

العلماء هم الذين يحملون الشريعة وينطقون بالكتاب والسنة ويحمون بيضة الإسلام ويذودون عن حياضه، ويبصرون الخلق بدينهم يعلمون الجاهل، ويذكرون الناسي، ويكشفون الفتنة، ويرفعون الظلمة، ويهتكون ستر أهل الضلالة، ولولاهم بعد الله لاندرس الإسلام وذهبت شرائعه، العلماء الذين يجب توقييرهم هم حملة الشريعة الذين عرفوا بحسن القصد وصالح العمل وصحة المعتقد واتباع منهج السلف الصالح، الذين بذلوا أعمارهم في طلب العلم ونشره وأوتوا حظاً من الورع، الذين شهدت لهم الأمة الخيار العدول بالإمامة والتبحر في الشريعة وصدر الناس عن رأيهم، فهم الأئمة الكبار حقا وهم المعنيون بالإجلال إذا أطلق الكلام، وكل من لديه علم ممن دونهم وقر بحسب علمه وسيره على جادة العلماء، وتوقير العلماء من سمات السلف الصالح، فقد كان الصحابة يوقرون أكابرهم وفقهاءهم، وتلقى ذلك عنهم التابعون وأتباعهم، وشاع هذا الخلق الكريم في زمان الأئمة المتبوعين مالك والشافعي والأوزاعي وأحمد وأبو ثور وإسحاق وغيرهم. كان مجاهد من سودان مكة مولى لابن عباس وكان ابن عمر يأخذ له الركاب ويسوي عليه ثيابه إذا ركب الدابة<sup>(1)</sup>.

والدعاء للعلماء هو من أوجب الواجبات، وأنفعها لكل من العالم والطالب على كل منهما ألا ييخل بالدعاء للآخر، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان وكما تدين تدان، وليس هنالك ما هو أحسن وأفضل لك ولشيخك من الدعاء بالصالح وبحسن الختام وبالعافية والاستغفار في الحياة وبعد الممات، وإن لم يكن في ذلك إلا التشبيه بالرجال الأخيار وبالأئمة الكبار لكفى أمثال أبي حنيفة وأحمد وغيرهما من سلف هذه الأمة<sup>(2)</sup>.

قال أبو حنيفة . رحمه الله .: "ما صليت صلاة منذ مات حماد بن أبي سليمان . شيخه . إلا استغفرت له مع والديّ، وإنّي لاستغفر لمن تعلمت منه علماً أو علمته علماً"<sup>(3)</sup>.

- عذرهم إن أخطأوا في اجتهادهم:

- 1 خالد سعود البليهد، توقير العلماء من سمات أهل السنة، (موقع صيد الفوائد) [www.saaaid.net](http://www.saaaid.net).
- 2 الأمين الحاج محمد أحمد، حقوق المشايخ العلماء على طلابهم الأوفياء، (موقع صيد الفوائد) [www.saaaid.net](http://www.saaaid.net).
- 3 النووي، تهذيب الأسماء واللغات، 218/2.

إن المتقين ليسوا بمعصومين، فجميعنا نخطئ ونذنب، فلنا بملائكة ولا أنبياء ولا مرسلين، والعلماء كذلك يخطئون ومن ضمن ذلك خطوهم في اجتهادهم؛ فقد يظن العالم في مسألة أنها صحيحة وهي خطأ، فيجب علينا أن نعذر العلماء إذا أخطؤوا في اجتهاداتهم، فإذا اجتهد وبحث عن الأدلة فأصاب، فله أجران أجر الإصابتة وأجر الاجتهاد، وإن أخطأ فله أجر واحد أجر الاجتهاد، ولأجل ذلك كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتابا للذب عن العلماء، ورفع الملامة عنهم سماه رفع الملام عن الأئمة الأعلام، هذا إذا كان العلماء أهل صلاح وعلم ونصح، لا أصحاب الأهواء والبدع والسلطين<sup>(1)</sup>.

وعليه وبناء على ما ذكر أعلاه، فإن تفعيل دور العلماء يستلزم جهودا متكاملة ومترابطة بين العلماء أنفسهم والحكام والرعية، فالحاكم الذي يقوم بدوره تجاه العلماء من خلال توفير البيئة الصحية لتكوينهم وبروز شخصيتهم واحترامهم والرجوع إليهم في كل ما يستجد، يصبح المجتمع بأجمعه يقدر هذا الدور ويقتدي به كونه هرم السلطة يفعل ذلك ويصبح للحاكم شريحة ذات علم راسخ يستند إليها وقت الأزمات والشدائد، ثم يأتي دور العلماء أنفسهم في نصح الحاكم وعدم إطاعته في معصية الخالق، مما يخلق للعلماء تلك الشخصية المميزة التي لا تتنازل في حقوق الله والعباد، ولا تخشى في قول الحق لومة لائم، فيحسب لهم أهل السلطة ألف حساب، فلا يقدمون على أي زلة أو خطأ مخافة من موقف العلماء. واحترام الرعية للعلماء يأتي من خلال بيان دور العلماء الرائد في التصدي للمشكلات التي تواجه المجتمع، فيصبح المجتمع شاهدا على تحركات العلماء لإصلاح ما يستجد على المجتمع من مشاكل، الأمر الذي يدفع بالمجتمع إلى توقيير العلماء والافتداء بهم، والرجوع إليهم في كل ما يستجد.

## المبحث الثاني

### من الناحية السياسية

المطلب الأول: الاستغناء عن الدساتير والأحكام العلمانية والعودة إلى شرع الله

1 محمود الشويكي، علاقة العلماء بالحكام، 2011، ص616 (مؤتمر العلمي الثاني..العلماء واقع وآمال).

من أهم نتائج تدخل الغرب في حياتنا والسيطرة على مناحي حياتنا والسيطرة على مفاصل أنظمتنا، هو تركنا لتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع النواحي الحياتية، الشخصية منها والعامّة، وهو الأمر الذي ترك وبالا علينا من خلال النتائج السلبية والآثار المدمرة في مجتمعاتنا التي أخذت بالانتشار دون رادع يستطيع الحد من شرها، على الرغم من وجود الشريعة التي تستطيع استئصال أسبابها من جذورها، وهنا يبرز على السطح السؤال التالي:

على من تقع مسؤولية عدم تطبيق الشريعة الإسلامية ؟

مسؤولية عدم تطبيق الشريعة تتحملها الأمة كلها من القاعدة إلى القمة، فإن الإسلام لا بد له من أمة تحمله وسلطة تحميه، وهما في كفة واحدة يقومان معا على وجه التضامن والتكافل بمسؤولية واحدة، وإعلاء كلمة مسؤولية إقامة شرع الله في أرض الله وإعلاء كلمة الله، فالحكام هم رمز الدولة وقمة السلطة ويستطيعون إذا وضعوا ثقلهم ونفوذهم وسلطتهم وراء مطلب تطبيق الشريعة أن يفعلوا الكثير والكثير، وبأسرع ما يظنه الكثيرون، وعلى كل فرد من الرعية أن يؤمن بهذه الغاية النبيلة وأن يجند نفسه لها، لهذا لا بد من معرفة ما على الحاكم من واجبات ومسؤوليات نحو الأمة أفرادا وجماعات، وما له عليها من حقوق، وما على المحكوم من واجبات ومسؤوليات، وما له من حقوق في ظل شريعة عادلة يتحمل فيها كل إنسان مسؤوليته بما يتناسب ومكانته<sup>(1)</sup>.

وفي هذا المقام لا بد من القول بأن ولاية أمر المسلمين من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام له إلا بها؛ لأن ما أوجبه الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصرة المظلوم وإقامة الحدود لا تتم إلا بالإمارة، بل إن الأحكام الأساسية التي يقوم عليها نظام الدولة من اجتماعية واقتصادية وسياسية، وسائر ما جاء به الدين الإسلامي في أشد الحاجة إلى حاكم يدبر أمر الأمة فيها وينفذها ومن ثم كان تنصيب إمام عادل

1 صالح بن غانم السدلان، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، ص 21 .

وحاكم منفذ تسمع له الأمة وتطيع واجبا شرعيا يوجبه الدين لتجتمع كلمة الأمة وتنفذ أحكام الشريعة التي هي المنهج الإلهي الذي تساس الأمة بأحكامه<sup>(1)</sup>.

**الفرع الأول: أسباب وبواعث الحكم بغير ما أنزل الله تعالى:**

1- انعدام الإيمان أو ضعفه:

نعم، إن ضعف الإيمان في نفوس كثير من المسلمين هو الأصل الجامع لكل انحراف وقعوا فيه، وكل الأسباب التي سادكرها فيما بعد إنما هي أسباب تفصيلية لهذا السبب الأساسي، ولا غرو، فقد تقدم، أن الإيمان بالله . تعالى . وما يقتضيه هذا المعنى هو نقطة البدء التي ينبغي أن ينطلق منها المسلم بل وتعد عنصرا فعالا في الاستجابة لأوامر الله . تعالى . وتطبيق شرعه، وإيمان بهذه المنزلة يعد إيمانا حيا نابضا متحركا ودافعا إلى كل خير يشعر صاحبه بحلاوته وأثره، أما ألا يتجاوز الإيمان إلا ادعاءه أو لا يتجاوز إلا النطق بكلمة الإيمان باللسان فحسب، فإذا فتشت عن مدلوله في نفس مدعيه لا تجده شيئا<sup>(2)</sup>.

فمثل هذا الإيمان لا يحرك ساكنا ولا ينتج أثرا ولا يشعر صاحبه بحلاوته، وإنما هو إيمان اعتراه فتور أو موت، ويتبع هذا -والعياذ بالله تعالى - المرض القلبي الذي يجعل المريض يعرض عن حكم الله وحكم رسوله، ويقبل على حكم البشر مع قصوره وثبوت عجزه، نعم إنه يدعي الإيمان بالله ورسوله كما يدعي الطاعة، فإذا ما دعي إلى تطبيق حكم الله ورسوله فإذا هو من المعرضين<sup>(3)</sup>، وهذا ما يصدق على كثير من مسلمي اليوم، فقد ضعف الوازع الديني وبدا ظاهرة فاشية عندما انتشر الجهل وانعدمت

1 عرجون، موسوعة سماحة الإسلام، 558/2.

2 صالح بن غانم السدلان، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، ص206.

3 ينظر: محمد رأفت سعيد، كيف تنهض بالمجتمعات المسلمة المعاصرة، ص306-317.

التربية الإسلامية في مختلف الأوساط، وسيطر الظلم وفشا الجور واستبدت بالحكام الأهواء، وأصبح الوازع الديني غير زاجر حقيقة عن اللهو والعبث والفساد<sup>(1)</sup>.

## 2- مداهنة الكفار والركون إليهم في كل شأن من شؤون المسلمين:

الحرب على الإسلام عالمية، فقد اشترك فيها الصليبيون الحاقدون والشيعيون الملحدون والصهيونيون المخربون، كل هؤلاء يعملون جاهدين بكل طاقاتهم لحرب الإسلام وقطع دابر المسلمين، ومن المؤسف حقا أن تتضمن إليهم وتعمل لحسابهم فئات ثلاث:

أ- الفئة الأولى: تنتسب إلى الإسلام اسما فقط، ونقصد بتلك الفئة:

الطبقات المتعاقبة من أصحاب القانون الوضعي، وهي الطبقات البديلة ممن تربوا في أحضان الغرب، ودانوا بفكرتهم وتمذهبوا بمذاهبهم على آثارهم يهرعون وفي مرضاتهم يتنافسون وبمذاهبهم العلمانية والاشتراكية والشيعوية والصهيونية يتمذهبون، يهتفون باسمهم ويدعون إلى مبادئهم ويحملون الناس عليها<sup>(2)</sup>، فتراهم يداهنون ويجاملون ويدارون الكفار والملحدين على حساب الدين، وهذا نتيجة طبيعية للانهازم الداخلي في نفوسهم؛ حيث رأوا أن أعداء الله تفوقوا في القوة المادية فانبهروا بهم، ولأمر ما رسخ وترسب في أذهان هؤلاء المخدوعين أن هؤلاء الأعداء هم رمز القوة ورمز القدوة في عالمنا المعاصر، فأخذوا ينسلخون من شريعة ربهم وأحكام دينهم مجاملة للكفار ومداهنة لهم وتوددا إليهم ولئلا ينعتهم أولئك الكفرة بأنهم رجعيون متعصبون<sup>(3)</sup>.

ب- الفئة الثانية: أدعياء العلم:

- 
- 1 صالح بن غانم السدلان، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، ص 208.
  - 2 ينظر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص 252، ص 253، ص 272، ص 429.
  - 3 حمد بن سعيد القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، ص 239.

ومن المؤسف أيضا أن يبنتلى المسلمون بفتة أخرى . من أدياء العلم . ترضى بالقوانين الوضعية بل وتتعلمها وتقوم بتعليمها وبالقضاء بها<sup>(1)</sup>، وهؤلاء العلماء والضعفاء قد استخدمهم الطغاة المنهزمون في أنفسهم، كي يلبسوا على المسلمين دينهم، فتراهم يسلكون مسلك سادتهم وكبرائهم في النفاق والدجل والخداع في تمرير القوانين الوضعية والحكم بها ودراستها في كليات ومعاهد المسلمين يغلفون دعوتهم بغلاف جميل براق، ويتخذون ألوانا من المكر والخداع، فتارة يدعون أن الله فوض للأمة أن تضع ما يصلح شأنها من أنظمة وقوانين، وتارة يدعون أن القوانين الوضعية موافقة للشريعة الإسلامية، وتارة يدعون التوفيق بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية<sup>(2)</sup>.

### ج- الفئة الثالثة:

هي تلك التي انتسبت إلى الإسلام زورا وخرجت على الدين خروجا سافرا في أقوالها وأفعالها وسلوكها، ليقول الناس عنهم إنهم أحرار التفكير ورواد الإصلاح، وما هم في الواقع إلا بيغاوات يرددون كل ما ورد من الغرب الكافر أو الشرق الملحد وهو عندهم طابع المدينة وسمة الحضارة، ولن يكون الإنسان عند هؤلاء مدنيا متحضرا إلا إذا انسلخ من دينه ومن لسانه ليلبس جلد غيره ودينه ولسانه، واستخدم هؤلاء سلاحا فتاكا لتقويض المجتمعات الإسلامية، ونقل الأويئة الاجتماعية الغربية إليها وهي وسائل الإعلام من صحافة وتلفاز ومسرح وسينما، وبذا عمت الفوضى وانتشر الفساد وتولى الجيل الذي رباه المستعمرون تربية جيل جديد أكثر مسخا وانحلالا وهوريت أحكام الله على يد هؤلاء أكثر مما حوربت بأيدي المستعمرين<sup>(3)</sup>.

### 3- الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية:

- 1 ينظر: عمر سليمان الأشقر، الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية، ص103.100.
- 2 ينظر: عمر سليمان الأشقر، م.ن، ص113.110.
- 3 ناصر عبد الكريم عقل، التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، ص116. ص113.

إن أكثر المسلمين اليوم يتوارثون الإسلام توارثاً تقليدياً وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم، لهذا فشا الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية لدى الكثير من أبناء الأمة الإسلامية قيادات وشعوباً، حتى أصبح كثير منهم لا يعرف من دينه إلا اسمه، فلا يعرف أحكامه وعقائده ولا أخلاقه وآدابه، مما سهل على أعداء الله أن ينشروا ضلالهم وأن ييئثوا سمومهم، بل وأصبح يسيرا عليهم أن يجندوا لهم عملاء من أبناء المسلمين يحاربون عقيدتهم بأيديهم، وينشرون الجهل والضلال في صفوفهم، ويتركونهم أسرى العادات والتقاليد والبدع والخرافات والعجب والغرور، وأصبح تصور هؤلاء للإسلام وفهمهم له سيئاً مشوهاً لا يتفق وجوهره وحقيقته في شيء<sup>(1)</sup>.

كما أن كل المفاهيم الإسلامية قد فسدت وانحرفت في حس الأجيال المتأخرة وانحصرت العبادة في الشعائر التعبدية، وربما تؤدي أو لا تؤدي، وأصبح الدين في النهاية صورة باهتة خاوية من الروح لا تستطيع أن تصمد للهجوم الوحشي الذي تدافع من كل صوب للقضاء على الإسلام<sup>(2)</sup>.

فمن صور الجهل المنتشرة بين أبناء أمتنا:

فريق استهوته الشياطين من البشر فراح ينادي بعدم صلاحية الشريعة الإلهية للتطبيق، وانقسم هذا الفريق إلى صنفين:

- صنف لم يدرس الشريعة ولم يفهم أحكامها، ولكن لحن على أيدي الخبثاء المغرضين أن الدين تأخر وانحطاط وتحجر ورجعية وأن الوسيلة الوحيدة للتحضر والارتقاء والتقدم هي الانسلاخ من الدين بالكلية<sup>(3)</sup>.

- وصنف لم يدرس الشريعة ولكن درس القوانين الوضعية فقط وتولى تربية جيل من المسلمين لا يعرف شيئاً عن حقيقة الإسلام، بل يعرف بدلاً عن ذلك شبهات تحوم في نفسه حول الدين<sup>(1)</sup>، وفريق

1 صالح بن غانم السدلان، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، ص 220.

2 محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص 118

3 ينظر: محمد قطب، م.ن، ص 206، ص 209.

كان جاهلا بالأحكام الشرعية التي توضح مكانة العلماء وأهمية دورهم في حياة المسلمين، بالإضافة إلى تأثره بنظرة الغرب إلى رجال الدين، فتولى بث الإشاعات ونشر الاتهامات والسخرية والاستهزاء بعلماء الدين وتصويرهم في نفوس المسلمين بصورة الجهلاء الجامدين تارة والمنافقين المستغلين لسلطان وظائفهم ونفوذهم تارة أخرى، وبذا قل طلب العلم الديني والشرعي، وأصبح العالم الإسلامي يشكو نقصا في علماء الدين العاملين أكثر ما يشكو من أي شيء آخر<sup>(2)</sup>.

يتصور كثير منهم أو يتوهم أنه يستطيع أن يظل على إسلامه وهو يطبق نظما ليست من عند الله، جهلا منه وظنا أن الإسلام هو أن يطبق بلسانه لا إله إلا الله، أو على الأكثر أن يؤدي بعض العبادات في المسجد وينتهي مطلوب الإسلام منه عند هذه النقطة، وله بعد ذلك أن يسبح في الأرض ما يشاء؛ يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء يأخذ من روسيا مرة ويأخذ من أمريكا مرة ويأخذ من ألمانيا مرة<sup>(3)</sup>، لقد وقع كثير من السذج والجهلة بل وبعض العلماء في أيامنا هذه في شرك حقيقي، وبرهان ذلك ما نراه بأعيننا في كثير من البلاد العربية والإسلامية، إذ يتساقطون على الأضرحة والمشاهد ويقصدون الموتى ويعتمدون عليهم في جلب النفع ودفع الضرر، بل ويتوهم بعض الجهلاء هناك أن العبادة نفسها هي بالدرجة الأولى ما يأمر به المشايخ والأولياء من البدع<sup>(4)</sup>. وهذا كله نتيجة انحسار مفهوم العبادة عند الصوفية وحصرها في الصلوات والأذكار وحفظ المتون الطويلة، مما أدى إلى انحراف العبادة نفسها واستقائها من غير الكتاب والسنة<sup>(5)</sup>.

- 
- 1 محمد قطب، جاهلية القرن العشرين، ص274.
  - 2 ينظر: جامعة الإمام محمد بن سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص512-515.
  - 3 صالح بن غانم السدلان، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، ص 223 .
  - 4 خالد علي الحاج، مصرع الشرك والخرافة، ص34، ص35.
  - 5 محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص250، ص349.

## الفرع الثاني: دور الحاكم هو دور شامل:

إن مهمته كما وضحها شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . بقوله: "إن مهمة الحكام ليست مقصورة على حفظ الأمن والدفاع عن البلاد والقيام بمتطلبات المعيشة ورفع مستواها بين الناس فحسب كما تقرره المذاهب الفردية، بل إن مهمتهم مهمة شاملة ووظيفتهم ذات طبيعة عامة تختلف عن كل ما عرف من وظائف قديما وحديثا؛ إنهم مكلفون بمهمة غالية أنيطت بوجودهم، ومسؤولية كبرى لا يسعهم جهلها أو تجاهلها أو التفريط والتهاون فيها، ومن أوجب الواجبات وأول المهمات النصح لشعوبهم وهو ضرورة حتمية تملئها عليهم عقيدتهم ويحتمها عليهم إيمانهم بالله ورسوله، وإلا فهم خائنون مفطرون، حيث إن أعظم نصيحة يقدمونها لمحكومهم إقامة شرع الله بينهم وتنفيذ أحكامه فيهم وحملهم على التكيف بروح الإسلام وآدابه، وتحقيق مبادئه تحقيقا عمليا في حياتهم، وغرس حبه واحترامه في نفوسهم، والضرب بيد من حديد على يد كل فاسد أو ماجور أو موتور تشتم منه رائحة الإجهاز على هذا الدين أو الدفاع عن أي اتجاه يخالف هذا الاتجاه، وبهذا يكون قد أدى أمانته وأرضى ربه ونصح لأمتة ومكن لها من إقامة شرع الله الذي أنيطت به سعادتها وفلاحها في الدنيا والآخرة"<sup>(1)</sup>.

ويقول أبو الأعلى المودودي . رحمه الله .: "ليست المهمة الحقيقية التي تتولاها الدولة الإسلامية في الأرض أن تعمل على إقامة الأمن والدفاع عن حقوق البلاد أو رفع مستوى معيشة الأهالي، فما هذا هو الغرض الأقصى والغاية العليا من وراء قيام الدولة الإسلامية، فإن الميزة التي تميزها عن سائر الدول غير المسلمة هي أن تعمل على ترقية الحسنات التي يريد الإسلام أن تتحلى بها الإنسانية، وتستنفذ جهودها في استئصال السيئات التي يريد الإسلام أن يظهر منها الإنسانية"<sup>(2)</sup>.

ولذلك فإن الإسلام يفرض على الحاكم المسلم أن يكون مسلما في نفسه عقيدة وعبادة وأخلاقا، ويفرض عليه في الوقت نفسه أن يجتهد ليكون المجتمع الذي يحكمه مسلما يتمثل الإسلام عقيدة وأخلاقا، ويلتزمه فكرا وسلوكا، ويطبقه شريعة ومنهاجا، والإسلام إذ يفرض عليه هذا العمل يجعل القيام به

1 خالد الحاج، الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد، 492/2، 493.

2 ينظر: أبو الأعلى المودودي، نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور، ص277، ص278.

تكليفا شرعيا لا يجوز القعود عنه أو التهاون والتقصير فيه، كما يجعل الالتزام بأحكام هذه الشريعة الخالدة التزاما حتميا لا بد منه ولا خيار للحكام أو المحكومين فيه؛ لقوله . تعالى .: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: دور المحكومين في تطبيق الشريعة الإسلامية:

المحكومون هم المعبر عنهم بالأمة أو الجماعة التي تحمل الإسلام وتكون أدواته في عملية التغيير، وتتكون هذه الأمة من:

- 1- القاعدة الشعبية على اتساعها وهي التي تضم كل أفراد الأمة الإسلامية.
- 2- القوى الشعبية، وهم في الجماعة الإسلامية: الحزب العامل لخدمة الإسلام ونصرة قضاياهم وهم . باستثناء الحاكم . الوزراء والأمراء والولاة بدرجتهم وهم أهل الشورى والبيعة وبطانة السلطان الناصحون له من العلماء والحائزين لثقة الأمة، وهؤلاء هم مفتاح الحكم وضوابطه وصماماته وهم قلب الأمة إذا صلحوا صلح النظام كله وإذا فسدوا أو أعيقوا عن العمل فسد نظام الحكم كله وتحول<sup>(2)</sup>.
- وأهم واجبات هؤلاء السهر على حفظ الشريعة الإسلامية والقيام بها وتعليمها وإفشائها للناس علما وعملا ونصرة الحاكم بتقديم النصح والمشورة له، يعينوه إذا أصاب ويبصرونه إذا ضل ويبدلون له النصيحة ظاهرا وباطنا سرا وعلانية<sup>(3)</sup>، على أن السمع والطاعة للحاكم يكون فيما كان فيه لله طاعة وللمسلمين مصلحة، لأن وصف الولاية الموجب لطاعتهم إنما اكتسبوه من الشرع الإلهي من وجوب إقامة حاكم يصرف شؤون الأمة، ويقوم بينها معالم العدل والنصفة فهم مطاعون ما أقاموا شريعة ربهم،

1 الأحزاب:33/36.

2 صالح بن غانم السدلان، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، ص39.

3 ينظر: مصطفى كمال وصفي، النظام الدستوري في الإسلام، ص66، ص38، ص84

فإذا انحرفوا عنه وحادوا عن طريقه عنادا أو استضعافا وتقليدا لنظم أجنبية عن الإسلام فلا طاعة لهم<sup>(1)</sup>.

فالطاعة واجبة لأولي الأمر في حدود ما أنزل الله، بدليل أن ما يتنازع فيه يرد إلى أمر الله ورسوله، فمن أمر من الحكام بما يتفق مع ما أنزل الله فطاعته واجبة، ومن أمر بخلاف ما أنزل الله وبما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة، وهكذا قطع القرآن والسنة في أن طاعة أولي الأمر لا تجب إلا في طاعة الله وأن ليس لأحد أن يطيع فيما يخالف كتاب الله وسنة رسوله<sup>(2)</sup>.

لذلك فعلى كل مسلم حاكما أو محكوما أن يعترف بانتمائه للإسلام وما يقتضيه هذا الانتماء من التزام وسلوك، إذ الإسلام ليس مجرد دعوى تدعى ولا شعارا يرفع، ولا مجرد نص في الدستور على أن دين الدولة هو الإسلام ثم تسير سفينة الحياة بعدها في خط يجافي الإسلام، كما أن على كل مسلم أن يكون انتماؤه للإسلام ليس انتماء بالوراثة أو انتماء بالهوية، كما أنه ليس انتماء شكليا يستغرق حياة المسلم في أوضاع من التعبدات البدعية والخرافات والخزعات تقام باسم الإسلام والإسلام منها براء، إنما الانتماء للإسلام يعني أن يطبق المسلم الإسلام في بيته وأسرته ومجتمعه وأمته ودولته وفي كل الأصعدة، وعلى جميع المستويات، وما دام قد رضي بالإسلام ديناً وعقيدة فلا بد أن يرضى به حكماً وتشريعاً ومنهاجا في كل جوانب الحياة، ولا يرضى به بديلا أو عنه تحويلا<sup>(3)</sup>.

يقول ابن تيمية - رحمه الله - : "فالإسلام مبني على أصلين: ألا يعبد إلا الله، وعبادته إنما هي بطاعته فيما شرع، لا بالأهواء والبدع"<sup>(4)</sup>.

إن الإسلام لا ينتصر بالكلام والخطب الرنانة، ولا يعود إليه عزه ومجده بالأمانى والأحلام والمظاهرات ورفع الشعارات والتهافتات، فكل ذلك طبل أجوف، واستئناف حياة إسلامية صحيحة لا يمكن أن يتم

1 عرجون، موسوعة سماحة الإسلام، 2/555.

2 سعيد حوى، الإسلام، 2/163.

3 صالح بن غانم السدلان، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، ص 46.

4 عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي (جمع وترتيب)، مجموع فتاوى ابن تيمية، 1/80.

بالقرارات الحكومية الآلية، ولا بالانقلابات العسكرية الثورية، ولا بالوعظ والإرشاد وحده، ولن يتتصر الإسلام إلا إذا فهم المسلمون رسالتهم وعرفوها حق المعرفة كما فهمها وعرفها المسلمون الأوائل من ثم فقد حق لهم أن يسودوا العالم وأن يتزعموه بلا منازع، وحق لهم أن يقتحموا الصعاب من أجل دينهم ويرفعوا رايته عالية خفاقة فوق ربوع الأرض من المحيط إلى الخليج<sup>(1)</sup>، فعلى حكومات الإسلام يقع واجب حمل الإسلام، وواجب تعليم الناس له وتربية الأجيال عليه، والتخطيط لمد رواقه والتنظيم لإقامته والتنفيذ المتواصل لصالح سلطانه، وعلى كل مسلم أن يؤدي دوره في ذلك<sup>(2)</sup>.

### الفرع الرابع: الطرق والوسائل التي يستطيع الحكام بواسطتها تطبيق أحكام الإسلام:

1- أن ينتقل زمام أمر الدولة إلى حكام مسلمين صالحين تتوافر فيهم الغيرة على الإسلام، ويتحلون بالخبرة والتجربة والقدرة على تسيير دفة الحكم وفق أحكام الشريعة الإسلامية وقواعدها.

2- إنشاء الحياة الإسلامية، والسبيل الموصل إلى ذلك ينطلق من اتجاهين متكاملين<sup>(3)</sup>:

**الاتجاه الأول:** داخلي فكري نظري وهذا الاتجاه يوجب القيام بخطوات متعددة:

- الإيمان بأن تطبيق الشريعة الإسلامية يحتاج إلى تغيير الوضع القائم والتغيير يبدأ من ذوات أنفسنا يبدأ من الداخل ولا يستورد من الخارج.

- الإيمان بأنه لا طريق لعزنا ولا سبيل لتقدمنا وسعادتنا إلا بالإسلام وأن مقياس السعادة في التصور الإسلامي نابع من عبادة الله وحده وتحكيم شرعه والخلوص له . سبحانه . وأن مصدر الشقاوة والمهانة نابع من عبادة الطاغوت والهوى والشهوة، وتلك هي دركات الشقاء التي يعيش فيها كل من أعرض عن هدي الله ودينه.

1 صالح بن غانم السدلان، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، ص46.

2 ينظر: سعيد حوى، دروس في العمل الإسلامي، ص9.

3 ينظر: عبد الحلیم عويس، الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به، ص97 . ص99.

- الرجوع إلى الإسلام في أصوله الأولى وفي تطبيق تلك الأصول وفق ما جاء في كتاب الله . تعالى . وسنة النبي وسيرته وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح.

**الاتجاه الثاني:** فهو اتجاه عملي تطبيقي<sup>(1)</sup> يوجب إزالة التناقض الكبير الذي يحكم سائر مجالات الحياة الإسلامية، من مصالح ودوائر ومؤسسات وهيئات وتعليم وصحافة وإعلام وجميع مجالات الحياة الإسلامية وسائر المرافق والأجهزة الرسمية والشعبية، والسبيل الموصل لهذا الغرض ما يلي:

**أولاً:** وجود القاعدة المسلمة<sup>(2)</sup> بالحجم المعقول الذي يقود خطأ الأمة كلها في سبيل تحقيق هذا الهدف المنشود، والذي لا يعيقه وجود المنافقين والمبطنين وضعاف الإيمان والمتناقلين، ونعني بوجود القاعدة المسلمة أي: وجود الإنسان المسلم في عقيدته وفي تفكيره وفي خلقه وعاطفته وسلوكه وعمله وتصرفه.

- وجود البيت المسلم والأسرة المسلمة التي تتمثل الإسلام وتتقيد بشرائع الإسلام وتقوم بتنفيذها وممارستها في حياتها.

- وجود الشعب المسلم الذي يتمثل الإسلام ويقومه منهج حياة وعمل وممارسة واقعية.

. وجود القيادة المسلمة التي تأخذ الأسوة من رسول الله وتزكي في نفس المسلم روح الاعتزاز بالإسلام وبمبادئه الحقّة النابعة من مصدره القرآن الكريم وسنة رسوله<sup>(3)</sup>.

**وأولى الخطوات لإقامة هذه القاعدة المسلمة:**

---

1 عبد الحليم عويس، الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به، ص99.

2 ينظر: محمد قطب، واقعا المعاصر، ص433 . ص435.

3 محمد قطب، م.ن، ص433 . 435.

- إيقاظ الوجدان الديني من غفوته وتحويله إلى حركة واقعية ليكون ذا دلالة حقيقية تبني عليها حركة واعية تغير الوضع القائم وتزيل ركام الجهل العالق بعقول كثير من المسلمين بحقيقة فهم لا إله إلا الله ومقتضياتها<sup>(1)</sup>.

- فنقطة البدء تكون بتصحيح العقيدة وجلياء مفهومها الحقيقي وارتباطها الوثيق بتحكيم شريعة الله كما بين الله ذلك في كتابه وكما علمه الرسول لأصحابه، وكما وعت الجماهير المسلمة خلال أربعة عشر قرناً من الزمان، وتصحيح العقيدة بالبيان الهادئ<sup>(2)</sup>.

**ثانياً:** تجنيد كل الإمكانيات والطاقات لإصلاح مختلف نواحي الحياة الاجتماعية إصلاحاً شاملاً من خلال:

- تنحية جميع القيادات اللادينية والعناصر المشبوهة التي تعطي صورة سيئة عن الإسلام في مفاهيمها وفي سلوكها وتبعد كل عنصر صالح يدرك حيل أعداء الإسلام ويكافح لإحباط مخططاتهم<sup>(3)</sup>.

- تولية القيادات الدينية الصالحة من حكام ودعاة ومعلمين وغيرهم ممن يتحلون بالخلق والعلم والاستقامة، ويؤمنون بالله إيماناً يدفعهم إلى الإخلاص في العمل والصدق في التوجه والمراقبة لله . تعالى . وهؤلاء هم المصلحون الذين يجمعون بين متانة العقيدة والافتتاع بالإسلام ديناً خالداً أبدياً وبأحكام الإسلام شرعة ومنهجاً<sup>(4)</sup>.

- يجب أن نجعل همنا الأكبر وشغلنا الشاغل في المدرسة والجامعة والإذاعة والصحافة ووسائل الإعلام وأجهزة التعليم والثقافة، فيجب:

---

1 محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص 419.

2 صالح بن غانم السدلان، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، ص 284.

3 ينظر: ناصر العقل، التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، ص 129 . ص 130.

4 ينظر: زيد بن عبد العزيز فياض، واجب المسلمين في نشر الإسلام، ص 53 . ص 54.

أ- إغلاق دور الصحافة والمجلات الخليعة التي تحوي في بطونها كل فسق ورذيلة، وتنتشر الأخبار والدعايات المغرضة والصور العارية، والضرب بيد من حديد عليها، ونقلهم أظافر محرريها ليكونوا عبرة لكل فاجر مرتاب<sup>(1)</sup>.

ب- محاربة الشر والانحلال بكل صورته وجميع أشكاله و ألوانه، وقطع دابر من يدعو إليه<sup>(2)</sup>.

ج- إحداث تغييرات جذرية في مؤسسات التعليم لتشمل أهدافها ومناهجها وبرامجها ووسائلها<sup>(3)</sup>.

## المطلب الثاني: وحدة العمل الإسلامي:

### الفرع الأول: أسباب تعدد مناهج العمل الإسلامي:

إن المتأمل في سبب تعدد الجماعات الإسلامية والمتفكر في طبيعتها يرى أنها تعود في كثير من الأحوال إلى اختلاف مناهج الدعاة وأساليب عملهم في العمل للإسلام، حيث يجتهد الدعاة العاملون في وضع المناهج اللازمة لعملهم، واختيار الأساليب والوسائل الملائمة لدعوتهم، وذلك بحسب إمكاناتهم واجتهاداتهم، فيختارون من ذلك ما يرونه أدعى إلى تحقيق الأهداف وأقرب إلى الوصول للغايات، وذلك في ضوء النصوص الشرعية الثابتة، والمصالح الزمنية الراهنة، وإن مثل تعدد اجتهاداتهم في ذلك مع وحدة الدين والقرآن والسنة، مثل تعدد مناهج الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام . وشرائعهم، مع وحدة ملتهم، لا يضر في التشبيه بين شيئين من بعض الوجوه وجود اختلاف في وجوه أخرى مثل:تنوع الزمان والمكان بالنسبة لشرائع الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام . ووحدة الزمان والمكان أحيانا بالنسبة لمناهج العلماء والدعاة، يكفي في مثل هذا المقام وجود تشابه من حيث تعدد المناهج مع وحدة الشريعة والهدف مع تشابه في تعدد الشرائع مع وحدة الملة فإن ملة الأنبياء . عليهم الصلاة

1 يوسف القرضاوي، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، ص52.

2 صالح بن غانم السدلان، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، ص 285.

3 ينظر: عباس محجوب، مشكلات الشباب: الحلول المطروحة والحل الإسلامي، ص124.

والسلام . جميعا واحدة كما أن ملة الكفر واحدة<sup>(1)</sup>. والفرق بين تعدد مناهج الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام . مع وحدة ملتهم، وبين تعدد مناهج الدعاة والعاملين مع وحدة دينهم ورسالتهم، هو أن في مناهج الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام . وحي منزل معصوم عن الخطأ، وأن مناهج الدعاة والعلماء اجتهادات بشرية في ضوء الوحي تحتمل الخطأ والصواب، وتقبل المناقشة والنقد، ولكنهم في اجتهاداتهم تلك لا يعدمون أجرا إن شاء الله تعالى على كل حال، وقد سبق إلى هذا التشبيه الإمام ابن تيمية رحمه الله، بعد أن تحدث عن وحدة الملة وتعدد الشرائع ومناهج الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام . فقال في ذلك: "فالمذاهب والطرائق والسياسات للعلماء والمشايخ والأمرء، إذا قصدوا بها وجه الله . تعالى . دون الأهواء، ليكونوا مستمسكين بالملة والدين الجامع الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، واتبعوا ما أنزل إليهم من ربه من الكتاب والسنة بحسب الإمكان بعد الاجتهاد التام: هم لهم من بعض الوجوه بمنزلة الشرع والمناهج للأنبياء وهم مثابون على ابتغائهم وجه الله وعبادته وحده لا شريك له وهو الدين الأصلي الجامع، كما يثاب الأنبياء على عبادتهم الله وحده لا شريك له، ويثابون (أي العلماء والمشايخ ) على طاعة الله ورسوله فيما تمسكوا به، لا من شرعة رسوله ومنهاجه، كما يثاب كل نبي على طاعة الله في شرعه ومنهاجه، ويتنوع شرعهم ومناهجهم"<sup>(2)</sup>.

**ويمكننا أن نلخص أسباب تعدد المناهج الدعوية بما يلي:**

أ- طبيعة النصوص الشرعية المحتملة لأكثر من معنى: وتفاوت الآراء والاجتهادات البشرية في فهم أساليب العمل الإسلامي، المستقاة من مثل هذه النصوص ومن سيرة الرسول . صلى الله عليه وسلم . وسيرة خلفائه الراشدين . رضوان الله عليهم . ولو دققنا النظر في هذا السبب، لرأينا أن اتساع سيرة الرسول . صلى الله عليه وسلم . وسيرة خلفائه من بعده لتعدد الأفهام والاجتهادات أكثر من اتساع النصوص الواردة في الأحكام الشرعية، فهناك مواقف يجعلها بعضهم من باب تصرفات الإمام والسياسة، ويرأها آخرون من باب التبليغ والفتوى، وأخرى يعيدونها لتصرفات القاضي أو المفتي حسب

1 حمد أبو الفتح البيانوني، رسالة عن وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع، ص 3، (الانترنت).

2 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 126/19 . 128.

فهم كل عالم أو مجتهد فيها<sup>(1)</sup>. ومن مثل هذا وغيره من أسباب، اختلفت مناهج السلف العلمية، فكان منهم من يتمسك بالآثار ويقل من استعمال الرأي، وكان منهم من يتوسع في ذلك حتى تكونت مدرستا أهل الحديث وأهل الرأي، وكان على رأس المدرسة الأولى عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - إلى أن تجسدت هذه المدرسة في شخصية الإمام مالك بن أنس وكان على رأس المدرسة الأخرى . مدرسة الرأي . أمثال عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهما - إلى أن تجسدت هذه المدرسة في شخصية الإمام أبي حنيفة<sup>(2)</sup>.

ومن مثل هذا اختلفت مواقف السلف من الفقه الفرضي أو التقديري، فكان منهم من يقره ويتوسع فيه، ومنهم من يرفضه ويتورع عنه، ويستدل كل طرف لرأيه بالأدلة النقلية والعقلية<sup>(3)</sup>.

ومن مثل هذا أيضا تنوعت مناهج السلف في التوسع أو الإقلال من الأخذ بالمباحات، وتناول الطبيات، فكان منهم من يتوسع في ذلك، ومنهم من يقل، واستدل كل طرف على منهجه ببعض الأدلة النقلية والعقلية<sup>(4)</sup>، إلى غير ذلك من مناهج قديمة وحديثة في مناهج المسلمين وطرائقهم شملت الجوانب الخاصة والعامة في حياة المسلمين.

ب- ومن الأسباب التي أدت إلى تنوع مناهج المسلمين الدعوية اليوم: غياب الوحدة السياسية في الساحة الإسلامية المتمثلة في الخلافة الراشدة التي تحكم الأمة وتجمع الشمل وترفع الخلاف، يقول الدكتور يوسف القرضاوي في مقابلة صحفية: "فعد الحديث عن الصحة الإسلامية تبرز بشكل لافت للنظر قضية تعدد الجماعات الإسلامية العاملة في ساحة الدعوة دون أن يختفي الخلاف، وربما التنافر الذي يفصل بعضها عن بعض في أحيان كثيرة، هل تعتقد أن ظاهرة التعددية ظاهرة صحية؟ وما هو المفهوم الصحيح الذي يجب أن يسود بين هذه الجماعات لتوظف طاقاتها مجتمعة في خدمة مصلحة المسلمين كافة؟ فكان جواب فضيلته: "التعددية ظاهرة مفروضة فرضها غياب فريضة كبرى

---

1 ينظر: محمد أبو الفتح البيانوني، الأصالة والمعاصرة خصيصتان من خصائص الدعوة الإسلامية(الانترنت).

2 نظر: الحجوي، كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، 353-349/1.

3 ينظر: الحجوي، م.ن، 353349/1.

4 ينظر: الشاطبي، الموافقات، 123.117/1.

من فرائض الإسلام، فإذا عدنا إلى الصدر الأول عهد النبوة المطهرة وعهد الخلافة الراشدة التي أجمع عليها المسلمون فلا نجد إلا جماعة واحدة تحت قيادة واحدة هي جماعة المسلمين، تحت إمامة واحدة لرسول الله ثم تحت إمامة الخليفة الراشدة من بعده، وظل العمل للإسلام على هدي جماعة واحدة وتحت إمامة راشدة واحدة، حتى اختلفت الخلافة الراشدة المبايعة ببيعة شرعية من مسلمي الأرض، فقام أعلام الدعاة المصلحون المخلصون بالدعوة إلى الله من أجل الإسلام، ومن ثم نشأت الجماعات وتعددت، أي إنه لا تعدد في الجماعات الإسلامية إذا كان المسلمون يعيشون تحت سلطان خلافة راشدة<sup>(1)</sup>.

ج- ومن الأسباب التي أدت إلى مثل هذا العدد: رغبة العاملين للإسلام في استيعاب أكبر عدد ممكن من المسلمين في إطار العمل الإسلامي، وذلك حفاظا على الشعوب المسلمة من الضياع، وصونا لهم عن مطامع الأعداء، وتجميعا وتوجيها لجهودها نحو الأهداف المشتركة ولا يخفى على أحد مدى تفاوت أمزجة المسلمين ومشاربهم اليوم، وتعدد آرائهم واجتهاداتهم التي لا يمكن أن يستوعبها تنظيم واحد، أو تحكمها قيادة واحدة، ولا سيما في غياب الجماعة التي يعترف الجميع لها بالكمال فينضون تحت لوائها، ولا يجدون أي حاجة لوجود تجمعات أخرى مع وجودها<sup>(2)</sup>، واكبر مثال ما قاله أبو الأعلى المودودي وهو يبين الأسباب الداعية إلى تشكيل جماعته الإسلامية: "حاولت وحاول زملائي ممن يحملون فكرا مشتركا، حاولنا معا خلال ثلاث سنوات، القيام بجمع الجماعات الإسلامية الموجودة في ذلك الوقت، تحت ظل نظام واحد، أو برنامج واحد يفي باحتياجات الدين الإسلامي بصورته الحقيقية، وكانت هذه المحاولة تهدف إلى تكوين وحدة مترابطة بين الجماعات القائمة وبالتالي لا تكون هناك حاجة إلى تشكيل أية جماعة جديدة وللأسف لم تتجح محاولتنا"<sup>(3)</sup>.

## الفرع الثاني: معوقات وحدة العمل الإسلامي:

- 1 ينظر: مجلة الإصلاح، العدد 77، شهر شوال لعام 1404 هـ.
- 2 محمد أبو الفتح البيانوني، رسالة عن وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع، ص 6.
- 3 أسعد الجيلاني، أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته، ص 43.

يتوجب على العاملين في مجال العمل الإسلامي الحذر من بعض المزالق التي قد تحبط هذا العمل أو تذهب فعاليته، وما ينتج عن ممارسته من مفساد، ومن هذه المزالق:

1- اختراق العمل الإسلامي وشقه إلى معتدلين ومتطرفين: فالعمل السياسي ليس موضع قبول من الإسلاميين كافة، فمن فصائل العمل الإسلامي من يدينه ويعتبره تلاعباً بالدين، بل منهم من يجعله ماساً بأصل الدين وناقضاً لعقد الإسلام، ويغلب ذلك على التيارات الجهادية والتيارات السلفية وكل من قطع في قضية الحكم بغير ما أنزل الله وجزم بأنها من جنس الكفر الأكبر بصفة عامة، والغرب حريص على اختراق العمل الإسلامي وشقه إلى فريقين: إلى متطرف يشن الغارة عليه ويبادر إلى قمعه والتكيل به، وآخر معتدل يؤجل ذلك معه إلى حين، وتدفعه إلى القبول بلعبة الديمقراطية والاشتراك في العمل السياسي والتعبير عن الرأي من خلال القنوات الشرعية، وبذلك يتم تحقيق هدفين أولهما شق التيار الإسلامي وتفجير الفتن والخصومات بين فصائل العمل الإسلامي، وثانيهما تجميل صورتها أمام الرأي العام، وعدم الظهور بمظهر المحارب للإسلام وذلك بقبولها بطائفة من الإسلاميين وإتاحة الفرصة لهم للظهور على خشبة المسرح السياسي<sup>(1)</sup>.

ولدفع هذه الفتن لا بد من توثيق الصلة مع الفصائل العاملة للإسلام كافة، والحذر من إسقاط الشرعية عن أعمالهم الدعوية أو الجهادية ولو بإشارة عارضة، إلا إذا كان ذلك ضمن منظومة كاملة من التنسيق والتكامل، أضف إلى ذلك التأكيد على أن العمل السياسي هو أحد المجالات التي تمارس من خلالها الحركة الإسلامية دعوتها، وأن العمل لنصرة الإسلام لا ينحصر في طريق معين، حيث إنها وإن كانت قد اجتهدت في طريق معين، فبقية الفصائل العاملة للإسلام مدعوة للاجتهاد في بقية الطرق، بالإضافة إلى تجنب الإدانة المطلقة لأعمال تبدو منافية للاعتدال والقصد والنضج قد تتورط بها بعض فصائل العمل الإسلامي حتى لا تملأ الساحة بالفتن والتهاج بين فصائل العمل الإسلامي، بل يجب أولاً إدانة الإرهاب العلماني في قمع الإسلام والذي كان من نتائجه هذه الأفعال التي تعد نتيجة طبيعية لما تمارسه بعض الحكومات من التطرف في معاداتها للإسلام. ومن هنا تأتي ضرورة الحرص البالغ والدقة المتناهية فيما يصدر عن الإسلاميين من تصريحات ومقولات تمس احد هذه

1 صلاح الصاوي، مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي، ص122.

الفصائل، اللهم إلا إذا بلغ العمل الإسلامي مرحلة من الرشد أمكنه معه أن يتفق على الترخّص في شيء من ذلك ترجيحاً لمصلحة استمرار رسالة الإسلاميين بغير تشويش ولا إثارة<sup>(1)</sup>.

2- عدم حصر العمل الإسلامي في العمل السياسي وإهدار الجهود التي تبذل على المحاور الأخرى. فكيف لمن انتصبوا لنصرة الإسلام ووطنوا أنفسهم على التعامل مع الاتجاهات السياسية الأخرى على مقتها للإسلام، كيف لا يتسنى لهم أن يحافظوا على أوامر وجسور المحبة والتواصل مع إخوانهم من حملة الدعوة من بقية الفصائل على الرغم من حبههم للإسلام وانتصابهم لإقامته، فالتعدد القائم في ساحة العمل الإسلامي هو تعدد تنوع وتخصص، وأن عمل فصائل منهم في مجال لا يلغي عمل بقية الفصائل في باقي المجالات، ولذلك لا بد من التعاضد والتكامل والتناصح فيما بينها.

3- التورط في وحل التنازلات: فأعداء الأمة حريصون على توريث العاملين في العمل الإسلامي في وحل التنازلات لتفقدتهم ما تميزوا به في حس الأمة من النقاء والريانية وتدمير جسور التواصل بينهم وبين فصائل العمل الإسلامي، فلا بد من الانتباه إلى أن المرونة التي قد يبديها العمل الإسلامي في هذا الصدد أول مرة قد يجلب عليه طمع أعداء الله في المزيد.

ولذلك لا بد للعاملين في حقل العمل الإسلامي عدم نسيان الرسالة والدعوة التي يحملونها، وأن وفاءهم لهذه الرسالة هو الذي يبرر وجودهم واستمرارهم في الموقع، وأن عليهم أن يزنوا كافة مواقفهم في موازين الشريعة وأن يكلوا الأمر في ذلك إلى علمائهم وفقهائهم فلا تقوت مصلحة إلا رجاء تحقيق مصلحة أكبر، ولا تحتل مفسدة إلا دفعا لمفسدة أعظم، وألا يحاكموا إخوانهم في فصائل العمل الإسلامي بناء على النظرة الأولى، وأن يدركوا أنه إذا اختلطت الحسنات بالسيئات وقع الاشتباه والتلازم، ولهذا فإن عليهم أن يحملوا ما أشكل عليهم من مواقف إخوانهم على أحسن محاملها وأن يستصحبوا حسن الظن والتماس العذر بالتأويل ونحوه حتى يقع لهم من ذلك شيء لا يختلف فيه، فيتمهد السبيل إلى التناصح أو الإنكار بما لا يؤدي إلى مفسدة أعظم<sup>(2)</sup>.

1 صلاح الصاوي، مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي، ص 124.

2 ينظر: صلاح الصاوي، م، ن، ص 127. ص 128.

## المبحث الثالث

### من الناحية التربوية

المطلب الأول: مراجعة مناهج التعليم والعمل على تطويرها:

الفرع الأول: واقع مناهج التعليم:

لقد ابتلي العالم الإسلامي بالتبعية الثقافية التي أركت رؤيته لذاته ومحيطه وقيل ذلك لأهدافه وغاياته العليا، ولذا فإننا نرى أن المناهج في بعض البلدان لا ترتبط بأهداف تحقيق العبودية لله تعالى والولاء له ولأمة الإسلام وإنما تؤسس لدى الطالب الانتماء إلى الإقليم أو العنصر أو القوم، وبعضها يؤسس لديه روحا تجارية نفعية كذلك التي يتشبع بها موظفو العلاقات العامة ومندوبو المبيعات فنشأ لديها جيل أناني ضيق الأفق خامد العاطفة عاجز عن الانفتاح على الدوائر الأوسع، على المستوى الفلسفي والاقتصادي تأثرت بعض الدول بالاتجاه الاشتراكي ودول أخرى بالاتجاه الليبرالي الرأسمالي، وقد انعكس ذلك على مناهجها جميعا، بل وعلى نوعية العلاقات الاجتماعية والمؤسسات التربوية، وقد كان لذلك آثار سلبية عديدة على وحدة الأمة وتجانس فكر شبابها<sup>(1)</sup>.

إن الواقع الذي تعيش فيه الأمة يؤكد للمخلصين بأن ثمة تدهورا مستمرا وتراجعا متواصلا لمكانة الأمة بين أمم الأرض، إذ إنها تزداد يوما بعد يوم كرها ورفضاً من أمم الأرض وذلك بفعل منها لا بفعل غيرها، وإن حمل الغير جميع ذنوبها وأخطائها التاريخية، فإن إصلاح هذه المناهج لا يروم بأي حال من الأحوال إضفاء الصبغة الدنيوية المحضة على هذه المناهج أهدافا ومحتويات وأساليب وطريق تقويم، وذلك بجعلها مناهج دنيوية خاوية من كل القيم والمبادئ السامية، وتغدو أهدافها ومحتوياتها متمركزة حول طرق إشباع الغرائز المادية، وتخريج جيل مادي شهواني استعلائي طبع في يد الأمم الغالبة، ومنبت الصلة عن قيمه وإرثه الفكري والعقدي، كما لا يسعى إصلاح هذه المناهج في منظور

1 عبد الكريم بكار، حول التربية والتعليم، ص 347.

هذه الدراسة إلى إضفاء الصبغة الدينية الخالصة على هذه المناهج يجعلها مناهج دينية تتمحور حول قضايا ومسائل ما يعرف اليوم بعلوم الدين والشريعة دون سواها بل لا يعني إصلاحها، فصل هذه المناهج عن الواقع الذي نعيشه وعزلها عن الحياة العملية وحصرها في دائرة ما يعرف بالعلوم الدينية أو الشرعية<sup>(1)</sup>.

إن إصلاح هذه المناهج يعني صياغة مناهج التعليم أهدافا ومحتويات وأساليب وطرق تقويم، في إطار من التصور الإسلامي الكلي الشامل للكون والإنسان والحياة والوجود، وذلك بغية إنتاج علم إصلاحي إيماري توحيدي أخلاقي رشيد وقصد إعداد فرد صالح ملتزم بقيم دينه وقادر على التفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه وعلى القيام بمهمة الخلافة لله وعمارة الأرض وترقيتها وفق شرع الله<sup>(2)</sup>، فإصلاح المناهج التعليمية يعد جزءا لا يتجزأ من المشروع الحضاري الإسلامي الكبير الذي يهدف إلى إعادة الوصل المكين بين وحي السماء وواقع الأرض، وممارسة النشاط المعرفي كشفا وتجميعا وتوصيلا ونشرا من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان<sup>(3)</sup>. ولهذا لا بد من السير في اتجاه إصلاح المناهج التعليمية، والعمل على تطويرها وجعلها قادرة على القيام بدورها المطلوب، ولتحقيق هذا الهدف لا بد من السير في طريق إصلاح المكونات الأربعة للمناهج والمتمثلة في الأهداف التعليمية و محتوى المناهج وأساليب التعليم وطرق التقويم.

### الفرع الثاني: تطوير الأهداف التعليمية:

يذهب علماء التربية والتعليم إلى أن الهدف التعليمي عبارة عن وصف للسلوك المتوقع من المتعلم نتيجة لاحتكاكه ببعض الحقائق والقيم الإلهية الثابتة، والخبرات التربوية المتغيرة وتفاعله معها<sup>(4)</sup>، فالأهداف التعليمية التي يسعى إلى تحقيقها من خلال المناهج التعليمية ينبغي لها أن تتسم بدرجة عالية من الوضوح والدقة والشمولية والواقعية، بحيث يمكن مقايستها وتقويمها كما ينبغي الابتعاد عند

1 قطب مصطفى سانو، مناهج التعليم في العالم الإسلامي: مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد 26، ص 72.

2 حمدي أبو الفتوح، أسلمة مناهج العلوم المدرسية، ص 96.

3 عماد الدين خليل، مدخل إلى إسلامية المعرفة، ص 15.

4 علي أحمد مذكور، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، ص 130.

صياغتها عن الغموض والضبابية والعموميات والمثالية، فضلا عن هذا ينبغي التفريق بين أنواع الأهداف التعليمية إذ ثمة أهداف تعليمية ثابتة لا يعترضها تغيير أو تبديل أو تعديل تتمثل في ترسيخ مجموع القيم والمبادئ التي نص عليها الشرع في الكتاب والسنة وتمثل في جوهرها ما يعرف اليوم بثوابت الدين وكنياتها، ولا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا تتأثر بالأحوال والظروف بتاتا، وهناك أهداف تعليمية متغيرة تتغير بتغيير الزمان والمكان والأحوال والعادات والتقاليد والأعراف<sup>(1)</sup>.

فإن إصلاح المناهج التعليمية على مستوى الأهداف لن يكون في أتم حالاته إذا لم يتضمن تنصيحا واضحا على الأهداف الثابتة، والربط بينها وبين الأهداف المتغيرة بصورة علمية جلية، ولذلك فلا غرو أن تكون مخرجات هذه المناهج ما نراه اليوم من أشخاص وجماعات يتصلون من جميع المبادئ والقيم الثابتة التي وضعها الشرع في هذا الكون وأمر الالتزام بها، بل ليس من عجب في شيء أن تعجز هذه المناهج بأهدافها المهلهلة عن إنتاج ذلك الجيل من النشء القادر على تمكين الأمة من استعادة عافيتها واستئناف دورها الريادي والقيادي في هدي البشرية، لذلك لا بد من إعادة النظر في جميع الأهداف التعليمية في إطار التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة والوجود، كما تقتضي ضرورة انبثاق تلك الأهداف من المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام من أجل تحقيقها في حياة البشر<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثالث: إصلاح فحوى المناهج التعليمية:

فمحتويات المناهج هي مجموعة الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة والمعارف والمهارات والخبرات الإنسانية المتغيرة بتغير الزمان والمكان، وحاجات الناس التي يحتك المتعلم بها، ويتفاعل معها من أجل تحقيق الأهداف التربوية المنشودة منه<sup>(3)</sup>، إن محتويات المناهج تمثل الميدان الذي يتم من خلاله ترجمة تلك الأهداف وتحويلها إلى واقع ملموس قابل للتقويم والمقايسة، مما يعني أن إصلاح الأهداف

---

1 ينظر: قطب مصطفى سانو، مناهج التعليم في العالم الإسلامي: مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد 26، ص 74 . ص 75.

2 ينظر: قطب مصطفى سانو، م.ن، ص 77.

3 علي مذكور، منهجية تدريس العلوم الشرعية، ص 131.

لا تحقيق له إذا لم ينعكس ذلك في المقررات والمواد التعليمية التي يتوصل من خلالها إلى الأهداف المرسومة سلفاً<sup>(1)</sup>.

وعليه فإنه يمكن القول بأن هذه المحتويات ينبغي لها أن تنظم كل الخبرات والمعارف والمفاهيم والمهارات التي تساهم في بناء الإنسان الصالح كله، وجدانه وعقله وجسمه، تعتبر هامة ويجب تضمينها في محتوى المنهج<sup>(2)</sup>، وإن الشرع الحنيف لم يعن بحديث مفصل وواضح عن محتويات المناهج أو العلوم بشكل عام، بل أمر بالقراءة في الكتاب المسطور والكون المنظور، وحثّ المسلمين على السعي في الأرض والكشف عن سننه في الخلق والتاريخ والكون، فكل هذا تقرير بأن للعقل الإنساني دوراً في ضبط المواد والموضوعات التي من شأنها تحقيق الأهداف المرجوة من المناهج التعليمية، كما أن هذا يؤكد عدم حصر المعرفة الإسلامية في فن دون آخر، أو تخصص دون غيره، إذ إن المعرفة الإسلامية لا يمكن أن يستوعبها تخصص من التخصصات، ولا يمكن أن تقف عند حد فن من الفنون، بل "هي منهجية تلتزم توجيه الوحي، ولا تعطل دور العقل، بل تتمثل مقاصد الوحي وقيمه وغاياته وتدرس وتدرك موضوع اهتمام الوحي وإرشاده، وهو الفرد والمجتمع الإنساني..."<sup>(3)</sup>.

فإصلاح المناهج يعني تقديم كافة المواد والمقررات التعليمية، التي يتوقف عليها تحقيق الأهداف التعليمية الثابتة والمتغيرة، في إطار من التصور الإسلامي الكلي للإنسان والكون والحياة والوجود، ومقتضى هذا أن أية مادة تقدم في إطار من التصور الإسلامي تعد مادة إسلامية، ولو كان ذلك في الرياضيات أو الفيزياء أو الكيمياء؛ لأن كل علم يصمم منهجه ويدرس على أساس أن يساهم في بناء الإنسان المسلم القادر على المشاركة بإيجابية وفاعلية في عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله، هو علم ديني من وجهة نظر الإسلام يستوي في ذلك علوم الشريعة والعلوم الحديثة كالرياضيات والطبيعة والكيمياء وعلوم التقنية الحديثة<sup>(4)</sup>. كما أن أي عملية لإعادة صياغة المناهج يتوجب أن تقوم على

- 
- 1 قطب مصطفى سانو، مناهج التعليم في العالم الإسلامي: مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد 26، ص 78.
  - 2 علي مذكور، منهج التربية الإسلامية، ص 289.
  - 3 المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الوجيز في إسلامية المعرفة، ص 78.
  - 4 ينظر: قطب مصطفى سانو، مناهج التعليم في العالم الإسلامي: مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد 26، ص 79 وعلي مذكور، م.س، ص 290 .

رؤية إسلامية ناصعة ناضجة، ترى في ثنائيات الدين والدنيا والعقل والنقل والروح والمادة جمالا وروعة وتكاملا وتساندا وترابطا، لا ترى فصاما وفرقا بينها، وبذلك تتم معالجة ظاهرة الغلو والتطرف الديني أو الدنيوي، فالتكامل هو الأمل الأوحى لتخفيف حالة التشتت الفكري والمرجعي الذي عمت به البلوى، وجلبت ولا تزال تجلب للأمة مزيدا من المآسي والآلام والويلات.

#### الفرع الرابع: تطوير الأساليب التعليمية:

إن الأساليب التعليمية القادرة على إحداث التغيير المطلوب في النشء، هي تلك الأساليب التي تقوم على مراعاة واحترام مشاعر النشء وتقدير واقعهم وأحوالهم، وتوفير جو الرحمة والرفق والتفاعل الإيجابي والحوار البناء معهم، تمكينا لهم من حسن استيعاب الأهداف والمحتويات التعليمية، فإذا اكتملت في الأساليب التعليمية هذه الركائز كان من شأن ذلك إقبال النشء على التعلم بشغف وشوق ورغبة فضلا عن أن ذلك سيوفر لهم تحصينا عميقا بالأهداف والمحتويات، فيصبحون لا يقبلون ما يلقى عليهم إلا بعد اقتناعهم بجدواه وصحته، وهذا بدوره يؤدي إلى ترسيخ ما يتلقونه من خبرات ومعارف ومهارات وتجارب في أذهانهم، ويدفعهم ذلك كله إلى التفاعل الإيجابي الواقعي مع أنفسهم، ومع الواقع والمجتمع الذي يعيشون فيه<sup>(1)</sup>.

بالإضافة إلى أن النقدية والحوارية والواقعية هي من الركائز الأساسية التي يجب أن تكون ضمن الأساليب التعليمية حيث من شأن ذلك ضمان تمكن النشء من الأهداف والموضوعات التعليمية المقدمة لهم، فالحوارية تعنى بتوفير جو من المناقشة البناءة الهادفة، القائمة على توفير جو من حرية الرأي والتعبير لدى النشء الجديد عند تقديم المعلومات والمعارف والمهارات، حيث يدفعهم ذلك إلى التفاعل مع المعلومات التي تقدم لهم، أما النقدية حيث تعنى بتبني أسلوب الانفتاح على الأفكار والآراء عند تقديم المعلومات والمعارف إلى النشء، بحيث يتعلمون قبول المخالفين لهم في الرأي والفكر والتقارب معهم قدر الاستطاعة، أما الواقعية فنقصد بها تبني أسلوب تقدير المواقف وحسن فهمها، وإيجاد الحلول للمشاكل المطروحة بطابع الانطلاق من الواقع المعاش في حياة الناس، بعيدا

1 ينظر: قطب مصطفى سانو، م.ن، ص84.

عن المثالية المجردة التي تبنى فيها الآراء والحلول من المثال الحاصل في الذهن، على غير هدي واعتبار للواقع الذي تجري به الحياة ومقتضياتها العملية<sup>(1)</sup>.

لكن المتفحص في الأساليب التعليمية التقليدية الشائعة في العالم الإسلامي، فإنه سيفضي إلى القول بأنه لا حضور لتلك الركائز أنفة الذكر، بل إن أساليب القمع والاستبداد والتكريم تعد الأساليب التعليمية المفضلة والمقننة والمحبة في النفوس، نتيجة ما يفتقر إليه الواقع الإسلامي من حرية التعبير والرأي، فلا غرو أن تغدو الديار الإسلامية أوكارا لنشأة أفكار الغلو والتطرف والتعصب، لذلك فإن الأساليب التعليمية تحتاج إلى الارتقاء بها وتجريدها من جميع ألوان القمع والاستبداد والإرهاب فالرفق والرحمة والحوارية والنقدية والترغيب هي الأساليب الأساسية الشائعة في المؤسسات التعليمية التي تزنو إلى إعداد الفرد الصالح الملتزم بقيم دينه القادر على التفاعل والتأثير في مجتمعه، والقادر على القيام بمهمة الخلافة لله وعمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله وذلك هو غاية الإصلاح المنشود للمناهج والمؤسسات التعليمية<sup>(2)</sup>.

#### الفرع الخامس: الارتقاء بطرق التقويم:

يتطلب إصلاح طرق التعليم صياغة طرق التقويم صياغة تستند إلى التصور الإسلامي الكلي في مجال التقويم والاختبار، مستحضرا قيم العدالة والإنصاف والشفافية ومستحضرا كون التقويم نوعا من الشهادة التي يسأل عنها المرء يوم القيامة، فإن شهد بحق كان له ثواب وإن شهد بغير ذلك تحمل عواقبه ونتائجها، فإصلاح هذه الطرق يكون بالالتزام التام بالقيم المتعلقة بالشهادة، حيث من شأن أن يؤدي ذلك إلى إعداد جيل سليم واثق من نفسه وعارف قدراته، مما يدفعه إلى التفاعل البناء مع المجتمع بإيجابية وفاعلية، لذلك فعلى القائمين بالمناهج التعليمية انتقاء الطرائق التقويمية التي يرونها قادرة على تعريف النشء بقدراتهم دون بخس أو نقص، فليس من العدل حرمان أحد ما يستحقه، كما

---

1 ينظر: قطب مصطفى سانو، مناهج التعليم في العالم الإسلامي: مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد 26، ص 86.

2 ينظر: قطب مصطفى سانو، م.ن، ص 85 . ص 86.

انه ليس من العدل إعطاء شخص ما لا يستحقه، وإنما العدل كل العدل إعطاء كل ذي حق حقه، وفي ذلك التزام بالمنهج الإسلامي في التقويم والاختبار<sup>(1)</sup>.

## المطلب الثاني: تعزيز أصول جهاد النفس وأثرها على الفرد المسلم:

### الفرع الأول: أهمية جهاد النفس:

والمقصود بجهاد النفس: بذل الجهد لحملها على الالتزام بمنهج الله . تعالى . والسير على صراطه المستقيم، وهو يتضمن طاعة الله . تعالى . وعبادته، والبعد عن معصيته؛ بأداء المسلم واجبه نحو ربه وواجبه نحو نفسه، وواجبه نحو أمته الكبرى وواجبه نحو الإنسانية جميعاً، وواجبه نحو الكون والمخلوقات جميعاً، فالنفس إذا تركت لهواها وغرائزها دون حاجز من إيمان أو رادع من عقل أو ضمير، حادت بالإنسان عن سواء السبيل، فتكاسلت عن أداء الواجبات وفعل الخيرات، وأسرعت إلى اتباع الشهوات واقتراف السيئات<sup>(2)</sup>.

ومن هنا كان على الإنسان أن يبذل جهده ليرقى بنفسه ويزكيها، ولا يهملها فيديسيها وهي قابلة لهذا وذلك، فهي مستعدة للفجور استعدادها للتقوى، وإنما ترتقي إلى التقوى بالرياضة والمجاهدة والتركية، فالنفس البشرية إذا لم تؤخذ بالرياضة والتربية والمراقبة والمحاسبة أخلدت إلى الأرض واتبعت هواها واقترفت كبائر الإثم والفواحش ما ظهر منها وما بطن، وقد يقع بعض أهل العلم في هذا الدرك إذا اتبع هوى نفسه فلم ينتفع بعلمه بل سيكون علمه حجة عليه كما حكى القرآن عن الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها وسار في ركب الشيطان.

وقد بين الإمام الغزالي صعوبة جهاد النفس الأمانة بالسوء، المعادية لسعادة الإنسان من وجهين:

**الأول:** أنها عدو من الداخل، واللص إذا كان من داخل الدار كان الحرص منه أصعب.

---

1 ينظر: قطب مصطفى سانو، مناهج التعليم في العالم الإسلامي: مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد 26، 87.

2 القرضاوي، موسوعة فقه الجهاد . الفصل الثاني (مرتبة جهاد النفس)، موقع الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين على موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك، (الانترنت).

الثاني: أنها عدو محبوب، وإذا كان المرء يحب عدوه، فكيف يقاومه، يقول الغزالي: والإنسان عم عن عيب محبوبه لا يكاد يبصر عيبه<sup>(1)</sup>.

الفرع الثاني: الأسس العقديّة لجهاد النفس:

## 1- التوحيد:

المؤمن الموحد الذي تيقظت فطرته يحيا حياة كريمة، يشعر فيها بإنسانيته ويدرك أن لوجوده قيمة وغاية ولحياته رسالة، وبنعم بسكينة النفس وطمأنينة القلب ويخلص نفسه من أسر العبودية للبشر، لينال العزة والسمو بعبوديته للخالق . سبحانه . ولقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله . عز وجل . تؤكد هذا المعنى، وتعرض الصورتين المتناقضتين لآثار التوحيد في اطمئنان النفس وسلامتها، وتأثير الشرك في اضطرابها وقلقها<sup>(2)</sup>.

النموذج الأول: قوله . تعالى .: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ \* يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(3)</sup>.

هذه الآيات الكريمة تصور أثر التوحيد في النفس، وتضرب له مثلا بالشجرة الطيبة الثابتة التي لا تزعزعا الأعاصير ولا تعصف بها الرياح، والمثمرة على مر الأيام دون أن ينقطع ثمرها.

1 ينظر: الغزالي، منهاج العابدين، ص 179. ص 180.

2 كفايت الله همذاني، تركية النفس أسسها ووسائلها، ص 309 (الانترنت).

3 سورة إبراهيم: 14/24-27.

والنموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ \* حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (1).

وفي هذا النص القرآني تصوير لحال المشركين الذين زلت أقدامهم عن طريق التوحيد، وقد شبه الله . سبحانه . الإيمان بالسماء لعلوه والشرك بالسقوط منها، فالمشرك ساقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر، فهو كمن سقط من السماء إلى الأرض فتمزقت أوصاله وصارت الطير تتخطفها، وتهوي بها الريح فتلقي بها في مكان سحيق، ومن كانت هذه صفته لا يرجى له خلاص؛ إذ يفقد القاعدة الثابتة قاعدة التوحيد، والمستقر الآمن الذي يثوب إليه فتخطفه الأهواء تخطف الجوارح وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح، ونلاحظ في هذا المشهد سرعة الحركة مع عنفها وتعاقب خطواتها وهي صورة صادقة لحال من يشرك بالله . تعالى . (2).

## 2- الاعتصام بالكتاب والسنة:

أساس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فالشرط الأول هو التوحيد، أما الشرط الثاني فهو الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام، والتصديق بما جاء به من عند الله سبحانه والافتداء به، وامتنال أمره، وهذا هو الاعتصام بالكتاب والسنة، والاعتصام من العصمة، وهو التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور، والاحتماء من كل ما يضرك في دينك، ومدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصام بحبل الله<sup>(3)</sup>، والمراد بالحبل الكتاب والسنة على سبيل الاستعارة، فكما أن الحبل سبب لحصول المقصود به من السقي وغيره، فكذلك الاعتصام بالكتاب والسنة سبب لسعادة الإنسان ونجاته من عذاب جهنم<sup>(4)</sup>. ولا يتم الاعتصام بالكتاب والسنة ما لم يحرص المسلم على

1 سورة الحج: 22/30-31.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/219.

3 ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، 1/460.

4 العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 13/245.

التأسي والافتداء بالرسول . صلى الله عليه وسلم . فالقدوة طريق الاعتصام، وقد كانت سيرة رسول الله تطبيقاً عملياً لما يأمر به الإسلام ويحث عليه، ولذلك أمرنا الله . سبحانه . بالتأسي برسول الله في أقواله وأفعاله وأحواله.

### 3- الإيمان بالقضاء والقدر:

وهو ركن من أركان الإيمان، يقوم على الاعتقاد بأن الله . سبحانه وتعالى . قدر الأشياء في علمه من الأزل، وأنه . سبحانه . لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وكل ما يقع في هذا الكون فهو بعلمه وقدره وقضائه، وبهذا يرتبط الإيمان بالقضاء والقدر بالركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله . سبحانه . وأسمائه وصفاته، ومن تلك الصفات العلم والإرادة والإيمان بالقضاء والقدر يغرس في النفوس الإنسانية فضائل كثيرة، وينزع منها شرورها وآثاماً كبيرة، وكلما زاد رسوخ هذه العقيدة في النفس ازدادت ثمراتها، ولعل من أبرز هذه الثمرات ما يلي<sup>(1)</sup>:

أ- تخفيف الجزع عند المصيبة وعدم البطر عند تكاثر النعم، لأن خير ما يعصم الإنسان من البطر والطغيان عند النعمة، ويصرفه عن الحزن المهلك واليأس القاتل عند نزول البلاء، أن يؤمن بأن ما وقع له من خير أو شر قد جرت به المقادير، وقضت به مشيئة الله . سبحانه . وحكمته، فلا تذهب نفسه حسرات على ما فوت من رغبات وآمال ولا يفقد رشده فرحاً وغروراً عند حصول النعم.

ب- غرس الشجاعة في النفس الإنسانية، وتحليتها بالجود والسخاء وحب البذل في وجوه الخير، لأن المؤمن بقضاء الله وقدره يعتقد أن الله هو الذي يحيي ويميت، وأن الآجال والأرزاق بيد الله سبحانه وأن الإنسان مهما بذل جهده فلن ينال أكثر من رزقه الذي قسم له، ولن يحظى بأكثر من عمره الذي قدر له أن يعيشه.

### 4- الإيمان باليوم الآخر:

1 ينظر: كفايت الله همذاني، تزكية النفس أسسها ووسائلها، ص315 . ص316 (الانترنت).

خلق الله . سبحانه . الإنسان لحكمة، وزوده بالإرادة التي يستطيع أن يكون بها طائعاً أو عاصياً وبالعقل الذي يميز به طريق الخير من الشر وبالقدرة على تنفيذ ما يريد، وهذه الصفات تؤهله للامتحان الرباني، والابتلاء في هذه الحياة، وهذا الامتحان يقتضي الجزاء وإلا كان عبثاً لا معنى له .  
وتعالى الله . عن ذلك، حيث اقتضت الحكمة الربانية أن يكون اليوم الآخر هو يوم الجزاء الأوفى، الذي يجازى فيه المحسن ويعاقب المسيء، ويعود الحق إلى نصابه، ويقتص من الظالم، ويكرم فيه المتقون، ولذلك آثار على النفس الإنسانية:

حجز الإنسان عن المعاصي وتقوية الوازع الديني في قلبه وضبط هوى النفس بمقتضى الشرع، حيث يغرس الإيمان باليوم الآخر في نفس الإنسان رقابة داخلية على أعماله، وهو يعلم أن الله مطلع عليه ولا تخفى عليه خافية، ولذلك يستشعر الخشية من الله، ويبقى شديد الحذر من عذابه، مسارعاً إلى التوبة كلما وقع في معصية، معتقداً أنه مسؤول عن أقواله وأفعاله، بالإضافة إلى المسارعة إلى الطاعة والعمل الصالح، فكلما زاد تطلع المؤمن إلى اليوم الآخر وشوقه لما أعد الله لعباده المتقين في الجنة، كان أكثر مسارعة إلى العمل الصالح ومضاعفة للجهد في المسابقة إلى الخيرات، كما أن الإيمان باليوم الآخر يدفع بالمسلم إلى الصبر على المصائب ومقابلتها بالتسليم والرضا، فكذاك إيمانه باليوم الآخر يزيد من صبره ويخفف من حزنه؛ لأنه يرجو الأجر العظيم يوم القيامة، كما أنه سيتجنب الاعتداء على إخوانه المسلمين أو التسبب بإيذائهم لأنه يعلم أن الله . تعالى . لا تخفى عليه خافية وأنه إن نجا من العقاب الدنيوي وتغلب على غيره بقوته ودهائه فلن ينجو من العقاب في الآخرة<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: مراتب جهاد النفس:

الأصل في الإعداد الإيماني الذي يسبق جهاد الكفار هو جهاد النفس والشيطان والمعركة معهما مستمرة ومتواصلة منذ بلوغ المسلم سن التكليف إلى أن يوافيه الأجل، فهو إذن جهاد لا يتقيد بوقت،

1 ينظر: كفايت الله همذاني، تزكية النفس أسسها ووسائلها ، ص316 . ص 319 (الانترنت).

بل هو مطلوب قبل ملاقاته العدو وأثناء ملاقاته وبعد ملاقاته، والنصر على الأعداء في معارك القتال مرهون بالانتصار على النفس والشيطان في معركة الجهاد معهما.

1- مجاهدة النفس على تعلم الهدى ودين الحق: فالعلم بالشرع والبصيرة بالحق أمر لازم لكل مسلم، فضلا عن الداعية إلى الله . عز وجل . والمجاهد في سبيله، فالعلم هو أساس العمل، وهو قبل القول والعمل والجهاد من العمل، فإن لم يكن العلم صحيحا موافقا لما جاء به الرسول الأكرم فإن العمل سيكون باطلا ومنحرفا، ولذلك كان الرسول . عليه الصلاة والسلام . في مكة يعلم أصحابه أصول هذا الدين، ويعلمهم العقيدة وما تقتضيه من ولاء وبراء وإذعان لله . تعالى . كما يعلمهم الإخلاص وإرادة الدار الآخرة في جميع الأقوال والأعمال، فلما جاء الإذن بالجهاد ثم فرضه ظهرت آثار هذا العلم في تضحياتهم العظيمة وفتوحاتهم المباركة، ولذلك وجب على المهتمين بأمور الدعوة وتربية الناس وتوجيههم وإعدادهم للجهاد في سبيل الله . تعالى . أن يولوا هذا الجانب اهتماما كبيرا، وأن يركزوا في برامجهم الدعوية وأنشطتهم المختلفة على تحقيق الحد الأدنى من العلم بسبيل المؤمنين<sup>(1)</sup>.

2- مجاهدة النفس على العمل بالعلم بعد تعلمه: إن تعلم العلم والتزود به ليس مطلوبا لذاته، وإنما هو مطلوب للعمل والسير في ضوئه إلى الله . تعالى . بفعل ما يحبه ويرضاه، واجتناب ما يسخطه وينهى عنه، والأقوال والأفعال التي يحبها الله . عز وجل . كثيرة، منها الواجبات ومنها المستحبات وكذلك الأقوال والأعمال التي يبغضها الله . عز وجل . كثيرة، وليس المقصود حصرها وعدها في هذا المقام، وإنما المقصود التنبيه على ضرورة إعداد النفوس ومجاهدتها على الانقياد لأوامر الله . عز وجل . والقيام بها، والانتهاز عما نهى الله . عز وجل . عنه، وهذا مطلوب من المسلمين بشكل عام؛ وذلك لما للأعمال الصالحة من بركة وتثبيت لأهلها<sup>(2)</sup>.

3- مجاهدة النفس على الدعوة إلى الهدى وتعليمه للناس: والدعوة واسعة ومجالاتها متعددة، لكن الحديث في هذه المرتبة سيكون عن الدعوة والبيان للذين يسبقان جهاد السنان، ويمكن تسمية هذا

1 عبد العزيز بن ناصر الجليل، التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة، ص143.

2 عبد العزيز بن ناصر الجليل، م، ن، ص145.

النوع من الجهاد بجهاد البيان وتبليغ الناس الدين الحق، وتعليمهم توحيد الله . عز وجل . وحقيقة العبودية ومعرفة الله . عز وجل . بأسمائه وصفاته، وكيف يعبدونه بمعرفة الأحكام العينية كأركان الإسلام وما تقوم إلا به، كما أن مما لا يتم البلاغ والبيان إلا به بيان سبيل الكافرين والمجرمين، وبيان ما يناقض التوحيد والإسلام الحق، وتعزية أهله للناس، وأخيرا يمكن القول في هذه المرتبة بأنها مجاهدة النفس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(1)</sup>.

4- جهاد النفس في الصبر على الدعوة: وهذه المرتبة من جهاد النفس لا يستغني عنها المسلم في جميع مراتبه السابقة، وفي عمره كله، وبدون الصبر أو بضعفه لا يستطيع العبد أن يجاهد نفسه على تعلم الشريعة والتبصر في الدين، كما أنه يعجز عن العمل بما تعلمه فضلا عن أن يدعو إلى هذا الهدى ويبينه للناس، ويتحمل ما يلاقه في سبيل ذلك، فالصبر خلق عظيم رفيع الشأن لا بد من التزود به في أداء الطاعات واجتناب المحرمات وفي مواجهة المصائب والمكروهات، وفي مقاتلة الأعداء، إنها تربية للنفوس وإعداد كي لا تطير شعاعا مع كل نازلة، ولا تذهب حسرة مع كل فاجعة، ولا تتهار جزعا أمام الشدة، إنه التجل والتماسك والثبات حتى تنقشع الغاشية وترحل النازلة ويجعل الله بعد عسر يسرا، إنه الرجاء في الله والثقة بالله والاعتماد على الله، ولا بد لأمة تتاطب بها القوامة على البشرية والعدل في الأرض والصلاح، أن تهيا لمشاق الطريق ووعثائه بالصبر في البأساء والضراء، وحين الشدة الصبر في البؤس والفقر، والصبر في المرض والضعف<sup>(2)</sup>.

### الفرع الرابع: وسائل تزكية النفس:

فيما يلي بعض وسائل شرعية لعملية للتزكية وما لها من تأثير كبير في تزكية النفس وبناء الشخصية الإسلامية المتكاملة، ومنها:

1- العلم النافع: وهو كل علم يقرب من الله . سبحانه وتعالى . ويزيد من الخشية منه ويدفع إلى العمل الصالح ويدخل في هذا العلم النافع العلم الشرعي أولا، ثم تأتي بعض العلوم الأخرى التي تدفع

1 عبد العزيز بن ناصر الجليل، التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة ، ص201.

2 ينظر: عبد العزيز بن ناصر الجليل، م،ن، ص215 . ص217.

الإنسان إلى التفكير في المخلوقات وإدراك قدرة الله . تعالى . وبديع صنعه، فالعلم النافع القائم على توحيد الله . سبحانه . الوسيلة الأساسية الأولى لتزكية النفس وبلوغها مقامات الخشية والقرب من الله، حيث يقوم بتعريف المسلم بالعقيدة الصحيحة وبرسخ إيمانه بها، ويزيد يقينه بقدرة الله وبديع صنعه وحكمته في خلقه وتدييره<sup>(1)</sup>، ويحفظ العلم صاحبه من موارد الهلكة؛ فالإنسان لا يعرض نفسه للتلف والخطر إلا إذا كان جاهلاً لا علم له به<sup>(2)</sup>، كما أن العلم يثمر أعظم ثمرة يتمناها كل مسلم، وهي الخشية من الله . تعالى . ومحبته والقرب منه، وهذه الخشية تنمو في النفس كلما ازداد المسلم طلباً للعلم وعملاً به، والخشية الصحيحة تنمو في النفس.

2- العبادات المفروضة على المسلم كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها، والتي تؤدي دوراً مهماً في تقوية إيمان المسلم وتربيته وتحقيق عبوديته لربه . عز وجل . حيث تكمن آثارها في مجال تزكية النفس في:

أ- الاستجابة لأمر الله . تعالى . وإظهار العبودية له . سبحانه . فالمسلم عندما يؤدي العبادات فهو يستجيب لأمر الله . تعالى . ويتقرب إليه بطاعته ويعلم الخضوع والتذليل له . سبحانه . ويتشرف بالعبودية له مستحضراً ألا يكون في قلبه شيء أكبر من الله يشغله عنه، فيقبل العبد على ربه موحداً، صاحب إيمان قوي هو أساس التزكية.

ب- طمأنينة النفس وراحتها: فالعبد إذا أقبل على العبادات كالصلاة والحج بهمة ورغبة استشعر مناجاته لربه وتضرعه بين يديه، فيحصل على قوة روحية تمنحه طمأنينة النفس وراحتها وتعينه على مواجهة متاعب الحياة، فالعبادات هي أكبر عون على مهمات الحياة ومصائبها يلجأ فيها العبد المكروب إلى ربه فيجد راحته، ويحس بتأييد الله له ورحمته به.

ج- العبادات تشكل تدريباً عملياً على مجاهدة النفس: حيث يعود العبد نفسه على الطاعات، ويجاهدها حتى يروضها ويكسر من حدتها، فعليه أن يكثر من الصلوات، ويحافظ على النوافل،

1 ينظر: كفايت الله همذاني، تزكية النفس أسسها ووسائلها، ص 321 (الانترنت).

2 ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص 111 (الانترنت).

وإسباغ الوضوء على المكاره والبرد الشديد الذي يشق على النفس، وغير ذلك من الأعمال المتعلقة بالصلاة التي تكبح جماح النفس طمعا في القرب من الله . سبحانه . وتكفير الذنوب ورفع الدرجات، وبالصيام أيضا يمتثل العبد لأمر الله وكمال العبودية له، فلولا طاعته لربه وخشيته منه سبحانه وامتثاله لأمره ورغبته في رضاه لما امتنع عن الطعام والشراب وهو يشعر بالجوع ويتلهف أحيانا إلى شربة ماء.

د- تدريب النفس على تحمل المشاق وتطهيرها من الشح: وأكبر مثال هو الحج، حيث يعد تدريباً عملياً على الحياة الفاضلة التي يريدها الإسلام حيث يلتزم الحاج بحسن عباداته ويركز على علاج النفس من هذه الآفات، فما يبذله الحاج من مال ينفقه على سفره وتنقله وما يتقرب به إلى الله من ذبائح هو القصد منه تطهير النفس من الشح وتركيتها، حتى تتحقق بالتقوى، بالإضافة إلى الزكاة التي تطهر النفس من آفة البخل والشح، فالنفس مجبولة على حب المال والتعلق به والبخل في إنفاقه وطلب الزيادة منه، وقد جعل الله الفلاح مرتبطاً بالتخلص من هذه الآفة وتطهير النفس منها.

هـ- التعريف بالنعمة ومعرفة قدرها: فالإنسان إذا تكررت عليه النعم قل شعوره بها، ولا بد له لكي يحس بكمال النعمة أن يتذوق ضدها حيناً من الوقت، حتى لا يتعود على النزف ويصل به الحال إلى البطر والجحود، وينسى المنعم . سبحانه . ويفقد شعوره بجوع الجائعين وبؤس البائسين<sup>(1)</sup>.

## المبحث الرابع

### من الناحية الاجتماعية

**المطلب الأول: العمل على إعادة مفهوم الأسرة ودورها في المجتمع:**

**الفرع الأول: دور الأسرة ووظيفتها:**

إن الأسرة تنظيم اجتماعي لها وظائف مختلفة ومتعددة، وإن كانت تتداخل وتتشابك مع وظائف أنظمة المجتمع الأخرى، حيث إن الأنظمة تتساند وظيفياً مع بعضها، فتؤثر كل منها في الأخرى وتتأثر بها، إلا أننا نركز الاهتمام على أهم وظائف الأسرة، إذ إن نجاحها في أدائها لوظائفها بالصورة السليمة

1 القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص277.

سوف يؤثر، ويكل تأكيد وبدرجة كبيرة، في أداء النظم الأخرى لوظائفها، وذلك لأهميتها في البناء الاجتماعي وبما لها من تأثير متبادل مع الأنظمة المجتمعية المختلفة الأخرى، وإذا فشلت الأسرة في أدائها لوظائفها أو بعض منها، فسيكون لهذا الفشل تأثير خطير في المجتمع، مما يعطل نموه وتطوره، حيث إن الفشل في الأداء الوظيفي للأسرة سينعكس بالتأكيد على المجتمع في صورة مشكلات متعددة ومتنوعة، مما يؤدي بالتالي إلى إعاقة أفرادها عن أدائهم لأدوارهم، والتزاماتهم تجاه المحيط الذي يعيشون فيه، وبالتالي يفشلون في أداء وظائفهم، وهذا يعمل على تفكك الأسرة أو انهيارها.

ويعود السبب الأهم في عد الأسرة تنظيما اجتماعيا إلى الأدوار الوظيفية المتعددة والمهمة التي تقوم بها تجاه أعضائها وبالتالي تجاه المجتمع، والتي لا تتحقق إلا بوساطة علاقاتها وارتباطها الوثيق الواعي بأهمية تكاملها مع بقية النظم المجتمعية الأخرى، والتي تعمل على مساعدة الفرد على إشباع حاجاته، وتمنحه في ظلها الشعور بالأمن والاستقرار النفسي والاجتماعي، ومن أدوار الأسرة الوظيفية التي تؤديها بمختلف أشكالها:

## 1- الوظيفة الاجتماعية:

والتي تنقسم إلى وظائف:

أ- الوظيفة البيولوجية: والتي بموجبها تتم عملية الإنجاب والتناسل وإشباع الرغبات والحاجات الجنسية لدى الزوجين وبها تحفظ الأسرة النوع البشري في المجتمع من الانقراض والاندثار، إن الاعتراف الاجتماعي في تنظيم الزواج بين الجنسين في أن يعيشا في منزل واحد في رباط اجتماعي، يعني تنظيم الناحية الجنسية لدى الأفراد بما يتناسب نظم المجتمع وقوانينه في عقد الزواج والتكوين الأسري، الذي يسمح بالاتصال الجنسي بين الزوجين، وتوالد الأطفال ورعايتهم بشكل مباح اجتماعيا

لا ينتابه التعذر والتحقير وتوقيع العقوبات، بل يسود الأسرة التكيف النفسي لتربية الأبناء وحماية المجتمع من الأمراض الصحية والآفات الاجتماعية<sup>(1)</sup>.

ب- التربية والتنشئة الاجتماعية: ما زالت الأسرة الخلية الأولى للمجتمع، والتي يعتمد عليها في تربية الأطفال وحسن تنشئتهم ورعايتهم وسد مطالبهم وإشباع حاجاتهم المادية والنفسية والاجتماعية وما زالت الأسرة هي الوسط الناقل للتراث الحضاري واللغة والدين من جيل لجيل، فهي المسؤولة الأولى عن التربية الوجدانية للطفل، فعن طريقها يهوى الجمال والفن والنظافة وحسن الترتيب، وهي التي تضع اللبنة الأولى في تكوينه العقلي عن طريق الثقافة الأسرية والأحاديث والصور والإجابة عن أسئلته الاستشارية، فمن هنا تعد الأسرة الجماعة الأولية التي يكتسب منها الطفل عاداته ومعتقداته واتجاهاته في المجتمع، وتتعكس العلاقات الأسرية القوية والسليمة داخل الأسرة على تكوين شخصيته واتجاهاته<sup>(2)</sup>.

ج- إشباع حاجات المجتمع وتلبية متطلباته: كانت الأسرة التقليدية تشكل وحدة اقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية، وبما أن المجتمع وبناءه الاجتماعي يتكون من هذه الأنساق المختلفة، فلا بد إذن من عملية التساند الوظيفي بينها وبين المجتمع بمؤسساته المختلفة، شريطة قيام الأسرة بتأسيس ذلك بالمحافظة على هذه الوظيفة واستمراريتها حتى تستطيع تلبية احتياجات المجتمع وتتكامل وظيفياً معه، فالأسرة هي الصورة المصغرة التي تعمل من خلالها مجموعة النظم السائدة في المجتمع، وهنا لا بد أن أشير إلى بعض الجوانب المتعددة لوظائف المجتمع التي تعمل من خلالها الأسرة على رعاية الأبناء وحمايتهم جسدياً ونفسياً والعمل على خلق شخصية مجتمعية متكاملة وسوية، بالإضافة إلى ممارسة الأسرة لوظيفة الإدماج والتكيف في المجتمع فتساعد على وضع الأفراد في مراكزهم المختلفة التي تحكم على تفاعلهم، كما تعد الأسرة من أدوات الضبط الاجتماعي المهمة التي تحقق التجانس<sup>(3)</sup>.

1 يوسف أبو ليلي، الأسرة العربية، ص33.

2 محمد سلامة غباري، الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب، ص250.

3 يوسف أبو ليلي، م.س، ص34.

## 2- الوظيفة النفسية:

تتمثل الوظيفة النفسية للأسرة بتوفير الدعم النفسي للأبناء، عن طريق تزويدهم بالإحساس بالأمن والقبول في الأسرة، وتعمل الأسرة على تحقيق وظيفة التعبئة المعنوية للأطفال بالحب والحنان والعطف، وتجسد روح القيم والاتجاهات والعادات والتقاليد للأبناء، وتؤمن الاستقرار النفسي لأفراد العائلة، وتفريغ الشحنات العاطفية التي تزيل العديد من عوامل القلق والاضطراب التي تنتاب أفرادها عند مزاولتهم بعض الأدوار الاجتماعية خارج العائلة كما تعمل الأسرة على تشكيل شخصية الطفل ثقافياً وأيديولوجياً ودينياً<sup>(1)</sup>.

## 3- الوظيفة التربوية:

حيث يكتسب الطفل من تفاعله مع والديه العادات الخاصة بالرعاية البدنية والعلاقات الاجتماعية، ويدرك العالم المادي أو الواقع من حوله، ويمثل الوالدان أمام الطفل رمز القوة والسلطة، ومن ثم يتعين عليه أن يخضع رغباته لمقتضيات الطاعة والامتثال لتلك القوى، وبالتالي فإن الأسلوب الذي يتعلم بمقتضاه كيف يتعامل مع أسرته، يظل يلازمه في تفاعله مع سلطات المدرسة والقادة الميدانيين ورجال الشرطة وسائر هيئات الضبط الاجتماعي، كما أن الطريقة التي يتعامل بها الطفل وإدراكه ما يحيط به من قوى مادية لها أثر كبير في تشكيل اهتماماته المستقبلية<sup>(2)</sup>.

## 4- الوظيفة الدينية:

فالدور الوظيفي للأسرة هنا يكمن في تكوين الأفكار الدينية عند الطفل، فالقيم الدينية ترتبط بسلوكيات الطفل، فتتكون وتتفاعل نزعات الطفل الفطرية الكامنة في أعماقه مع عوامل البيئة الاجتماعية المحيطة به وهي الأسرة، وتتطور هذه القيم وتتكامل مع تطور شخصية الطفل وتكامله<sup>(3)</sup>.

---

1 محمد علي الضبيع، من مشكلات الأسرة اللببية، ص52.

2 محمد سلامة غباري، الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب، ص33.

3 محمد سلامة غباري، م.ن، ص36.

## 5- الوظيفة الاقتصادية:

إن الوظيفة الاقتصادية للأسرة تعني أساسا التكافل الاقتصادي والاجتماعي وتكامل الأدوار الاقتصادية في إطار نظام تقسيم العمل المعمول به في المجتمع، وتقوم هذه الوظيفة على التأمين المعيشي الجمعي لأفراد الأسرة، فوظيفة الأسرة الاقتصادية وظيفية مستمرة، تختلف صورها وأساليبها وأهدافها لكنها تهدف إلى توفير الدعم المادي بما يتضمن توفير حياة كريمة لأفرادها<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة:

النظرة إلى المرأة والأسرة من خلال بعض المواقف الشاذة (العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج)، كانت عاملا أساسيا في دمار الأسرة في الغرب، بجانب ما استطاعته المنظمات الشيطانية في الغرب . وعلى رأسها الماسونية اليهودية . عن طريق التقاط الأفكار المسيحية المتعارضة مع الفطرة الإنسانية والترويج لحريها عن طريق النظريات الجنسية المتحللة كرد فعل لما سموه الكبت، وذلك من خلال علمائهم، وبعد ذلك جاء دور الأسرة المسلمة، حيث يقول زويمر في كتابه "أشعة الشمس في الحرمين: "إننا تعلمنا أن هناك خططا أخرى غير الهجوم المباشر على الإسلام والضرب العشوائي على حائطه الصخري، فنحن عرفنا أن الثغرة تقع في قلوب نساء الإسلام، فالنساء هن اللواتي يضعن أولاد المسلمين"<sup>(2)</sup>.

#### 1- الهجوم الشامل المركز على الأسرة المسلمة ووضع المرأة في المجتمع المسلم:

لقد كانت البداية هي حملة التشويه العامة للإسلام، حيث تشير محررتا كتاب "النساء المسلمات في الزمن الأوسط يتحدثن" أليزابيث فيرنا وباسمة برزكان إلى أن أوائل من شوهوا صورة المرأة المسلمة في

1 أحمد عباس، نظام الزواج والأسرة، ص 79.

2 أكرم رضا، قواعد تكوين البيت المسلم، ص 849.

كتابات الغربيين كانوا من رجال الكنيسة في القرون الوسطى، وذلك بسبب الحروب وظلت مؤلفاتهم هي المرجع الأساسي عن المجتمع الإسلامي حتى وقت قريب<sup>(1)</sup>.

ومن أبرز الأمثلة على الحملة الشرسة التي شنت على الإسلام والأسرة المسلمة ما كتبه المؤرخ الأمريكي ول ديورانت: "كان العرب أكثر شهوانية من كثير من الشعوب ولهذا أجاز الإسلام تعدد الزوجات"<sup>(2)</sup>، أما الباحثون في العصر الحديث، فقد ادعوا أنهم بدؤوا يرجعون إلى المصادر الإسلامية الأصلية، وتركوا ما ألفه رجال الكنيسة في العصور الوسطى، فإذا بهم يرددون نفس الادعاءات التي سبق ترديدها منذ سنوات، مثل: "إن الرسول تعلم من الديانتين اليهودية والمسيحية"، بل وتعرض إحدى الكاتبات فكرة عجيبة وهي أن كاتيب المسلمين كان يدرس القرآن فيها يهود ونصارى، بل وتنتقد كارول أن الإسلام كدين قد اختلقت تعاليمه بالحياة اليومية عند المسلمين، وكأنها تعتبر أن الحق هو ما في المسيحية من أن الدين في الكنيسة، والحياة يديرها الإنسان بعيدا عن الدين<sup>(3)</sup>.

ومن جانب آخر نجد في الفكر الشيوعي من يقول مثل لويزا شايدولينا في كتابها "الإيمان الأعمى بالمعتقدات الدينية" بأن المرأة المسلمة في نظرها تسعى بشكل وطيد للحفاظ على الأواصر التقليدية للأسرة، وتسمى ذلك الرجعية، ويتعدد الزوجات أثبتت هذه الباحثة الشيوعية أن الإسلام من الناحية القانونية لا يساوي بين المرأة والرجل وتدعي أن الطفل في الشريعة الإسلامية ملك للأب، والدليل على ذلك أن المرأة المسلمة الحامل إذا طلقت لا تستطيع أن تترك بيت الزوج إلا أن تضع طفلها وتسلمه له<sup>(4)</sup>.

بالإضافة إلى الهجوم المباشر والذي أخذ ثوب البحث العلمي حول ما يسمى بالعالم الثالث، الذي يتركز فيه الإعلام الإسلامي، وتعرض في قضايا المرأة بشكل إحصائي مدروس (شكوك في صحته حيث المبالغة الشديدة التي قد يكذبها الواقع) يهدف أولا وأخيرا إلى إدخال المرأة المسلمة والأسرة

1 أكرم رضا، قواعد تكوين البيت المسلم ، ص851.

2 أحمد علي المجذوب، العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية، ص10.

3 شذى سلمان، المرأة المسلمة في مواجهة التحديات المعاصرة، ص45.

4 أكرم رضا، م.س، ص852.

المسلمة في منظومة التفكير الغربي حول العمل والتنمية وقيمة العمل، وغيرها من المفردات التي لا تلتفت إلى أي قيمة إسلامية خاصة بالمرأة والأسرة<sup>(1)</sup>.

ومن الأساليب الأخرى لترويج الفكر المتحرر الغربي، الذي ينبع من منهجية غربية، وضعهم لرموز هذا الفكر في دول الإسلام في درجة عالية، وإظهارهم كقادة للتحرر والانطلاق، والأجدر بالاتباع، ويعتبر قصص حياتهم قصة كفاح امرأة في وجه قوى الرجعية في مجتمعها، ثقافية كانت أو دينية أو سياسية والتي كانت تعارض مساواة المرأة بالرجل مساواة كاملة<sup>(2)</sup>.

## 2- القصف الإعلامي الإباحي وتدمير الشخصية المسلمة:

والحقيقة أن كثيرا من هذه الطلقات الموجهة في ذلك القصف لم تعد أصلا لنا، ولكنها أعدت للمشاهد الغربي، ثم لأسباب ضعف المناعة الداخلية وعدم وجود ذاتية ثقافية، وانتقاء حضاري لدى القائمين على الإعلام في كثير من الدول المسلمة، فقد تطايرت شظاياها لتصل إلينا من خلال وسائل كثيرة مثل السينما، ومهرجانات السينما لا يخلو منها بلد مسلم، وأهل الفن في بلادنا على قمة الهرم الاجتماعي في كثير من البلاد، بل رأيناهم سفراء في المنظمات العالمية لحقوق الإنسان، والصورة المطبوعة في المجلة والجريدة، والإرسال المفتوح من خلال الأقمار والإنترنت قد احتوت على آلاف المواقع التي تعرض لكل ما يتعلق بالعلاقات الجنسية الطبيعية والشاذة، ومدعمة بالصور العارية وأفلام الفيديو، بل والقصص الجنسي المكتوب، إلى جانب ما تعرضه من خدمة الحديث المتبادل مع الأصدقاء من كافة أنحاء الدنيا، وقد شكا الكثير من أولياء الأمور من هذه الشبكة ومحاولة منع الدخول على هذه المواقع<sup>(3)</sup>.

بالإضافة إلى أن هذا القصف الإعلامي يكمن خطره في بث العادات والتقاليد في المجتمع بحيث تخرجه من هويته كالتقاليد في الملابس والعلاقات وغيرها، بالإضافة إلى بث أفكار وقيم تقوم على المادية والنمط الاستهلاكي في الحياة.

---

1 ينظر: يحيى حداد، عرض كتاب المرأة والتنمية في العالم الثالث لسوالين شارلتون: المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد8، ص16.

2 ينظر: سينيثيا ويلسون، مصرية طالبت بالمساواة بين الجنسين: درية شفيق وامرأة مختلفة، ص18.

3 أكرم رضا، قواعد تكوين البيت المسلم، ص854.

3- النشاط الأجنبي الموجه إلى الأسرة المسلمة من خلال المنظمات الدولية والأهلية:

والراصد لحركة تحرير المرأة العالمية يجد أنها استطاعت أن تفرض نفسها على منظمة الأمم المتحدة العالمية التي حولت أفكار الجمعيات النسوية إلى قرارات وقوانين واتفاقيات دولية تريد أن تلزم بها العالم، وبالنظر المتأنية الواقعية نجد أن هناك فعلا على الصعيد العالمي نوعا من أنواع الإجحاف بحقوق المرأة وأن كثيرا من قرارات واتفاقيات الأمم المتحدة ما هو جدير بالاحترام ولكن ما نأخذه على هذه الاتفاقيات: نظرتها أن لا تطالب بالمساواة فقط، ولكنها تنطرق إلى التمركز حول المرأة بمفهوم الحركة النسوية العالمية، وأن هذه القرارات والاتفاقيات لا تنظر إلى العادات والتقاليد بل ولا العقيدة التي تنتمي إليها الشعوب، ولذلك فإن كثيرا من هذه القرارات وخاصة في مجال الأسرة تخالف الشريعة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

---

1 ينظر: أكرم رضا، قواعد تكوين البيت المسلم ، ص855.

## الفرع الثالث: تحصين الأسرة المسلمة أمام التحديات التي تواجهها:

ولتحصين الأسرة المسلمة أمام التحديات التي تواجهها فإنه لا بد من قيام جميع الجهات المعنية بواجبها في هذه المواجهة وهذا يتمثل بالآتي:

### 1- دور الحكومات المسلمة:

حيث إن الحكومات في الدول المسلمة أمام خيارات أربعة:

- أ- الخيار الإسلامي: كدين الشعوب ومرجعية الأمة
  - ب- خيار الأعراف والتقاليد: التي قد تكون انحرفت عن الإسلام الصافي، إلا أنها تدور جميعاً أو تتجه دائماً نحو طرق المحافظة على قيمنا ضد الطرق الأخرى التي تميل إلى التغريب.
  - ج- خيار الواقع الاجتماعي: الذي يتلخص في الأغلبية المنهزمة حضارياً، والتي تنتشوق إلى إسلام النموذج القدوة، وتمارس العادات والتقاليد، وأقلية بلغ انهزامها الحضاري إلى درجة رفض كل ما يتعلق بالإسلام كمنهج حياة، واعتبار أن سبب تخلفنا كله هو هذا الإسلام، وأن الحل الأمثل هو في تبني المشروع الحضاري الغربي بحلوه ومّره، وهذه الأقلية هي المسيطرة على منافذ التوجيه ووسائل تكوين الرأي العام، ومدعومة من المؤسسة الغربية.
  - د- خيار الاستجابة للضغط الدولي: المتمثل في القفزة الحضارية الهائلة التي وصلت إليها المدنية الغربية بعد أن سلبت الأمة علومها بل وعلماءها ومواردها من خلال الهجمة الاستعمارية الشرسة التي بدأت في منتصف القرن السادس عشر، عندما بدأت البرتغال الالتفاف حول القارة الإفريقية لتطويق العالم الإسلامي فيما سمي بالكشوفات الجغرافية<sup>(1)</sup>، ثم الآلة العسكرية الإرهابية التي تقف كحارس ومهدد أمام من لا يستجيب لرغبات الغرب، والمنظمات العالمية التي تعتبر المكاتب التنفيذية لجميع الخطط التي تضعها أمريكا وأوروبا للغزو الحضاري الغربي للعالم.
- ويختلف موقف الحكومات المسلمة أمام هذه الخيارات الأربعة، فمنها من لم تستطع التوفيق بين هذه الخيارات الأربعة فاخترت العلمانية ورفضت الإسلام، بل وتجاهلت عاداتها وتقاليدها، وبدأ ذلك يظهر

1 محمد نصر الأحذب، حقيقة الكشوفات الجغرافية ودوافعها: مجلة الأمة، العدد 15، سنة 1982م، ص46.

عليها من خلال جلب قوانين وعادات ممسوخة من قوانينهم وعاداتهم حتى في قوانين الأحوال الشخصية، وحكومات تحاول التوفيق بين هذه الخيارات الأربعة رائدها الأساسي الشعوب المسلمة، ولا تزال تصد الهجوم على المجتمع والأسرة والمرأة من الإعلام والقوانين والمؤتمرات والاتفاقيات<sup>(1)</sup>. ولتحقيق سبيل الخلاص من خلال الحكومات المسلمة لا بد من:

أ- أن تحاول الحكومات المسلمة التوفيق بين الخيارات الأربعة وإدارة الصراع بذكاء ولا يتم ذلك إلا إذا حدثت مصالحة بين المؤسسات الرسمية وغير الرسمية العاملة للإسلام، والمؤسسات الحكومية، مصالحة تقوم على أساس الأرضية المشتركة، حيث لا يعتبر الإسلام خصما سياسيا، يصارع على كرسي الحكم، ولا يكون ذلك إلا بتبني الحركات منهجية متوازنة مع منهجية الشعوب التي لا ترضى إلا بالإسلام كمنهج حياة<sup>(2)</sup>.

ب- أن تثبت الحكومات الروح في المؤسسات الدولية التي تجمع الأمة المسلمة تحت لوائها مثل: منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية لتقوم بدورها في تحريك رأي إسلامي رافض للتغريب والعولمة، ليس بصفته فقط مخالفا للإسلام، بل لأنه بداية الدمار الكوني؛ وذلك عن طريق المؤتمرات والندوات ويمكن أن يتبنى ذلك على مستوى الدول الإسلامية والجامعات الإسلامية<sup>(3)</sup>.

## 2- العودة إلى المجتمع النظيف:

فهو المحضن الصحي للأسرة المسلمة، ومن ملامحه:

أ- السعي إلى إيجاد ميثاق إسلامي للإعلام والقضاء، بحيث ينص على إقامة شكل من أشكال الرقابة المقننة على ما يخالف الإسلام في جميع المجالات المقروءة والمسموعة، بحيث يزيد ذلك في رفع الممانعة الداخلية بالمجتمع للحد بقدر الإمكان من اتجاه المؤسسة الإعلامية الترفيهية من استخدام المثيرات<sup>(4)</sup>.

1 أكرم رضا، قواعد تكوين البيت المسلم، ص 888.

2 أكرم رضا، م.ن، ص 894.

3 أكرم رضا، م.ن، ص 894.

4 ينظر: عبد الرحمن حجازي، الإعلام الإسلامي بين الواقع والمرجى، ص 15 . ص 17.

ب- إيجاد برنامج موحد وخطة عمل للعودة الشاملة على مستوى الرجل والمرأة إلى الالتزام بقواعد الإسلام في جميع نواحي حياتهم على المستوى الشخصي في الزي والسلوك، وعلى المستوى الأسري في التعامل بالمعروف، ومراجعة جميع القوانين والأفكار التي تدعو إلى الاختلاط في مؤسسات المجتمع وخاصة التعليم، والدراسة الواعية للعادات والتقاليد والتي تخالف الشريعة لمحاولة بيان الخلل فيها، بالإضافة إلى عمل خطط لدراسة ظاهرة العنوسة والحد منها لما لها من آثار سلبية مدمرة والبحث في أسباب الزواج العرفي وآثاره وكيفية معالجته<sup>(1)</sup>.

ج- ضبط العمالة الوافدة، ومحاولة الاقتصار على المسلمين، وخاصة فيما يخص أعمال المنازل وحضانة الأطفال<sup>(2)</sup>.

د- إعادة صياغة الأسر للخروج من نمط الاستهلاكية المدمرة، وخاصة في البلاد ذات المستوى المعيشي المرتفع.

### 3- المشروع الموحد للأحوال الشخصية:

حيث طرح هذا المشروع على مجلس وزراء العدل العرب في دورته الثالثة في الرباط بين (21-25 أبريل 1985م) ودورته الرابعة في الدار البيضاء في أبريل 1986م، حيث يتألف المشروع من ستة كتب تتضمن 291 مادة وهي الزواج، والفرقة بين الزوجين، والأهلية، والولاية، والوصية، والإرث<sup>(3)</sup>.  
وأما عن تطبيق ذلك على أرض الواقع فإن الشريعة بما فيها من مرونة فهي ستستوعب اختلاف البيئات وتجانس المجتمعات، بل إن الفتوى لا بد أن تراعي الزمان والمكان والشخصية، وهنا لا بد أن تقدم وثيقة للأحوال الشخصية تدور موادها حول وضع نقاط دستورية محددة تلتزم بها كل دولة تضع قانونا للأحوال الشخصية خاصا بها أو تعدل قانونها، ويكون هناك لجنة دائمة الانعقاد من علماء الشريعة من كافة دول العالم الإسلامي تتابع تنفيذ هذا الدستور عند وضع القانون، بحيث إن أي قانون للأحوال الشخصية في أي دولة مسلمة يمكن أن يطعن فيه بعدم الدستورية عند مخالفته لهذا

4 ينظر: شادية النل، التفكك الأسري، دعوة للمراجعة، (موقع المكتبة الإسلامية) <http://library.islamweb.net>

2 ينظر: أكرم رضا، قواعد تكوين البيت المسلم، ص 924-926.

3 أكرم رضا، م.ن، ص 920.

الدستور<sup>(1)</sup> حيث يتم العمل على نشره في المحافل الدولية كوثيقة رائدة ونصيحة من الأمة الهادية للأمم الأخرى، عسى أن تجد عاقلا ينظر إليه نظرة حكمة.

#### 4- تدعيم دور المرأة المسلمة المثقفة في المواجهة:

إن الظلم العالمي الواقع على المرأة لا يختلف فيه اثنان وفي غياب الشريعة الإسلامية ظهرت حركات المرأة في الغرب على منهجية الغرب المنحرفة، فازدادت المرأة استعبادا عندما جردت من كل ما يتعلق بإنسانيتها كبشر وطبيعتها كأنثى، ورغم ذلك فإن الأمة المسلمة مليئة بالنساء الخيرات، فمنذ بداية حركات تحرير المرأة في العالم الإسلامي كانت هناك أصوات نسائية مسلمة تشارك ولكن من خلال منهجية إسلامية متخلصة من شوائب التغريب ومنهن على سبيل الذكر لا الحصر:

#### أ- عائشة التيمورية (1840م-1902م):

وهي التي اهتمت بضرورة العناية بتربية المرأة وتهذيبها وكان لديوانها "حلية الطراز" أثر كبير على آراء المهتمين بتربية البنات، وقد كتبت عائشة مقالا بعنوان "مرآة التأمل في الأمور" تبين فيه عدم فهم الرجال لمعنى القوامة، وكيف تعنتوا في استخدام هذا الحق<sup>(2)</sup>، وتقر بالقوامة والولاية على النساء، غير أنها تربط ذلك بأداء حقوق النساء بحسب النص القرآني من إنفاق عليهن وصيانتهم وحسن معاشرتهم<sup>(3)</sup>.

#### ب- ملك حفني ناصف "باحثة البادية" (1886م-1918م):

وهي التي خرجت من دائرة الكتابة والتأليف إلى دائرة العمل والحركة، فأصبحت من رائدات حركة تحرير المرأة على منهج الإسلام، وكان انحياز قاسم أمين للحضارة الغربية الليبرالية مدخلا للمرأة المسلمة من غير شك في متاهة يصعب التعرف على نهايتها، لذا كانت في حاجة إلى عين جديدة تنظر إلى مشكلة المرأة وتقومها بعين المرأة لا بعين الرجل، أي بعين الحق والعدل، لا بعين الحب

1 أكرم رضا، قواعد تكوين البيت المسلم، ص921.

2 إجلال خليفة، الحركة النسائية الحديثة، ص23.

3 بو علي ياسين، حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة، ص64.

والجمال، وقد كانت باحثة البادية هي من أراد إعادة الأمور إلى نصابها، ووقف أثر كتاب "المرأة الجديدة" الذي اشتمل على دعاوى انتهت بالإساءة إلى المرأة<sup>(1)</sup>.

وتأثرت باحثة البادية في أسلوبها المعتدل بعائشة التيمورية، وكان شعارها "إصلاح حال المرأة" بمعنى أن ترد لها ما خسرت من مكاسب منحها الإسلام إياها، ولم تكن تريد إنصاف المرأة على حساب الرجل، وإنما أرادت إنصافها لأجله ومن أجلها ومن أجل الأمة كلها<sup>(2)</sup>، وتمثلت واقعية ملك في أنها لم تلق باللائمة على الرجل دون المرأة، لأنها كانت لا تتظر للمسألة على أنها حرب معلنة عليه، ولكن أرادت أن تدعو كلا من الرجل والمرأة إلى كلمة سواء، ومن ثم فهي توجه نظر المرأة المسلمة لترتفع بذاتها في نظر الرجل بعد أن تخلفت عنه لتخلفها عن معرفة كنه طبيعتها وموضعها عنده. وهي تقول في ذلك: يؤلمني أن درجة احترام الرجل لنا ليست بالدرجة التي نحب<sup>(3)</sup>.

ج- زينب الغزالي:

المصرية التي أنشأت جمعية الأخوات المسلمات، فحولت الحركة إلى مشاركة فعلية في عملية الإصلاح، ولقد كانت زينب الغزالي أصغر عضو في الاتحاد النسائي المصري الذي كانت ترأسه هدى الشعراوي، فلما رأت انحراف الاتحاد عن الإسلام تركته، وأنشأت المركز العام للسيدات المسلمات عام 1936م وكان عمرها 19 عاما (ولدت في عام 1917م)<sup>(4)</sup>، وتستمر مسيرة حياتها في جهاد وسجن وتعذيب حتى تخرج من هذه المحنة سالمة عام 1971م، لتواصل جهادها وتساfer لأكثر من عشرين دولة عربية داعية إلى الله، وتؤلف تفسيراً موجزاً للقرآن الكريم ليكون أول تفسير مطبوع لامرأة مسلمة منذ فجر الإسلام<sup>(5)</sup>.

إن التشرذم بين الجهود الإسلامية على الساحة في الأقطار المختلفة يضعف الحصاد، وفي حين تنشط المرأة المسلمة في تجمعات وهيئات مختلفة الاهتمامات، لا يوجد حلقة اتصال أو شبكة تنسيق تسمح

1 هدى حلمي، المرأة بين تعاليم الدين الإسلامي ووضعها الراهن في مصر، ص310.

2 سهير القلماوي، آثار باحثة البادية ملك حفني ناصف، ص32.

3 أكرم رضا، قواعد تكوين البيت المسلم، ص898.

4 ينظر: زينب الغزالي، أيام من حياتي، ص12.

5 أكرم رضا، م.س، ص901.

بإعطاء هذه الجهود ثقلاً وفاعلية في الداخل أو الخارج، لذلك لا بد من استثمار هذه الجهود وإقامة الندوات والمؤتمرات التي يشارك فيها، فإن العلمانيين يقفون على كثبان رمالية ولا يقفون على أرض صلبة، فإذا ما واجهناهم بالحجة الدامغة أنكروا ما قالوه وتهربوا من الإجابة، وخصوصاً عندما يجدون بأن من يدحض ادعاءاتهم الباطلة امرأة مسلمة ملتزمة مؤهلة للحوار والنقاش بالشكل الذي يجعلها تبطل مزاعمهم، وتكشف زيف أقوالهم.

## المطلب الثاني: تفعيل دور الإعلام التربوي الإسلامي:

### الفرع الأول: التحديات الإعلامية التي تواجه الأمة:

إذا نظرنا إلى الانفتاح الإعلامي المعاصر وأثره على الواقع الإسلامي المعيش نجد فرقا شاسعا بين الأثر الذي خلفه الإعلام الإسلامي القديم بوسائله البسيطة على حياة المسلم الحياة الحقيقية، وبين الأثر المتولد من جراء الانفتاح الإعلامي المعاصر، فالإعلام الإسلامي القديم كان هدفه الأساسي إظهار الحق بصورته الحقيقية من غير تحريف ولا تبديل، وهذا النوع من أنواع الإعلام يكاد يكون عديم الوجود في عصرنا الحاضر إلا ما ندر والسبب الأساسي في هذا التغيير بين الأثر الإيجابي المترتب على الإعلام الإسلامي بوسائله القديمة، والأثر السلبي المترتب على الانفتاح الإعلامي بتوجهه الجديد يعود إلى تطور صناعة الإعلام وجهل السواد الأعظم بما تخبئه هذه الصناعة من خطر، فبهروا بشكلها وتميقها حتى اختلط عليهم الحق والباطل في محتواها وأصبحت بلدان العالم ضواحي صغيرة في أحضان الدول المتقدمة ماديا، ويزغ فجر الدول الإعلامية العالمية، سواء اعترفت بذلك الأنظمة السياسية في البلدان النامية أم لم تعترف.

وتسعى الدول الغربية المصدرة لعناصرها الثقافية المنافية للثقافة الإسلامية عبر الأقمار الصناعية إلى استخدام طرق الاختراق في سبيل نشر تلك العناصر:

1- تشويه صورة الإسلام من خلال قيام الوسائل الأمريكية والأوروبية باستخدام وكالات الأنباء العالمية في التركيز على الأحداث الإخبارية التي تبين أن الفرد العربي إرهابي ويقوم بالأعمال الإرهابية، وقيام بعض القنوات الفضائية الوافدة بالتركيز على إظهار الفرد العربي بمظهر غير لائق، إما داخل بيوت تمارس لعبة الميسر واحتساء الخمر أو بث مناظر تظهر الفتيات العربيات وهن

يمارسن الجنس، بالإضافة إلى التركيز على قضية الحدود الشرعية متمثلة في الإعدام وقطع اليد أو غيرها، وهذا يخالف حقوق الإنسان من وجهة النظر الغربية<sup>(1)</sup>.

2- التشكيك في تاريخ الأمة العربية من خلال تركيز بعض القنوات الفضائية الوافدة على ممارسة الاختراق الثقافي على المسلمين بما يشككهم في دينهم ومجتمعاتهم، ويدعوهم للتعلق بالمجتمعات التي يصدر منها الاختراق، وبالتالي تقبل المذاهب الغربية التي تتناقض مع تعاليم الإسلام، بحيث تصبح المجتمعات الغربية وصراعاتها المثل الأعلى في المجتمع الإسلامي<sup>(2)</sup>، وإظهار المجتمعات الأوروبية والأمريكية بأنها مجتمعات لها تاريخ وتعتمد على الحداثة والرقى والتقدم في الوقت التي تصور فيه التاريخ العربي بأنه تاريخ عصابة إرهابية أهدافها الطمع والجشع والاعتقال في الماضي والحاضر<sup>(3)</sup>.

3- هدم اللغة العربية من خلال محاولة الاستعمار إحلال العامية محلها إلى جانب لغته الأجنبية التي سعى لأن تكون لها السيادة، ولكن محاولاته لم تحقق أهدافه، وإنما أضعفت الفصحى إلى حد ما وأثرت على اللغة العربية كما هو الحال في المغرب والجزائر، وعلى الرغم من انخفاض نتيجة نجاح الدول الاستعمارية في الماضي إلا أنها تكرر في هذه الفترة محاولاتها بصورة جدية تتمثل في بث برامجها الوافدة عبر أقمار البث التلفزيوني المباشر<sup>(4)</sup>.

4- محاولة تفتيت الوحدة الوطنية وزرع الإحباط داخل المجتمع العربي، حيث تقوم وكالات الأنباء العالمية بتزييف الحقائق وتشويهها بهدف إثارة المسلمين والمسيحيين داخل المجتمع الواحد، وتركيزها على بعض الجوانب التي تهدف من ورائها تفتيت ترابط المجتمع وتماسكه من خلال ضرب الوحدة الوطنية داخل المجتمع، أضف إلى هذا كله نشر الأخبار التي تتسم التحليلات فيها بالتشاؤم والسلبية وتصوير مدى تفاقم الأزمات والصراعات، وفي الوقت نفسه توضح مدى نفوذ الهيمنة الأمريكية

---

1 محمد احمد فياض، الإعلام الفضائي الدولي العربي، ص65.

2 حمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، ص32.

3 نهى إمام الدين، الفضائيات العربية الخاصة ودورها في الاختراق الثقافي (دكتوراه) السودان، جامعة أم درمان الإسلامية، ص147 .

4 محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، ص34.

والأوروبية مما يؤدي إلى زرع الإحباط داخل أفراد المجتمعات العربية<sup>(1)</sup>، وكان من المتوقع أن تخفف بعض الفضائيات العربية من حدة ذلك إلا أن الإعلام العربي ساهم هو الآخر في ترسيخ الكآبة في الوجدان العربي بذلك الجو المسيطر على تحليل الموقف الدولي في معظم الأحيان، وهو جو متشائم يطلق على العالم أنه في أزمة<sup>(2)</sup>.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الإعلام الإسرائيلي بدأ يأخذ دوره في تبديل بنية العقلية العربية وسلبه شخصيته، حيث يذكر تقرير اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال في الوطن العربي المرتكزات التي يقوم عليها المخطط الإسرائيلي والتي يمكن إيجازها فيما يلي<sup>(3)</sup>:

- أ- محاولة إظهار العرب بالمظهر المتخلف
- ب- محاولة تعميق الخلاف بين وجهات النظر بين العرب ودول العالم.
- ج- محاولة تخريب أي علاقات ثنائية بين دول العالم المتقدم والأقطار العربية.
- د- زعزعة ثقة شعوب دول البلدان النامية بالعرب.
- هـ- محاولة استلاب حق العرب المشروع في استرجاع أرضهم.

### الفرع الثاني: الإعلام التربوي الإسلامي ودوره في النهوض الحضاري للأمة المسلمة:

حيث يتلخص تعريفه بأنه استخدام تقنيات الاتصال ووسائل الإعلام وعلومه، ضمن منهج إسلامي وبأسلوب فني إعلامي، يقوم به أصحاب العلم بالعملية التعليمية والتربوية الإسلامية، ويستهدف الاتصال بأفراد العملية التربوية من معلمين ومتعلمين بغرض تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويوجه بها توجهاتهم ومعتقداتهم وسلوكهم ضمن الشريعة الإسلامية، حيث يحمل الإعلام التربوي الإسلامي في ذاته مقومات التربية الإسلامية واستمرارها لكونه إعلاما له فلسفة وأهداف، وهو في الوقت ذاته تربية تستند إلى غيرها من العلوم التي تعطيها مزيدا من الدعامة

---

1 نهى إمام الدين، الفضائيات العربية الخاصة ودورها في الاختراق الثقافي (دكتوراه) السودان، جامعة أم درمان الإسلامية، ص148.

2 حمد سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، ص239.

3 الإعلام العربي حاضرا ومستقبلا، سنة 1987، ص181، تقرير اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال في الوطن العربي.

والاستمرار بما تستند إليه من مبادئ وقواعد ثابتة: عقديّة وأخلاقيّة وتشريعيّة واجتماعيّة ونفسية في ضوء المعارف الأخرى<sup>(1)</sup>، فالإعلام التربوي الموجه إسلامياً يستثير العقل وينشط وظائفه لينهض هذا العقل بالتفكير والتأمل والتحليل والاستنباط، ويجوب آفاق الكون باحثاً مفكراً متضمناً من الأفكار والقيم والتوجهات ما يشكل أعمدة بناء راسخات للشخصية المسلمة وللمجتمع المسلم<sup>(2)</sup>.

وللإعلام الإسلامي الأثر الواضح في بناء الشخصية الإنسانية في دوافعها وعناصرها وجعلها شخصية سوية محفوظة من الانحراف، وفي تحقيق النهوض الحضاري للأمة، ويتمثل بيان هذا الأثر في النقاط التالية:

#### أولاً- أثر الإعلام الإسلامي في توجيه عناصر الشخصية:

إن الإعلام الإسلامي المستمد من التشريع الإسلامي بأسسه الأصولية والفقهية يسهم في إعداد الشخصية الإنسانية بعناصرها المختلفة، الفكرية والجسمية والروحية والاجتماعية بما يقدمه من أسس تشريعية، وعليه فالشخصية هي التفاعل المنظم الدقيق بين استعدادات الفرد والمثيرات التي تتطلب السلوك بحيث يشكل هذا التفاعل الحال العام للإنسان في تصرفاته الفكرية والنفسية وما إلى ذلك، والإعلام التربوي المستمد من التشريع الإسلامي في أسسه المختلفة يربي أفراده على التوسط والاعتدال وعدم الإفراط أو التفريط أو المبالغة في الإشباع والحرمان، وذلك من خلال طبع الشخصية الإنسانية بسمات أهمها: الاستسلام والخضوع لله . تعالى<sup>(3)</sup> والاستقلالية في السلوك، بحيث يكون كل سلوك يقوم به الإنسان منبثق من ذات الشخصية<sup>(4)</sup>، وحرية الإنسان في كل ما يصدر عنه في داخله وخارجه، لذلك جعل الإسلام حرية الفرد المتكاملة هدفاً أساسياً<sup>(5)</sup>.

---

1 عبد الرؤوف أحمد بني عيسى، الإعلام التربوي من منظور إسلامي: مجلة جرش للبحوث والدراسات، سنة 2013، ص 277.

2 سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي الإسلامي، ص 38.

3 عبد الرؤوف أحمد بني عيسى، م.س، ص 277.

4 أيوب مثقال، أثر التربية الإسلامية في تكوين الشخصية المستقلة، (ماجستير) الأردن، جامعة اليرموك، 2001، ص 27.

5 محمد علي المرصفي، من المبادئ التربوية في الإسلام، ص 54.

ثانياً: أثر الإعلام الإسلامي في تكوين الفكر وتوجيهه:

1- تكوين الفكر، باعتبار أن العلاقة بين اللغة والتفكير علاقة معقدة، فالتفكير يؤثر في اللغة ويسهم في تشكيلها في حين تسهم اللغة في توجيهه<sup>(1)</sup>.

2- تنمية الفكر الإنساني وصقل موهبة النظر والاستدلال لدى الشخصية المسلمة وتوجيهها إلى الفكر السليم المنضبط على قواعد وأسس صحيحة وثابتة<sup>(2)</sup>.

ثالثاً: تكوين الجانب الاجتماعي والنفسي وتوجيهه:

1- أما في الجانب الاجتماعي فيسهم الإعلام التربوي المستفاد من التربية الإسلامية في بناء نظام اجتماعي يحدد لكل إنسان مصارف نشاطه وقواعد سلوكه وكيفية معيشته في أسرته، بالإضافة إلى إيجاد نمط من المرونة في العلاقات الاجتماعية المتشكلة داخل دوائر الانتماء الاجتماعي، بالإضافة إلى تكوين الجانب الاجتماعي للشخصية من خلال ما يمثله من إحقاق الحق وإعطاء الحقوق لأصحابها<sup>(3)</sup>.

2- أما في الجانب النفسي فيسهم الإعلام التربوي الإسلامي في تكوينه للشخصية الإنسانية من خلال التزام الإعلام التربوي بالمنظر الإسلامي ففيه تحقيق الاستقرار والطمأنينة في حياة الفرد والأمة، فالمؤمن الذي أجمع فكره وقلبه على الله . تعالى . واتبع شرعه وتعاليمه يعيش عيشة هنيئة مستقرة بعيداً عن الأمراض النفسية والأفكار المضطربة<sup>(4)</sup>، كما يؤدي إلى الشعور بالسكن والراحة والطمأنينة، كما يؤدي إلى الشعور بالسعادة والأمن النفسي، مما يكسر شر النفوس ويحدث توازناً في الشخصية<sup>(5)</sup>.

رابعاً: أثر الإعلام الإسلامي في مواجهة الأزمة الحضارية:

- 
- 1 ينظر: سعيد أحمد عثمان وآخرين، التفكير دراسات نفسية، ص278 . ص279.
  - 2 عبد الرؤوف أحمد بني عيسى، الإعلام التربوي من منظور إسلامي: مجلة جرش للبحوث والدراسات، سنة2013، ص278.
  - 3 عبد الرؤوف أحمد بني عيسى، م.ن، ص278.
  - 4 لنعمان، مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا (ماجستير)السعودية، جامعة أم القرى، 1998، ص125.
  - 5 محمد حسني موسى، الرفق وأثاره التربوية على الفرد والمجتمع (المجتمع)الأردن، جامعة اليرموك، 2002، ص90.

تعيش الأمة المسلمة اليوم أزمة فكرية شاملة، انعكست في مظاهر وأشكال تجسدت شتاتا فكرية وتخليطا فكريا وانتقائية فكرية وميوعة فكرية وخواء فكريا، وتجلت في سمات مرضية، منها: صراع الثنائيات بدلا من انسجامها وتكاملها<sup>(1)</sup>، وفي ضوء هذه الأزمة الفكرية أخذت الأمة تعيش أزمة قيمية تمثلت في ضعف التمسك بالقيم الإسلامية وغياب بعضها، وانقلاب بعضها عن حقيقته؛ بحيث أصبحت أسماء لمضامين أخرى، فالأزمة التي تعيشها الأمة المسلمة في تدهورها الحضاري اليوم هي أزمة فكر وأزمة قيم، وأسباب هذه الأزمة هي نتاج نهائي لما تراكم من أسباب وعوامل عديدة، من أبرزها أن سقوط الأمة المسلمة حضاريا مهما كان كبيرا فإنه بالإمكان تجاوزه بما حفظه الله . تعالى . لهذه الأمة من مقومات استمرار حضارتها وخلودها، وعليه فإن دور الإعلام الإسلامي في مواجهة الأزمة الحضارية يظهر من خلال أثره في إبراز مقومات النهوض الحضاري للأمة المسلمة على النحو التالي<sup>(2)</sup>:

- 1- ما يتميز به الإعلام التربوي الإسلامي من قدرة توظف المفاهيم الإسلامية الحقيقية، وتبعث القيم الإسلامية الصادقة من خلال تركيزه على غرس الاعتزاز بقيم الحضارة الإسلامية الأصيلة وأخلاقها القويمية وتراثها العريق ومراعاة الدلالة الحضارية في مضمون الإعلام الإسلامي، فهي تنطلق من أن الجماعة التي تصوغ هذا الإعلام تقدم من خلاله أنموذجا بشريا للحياة بكل أبعادها ونواحيها، وإنما تقدمه للآخرين ليقتدوا به ويسيروا وفق منظومته على أساس أنه الأنموذج الإنساني الأجدر بالاتباع<sup>(3)</sup>.
- 2- احترام إرادة الإنسان في مواجهة الأزمة الحضارية من خلال ما يتيح من إشاعة حرية الرأي في المجتمع الذي يفسح المجال لمراقبة سلامة المجتمع من أي تهديد فكري أو قيمي أو أخلاقي، وأحيانا ترتقي هذه المراقبة لتشكّل رأيا عاما يكون بمثابة التنبيه على الخطر الذي يحيق بالمجتمع وما

---

1 محمد عقلة، الفراغ الفكري في مفهومه أسبابه وسبل العلاج، افتتاحية فعاليات اليوم العلمي لكلية الشريعة في جامعة اليرموك، 2011 (ندوة).

2 عبد الرؤوف أحمد بني عيسى، الإعلام التربوي من منظور إسلامي: مجلة جرش للبحوث والدراسات، سنة 2013، ص 282.

3 فتحي ملكاوي، الخطاب الإسلامي الحضاري: مجلة أفكار، عدد 1242، 1996، ص 32.

يتطلبه من الحاجة إلى تعليم الأفراد وتدريبهم من أجل تنمية قدراتهم، حتى يستطيعوا أن يقدموا أفضل ما عندهم وهم يقومون بواجباتهم تجاه الأمة المسلمة<sup>(1)</sup>.

3- تكريم الإنسان المتمثل في توفير الثقة بالنفس، وحفظ الكرامة الإنسانية في دخول الأمة المسلمة أبواب الحضارة بنفسية المستبشر بالأمل المسؤول لا بنفسية المتشائم أو المتساهل، وذلك لأن روح التشاؤم تجعل تحقيق النهوض في حكم الاستحالة، ومن العبث التفكير بالتغلب على المستحيل في حين تعكس نظرة التساهل نظرة احتقار وتوهين<sup>(2)</sup>.

4- إعداد إنسان الواجب في ضوء مراعاة الأولويات، لا بد أن تكون أولى الأولويات التركيز على الواجب، وأن يركز منطقنا الاجتماعي والسياسي على القيام بالواجب أكثر من تركيزنا على الرغبة في نيل الحقوق، لأن كل فرد بطبيعته تواق إلى نيل الحق والنفور من الواجب<sup>(3)</sup>.

خامسا: أثر الإعلام الإسلامي في تحقيق الحاجات الحضارية للأمة وبناء حضارة متفوقة:  
ويقصد بالحاجات الحضارية كل ما تحتاجه الأمة من علوم وصناعات لتبني به حضارة تواكب العصر التي تعيش فيه، ويظهر أثر الإعلام الإسلامي في بناء حضارة الأمة وصناعاتها من خلال:

1- تبني الإعلام الإسلامي في مضمونه للقيم الحضارية في السلوك الاجتماعي وما تضمنه من معايير وللقيم الحضارية في السلوك الاقتصادي وما تقتضيه من ضوابط، وللقيم الحضارية في السلوك السياسي وما يرافقها من أنماط التعامل، ومدى الاتساق بين السلوك في هذه الأبعاد وغيرها من جهة وطبيعة الإعلام ومفرداته وأسلوب أدائه من جهة أخرى، كل ذلك لا بد أن يكون عناصر أساسية في الإعلام الحضاري<sup>(4)</sup>.

---

1 عبد الرؤوف أحمد بني عيسى، الإعلام التربوي من منظور إسلامي: مجلة جرش للبحوث والدراسات، سنة 2013، ص 264.

2 مالك بن نبي، تأملات، ص 26.

3 عبد الرؤوف أحمد بني عيسى، م.س، ص 265.

4 فتحي ملكاوي، الخطاب الإسلامي الحضاري: مجلة أفكار، عدد 1242، 1996، ص 33.

2- تقديم الضوابط التشريعية في المسيرة الحضارية، مما يسهم في حفظ عناصر النظام والدقة والعمل المخطط له، ومن ثم تثبيت الحضارة الإسلامية على أركان وأسس علمية ثابتة<sup>(1)</sup>.

3- مراعاة الأولويات في جلب المصالح، ودرء المفسد عن كيان الأمة، يعتبر بمثابة ضمانات حضارية تسهم بشكل فعال وقوي في تسيير سفينة الحضارة نحو برّ الأمان، فالأمة المسلمة كما أنها تحرص على مبادئها ومعتقداتها تسعى لنشر الرسالة التي تحملها، لأن هذا من أهم مميزاتها، فالعطاء صفة لا يمكن أن تتخلى الأمة المسلمة عنها، وحين تتخلى عنها يبدأ انحلالها وذوبانها وتفقد هويتها ووحدتها وتماسكها<sup>(2)</sup>.

### سادسا: الدور الوقائي لوسائل الإعلام الإسلامي:

ويقصد به مجموعة من الوظائف والمهام المناطة بوسائل الإعلام الإسلامي، والتي تساهم بشكل من الأشكال في وقاية المجتمع والمحافظة على سلامته في كل جانب من الجوانب التي تستدعي الحماية والوقاية كالفكر والسياسة والعقيدة وغيرها، وكذلك الوقاية من الإشاعات والدعايات المغرضة التي تحاك ضد معتقداتنا ومجتمعنا<sup>(3)</sup>، ولعل من أهم خصائص التربية الإسلامية هي الوقاية، فهي خير من العلاج، لأنه إذا تسربت الأمراض الأخلاقية إلى الفرد يصعب معالجته فيما بعد، خصوصا إذا رسخت في نفسه تلك الأمراض<sup>(4)</sup>.

ومواكبة لما يطرح على الأمة الإسلامية من أفكار وآراء وعادات وتقاليد تخالف معتقداتنا الإسلامية وتخالف أعرافنا وتقاليدينا الحسنة، فإن الإعلام الإسلامي يعمل عمل المراقب اليقظ الذي ينبه إلى خطورة الأفكار والعقائد المستوردة ويعمل على وقاية الأمة وحماية ذاتيتها ورعاية مصالحها والنأي بها عن المحاكاة الغيبية والتقليد الأعمى<sup>(5)</sup>، من خلال الإرشاد إلى أهمية ربط السلوك بالعقيدة الإسلامية،

1 هاشم بن علي بن أحمد، أصول التربية الحضارية في الإسلام، ص273.

2 ينظر: هاشم بن علي بن أحمد، م.ن، ص176 . ص177.

3 منور نجم، الدور التربوي لوسائل الإعلام الإسلامي وسبل تطويره من وجهة نظر طلبة الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة (ماجستير) الجامعة الإسلامية، غزة، 2005، ص88.

4 مفداد يالجن، علم النفس التربوي في الإسلام، ص102.

5 إبراهيم إمام، أصول الإعلام الإسلامي، ص39.

حيث إن العلاقة بين الأفكار وما يصدر عن الأشخاص من سلوك وأعمال علاقة وثيقة، ذلك أن الأفعال هي مرآة العقيدة وياضطرابها وسلامتها يحكم على العقيدة اضطرابا وسلامة وعلى هذا يمكن القول إن الممارسات والوقائع الاجتماعية إنما هي تفسير للأفكار، أو إن مظاهر الحياة في ممارساتها اليومية المختلفة إنما هي ترجمة طبيعية للأفكار إلى عالم الأفعال، مؤكدة شدة الارتباط بين الأفكار والأفعال<sup>(1)</sup>.

إن الاهتمام بتربية الإنسان تربية عقائدية يؤثر في تكوين شخصية الإنسان، وكذلك تنعكس تربيته على تحديد قيمه واتجاهاته وسلوكياته؛ فإذا ما تمسك بأهداف دينه انعكس ذلك على سلوكه وتصرفاته وزاد من ولائه لمجتمعه، وتبرز هنا أهمية تقديم جرعات إعلامية دينية تخاطب وجدان المواطن وتحميه من التأثير بالمفاهيم الخاطئة، وتدفعه إلى الإيجابية والمشاركة والمساهمة في مقومات التقدم لنفسه وبلده، كما تدفعه إلى السمو في تصرفاته مع الآخرين<sup>(2)</sup>.

---

1 سيد محمد الشنقيطي، وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، ص434 . ص435.

2 عبد المجيد شكري، الإعلام الإسلامي الواقع والتحديات والمستقبل، ص42.

## الخاتمة:

ومن خلال هذه الدراسة فإنني استخلصت النتائج الآتية:

- 1- كان للفرق الباطنية الدور الأبرز في إضعاف المسلمين عقدياً، ومساندة الأعداء في ترسيخ سلطانهم في بلاد المسلمين، من خلال الدعم العسكري والسياسي وحتى إعطاء المبررات الواهية لعدم مقاومة الاحتلال.
- 2- كانت حالة التشرذم بين الإمارات الإسلامية العامل المهم في سرعة سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيين، من خلال عدم التوحد في صد العدوان، بل والتآمر مع الصليبيين والتواطؤ المباشر معهم في قتال المسلمين للحفاظ على امتيازاتهم.
- 3- كانت أولى خطوات صلاح الدين لتحرير بيت المقدس، هي توحيد الجبهة الإسلامية الداخلية، من خلال توحيد الإمارات الإسلامية والقضاء على الدولة الفاطمية التي استنزفت الأمة وساعدت أعداءها.
- 4- استخدم الغرب ورقة الأقليات بأسلوب ماهر جعله يتمكن من ترسيخ سياسة تقسيم الأمة الإسلامية، وإشاعة الفوضى وإدامة العنف بين فئاتها المختلفة، ليتمكن من إحكام سيطرته عليها.
- 5- الحرب على اللغة العربية لم تكن عبثية، بل تمت على أسس وخطط مدروسة تهدف إلى ضرب أحد أهم عوامل وحدة المسلمين من خلال نشر اللهجات العامية واللغات الأجنبية لتصبح هي اللغات المتداولة بين المسلمين في حياتهم ومناهجهم التعليمية.
- 6- المشروع الإيراني بشقيه السياسي والعقائدي في العصر الحالي، هو امتداد للدور الفاطمي في أيام صلاح الدين التقسيمي من خلال نشر روح الطائفية المدمرة التي أشعلت الحروب في عدة بلدان إسلامية.

7- استطاع الغرب تدمير المسلمين عقائديا من خلال دعم أصحاب البدع والضلال، وتعطيل دور العلماء في المجتمع، وحصر دور المسجد في العبادات فقط، وإبعاد الشريعة عن أحكام الدساتير ومناهج التعليم.

8- كان لنشر الأفكار الإباحية والإلحادية الدور الكبير في انحراف فئة الشباب عن دورها القائم على بناء الأمة.

9- قيام الغرب ببث الفرقة والكراهية بين مكونات العمل الإسلامي من خلال توزيع تصنيفات الاعتدال والإرهاب عليها، وذلك لعدم إتاحة الفرصة لأي منها للوصول إلى سدة الحكم.

### أما التوصيات فهي كما يأتي:

1- لا بد من إيجاد اقتصاد إسلامي مستقل ليس مرتبطا بأي نظام آخر؛ لئلا يبقى بين الأمة فجوات تحول دون وحدتها، ويتم ذلك بإيجاد أسواق مشتركة، وعملة موحدة، وهيئة اقتصادية مشتركة تشرف على ذلك الاقتصاد المستقل، وبهذا تستقل عن التبعية الاقتصادية الضارة، وتقيم لها وحدة اقتصادية قوية على أسس إسلامية.

2- لا بد من إعادة البناء الإعلامي بناء صحيحا، بحيث يكون قادرا على توجيه الأمة، وتعميق العقيدة في نفوس أبنائها، وتذكيرها بخصوصيتها في هذه الحياة، وبالمنهج الذي اختاره الله . عز وجل ..

3- لا بد من إعادة صياغة المناهج في مدارس المسلمين وجامعاتهم، بحيث يراعى في وضعها تلك الأسس التي تمثل قاعدة الوحدة الإسلامية، فنشتمل المناهج على بيان العقيدة والغاية والقيادة والمنهج وتعميق هذه المعاني في نفوس أبناء الأمة.

4- استخدام اللغة العربية للتقريب بين الشعوب الإسلامية؛ إذ إن اللغة ليست وعاء للفكر فقط، بل هي وعاء ومضمون للتفكير في آن واحد، وينظر إليها المسلمون في بقاع الأرض نظرة إجلال وتقدير؛ لكونها لغة كتابهم ونبیهم . صلى الله عليه وسلم . وتراثهم الروحي والثقافي، وهذا يساعد كثيرا على تعلمها ونشرها.

5- العالم الإسلامي بحاجة إلى عدد من مراكز المعلومات والدراسات المرموقة، التي تعنى بتنقيف الناس بهوم العالم الإسلامي، والكشف عن إمكاناته الاقتصادية والتجارية وغيرها؛ بغية حث الناس على توجيه طاقاتهم وتحركاتهم نحوها.

6- للدعاة الذين يجوبون العالم الإسلامي دور هام في اكتشاف كل ما ينمي أوجه التعاون والتكامل بين بلدان العالم الإسلامي، ثم في توثيق ذلك ونشره؛ لتتعزيز معرفة المسلمين بالإمكانات التوحيدية المتاحة.

7- من واجب الجماعات والمؤسسات الإسلامية أن تسعى إلى بلورة بعض الأطر الوجدوية، كالاتحادات الإسلامية مثل: (اتحاد المدرسين المسلمين، واتحاد التجار المسلمين) ...وهكذا، وهذا الأمر ليس باليسير، إذا أدركنا أهميته وفرغنا له الكفاءات والطاقات المطلوبة.

فهرس الآيات الكريمة حسب الترتيب القرآني

الآية	رقم الآية	السورة	رقم السورة	الصفحة
كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً	213	البقرة	2	ص3
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا	103	آل عمران	3	ص6
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا				ص26
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ...."				ص318
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً.."	1	النساء	4	ص17
وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا...."	35			ص23
فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ....."	59			ص16
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ	59			ص8
فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ	88			ص16

ص 23			114	لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءً.."
ص 23			128	وَإِن امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ
ص 28	5	المائدة	51	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ
ص 18	6	الأنعام	98	وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ
ص 26			153	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
ص 33			153	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
ص 304	7	الأعراف	138	اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون
ص 18			189	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا
ص 24	8	الأنفال	1	فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ
ص 8			46	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ
ص 25			46	وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
ص 6، ص 7			63	وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ...."

11ص			72	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا
9ص	9	التوبة	71	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
22ص			71	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...."
21ص			103	خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا
22ص	13	الرعد	21-19	أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ....."
350ص	14	إبراهيم	27-24	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا....."
322ص	16	النحل	43	فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
4ص			120	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً
351ص	22	الحج	31-30	فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ..
19ص	24	النور	38-36	فِي بُيُوتِ الَّذِينَ تُرْفَعُ وَيُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ..."
332ص	33	الأحزاب	33	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ"
31ص، 4ص	43	الزخرف	22	بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ

ص 24	49	الحجرات	9	وَأَنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى...."
ص 9			10	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ
ص 25			10	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ..."
ص 18، ص 21 ص 28، ص 274			13	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...."
ص 9	59	الحشر	9	وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا...."
ص 272	68	القلم	4	وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ

فهرس الأحاديث النبوية حسب الترتيب الأبجدي		
الصفحة	طرف الحديث	
32	انتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات ...."	1
28	إن الإسلام بدأ غريبا ...."	2
8	إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثا....."	3
29	دعه لا يتحدث الناس ..."	4
271	الساعي على الأرملة كالمجاهد في سبيل الله ..."	5
25	كلاكما محسن ولا تختلفوا ....."	6
271	لا تحاسدوا ولا تناجشوا ...."	7
30	لتتبعن سنن من كان قبلكم....."	8
303	الله أكبر إنها السنن قلتم والذي ...."	9
5	لو يعلم الناس ما في الوحدة..."	10
311	من أراد أن ينصح لذي سلطان ...."	11
30	من قتل تحت راية عمية ...."	12
12	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد...."	13

13	المؤمنون تتكافأ دماؤهم...."	14
12	المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى ....."	15
26	يتقارب الزمان وينقص العمل ...."	16
26	يسرا ولا تعسرا ....."	17

## فهرس الأعلام

الصفحة	العلم	الرقم
173	أبو الأعلى المودودي	1
39	أحمد بن بويه	2
45	أرسلان البساسيري	3
42	ألب رسلان	4
239	أمين الحسيني	5
170	بهاء الله	6
133	جورج سوردون	7
166	الحاكم بأمر الله	8
35	الحسن بن محمد الصباح	9
238	راغب النشاشيبي	10
74	صلاح الدين الأيوبي	11
14	عبادة بن الصامت	12
180	عبد العزيز بن الباز	13
12	عبد الله بن أبي جمرة	14
72	عماد الدين زنكي	15
235	قاسم امين	16
170	كاظم الرشدي	17
186	كرومر	18
214	كمال الحسيني	19
134	ليوتي	20
4	محمد أبو زهرة	21
163	محمد بن نصير	22
95	مصطفى كمال أتاتورك	23
238	موسى كاظم	24
173	ميرزا غلام أحمد	25
83	نابليون بونابرت	26

## فهرس المذاهب والفرق

الصفحة		الرقم
173	الأحمدية	1
170	البابية	2
170	البهائية	3
54	التصوف السني	4
58	الحنبلية	5
166	الدروز	6
94	الدونمة	7
57	الشافعية	8
52	الملامية	9
163	النصيرية	10

## فهرس المعاهدات

الصفحة		الرقم
103	سيفر	1
132	الحماية	2
217	الرباط	3

## فهرس الإتفاقيات

الصفحة		الرقم
217		1 أفران
217		2 تلمسان
218		3 الجزائر
101		4 سايكس - بيكو

## فهرس الدول والإمارات

الصفحة		الرقم
44	بني الأسد	1
44	بني عقيل	2
39	البويهية	3
45	السلجوقية	4
92	العثمانية	5
47	الفاطمية	6
42	المرادسية	7

## فهرس المؤتمرات

الصفحة		الرقم
103	سان ريمو	1
101	كامبل	2
105	لوزان	3

## فهرس المصادر والمراجع:

### القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1. آبادي، محمد شمس الحق العظيم (ت1329هـ) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط2، السعودية: المكتبة السلفية، 1968، 14 جزء.
2. إبراهيم حسونة، خليل، الثورة الشعبية، ط1، غزة: المركز القومي للدراسات، 2001، مجلد واحد.
3. إبراهيم عطية، أحمد، إرهابات غزو العراق ونهاية إسرائيل، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، مجلد واحد.
4. إبراهيم، كريدية، السياسة البربرية للحماية الفرنسية في المغرب شركة الطبع والنشر، 1965، مجلد واحد.
5. ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد (ت630هـ) الكامل في التاريخ، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، 1987، 11 مجلد.
6. ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة (ت660هـ) زبدة الحلب، تحقيق خليل منصور، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، 1996، مجلد واحد.
7. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت1089هـ) شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، ط1، دار ابن كثير، 1986، عشرة مجلدات.
8. ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت449هـ) شرح صحيح البخاري، ط2، السعودية: مكتبة الرشد، 2003، عشرة أجزاء.

9. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (ت874هـ) النجوم الزاهرة، مصر: وزارة الثقافة، 1963، 16 مجلد.
10. ابن تيم ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم (ت728هـ)، مجموع الفتاوى، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1995، 35 مجلد.
11. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم (ت728هـ)، درء تعارض العقل، تحقيق محمد رشاد سالم، ط2، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1991، 11 مجلد.
12. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم (ت728هـ) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ط1، السعودية: جامعة محمد بن سعود، 1406هـ، تسعة مجلدات.
13. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم (ت728هـ) الفتاوى الكبرى، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، 1987، ستة أجزاء.
14. ابن تيمية، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد السلام (ت728هـ) اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، ط7، لبنان: دار عالم الكتب، 1999، جزئين.
15. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ) وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، سبعة أجزاء.

16. ابن عبد البر، أبي عمر يوسف(ت463هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري جامع العلم وفضله، ط1، الدمام: دار ابن الجوزي، 1994، مجلدان.
17. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد(ت463هـ) الاستذكار، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000، تسعة أجزاء.
18. ابن عبد القادر، محمد، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، تحقيق محمد عثمان، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، 2013، مجلد واحد
19. ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت774هـ) البداية والنهاية، بيروت: مكتبة المعارف، 1990، 15 مجلد.
20. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ) تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، 1999، 8 مجلدات.
21. ابن نبي، مالك، تأملات، ط1، سورية: دار الفكر، 2002، مجلد واحد
22. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك(ت213هـ) السيرة النبوية، ط2، مصر: مطبعة مصطفى الحلبي، 1955، جزءان.
23. ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي(ت697هـ)، مفرج الكروب، دار الوثائق والكتب القومية، 1957، خمسة مجلدات.
24. أبو الخير، حسن، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان، ط1، مصر: دار ابن الجوزي، 2011، مجلدان.

25. أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي جمال الدين (ت874هـ) النجوم الزاهرة، مصر: وزارة الثقافة، 1963، 16مجلد.
26. أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة: دار الفكر العربي، 1996، مجلد واحد.
27. أبو زيد، محمد الهادي، الشيعة والسنة والأكراد في العالم، ط1، هلا للنشر والتوزيع، 2008، مجلد واحد .
28. أبو غزالة، عبد الحليم، الحرب العراقية الإيرانية (1980 . 1988)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 1994، مجلد واحد.
29. أبو فارس، محمد، دور المسجد في بناء الأمة والدولة، ط1، عمان: دار المأمون، 2009، مجلد واحد.
30. أبو ليلي، يوسف، الأسرة العربية، ط1، جامعة القدس المفتوحة، 1998، مجلد واحد.
31. أبي شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت665هـ) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002، خمسة مجلدات.
32. أبي طالب مكي، محمد بن علي بن عطية (ت386هـ)، قوت القلوب، تحقيق عاصم الكيالي، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005، جزءان.
33. أحمد، أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، القاهرة: مؤسسة روز اليوسف، 1977، مجلد واحد.
34. آدامز، سايمون، الحرب العالمية الأولى، ترجمة: محمد علي النقراشي، ط1، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر، 2007، مجلد واحد.

35. أزدي، جمال الدين أبو الحسن (ت) أخبار الدولة المنقطعة، ط1، دار البداية، 1999، مجلد 1.
36. أسعد الجيلاني، أبو الأعلى المودوي فكره ودعوته، ط1، لاهور: دار الفيصل، 1978، مجلد واحد.
37. إسماعيل، محمد حسن، البابية والبهائية، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، 2009، مجلد واحد.
38. إسماعيل، محمود، مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، ط1، الدار العالمية للطباعة والنشر، 2003، مجلد واحد.
39. الأشرف، مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، الجزائر: دار القصة للنشر، 2007، مجلد واحد.
40. الأشعل، عبد الله، المسلمون والنظام العالمي، ط1، مصر: دار المعارف، 1999، مجلد واحد.
41. أشعل، عبد الله، قضية الحدود في الخليج العربي، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، (د.ت) مجلد واحد.
42. أشقر، عمر سليمان، الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية، ط3، دار النفائس، 1991، مجلد واحد.
43. الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت430هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصر: السعادة، 1996، عشرة مجلدات.
44. أصبهاني، عماد الدين الكاتب (ت597هـ) تاريخ دولة آل سلجوق، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004، مجلد واحد.
45. أصفهاني، الراغب (ت1108/502) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ط4، دمشق: دار القلم، 2009، جزء واحد.
46. أصور، خالد، البوسنة والهرسك، مصر: لجنة الإغاثة الإنسانية، 1994، مجلد واحد.

47. أصور، خالد، البوسنة والهرسك حقائق وأرقام، مكة المكرمة: بيانات للنشر، 1995، مجلد واحد.
48. أفندي، شوقي، قرن بديع، البرازيل: دار النشر البهائية، 2002، مجلد واحد
49. إقدير، محمد، العقائد الفلسفية المشتركة بين الفرق الباطنية، ط1، القاهرة: مطبعة مدبولي، 2006،  
مجلد واحد.
50. إمام، إبراهيم، أصول الإعلام الإسلامي، مصر: دار الفكر العربي، (د.ت)، مجلد واحد.
51. أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط1، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، مجلد واحد.
52. أمين، قاسم، المرأة الجديدة، ط1، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، مجلد واحد.
53. انطونيوس، جورج، يقظة العرب، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط8، دار العلم للملايين، 1987،  
مجلد واحد.
54. أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، دار الدعوة، 1972، جزء واحد.
55. بار، محمد علي، العلمانية جذورها وأصولها، ط1، دمشق: دار القلم، 2008، مجلد واحد.
56. باركر، أرنست، الحروب الصليبية، تحقيق: الباز العريني، ط1، دار النهضة العربية للطباعة  
والنشر، 1997، مجلد واحد.
57. الباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت1420هـ) السلسلة الصحيحة، ط1، الرياض: مكتبة  
المعارف، ستة أجزاء .
58. بخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت256هـ) صحيح البخاري، ط1، دار طوق النجاة،  
1422هـ، تسعة أجزاء.

59. بدر الدين، صلاح، الأكراد شعبا وقضية، ط1، أربيل: رابطة كاوا للثقافة الكردية، 1987، مجلد واحد.
60. بدري، يوسف، بصمات الاستعمار في البلاد الإسلامية، القاهرة: دار العدالة، 1984، مجلد واحد.
61. براده، علي حرازم ابن العربي، جواهر المعاني وبلوغ الأمان، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، ط2، دار الكتب العلمية، 1997، مجلد واحد.
62. بركات، نظام وآخرون، مشاريع التغيير في المنطقة العربية ومستقبلها، الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط، 2012، مجلد واحد.
63. برو، توفيق، القضية العربية في الحرب العالمية الأولى، دمشق: دار الطلاس للنشر والطباعة، 1982، مجلد واحد.
64. بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1973، مجلد واحد.
65. بستاني، وديع (ت1954) الانتداب الفلسطيني باطل ومحال، بيروت، المطبعة الأمريكية، 1936، مجلد واحد.
66. بشارة، عزمي وآخرون، العرب وإيران مراجعة في التاريخ والسياسة، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012، مجلد واحد.
67. بفايفر، سيمون، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، الجزائر: دار هومة، مجلد واحد.
68. بقطاس، خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830 . 1871)، (د.م.)، (د.ت.)، مجلد واحد.

69. بكار، عبد الكريم، حول التربية والتعليم، ط3، دمشق: دار القلم، 2011، مجلد واحد.
70. بكري، مصطفى وآخر، العراق المؤامرة الخيانية للاحتلال، ط1، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004، مجلد واحد
71. بلاح، بشير وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر (1830 . 1989)، الجزائر: دار المعرفة، الجزء الأول.
72. بن أيوب، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت732هـ) المختصر، ط1، مصر: المطبعة الحسينية المصرية، أربعة أجزاء.
73. بن عتيق، إسماعيل، حوار مع القاديانيين وجهاً لوجه، ط1، الرياض: دار الهداية للنشر، 1987، مجلد واحد.
74. بن منقذ، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر (ت584هـ) الاعتبار، مصر: مكتبة الثقافة الدينية، جزء واحد.
75. بني المرجة، موفق، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، الكويت: دار الكويت، 1984، مجلد واحد
76. بوحوش، عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997، مجلد واحد.
77. بورنان، سعيد، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830.1962)، الجزائر: دار الأمل، 2002، مجلد واحد.
78. بوشخي، عز الدين، نحو مقارنة وظيفية تواصلية لتعليم اللغة العربية، 2002، (د.م)

79. بوضرساينة، بوعزة وآخرون، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث، 2007، مجلد واحد.
80. بيانوني، محمد أبو الفتح، وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع، ط1، عمان، 1998، مجلد واحد.
81. بيومي، زكريا سليمان، قراءة إسلامية في تاريخ الدولة العثمانية، جدة: عالم المعرفة، 1991، مجلد واحد.
82. ترك، نقولا، ذكر تملك جمهور فرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية، مصر: مؤسسة هنداوي، 2015، مجلد واحد.
83. تشوبين، شاهرام، طموحات إيران النووية، ط1، الدار العربية للعلوم، 2007، مجلد واحد.
84. جابري، محمد عابد، التراث والحداثة، ط1، التراث والحداثة، 1991، مجلد واحد.
85. جابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، مجلد واحد.
86. جامعة القدس المفتوحة، تاريخ الحروب الصليبية.
87. جبارة، تيسير، الحاج أمين، ط1، دار الفرقان، 1995، مجلد واحد.
88. جبارة، تيسير، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث، مؤسسة البيادر الصحفية، 1985، مجلد واحد.
89. جبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت1237هـ)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت: دار الجيل، 1997، ثلاثة أجزاء.

90. جرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف(ت816هـ) التعريفات، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983، جزء واحد.
91. جريشة، علي، حاضر العالم الإسلامي، ط4، جدة: دار المجتمع للنشر، 1989، مجلد واحد.
92. جلي، أحمد، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، 1988، مجلد واحد.
93. جليل، عبد العزيز بن ناصر، التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة، فلسطين، 2004، مجلد واحد
94. جندي، أنور، الفكر الثقافي المعاصر في شمال إفريقيا، مصر: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965، مجلد واحد.
95. جندي، أنور، الفكر العربي المعاصر في معركة التعريب والتبعية الثقافية، دمشق: مطبعة الرسالة، 1959، مجلد واحد.
96. جندي، أنور، العالم الإسلامي، ط2، بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، مجلد واحد.
97. جوزي، أبو الفرج جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت597هـ) زاد المسير في علم التفسير، ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1404 هـ، تسعة أجزاء.
98. جوزية، ابن قيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، 1996، جزءان.
99. جوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم(ت1349/751) مفتاح دار السعادة، تحقيق علي ابن حسن الأثري، ط1، السعودية: دار ابن عفان، 1996، جزءان

100. جوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم (ت751هـ)، بدائع الفوائد، بيروت: دار الكتاب العربي، أربعة أجزاء.
101. جوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم (ت751هـ) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991، أربعة أجزاء.
102. جوليان، شارل أندري، تاريخ الجزائر المعاصر - الغزو وبدايات الاستعمار 1827 . 1871، ط1، الجزائر: شركة دار الأمة، 2008، مجلد واحد.
103. جون، اسلمنت البهائي، بهاء الله والعصر الجديد، ط3، ايلينوي: مؤسسة النشر البهائي، 1970، مجلد واحد.
104. جيفكين ف، تخطيط الإعلام والعلاقات العامة، 1998، دار كينتناس للنشر، مجلد واحد.
105. حاج، خالد علي، مصرع الشرك والخرافة، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، قطر: إدارة الشؤون الدينية، 1978، مجلد واحد.
106. حاج، خالد محمد علي، الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد، تحقيق: إبراهيم عبد الله الأنصاري، قطر: دار إحياء التراث الإسلامي، (د.ت)، مجلد واحد.
107. حافظ، صلاح الدين، حرب البوليساريو، بيروت: شركة الفجر العربي، 1980، مجلد واحد.
108. حامد محمود عيسى، القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي 1914 . 2003.
109. حبشي، حسن، الحرب الصليبية الأولى، ط1، دار الفكر العربي، 1998، مجلد واحد.

110. حجازي، عبد الرحمن، الإعلام الإسلامي بين الواقع والمرتجى، ط2، لبنان: دار المعرفة، 2017، مجلد واحد.
111. حجوي، محمد بن حسن، كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، الرباط: إدارة المعارف، 1430هـ، مجلد واحد.
112. حران، تاج السر حاضر العالم الإسلامي، ط4، مكتبة الرشد، 2003، مجلد واحد.
113. حربي، ممدوح، موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة، ألفا للنشر والتوزيع، 2010، مجلد واحد.
114. حساسيان، مناويل، الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية 1919-1939، القدس: منشورات البيادر، 1987، مجلد واحد.
115. حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، ط14، بيروت، دار الجيل، 1996، مجلد واحد.
116. حسنة، عمر عبيد، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، ط1، كتاب الأمة، 2002، مجلد واحد.
117. حسني، ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2009، مجلد واحد.
118. حسنين، عبد المنعم، سلاجقة إيران والعراق، لبنان: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1982، مجلد واحد.
119. حسونة، خليل، الثورة الشعبية لفلسطين، غزة: المركز القومي للدراسات والتوثيق، 2001، مجلد واحد.

120. حسين، خليل، النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية، ط1، لبنان: دار المنهل اللبناني، 2009،  
مجلد واحد.
121. حصري، ساطع، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985،  
مجلد واحد
122. حقي، إحسان، المسلمون أمام التحدي العالمي، ط4، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981، مجلد واحد.
123. حكيم، يوسف، سورية والعهد الفيصلي، ط3، دار النهار للنشر، 1986، مجلد واحد
124. حلبي، سليمان، طائفة النصيرية، ط2، الكويت: الدار السلفية، 1984، مجلد واحد.
125. حلمي، هدى، المرأة بين تعاليم الدين الإسلامي ووضعها الراهن في مصر، ط1، دار الطليعة،  
1900، مجلد واحد.
126. حلبي، يوسف كركوش (تاريخ الحلة)، ط1، العراق، مكتبة الحيدرية، 1965، مجلد واحد.
127. حنبلي، ابن رجب، فضل علم السلف على الخلف، ط2، دار الصميعي، 1406هـ.
128. حنفي، عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، مصر:  
مكتبة مدبولي، 2005، مجلد واحد
129. حوالي، سفر بن عبد الرحمن، شرح العقيدة الطحاوية، ط1، القاهرة: دار الصفاة، 1434هـ، جزئين
130. حوت، بيان نويهض، القيادات والمؤسسات، ط3، كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر، 1986،  
مجلد واحد.
131. حوى، سعيد، الإسلام، ط1، مصر: دار السلام للطباعة والنشر، 1983، مجلد واحد.

132. حوى، سعيد، دروس في العمل الإسلامي، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، 1981، مجلد واحد
133. خالدى، محمد، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، الدمام: دار الرواي، 2000، مجلد واحد
134. خشت، محمد عثمان، حركة الحشاشين، مصر: مكتبة ابن سينا، مجلد واحد
135. خطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت462هـ) تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2001، 21 مجلد.
136. خليفة، إجلال، الحركة النسائية الحديثة، ط1، مكتبة الأسرة، 2008، مجلد واحد.
137. خليل، عماد الدين، عماد الدين زنكي، ط1، دار ابن كثير، 2010، مجلد واحد.
138. خليل، عماد الدين، مدخل إلى إسلامية المعرفة، ط1، دار ابن كثير، 2005، مجلد واحد.
139. خوري، إميل وآخر، السياسة الدولية في المشرق العربي، ط1، بيروت: دار النشر للسياسة والتاريخ، 1964، مجلد واحد.
140. دار الدعوة، البوسنة والهرسك أمة تذبذب وشعب يباد، ط1، المكتبة المكية، 1992، مجلد واحد.
141. داوم، نيكولاس فان، الصراع على السلطة في سوريا، ط1، مصر: مكتبة مدبولي، 2006، مجلد واحد
142. دخيل، علي بن محمد، التيجانية، ط3، السعودية: دار العاصمة، 2011، مجلد واحد.
143. درة، محمود، القضية الكردية، ط2، بيروت: دار الطليعة، 1966، مجلد واحد.
144. دركزلي، شذى سلمان، المرأة المسلمة في مواجهة التحديات المعاصرة، ط1، منشورات روائع مجدلوي، 1997، مجلد واحد.

145. دروزة، محمد عزة، الحركة العربية، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1949، مجلد واحد.
146. دروزة، محمد عزة(ت1984م) الدستور القرآني، لبنان: الدار العربية للعلوم، 1981، مجلد واحد.
147. دسوقي، ناهد، دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2008، مجلد واحد.
148. دسوقي، محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، 1976، مجلد واحد.
149. دواني، جلال الدين محمد بن أسعد(ت918هـ) الأربعون السلطانية، القاهرة: دار الكتب .
150. دينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ط1، دار الكتب العلمية، 1997، مجلد واحد.
151. ديورانت، ول، قصة الحضارة، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، (د.ت)، 44 مجلد
152. ذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ) سير أعلام النبلاء، ط3، لبنان: مؤسسة الرسالة، 1985، 25 جزء.
153. ر.هارتمان وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998، 33 مجلد.
154. رازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت666) مختار الصحاح، ط5، بيروت: المكتبة العصرية، 1999، جزء واحد.
155. راوي، جابر، إلغاء الاتفاقية العراقية . الإيرانية لعام 1975 في ضوء القانون الدولي، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، 1980، مجلد واحد.

156. ربيعي، عبد الله فؤاد، قضايا الحدود السياسية للسعودية والكويت ما بين الحربين العالميتين في الفترة 1909 . 1939، القاهرة: مكتبة المدبولي، 1990، مجلد واحد.
157. ربيعي، عبد الله بن عبد الرحمن، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي، ط1، الرياض، 1994، مجلد واحد.
158. رزق، أكرم، البوسنة والهرسك بين الأمس واليوم، ط1، دار الوفاء للنشر والطباعة، 1998، مجلد واحد.
159. رستم سعد، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، النشأة والتاريخ، ط3، الأوائل للنشر والتوزيع، 2005، مجلد واحد
160. رضا، أكرم، قواعد تكوين البيت المسلم، ط1، مصر: دار التوزيع، 2005، مجلد واحد.
161. رضا، محمد رشيد بن علي (ت1354هـ) تفسير المنار، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، 12 جزء.
162. رضوان، محمد، منازعات الحدود في العالم العربي، بيروت: إفريقيا الشرق، 1999، مجلد واحد.
163. رفاعي، عبد العزيز، الحركة القومية في إفريقيا أصولها نشأتها تطورها، القاهرة: المكتبة العالمية، 1962، مجلد واحد
164. رفعت، محمد، التوجه السياسي للفكرة العربية، مصر: دار المعارف، 1964، مجلد واحد.
165. رنيسمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ط3، دار الفكر العربي، 1993، ثلاثة مجلدات.
166. ريسوني، محمد، وكل بدعة ضلالة، ط3، الرياض: مكتبة دار المنهاج، 1428هـ، مجلد واحد.

167. زايد، الحارثي، التنشئة الاجتماعية والسلوك المأمول للشباب، د.ط، الكويت: جمعية المعلمين الكويتية، مجلد واحد.
168. زركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (ت764هـ) البحر المحيط في أصول الفقه، ط1، دار الكتبي، 1994، ثمانية أجزاء
169. زركلي، خير الدين بن محمود(ت1396هـ) الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002، ثمانية مجلدات.
170. زرندي، محمد، مطالع الأنوار، لبنان: دار البديع للطباعة والنشر، 2008، مجلد واحد
171. زعبي، الأرقم، قضية البوسنة والهرسك، ط1، دار النفائس، 1993، مجلد واحد
172. زعيتر، أكرم، القضية الفلسطينية، ط1، مصر: دار المعارف، 1955، مجلد واحد
173. زقزوق، محمود حمدي، هموم الأمة الإسلامية، دار الرشد للنشر والتوزيع، 1998، جزء واحد
174. زكار، سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط3، دار الفكر المعاصر، 1977، مجلد واحد.
175. زلوم، عبد القديم، كيف هدمت الخلافة، ط3، دار الأمة، مجلد واحد.
176. زهراني، مسفر(ت1363هـ) نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية، ط1، لبنان: مؤسسة الرسالة، مجلد واحد.
177. زهيري، أبو بكر، التوجيهات الإيرانية في المنطقة العربية وأثرها على الأمن القومي، ط2، اليمن: مكتبة مركز الثاق، 2011، مجلد واحد.

178. زيتون، عبد الوهاب، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا، دار المنارة، 1995، مجلد واحد.

179. سابق، سيد، فقه السنة، القاهرة:الفتح للإعلام العربي،(د.ت)، ثلاثة مجلدات

180. سايح، أحمد عبد الرحيم، الوحدة الإسلامية الإطار النظري وخطوات التطبيق، ط1، ماليزيا، 1993، مجلد واحد

181. سباتين، يوسف، طريق العزة، ط1،(د.م)، 1983، مجلد واحد

182. سدلان، صالح بن غانم، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، ط1، الرياض: دار بلنسية، 1997، مجلد واحد

183. سرور، عبد الناصر، السياسة العراقية الخارجية تجاه الولايات المتحدة، مكتبة القادسية، 2003، مجلد واحد.

184. سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1830 . 1900)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992، ثلاثة أجزاء

185. سعدي، بوزيان، جرائم فرنسا من الجنرال بوجو إلى الجنرال أوساريس، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر، 2009، مجلد واحد.

186. سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، مؤسسة الرسالة، 2002، مجلد

187. سعدي، غازي الأحزاب والحكم في إسرائيل، ط1، عمان: دار الجليل للنشر، 1989، مجلد واحد

188. سعيد، محمد رأفت، كيف نهض بالمجتمعات المسلمة المعاصرة، الرياض: عالم الكتب للنشر والتوزيع، 1980، مجلد واحد

189. سعيدوني، ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، السعودية: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود، 2000، مجلد واحد

190. سفري، عيسى، فلسطين العربية، مكتبة فلسطين الجديدة، 1937، مجلد واحد

191. سكاكيني، خليل، كذا أنا يا دنيا، القدس: المطبعة التجارية، 1955، مجلد واحد

192. سلطان، حامد، المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين، ط1، جامعة الدول العربية، 1967، مجلد واحد

193. السلمي، أبي عبد الرحمن، طبقات الصوفية تحقيق أحمد الشرباص، 2003، لبنان: دار الكتب العلمية، مجلد واحد.

194. سماري، فهد بن عبد الله، المسلمون في البوسنة والهرسك، الرياض: بيانات للنشر، 1992، مجلد واحد.

195. سندي، صالح بن عبد العزيز بن عثمان، الإلحاد (وسائله وخطره وسبل مواجهته)، ط1، بيروت: دار اللؤلؤة، 2013، مجلد واحد

196. سهرودي، أبي حفص عمر، عوارف المعارف، تحقيق سمير شمس، لبنان: دار صادر، مجلد واحد.

197. سهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد (ت581هـ) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000، سبعة أجزاء.

198. سوسي، محمد فتحا بن عبد الواحد، الدرّة الخريفة شرح الياقوتة الفريفة، بيروت: دار الكتب العلمية، 2015، مجلد واحد

199. سيد، رضوان، الأمة والجماعة والسلطة، ط5، جداول للطباعة والنشر، مجلد واحد

200. سيد، عاطف، الغزو الأمريكي البريطاني للعراق مارس 2003، المكتبات الكبرى، 2003، مجلد واحد.

201. سيمونز، جيف، استهداف العراق "العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية"، ط2، القاهرة: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004، مجلد واحد.

202. شاطبي، أبو إسحاق بن موسى بن محمد (ت790هـ) الموافقات، تحقيق مشهور آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، 1997، ستة مجلدات

203. شاكر، محمود، موسوعة تاريخ اليهود، ط1، دار أسامة للنشر، 2002، مجلد واحد

204. شاكر، محمود، العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه، ط4، المكتب الإسلامي للنشر، مجلد واحد.

205. شال، يوسف، الإسلام وبناء المجتمع الفاضل، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، 1972، مجلد واحد.

206. شامسي، سالم سعيد، المساجد ودورها التربوي والاجتماعي، ط1، الشارقة، 2003، مجلد واحد

207. شامي، علي، الصحراء الغربية عقدة التجزئة في العالم العربي، ط1، بيروت، 1980، مجلد واحد

208. شاوي، عبد القادر، السلفية والوطنية، بيروت، مؤسسة الأبحاث الجامعية، 1985، مجلد واحد

209. شبيب، سميح، الأصول الاقتصادية، ط1، دار الجندي للنشر، 2016، مجلد واحد
210. شحادة، أسامة وآخر، الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم، ط1، مصر: مكتبة مدبولي، 2007، ثلاث مجلدات
211. شرف الدين، تقي، النصيرية، (دراسة تحليلية)، مجلد واحد .
212. شفيق، منير، الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، تونس: دار البراق، 1991، مجلد واحد.
213. شقيري، أحمد، الأربعون عاما في الحياة العربية والدولية، بيروت: دار النهار، 1969، مجلد واحد.
214. شكري، عبد المجيد، الإعلام الإسلامي الواقع والتحديات والمستقبل، مصر: مصر العربية للتوزيع، 1999، مجلد واحد.
215. شكري، موفق أحمد، أهل الفترة ومن حكمهم، ط1، بيروت: دار ابن كثير، 1988، مجلد واحد
216. شكري، محمد فؤاد، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013، مجلد واحد .
217. سرهنك، الميرالآي إسماعيل، تاريخ الدولة العثمانية، دار الفكر الحديث، 1988، مجلد واحد
218. شكعة، مصطفى، إسلام بلا مذاهب، ط20، الدار المصرية اللبنانية، مجلد واحد
219. شلبي، أحمد، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط7، مصر: مكتبة النهضة، 1999، عشرة أجزاء
220. شلتوت، محمود، البدعة أسبابها ومضارها، تحقيق علي الحلبي، ط1، السعودية: مكتبة ابن الجوزي، 1988، مجلد واحد

221. شناوي، عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ط1، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1980، مجلد واحد

222. شنقيطي، سيد محمد، وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، ط1، دار عالم الكتب، 1990، مجلد واحد

223. شنوف، عيسى، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، الجزائر: دار المعرفة، 2000، مجلد واحد

224. شهابي، مصطفى، القومية العربية (تاريخها وقوامها ومراميها)، ط2، القاهرة: مطبعة الرسالة، مجلد واحد

225. شهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت548هـ) الملل والنحل، ط2، لبنان: دار الكتب العلمية، 1992، مجلد واحد

226. شوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت1250هـ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الوفاء، 1994، خمسة أجزاء

227. شيخ، رأفت وآخرون، آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، 2006، مجلد واحد

228. صارم، سمير، إنه النفط يا (...) الأبعاد النفطية في الحرب الأمريكية على العراق، ط1، دار الفكر، 2003، مجلد واحد

229. صالح، سعد الدين السيد، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ط2، مكتبة الصحابة، 1998، مجلد واحد

230. صالح الصديق، محمد، الجزائر بلد التحدي والصمود، الجزائر: موفم للنشر، 2009، مجلد واحد

231. صاوي، صلاح، مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي، مصر: الآفاق الدولية للإعلام، 1994، مجلد واحد

232. صباح، ميمونة خليفة، مشكلة الحدود الكويتية بين الدولتين العثمانية والبريطانية، جامعة الكويت، 1993، مجلد واحد.

233. صوري، عباس، في الوضع اللغوي المغرب، ط1، الرباط، 1995، مجلد واحد

234. صيمري، أبي عبد الله حسين بن علي، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، ط2، عالم الكتب، 1985، مجلد واحد

235. ضبيع، محمد علي، من مشكلات الأسرة الليبية، ط1، ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع، 1984، مجلد واحد

236. طالب، محمد نبيل، البرامج التعليمية والثقافية بالإذاعة والتلفزيون، ط1، الدار العربية للنشر والتوزيع، 2009، مجلد واحد

237. طبري، أبي جعفر محمد جرير (ت923/310) تفسير الطبري، مصر: دار المعارف، 24 جزء

238. طقوش، محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، 2013، مجلد واحد

239. طه، جاد، سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية، ط3، دار الفكر العربي، مجلد واحد

240. طوالبه، حسن، مناقشة في النزاع العراقي الإيراني، بيروت: الوطن العربي، 1984، مجلد واحد

241. طوسي، أبي نصر السراج، اللمع، مصر: دار الكتب الحديثة، 1960، مجلد واحد

242. ظهير، إحسان الهي، البهائية نقد وتحليل، ط2، باكستان: إدارة ترجمان السنة، 1981، مجلد واحد
243. ظهير، إحسان الهي، دراسات في التصوف، ط1، دار الإمام المجدد، 2005، مجلد واحد
244. عاشور سعيد، الحركة الصليبية، القاهرة: مكتبة الأنجلية المصرية، جزءان
245. عاشور، فايز حماد، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ط1، الشركة العربية للنشر، مجلد واحد
246. عباس، أحمد، نظام الزواج والأسرة، أبوظبي: مكتبة المكتبة، 1982، مجلد واحد
247. عبد الحميد، محسن، حقيقة البابية والبهائية، ط1، المكتب الإسلامي للنشر والطباعة، 1985،  
مجلد واحد
248. عبد الخالق، عبد الرحمن، الأصول العلمية للدعوة السلفية، ط2، الكويت: الدار السلفية، 1398هـ،  
جزء واحد
249. عبد الرزاق، انتصار وآخر، الإعلام الجديد "تطور الأداء والوسيلة والوظيفة"، ط1، العراق: وزارة  
التعليم العالي، 2011، مجلد واحد.
250. عبد الرؤوف سليم، محمد، نشاط الوكالة اليهودية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، 1982، مجلد  
واحد
251. عبد الستار، لبيب، قصة الخليج تفاعل دائم وصراع مستمر، ط17، بيروت: دار المشرق، 2008،  
مجلد واحد
252. عبد الصاحب، خيرية، الفكر القومي العربي نشوءه وتطوره 1830 . 1962، بغداد: منشورات وزارة  
الثقافة والإعلام، 1962، مجلد واحد

253. عبد العاطي، أشرف، البدعة وأثرها على المجتمع الإسلامي، ط1، مصر: مؤسسة الشروق للترجمة والتوزيع، 2012، مجلد واحد

254. عبد العزيز، عمر، تاريخ المشرق العربي، دار المعرفة الجامعية للنشر والطباعة، 2001، مجلد واحد

255. عبد المحسن، فتوح، التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك، دار السلاسل للطباعة والنشر، 1990، مجلد واحد

256. عبد الهادي، جمال وآخرون، مصر بين الخلافة العثمانية والاحتلال الإنجليزي من عهد محمد علي وحتى عهد محمد توفيق، مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1995، مجلد واحد

257. عبدة، محمد وآخر، الصوفية نشأتها وتطورها، ط2، الكويت: دار الأرقم، 1997، مجلد واحد

258. عبدة، محمد، أيعيد التاريخ نفسه، ط3، المنتدى الإسلامي، 1999، مجلد واحد

259. عبدري الفاسي، محمد بن الحاج (ت737هـ)، المدخل، العروبة للدراسات والبحوث، 1900، مجلد واحد

260. عثمان، سعيد أحمد، التفكير دراسات نفسية، مصر: مكتبة الأنجلو، (د.ت.)، مجلد واحد

261. عدوي، محمد عبد العليم، الوحدة الإسلامية في مواجهة التحديات، رابطة الجامعات الإسلامية، مجلد واحد

262. عرجون، محمد الصادق، موسوعة سماحة الإسلام، ط2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1984، مجلدين

263. عريني، السيد الباز، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ط1، دار النهضة العربية، 1989، مجلد واحد.

264. عريني، السيد الباز، الشرق الأوسط، القاهرة، القاهرة دار النهضة العربية للطباعة، 1989، مجلد واحد

265. عزة دروزة، محمد، القضية الفلسطينية، ط 1، دار يعرب للدراسات والنشر، 1992، مجلد واحد

266. عسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ) فتح الباري، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ، 13 جزء

267. عطية، محيي الدين، تذكير المسلمين بتوحيد الإله العظيم، ط1، مصر: دار الحكمة، 2014

268. عطيفة، حمدي أبو الفتوح، أسلمة مناهج العلوم المدرسية، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2000، مجلد واحد

269. عفلق، ميشيل، في سبيل البعث، ط2، بيروت، 1963، مجلد واحد.

270. عفيفي، أبو العلا، الملامتية والصوفية أهل الفتوة، ط1، منشورات الجمل، 2014، مجلد واحد

271. علمي، أحمد، الاجتياح البريطاني، فلسطين: مؤسسة الأسوار، 1998، مجلد واحد

272. علوش، ناجي، المقاومة العربية في فلسطين، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1970، مجلد واحد

273. علوي، يحيى بن حمزة، الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام، تحقيق: علي سامي النشار، ط1، منشأة المعارف، 1998، مجلد واحد

274. علي، سعيد إسماعيل، الخطاب التربوي الإسلامي، قطر: كتاب الأمة، 2004، مجلد واحد
275. علي، علي محمد، ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية، وثيقة رقم 100، مركز دراسات الشرق الأوسط، (م.ت) ،مجلد واحد
276. علي بن عبد الرحمن، انتهاكات حقوق الإنسان في البوسنة والشيستان، ص89
277. عمارة، محمد، الإسلام والأقليات، ط3، مكتبة الشروق الدولية، 2009، مجلد واحد.
278. عمارة، محمد، الطريق إلى اليقظة الإسلامية، دار الشروق، 1990، مجلد واحد.
279. عمر، معن خليل، علم اجتماع الأسرة، ط5، دار الشروق للنشر والتوزيع ، 2016، مجلد واحد
280. عمري، ابن فضل الله شهاب الدين(ت749هـ) مسالك الإبصار، تحقيق كامل الجبوري، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، 2010، 27 مجلد
281. عمورة، عمار، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر: دار الريحانة، مجلد واحد
282. عوض، صالح، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، ط2، الجزائر: دحلب، 1992، مجلد واحد
283. عويس، عبد الحليم، الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به، مصر: دار الصحوة، 1405هـ، مجلد واحد.
284. عيد، ابن دقيق(ت702هـ)، شرح الأربعين النووية، ط6، مؤسسة الريان، 2003، جزء واحد
285. عيساوي، محمد وآخرون، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري، الجزائر: مؤسسة كنور الحكمة للنشر، 2011، مجلد واحد

286. عيني، أبو محمد محمود بن احمد بن موسى (ت855هـ) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001، 13 جزء

287. غالب، مصطفى، الحركات الباطنية في الإسلام، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر، 1980، مجلد واحد

288. غامدي، عبد الله سعيد، صلاح الدين والصليبيون، بيروت: دار الفضيحة، 1985، مجلد واحد.

289. غامدي، زياب بن سعد آل حمدان، المنهج العلمي لطلاب العلم الشرعي وبعض الفوائد والنكات العلمية، ط 4، 2008، (د.م)، مجلد واحد

290. غامدي، سعيد بن ناصر، حقيقة البدعة وأحكامها، ط3، مكتبة الرشد، 1999، مجلدين

291. غامدي، مسفر بن سالم العريخ، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الأوسط، ط1، جدة، دار المطبوعات الحديثة، 1986، مجلد واحد

292. غباري، محمد سلامة، الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب، ط1، السعودية: شركة مكتبات عكاظ، 1983، مجلد واحد

293. غزالي، أبو حامد محمد (ت505هـ) المستقصى من علم الأصول، ط1، بيروت: دار الكتب العلمي، 1993م، جزء

294. غزالي، أبو حامد، منهاج العابدين، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1989، مجلد واحد

295. غزالي، زينب، أيام من حياتي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1999، مجلد واحد

296. غزالي، محمد، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق، (د.م)، (د.ت)، مجلد واحد

297. غزانمة، يوسف، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين، الأردن، دار الفكر، 1983، مجلد واحد
298. غلاييني، محمد، وسائل الإعلام وآثارها في وحدة الأمة السعودية، ط1، السعودية: دار المنارة، 1985، مجلد واحد
299. غوري، إميل، فلسطين عبر ستين عاما، ط1، دار النهار للنشر، 1973، مجلد واحد
300. غيلان، بدر، تاريخ الأطماع الفارسية في شط العرب، بغداد: وزارة الإعلام والثقافة، 1980، مجلد واحد
301. فاسي، علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المغرب: مؤسسة علال الفاسي، مجلد واحد
302. فتح الله، جرجيس، يقظة الكرد، ط1، أربيل: مطبعة وزارة التربية، 2002، مجلد واحد.
303. فتح الله، عبد الستار، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، السعودية: جامعة محمد بن سعود، 1981، مجلد واحد
304. فرغلي الهريدي، حاضر العالم الإسلامي، ط1، مصر: العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2010، مجلد واحد
305. فروخ، عمر وآخر، التبشير والاستعمار، ط5، بيروت: المكتبة العصرية، 1973، مجلد واحد
306. فياض، محمد احمد، الإعلام الفضائي الدولي العربي، ط1، (د.م)، 2005، مجلد واحد
307. فياض، زيد بن عبد العزيز، واجب المسلمين في نشر الإسلام، ط3، الرياض: مطابع القصيم، 1968، مجلد واحد

308. فيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817/ 1415)، القاموس المحيط، ط8، بيروت:

مؤسسة الرسالة، 2005، جزء واحد

309. فيشر، هيرت، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ط3، مصر: دار المعارف، 1970، مجلد واحد

310. قادري، عبد الله بن أحمد، دور المسجد في التربية، ط 2006، 3، (د.م)، مجلد واحد

311. قاسمي، محمد جمال الدين، إصلاح المساجد من البدع والعوائد، ط4، المكتب الإسلامي،

1399هـ، مجلد واحد

312. قاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت1332هـ) محاسن التأويل، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية،

1418هـ

313. قحطاني، حمد بن سعيد، الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، ط1، الرياض: دار

طيبة (د.ت)، مجلد واحد

314. قدري، أحمد، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، الأردن: وزارة الثقافة، 1956، مجلد واحد

315. قرضاوي، يوسف، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، ط14، مصر: مطبعة وهبة، 1974، مجلد

واحد

316. قرضاوي، يوسف، السنة والبدعة، ط4، مكتبة وهبة، 2008، مجلد واحد

317. قرضاوي، يوسف، الضوابط الشرعية لبناء المسجد، ط1، مؤسسة الرسالة، 2000، مجلد واحد

318. قرضاوي، يوسف، العبادة في الإسلام، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983، مجلد واحد

319. قرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت1273/671) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، ط2، مصر: دار الكتب المصرية، 1964، 20 جزء
320. قرقوط، ذوقان، تطور الحركة الوطنية في سوريا، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1975، مجلد واحد
321. قرم، جورج، أوروبا والمشرق العربي من البلقنة إلى اللبنة، دار الطليعة للنشر والطباعة، 1990، مجلد واحد
322. قزويني الرازي، أحمد بن فارس (ت395هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979، ستة أجزاء
323. قشيري، زين الدين أبي القاسم، الرسالة القشيرية، مصر: دار جوامع الكلم، مجلد واحد
324. قصير، عبد الله بن صالح، لمع بشأن البدع في بيان حقيقتها وأدلة بطلانها والواجب نحوها، شبكة الالولة، 2015، مجلد واحد
325. قطان، مناع، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، ط1، مكتبة وهبة، 1991، مجلد واحد
326. قطب، سيد (ت1966م) في ظلال القرآن، ط32، دار الشروق، 2003، ستة أجزاء
327. قطب، سيد، معالم في الطريق، مصر: دار الشروق، 2012، مجلد واحد
328. قطب، سيد، معركة الإسلام والرأسمالية، مصر: دار الشروق، مجلد واحد
329. قطب، محمد، جاهلية القرن العشرين، دار الشروق، 1988، مجلد واحد
330. قطب، محمد، مفاهيم ينبغي أن تصحح، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005، مجلد واحد

331. قطب، محمد، واقعنا المعاصر، دار الشروق، 1997، مجلد واحد
332. قفاري، ناصر بن عبد الله وآخر، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط1، الرياض: دار الصميعي، 1992، مجلد واحد
333. قلقشندی، أبو العباس أحمد (ت821هـ) صبح الأعشى، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1922، 14 مجلد
334. قلماوي، سهير، آثار باحثة البادية ملك حفني ناصف، مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1962، مجلد واحد
335. قنان، جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، مجلد واحد
336. قنديل، إسعاد، كشف المحجوب للهجويري، القاهرة، مكتبة الاسكندرية، 1974، مجلد واحد.
337. كامل، مجدي، حروب الجيل الرابع، ط1، دار الكتاب العربي، 2016، مجلد واحد.
338. كامل حسين، محمد، طائفة الدروز تاريخها وعقائدها، مصر: دار المعارف، مجلد واحد
339. كوبلاندي، مايلز، لعبة الأمم (تعريف المترجم للعبة الأمم)، بيروت، 1970، مجلد واحد
340. كوليسنيكوف، يوري، أرض الميعاد، ط1، دار التقدم، 1979، مجلد واحد
341. كيالي، عبد الوهاب (ت1981م)، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979، سبعة أجزاء

342. كيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ط10، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990،  
مجلد واحد

343. كيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط3، دبي: دار الناشر،  
2002، مجلد واحد

344. اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري(ت418هـ)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة  
والجماعة تحقيق: نشأت بن كمال المصري، ط2، الاسكندرية: دار البصيرة، (د.ت)، مجلدين

345. لانو، روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، تحقيق نقولا زيادة، ط2، دار الثقافة للطباعة والنشر،  
1980، مجلد واحد

346. لبنان، شريف درويش، الصحافة الالكترونية دراسات في التفاعلية وتصميم الواقع، ط1، الدار  
المصرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، مجلد واحد

347. لبيدي، محمد، أساليب الإعلام الصهيوني، ط1، بيروت: مطابع الكرمل، 1982، مجلد واحد.

348. لجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال، الإعلام العربي حاضرا ومستقبلا، نحو نظام عربي  
جديد للإعلام والاتصال، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1987

349. لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتير، مصر: الهيئة المصرية العام للكتاب،  
2000، مجلد واحد

350. لورنس، هنري، الحملة الفرنسية في مصر، تحقيق: بشير السباعي، ط1، سينا للنشر، 1995،  
مجلد واحد

351. لومة، محمد، صمود وسط الإعصار في حياة الأستاذ عبد الله إبراهيم، 2006، (د.م)، مجلد واحد

352. لويس، برنارد، الشرق والغرب، مصر: دار المعارف، 1972، مجلد واحد
353. ماجد، عبد المنعم محمد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار الفكر، 2011،  
مجلد واحد.
354. مالتير، توماس، الجزر الثلاث لدولة الإمارات العربية المتحدة، ط4، مركز الإمارات الدراسات  
والبحوث، 2014، مجلد واحد
355. مجذوب، أحمد علي، العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية، الدار المصرية اللبنانية، 1998،  
مجلد واحد
356. مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998، 33 مجلد
357. محافظة، علي، الفكر السياسي، عمان: مركز الكتب الأردني، 1989، مجلد واحد
358. محافظة، علي، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1919 . 1945، بيروت: مركز  
دراسات الوحدة العربية، (د.ت)، مجلد واحد
359. محجوب، عباس، مشكلات الشباب: الحلول المطروحة والحل الإسلامي، ط11، قطر: كتاب الأمة،  
1985، مجلد واحد
360. محمد، محمد سيد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي،  
1994، مجلد واحد
361. محمد حسين، محمد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ط3، مصر: مكتبة الآداب،  
1980، مجلد واحد.

362. محمود خلة، كامل، فلسطين والانتداب البريطاني، ط1، بيروت: مركز الأبحاث، 1974، مجلد واحد

363. محمود، علي وآخرون، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، السعودية: جامعة محمد ابن سعود، 1981، مجلد واحد

364. محمودي، عبد القادر، النزاعات العربية العربية تطور النظام الإقليمي العربي 1945.1985، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، 2002، مجلد واحد

365. مخادمي، عبد القادر رزيق، النزاعات الحدودية العربية، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2004، مجلد واحد

366. مذكور، علي أحمد، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، دار الفكر العربي، 2001، مجلد واحد

367. مذكور علي أحمد، منهجية تدريس العلوم الشرعية، ط2، الرياض: دار الشوف، 2013، مجلد واحد

368. مراغي، أحمد بن مصطفى (ت1371هـ) تفسير القرآن، ط1، مصر: مطبعة مصطفى البابي، 1946، 30 جزء

369. مرشدي، محمد إبراهيم، عروبة مصر وأقباطها على طريق مشروع حضاري قومي، مصر: دار الشرق الأوسط للنشر، مجلد واحد

370. مرصفي، محمد علي، من المبادئ التربوية في الإسلام، ط1، دار التراث العربي، 1987، مجلد واحد

371. مركز الدراسات الإستراتيجية بجامعة تل أبيب، التوازن العسكري في الشرق الأوسط، عمان: دار الجليل، 1984، مجلد واحد

372. مصري، جميل محمد، حاضر العالم الإسلامي وقضاياها المعاصرة، ط1، السعودية: الجامعة الإسلامية، 1986، ومجلدان

373. مصطفى، أحمد عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، 1986، مجلد واحد

374. معتوق، أحمد محمد، التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها وتعليمها في دول الخليج العربي، ط1، (د.م)، 2002

375. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الوجيز في إسلامية المعرفة، المغرب، 1987، مجلد واحد

376. معوض أحمد، نازلي، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، ط1، مصر: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986، مجلد واحد

377. مفتي، عدنان، وثائق مؤتمر القاهرة 1999، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1999، مجلد واحد

378. مفتي، محمود، المنتبئ القادياني من هو، لندن: أكاديمية ختم النبوة، (د.ت)، مجلد واحد.

379. مقدم، محمد، علو الهمة، ط6، الاسكندرية: دار العقيدة للتراث، 1999، مجلد واحد

380. مقریزی، تقي الدين (ت845هـ) اتعاض الحنفا، تحقيق جمال الدين الشيال، ط2، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، 1996، ثلاثة مجلدات

381. المقریزی، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت845هـ) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، 1997، ثمانية أجزاء.

382. مناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت1031هـ) فيض القدير، ط1، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ، ستة أجزاء

383. منشورات وزارة الثقافة والإعلام، جهود السلام الدولية لإيقاف الحرب العراقية الإيرانية، بغداد: دار

الحرية، 1983، مجلد واحد

384. منصور، أحمد، قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد، مصر: دار ابن حزم،

1994، مجلد واحد

385. منوه سالم عبد الله، موقف الصحافة، (د.م.)، 1994، مجلد واحد

386. منياوي، رمزي، الفوضى الخلاقة، ط1، دار الكتاب العربي، 2012، مجلد واحد

387. مودودي، أبو الأعلى، ما هي القاديانية، ط1، مؤسسة الرسالة، 1984، مجلد واحد

388. مودودي، أبو الأعلى، نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور، (ب.م.)، 1967، مجلد

واحد

389. مؤسسة الدراسات والأبحاث، الصراع العربي الفارسي، فرنسا، 1981، مجلد واحد.

390. مؤنس، حسين، نور الدين محمود، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1984، مجلد واحد.

391. ميداني، عبد الرحمن، أجنحة المكر الثلاثي، ط8، دار القلم، 2000، مجلد واحد

392. ميرفي، إيما وآخرون، أمن الخليج العربي في ظل النظام الدولي الجديد، عمان: مركز دراسات

الشرق الأوسط، 1997

393. ناصر، محمد حامد، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ط1، الرياض: مكتبة الكوثر،

1998، مجلد واحد

394. ناصر، معتصم حسن، الحياة السياسية العربية في القدس، ط1، القدس: مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، 2009، مجلد واحد
395. ناصر، محمد حامد، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، (الباب الثالث)، ط2، الرياض: مكتبة الكوثر، 2001، مجلد واحد.
396. ناصر، محمد حامد، الحياة الدينية بين الجاهلية والإسلام، ط1، الرياض: عالم الكتب للطباعة والنشر، 1997، مجلد واحد
397. ناصري، محمد مكي (ت1994م)، فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، ط1، 1939، مجلد واحد
398. النجار، عامر، القاديانية، ط1، المؤسسة الجامعية للنشر والدراسات، 2004، مجلد واحد
399. نحوي، عدنان، ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى -، ط1، دار النحوي، 1993، مجلد واحد
400. ندوي، أبو الحسن، القادياني والقاديانية دراسة وتحليل، ط3، الدار السعودية، 1967، مجلد واحد
401. نصيف، مجدي، حرب البوسنة والهرسك في إطارها السياسي والاقتصادي، القاهرة: دار المستقبل العربي، مجلد واحد
402. نعيمة، عبد القادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، 1990، مجلدان.
403. نوار، عبد العزيز سليمان، تاريخ الشعوب الإسلامية - العصر الحديث، مصر: دار الفكر العربي، مجلد واحد.

404. نواوي، محمد، الصراع العربي الإسرائيلي، بيانات للنشر، 1983، مجلد واحد
405. نوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، دار الأضواء، 1984، مجلد واحد
406. نور، أكرم رزق، البوسنة والهرسك بين الأمس واليوم، الرياض: دار الفرقان، 1993، مجلد واحد
407. نووي، أبي زكريا محي الدين بن شرف (ت676هـ) تهذيب الأسماء واللغات، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت.)، أربعة مجلدات
408. نيسابوري، أبي الحسين مسلم بن الحجاج (ت261هـ) صحيح مسلم، ط1: دار طيبة، 2006، مجلدان
409. هلال، عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، الجزائر، 1995، مجلد واحد
410. هنيدي، سحر، التأسيس البريطاني للوطن القومي، ط1، فلسطين: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003، مجلد واحد
411. هوليداي، جون، النفط والتحرر الوطني في الخليج العربي، ط1، دار ابن خلدون للطباعة والنشر، 1975، مجلد واحد
412. هويدي، فهمي، العرب وإيران: وهم الصراع وهم الوفاق، ط1، بيروت: دار الشروق، 1991، مجلد واحد
413. هيثمي، علي بن أبي بكر (ت807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة كمكتبة القدسي، 1994، عشرة أجزاء

414. هيرو، دليب، الأصولية الإسلامية في العصر الحديث، تحقيق: عبد الحميد الجمال، مصر: الهيئة المصرية العام للكتاب، 1997، مجلد واحد
415. هيكل، محمد، حرب الخليج أو هام القوة والنصر، ط1، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1992، مجلد واحد
416. وشلي، عبد الله قاسم، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، دمشق: مؤسسة الرسالة، 1988، مجلد واحد
417. وصفي، مصطفى كمال، النظام الدستوري في الإسلام، ط2، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 1994، مجلد واحد
418. وليم، فهمي، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، القاهرة، 1974، مجلد واحد
419. ويلسون، سينيثيا، مصرية طالبت بالمساواة بين الجنسين: درية شفيق وامرأة مختلفة، ط1، مكتبة الأسرة، 2003، مجلد واحد
420. ياسين، بو علي، حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة، ط1، سوريا: دار الطبعة الجديدة، 1998، مجلد واحد
421. يالجن، مقداد، علم النفس التربوي في الإسلام، ط1، دار عالم الكتب، 1997، مجلد واحد
422. يحيى، جلال، السياسة الفرنسية في الجزائر (1830-1960)، ط1، مكتبة دار المعرفة، 1959، مجلد واحد.
423. يوسف حمزة، عمر، معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، مجلد واحد.

## الدوريات

1. أحذب، محمد نصر، حقيقة الكشوفات الجغرافية ودوافعها: مجلة الأمة، العدد 15، سنة 1982م
2. أحمد، عبد العاطي، الإسلام والعروبة في المغرب العربي: مجلة قضايا عربية، العدد 1979، 2
3. أحمد، محمد، الغزو الأمريكي البريطاني للعراق سنة 2003: مجلة جامعة دمشق، العدد (4+3)،  
سنة 2003
4. برحو، صلاح الدين وآخر، حول اتحاد المغرب العربي: مجلة الميادين، العدد 6
5. بني عيسى، عبد الرؤوف أحمد، الإعلام التربوي من منظور إسلامي: مجلة جرش للبحوث  
والدراسات، سنة 2013
6. تابليت، علي، تاريخ أسطورة المروحة والاحتلال 29 أبريل 1827، مجلة الذاكرة
7. ترابي، الحارث، الوحدة والجماعة: مجلة الوعي، العدد 88
8. ثلة من الشباب المؤمن، الوحدة الفكرية: مجلة الوعي، العدد 33،
9. جرار، مروان، العلاقات اليهودية الدرزية في فلسطين في فترة الانتداب البريطاني (1918-  
1948): مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد 21، 2010
10. جريدة الاستقلال العراقية، العدد 2119، 2 آذار 1934
11. حداد، يحيى، عرض كتاب المرأة والتنمية في العالم الثالث لسوالين شارلتون: المجلة العربية للعلوم  
الإنسانية، العدد 8،

12. حسيني، عفاف حسن، المسجد ودوره في تحقيق أمن الفرد والمجتمع: مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد 26
13. خاين، محمد، الآليات اللسانية لترقية الخطاب المسجدي: مجلة رسالة المسجد، العدد 5
14. دسوقي، مراد، البعد العسكري للنزاعات العسكرية: مجلة السياسية الدولية، العدد 111
15. ربيعي، إسماعيل نوري، نشاط القوى الكبرى في الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر: مجلة الوثيقة، العدد 26، صيف 1994
16. سانو، قطب مصطفى، مناهج التعليم في العالم الإسلامي: مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد 26
17. سعيد، رفعت، حسابات السياسات العربية وعلاقتها بالتطورات الجارية بالمنطقة: مجلة شؤون عربية، العدد 132
18. سيد، محمود، واقع اللغة العربية في الوطن العربي وآفاق التغيير: مجلة اللسان العربي، العدد 2011، 66
19. شبيب، سميح، اللجنة الفلسطينية في عهد الانتداب البريطاني: مجلة شؤون فلسطينية، العدد 180، سنة 1988
20. شريم، أسمهان، جذور الاستيطان الصهيوني في فلسطين: دار صامد، دار الكرمل، ع111، عمان، 1988
21. صحيفة مرآة الشرق، القدس، العدد 346، 1924/9/24

22. صحيفة مرآة الشرق، القدس، العدد 490، 2 كانون الثاني 1927
23. صحيفة مرآة الشرق، القدس، العدد 511، 16 حزيران 1927
24. صواف، محمد محمود، نظرات في سورة الحجرات، مؤسسة الرسالة، 1987، مجلد واحد
25. ضبيب، أحمد، أزمة اللغة العربية في التعليم: مجلة الحياة الفكرية، العدد 2 (سنة 2009)
26. عبد المؤمن، محمد السعيد، رسالة النظام الإيراني إلى العالم في المستجدات السياسية والعلاقات الدولية: سلسلة قضايا إيرانية، مركز الدراسات الشرقية لجامعة القاهرة، العدد 9
27. عبد الناصر، وليد، أكراد العراق وتأثير البيئتين الإقليمية والدولية: مجلة السياسة الدولية، العدد 127، 1997
28. عفيفي، فتحي، الحرب على الفوضى الخلاقة: النزعة المركزية في الثورات العربية المعولمة: المستقبل العربي، السنة 34، العدد 390، 2011
29. غلام الله، بوعلام الله، المسجد يسترد وظيفته: مجلة رسالة المسجد، العدد صفر، السنة الأولى، جمادى الأولى 2003م
30. فتلاوي، باح، مقررات مؤتمر الصلح للإمبراطورية الألمانية عام 1919: مجلة دراسات الكوفة، لعدد 6، 2007،
31. قاسم، فيصل وآخرون، الفضائيات العربية وتغطية الحرب على العراق 2003: مجلة المستقبل العربي، العدد 295، سنة 2003 .
32. قرم، جورج، جيوبولتيكا الأقليات في المشرق العربي: دراسات عربية، العدد 11، 12، اكتوبر 1994

33. قسم التحرير، مقترحات كتاب فرنسا في شأن البربر: مجلة المنار المصرية، العدد 14، 1930،  
247/3
34. كامل، محمود، العلاقات الدولية لولايات الخليج العربي: المجلة المصرية للقانون الدولي،  
1958، 62/14
35. كوثراني، وجيه، صفحات من تاريخ التجزئة الاستعمارية للوطن العربي: مجلة الوحدة، العدد  
30/29
36. لباد، مصطفى، قراءة في مشروع إيران الاستراتيجي تجاه المنطقة العربية: مجلة شؤون عربية، العدد  
129
37. مجلة الإصلاح، العدد 77، شهر شوال لعام 1404 هـ.
38. مجلة صباح الخير، جمهورية مصر العربية، العدد 1736
39. محافظة، علي، الكواكب الاجتماعية للحركة الوطنية: المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة  
العربية، العدد 24، 2011،
40. مداح، محمد علي، أبعاد انتخابات المجلس التشريعي لمنطقة كردستان العراق: مجلة السياسة  
الدولية، العدد 99، 1990،
41. ملكاوي، فتحي، الخطاب الإسلامي الحضاري: مجلة أفكار، عدد 1242، 1996
42. مهابة، أحمد، مشكلات الحدود في المغرب العربي: مجلة السياسة الدولية، العدد 89

43. المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1962.1830: مجلة أول نوفمبر.

44. موصلي، منذر، الحياة السياسية والحزبية في كردستان: مجلة السياسية الدولية، العدد 135، 1999

45. نافعة، حسن، التفاعلات بين الحرب العراقية الإيرانية والصراع العربي الإسرائيلي: مجلة شؤون فلسطينية، العدد 169، 1999

46. نويض، عجاج، الحاج محمد أمين الحسيني: مجلة شؤون فلسطينية، العدد 36، آب 1974

47. نويهض، خلدون، تكوين الحدود العربية: لماذا وإلى أين: مجلة المستقبل العربي، العدد 187، 1995

48. وزان، سراج محمد، التدريس في مدرسة النبوة: دورية دعوة الحق، العدد 12، 1993

49. وطفة، أسعد، التربية العربية والعولمة بنية التحديات وتقاطع الإشكاليات: مجلة عالم الفكر،

### الرسائل الجامعية

1. أبو عودة، أحمد منصور، الوحدة الإسلامية في السنة النبوية، [رسالة ماجستير]، غزة، الجامعة الإسلامية، 2009،

2. أبو هاني، شريف، الرسالة التربوية للمساجد في الداخل الفلسطيني وأثرها في الحفاظ على الوحدة والهوية الإسلامية (ماجستير) الأردن، جامعة اليرموك، 2010

3. إمام الدين، نهى، الفضائيات العربية الخاصة ودورها في الاختراق الثقافي (دكتوراه) السودان، جامعة أم درمان الإسلامية
4. أهمل، هاشم بن علي بن أحمد، أصول التربية الحضارية في الإسلام (دكتوراه) السعودية، جامعة محمد بن سعود، 2006، مجلد واحد
5. بوجردة، مخلوف، الإبادة في القانون الدولي لحقوق الإنسان (ماجستير)، الجزائر، جامعة مولود تيزي، 2012
6. تلمساني، بن يوسف، التوسع الفرنسي في الجزائر (1830.1870) (ماجستير) الجزائر، جامعة الجزائر، 2005
7. تميمي، وليد محمود محمد، وحدة الأمة الإسلامية بين النظرية والتطبيق، [رسالة ماجستير] القدس، جامعة القدس، 2005.
8. جرار، مروان، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1920.1948 (رسالة دكتوراه) الأردن، الجامعة الأردنية، 1997، (غير منشورة)
9. حوالي، سفر، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي (دكتوراه) جامعة أم القرى، السعودية، 1405 هـ
10. رياض، بوزرب، النزاع في العلاقات الجزائرية المغربية 1963.1988 (ماجستير)، الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007
11. سليم، أحمد، دور السياسة الأمريكية في التحولات الديمقراطية في المنطقة العربية (رسالة ماجستير)، جامعة الشرق الأوسط، 2013

12. عايب، أحمد، البعد الأمني لسياسة ودبلوماسية الجزائر الإقليمية منذ 1962 (ماجستير)، الجزائر، جامعة الجزائر، 1993
13. عدوان، طایل، الإستراتيجية الإقليمية لكل من تركيا وإيران نحو الشرق الأوسط (ماجستير)، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2013
14. عساف، فايز، الأقليات وأثرها في استقرار الدولة القومية (أكراد العراق نموذجا) (ماجستير)، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، 2010
15. عقل، ناصر عبد الكريم، التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية (ماجستير) السعودية: جامعة محمد بن سعود، 1393هـ
16. كحال، سعيد، حقوق الإنسان في ظل التدخل الأمريكي في العراق (ماجستير)، الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة، سنة 2008.
17. كروري، محمود، الفكر السياسي لحزب الاستقلال المغربي (ماجستير)، العراق، الجامعة المستنصرية، 1989
18. كيلاني، ماجد عرسان، نشأة القادرية (رسالة ماجستير) بيروت: الجامعة الأمريكية، 1974
19. لقمان، لقمان صالح احمد، سياسة فرنسا تجاه البربر وأثرها في الحركة الوطنية المغربية 1930-1936 (ماجستير)، العراق، جامعة بغداد، 1987
20. مثقال، أيوب، أثر التربية الإسلامية في تكوين الشخصية المستقلة، (ماجستير) الأردن، جامعة اليرموك، 2001،

21. مرزاقفة، عشور، جرائم فرنسا في الجزائر والإبادة الجماعية (ماجستير)، جامعة محمد خيضر (بسكرة)، 2013
22. مهاني، علي أكرم، العلاقات الصهيونية البريطانية في فلسطين (ماجستير) غزة، الجامعة الإسلامية، 2010
23. موسى، محمد حسني، الرفق وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع (المجتمع)الأردن، جامعة اليرموك، 2002
24. نجم، منور، الدور التربوي لوسائل الإعلام الإسلامي وسبل تطويره من وجهة نظر طلبة الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة (ماجستير) الجامعة الإسلامية، غزة، 2005
25. نصيب، عتيقة، العلاقات الجزائرية المغربية في فترة ما بعد الحرب الباردة (ماجستير)، الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2011 .
26. نعمان، مأمون مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا (ماجستير)السعودية، جامعة أم القرى، 1998،
27. وزان، فاطمة، تطور مشكلة الحدود في المغرب العربي: حالة الحدود الشرقية والغربية للجزائر (ماجستير)، الجزائر، جامعة الجزائر، 1998
28. وهيب، استبرق فؤاد، المعالجة الإعلامية للاحتلال الأمريكي تحليل مضمون مجلة نيوزويك النسخة العربية (ماجستير) الأردن، جامعة الشرق الأوسط لدراسات العليا، 2009

## المؤتمرات والندوات

1. ابن بوعبد الله، وردة، المسؤولية الجنائية الفردية للقادة العسكريين الفرنسيين على الجرائم المرتكبة في الجزائر، 16، 17 نوفمبر 2011(ملتقى).
2. سلماني، عبد القادر، جرائم الاستعمار الفرنسي بالجزائر(1830.1847) 16، 17 من نوفمبر 2011 (ملتقى)
3. شفيطي، محمد بن المختار، جذور الصور النمطية للمسلمين في العقل الأمريكي، مؤتمر الإسلاموفوبيا في 28 أبريل 2016
4. شويكي، محمود، علاقة العلماء بالحكام، 2011، (مؤتمر العلمي الثاني..العلماء واقع وآمال)، غزة
5. عقلة، محمد، الفراغ الفكري في مفهومه أسبابه وسبل العلاج، افتتاحية فعاليات اليوم العلمي لكلية الشريعة في جامعة اليرموك، 2011
6. موباجي، شعبان بن رمضان، دور العلماء في مجابهة التحديات المجتمعية، 2015/4/1416، (مؤتمر دور العلماء في الوقاية من الإرهاب بالرياض)
7. هاشم، أحمد عمر، وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية: بحث مقدم للملتقى الأول للعلماء المسلمين في مكة المكرمة في عام 2006.

## الإنترنت

<http://elibrary.medi.u.edu.my/books/SDL0052.pdf>

<http://ijtihad.ir/NewsDetailsAR.aspx?itemid=5742>

<http://islamstory.com/ابن-العقلمى-والخيانة-العظمى>

[http://library.islamweb.net/NewLibrary/display\\_umma.php?lang=&BabId=2&ChapterId=2&BookId=285&CatId=201&startno=0](http://library.islamweb.net/NewLibrary/display_umma.php?lang=&BabId=2&ChapterId=2&BookId=285&CatId=201&startno=0)

<http://majles.alukah.net/t120190/>

[http://osamashade.com/sites/default/files/mosoaa4\\_0.pdf](http://osamashade.com/sites/default/files/mosoaa4_0.pdf)

<http://www.ahewar.org>

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=10930>

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=68180>

<http://www.ahram.org.eg/Archive/2004/6/1/OPIN1.HTM>

<http://www.almoslim.net/node/83950>

<http://www.almoslim.net/node/83950>

[http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected\\_article\\_no=4495](http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4495)

<http://www.alukah.net/sharia/0/55096/>

[http://www.caus.org.lb/PDF/EmagazineArticles/mustaqbal\\_421\\_khalida.pdf](http://www.caus.org.lb/PDF/EmagazineArticles/mustaqbal_421_khalida.pdf)

<http://www.dartwhid.com/upload/K4c4BtVhtStC.pdf>

<http://www.saaaid.net/book/open.php?cat=105&book=14249>

<http://www.saaid.net/book/open.php?cat=139&book=4179>

<http://www.saaid.net/book/open.php?cat=89&book=1599>

<http://www.saaid.net/feraq/mthahb/92.htm>

<http://www.saaid.net/mktarat/almani/0.htm>

<http://www.saaid.net/mktarat/almani/15.htm>

<http://www.saaid.net/twitter/425.htm>

<https://ar.beta.islamway.net/article/2292> رسالة تحكيم القوانين

<https://iraqibeacon.wordpress.com/2012/05/27>

<https://islamhouse.com/ar/books/144873/>

<https://saaid.net/arabic/117.htm>

<https://saaid.net/arabic/13.htm>

<https://saaid.net/Doat/yahia/158.htm>

<https://saaid.net/mktarat/alalm/83.htm>

<https://www.alforqan.net/files/361.html>

<https://www.facebook.com/iumsonline/photos/a.206131722753233.56019.185>

[412838158455/939148312784900/](https://www.facebook.com/iumsonline/photos/a.206131722753233.56019.185)

<https://www.kutubpdf.net/onlineread/6061.html>

[www.Aljazeera.net](http://www.Aljazeera.net)

[www.osaimy.com/add/book2/al2qliat/cosofa.doc](http://www.osaimy.com/add/book2/al2qliat/cosofa.doc)

[www.riyadhalelm.com/researches/14/56w\\_daor\\_msjed\\_mkafaha.doc](http://www.riyadhalelm.com/researches/14/56w_daor_msjed_mkafaha.doc)

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	محتويات الرسالة
	إجازة الرسالة
	الإهداء
أ	الإقرار
ب	الشكر
ج	الملخص باللغة العربية
هـ	الملخص باللغة الإنجليزية
ح	المقدمة
	<b>الفصل الأول: الوحدة الإسلامية</b>
2	المبحث الأول: تكوين الوحدة الإسلامية
2	المطلب الأول: تعريف الوحدة و المصطلحات ذات الصلة
14	المطلب الثاني: مظاهر الوحدة الإسلامية
25	المبحث الثاني: مخاطر الفرقة وعوامل نشوئها
25	المطلب الأول: مخاطر الفرقة على الأمة الإسلامية والتحذير منها
27	المطلب الثاني: عوامل نشوء الفرقة
	<b>الفصل الثاني: بيت المقدس المحتلة صليبيا بين الإعداد والتحرير</b>
35	المبحث الأول: الأوضاع التي سبقت سقوط بيت المقدس
35	المطلب الأول: الأوضاع العقائدية
39	المطلب الثاني: الأوضاع السياسية
51	المطلب الثالث: الحياة الفكرية والاقتصادية قبل الغزو
	المبحث الثاني: الغزو الصليبي لبلاد المسلمين
61	المطلب الأول: الدوافع
	المبحث الثالث: تحرير بيت المقدس إعداده وانطلاقه
66	المطلب الأول: مظاهر الإعداد للتحرير في دولتي آل زنكي والأيوبي
72	المطلب الثاني: الانطلاق لتحرير بيت المقدس
	<b>الفصل الثالث: فرقة الأمة الإسلامية في واقعها المعاصر وأسبابها :</b>
83	المبحث الأول: نتائج الفرقة

فهرس المحتويات

83	المطلب الأول: حملة نابليون على مصر وبلاد الشام
92	المطلب الثاني: إسقاط الخلافة العثمانية والقضاء عليها
100	المطلب الثالث: مؤتمرات تقسيم البلاد الإسلامية
109	المطلب الرابع: الاحتلال البريطاني لفلسطين ودعمه لصهاينة
120	المطلب الخامس: الاحتلال الفرنسي للجزائر
129	المطلب السادس: الاستعمار والأقليات
151	المطلب السابع: مأساة البوسنة والهرسك
157	المطلب الثامن: غزو العراق عام 2003
163	المبحث الثاني: أسباب فرقة الأمة
179	المطلب الأول: الفرق الباطنية
188	المطلب الثاني: الأمة الدينية
197	المطلب الثالث: واقع لغة الضاد في العصر الحالي
	المطلب الرابع: سياسات التقسيم وإقامة الكيانات التجزئية
212	المطلب الخامس: أبرز الحروب المفتعلة بعد التقسيم
222	المطلب السادس: إدامة العنف والفوضى الخلاقة
	المبحث الثالث: واقع الأمة السياسي والاجتماعي والفكري
229	المطلب الأول: الحياة السياسية وانقسام الأمة
232	المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية
245	المطلب الثالث: الناحية الفكرية
	<b>الفصل الرابع: نحو تحقيق الهدف المنشود</b>
260	المبحث الأول: من الناحية العقيدية
260	المطلب الأول: إعادة الدور الريادي للمسجد
280	المطلب الثاني: التصدي للفكر الإلحادي والعلماني
287	المطلب الثالث: التصدي لأهل البدع وأصحاب الضلال والفرق المشبوهة
302	المطلب الرابع: العمل على إعادة دور العلماء في قيادة الأمة
	المبحث الثاني: من الناحية السياسية
318	المطلب الأول: الاستغناء عن الدساتير والأحكام العلمانية والعودة إلى شرع الله

فهرس المحتويات

331	المطلب الثاني: وحدة العمل الإسلامي
337	المبحث الثالث: من الناحية التربوية
337	المطلب الأول: مراجعة مناهج التعليم والعمل على تطويرها
343	المطلب الثاني: تعزيز أصول جهاد النفس وأثرها على الفرد المسلم المبحث الرابع: من الناحية الاجتماعية
351	المطلب الأول: العمل على إعادة مفهوم الأسرة ودورها في المجتمع
364	المطلب الثاني: تفعيل دور الإعلام التربوي الإسلامي
373	الخاتمة
376	فهرس الآيات القرآنية
380	فهرس الأحاديث
382	فهرس الأعلام
383	فهرس المعاهدات
384	فهرس المؤتمرات
385	فهرس المذاهب والفرق
386	فهرس الاتفاقيات
387	فهرس الدول الإمارات
388	فهرس المصادر والمراجع
440	فهرس المحتويات